الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز

سلسلة الجوائز
٩٦

لغز أمريكي

تأليف: نورمان ميلر

حكاية أوزوالد

الكتاب الأول

ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر

ميلر، نورمان، ١٩٢٣ ـ ٢٠٠٧

حكاية أوزولد/ تأليف: نورمان ميلر، ترجمة: مجدى عبد المجيد خاطر. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١١.

مج١ ؛ ٢٢سم . ـ (سلسلة جوائز)

تدمك ٩ ٨٩٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ القصص الأمريكية.

أ ـ خاطر، مجدى عبد المجيد. (مترجم)

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٤٤١/ ٢٠١١

I. S. B. N 978 - 977 - 421 -895 - 9

ديوى ٨٢٣

حكاية أوزوالد

لغز أمريكي

الكتاب الأول

تأليف : نورمان ميلر

ترجمة : مجدي عبد المجيد خاطر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٢

المُجلد الأول

أوزوالد في منسك

برفقة مارينا

القسم الأول

مغامرات فاليا

\- ١ -

فولشوك

كانت فاليا فى الثالثة من عمرها، حين وقعت فوق موقد ساخن أحرق وجهها، لتقضى عاماً كاملاً طريحة الفراش طوال ذلك العام من الثالثة إلى الرابعة، وقد توفيت أُمها عقب ذلك الحادث مباشرةً، تاركةً أباها مع سبعة أطفال.

قال والد فاليا، عندما دفنوا أمّها،" الآن، املأوا عيونكم منها وتذكّروها وجعلهم جميعاً يحوطون التابوت وكلّمهم مرّة أخرى،"حاولوا تذكّر أمكم . آنئذٍ كان السبعةُ أطفالٍ يرتدون السواد، وقد تدلت من ثوب فاليا حليّة تشبه صليبًا صغيرًا. تتذكّر ذلك، وكيف كان كل أشقائها و شقيقاتها يبكون أمهم التى لقيت نحبها وهى تلد طفلها الثامن

صعدت روحها فى مستشفى تبعد خمسين كيلو مترًا عن مكان عيشهم، آنئذٍ، حين أحسّت أمّها أنّها

تحتضر طلبت من أحد القريبين منها استدعاء جورى، زوجها، وإخباره برغبتها فى قول كلمات قلائل. وهكذا، تمددت فى الفراش تنتظر، مُسلطةً عينيها على الباب، وحين رأت ذلك الباب ينفتح، كانت قد بلغت درجة من الوهن لم تقدر معها إلا على قول جورى، أرجوك خُذ بالك من الأطفال فحسب، ثمّ خمدت أنفاسها. عجزت عن الحياة لحظة زيادة، وطبعاً لا تزال تزور فاليا فى أحلامها

وفى حين أنّ ترتيب فاليا هو الخامس بين أطفال هذه الأسرة، إلا أنّها الابنة الثانية، لذا عندما غادرت شقيقتها الكُبرى المنزل بعد عامين، كان على فاليا رعاية المنزل. كانت مع ذلك أسرة صالحة، كل أفرادها طيبو القلب، وجميعهم تقريبًا متساوون. حين بلغت فاليا السابعة، كانت قد تعلمت فعلاً خبز العيش فى فرن، حيث عليك أن تستعمل مِطْرَحَة خشبية مُسطحة لتدس عجينة الرغيف، وكانوا جميعاً سُعداء بخبيزها؛ لأنّه كان لذيذ المذاق

كان والدها عامل تحويلة واشتغل فى قسم سمولنسكايا بهيئة السكك الحديديّة السوفيتيّة فى بلدة اسمها برايدنيبروفسك، ولأن ما من امرأة ناضجة كانت ترعى أطفاله الآن، فقد تزوج جورى مرّة أخرى. لم ينزعج الأطفال بسبب تلك الزيجة الجديدة بل أحبوها؛ كانت امرأة لطيفة وقد دعوها حتى، ماما. كانت كريمة جداً معهم رغم كونها ليست بصحة جيدة، زواجها مرتين قبلاً، سوى أنّ طفلها الوحيد، والّذى

أنجبته من زيجتها الثانية، كان قد مات والآن ها هى الزيجة الثالثة، وليس لجورى والزوجة الجديدة أطفال مشتركون

يجوز أنّ زوجة الأب قد تزوجت من والد فاليا كى لا تُضطر للبقاء فى مزرعة تعاونيّة، بل العيش فى كنف رجل ليس فى حاجة لزوجة تشتغل خارج البيت. أحياناً، كانت الحيرة تتملك فاليا لِماذا تزوجها؛ كانت مريضة جداً، بل دائمة التردد على المستشفيات، ومع أنّها لم تكن ذات جدوى كما كان مأمولاً، إلا أنّ هؤلاء الأطفال كانوا بحاجة لها كى يشعروا بدفء الأسرة، وهكذا انتظروا كُلّ مرّة أن تتعافى من مرضها. كانت صادقة فى رعايتها لأطفال جورى، و أحياناً عندما كان والد فاليا يروح إلى سمولنسك أو إلى فيتبسك ويرجع حاملاً طعامًا مميزًا، كان يقول لزوجته الجديدة،" كما ترين، ثمّة كثرة من الأبناء و هم صغار جدًا، لذا لا يمكننى سوى إحضار هذه الهدية البسيطة لكِ وكانت زوجته توافقه، سوى أنّه حين يغادر، غالباً ما كانت تتقاسمه معهم جميعًا، دون أن تنفرد به وحدها أبداً. عاشت معهم سنوات قبل أن تقضى نحبها وقد كبروا جميعًا برفقتها، وعاش والد فاليا طويلاً بعدها و لم يمت إلا فى السابعة والثمانين. وحتى حين كانت الحياة شاقة، كان لديهم دائماً أبّ

كانت فاليا بالغة الخجل، ودائماً قلقة بشأن وجنتها؛ فجانب من وجهها كان يحمل ندبة جراء ذلك

الحريق حين كانت بالثالثة، وكانت العلاجات الطبيّة آنذاك خاطئة. تعودوا على لصق نوع ما من الضمادات كانت تنشف، وحين ينزعونها عن جلدها كانت تترك أثراً، فضلاً عن أنّ هذه العلاجات كانت مؤلمة أيّما إيلام. تتذكّر فاليا بكاءها طوال هذا العام، لقد سمعت حتى بعضهم يقول،" ربما كان من الأفضل لو ماتت؛ لأنّه لو أنّ بنتاً لها وجه مشوه كهذا، لن تذق أبداً للسعادةِ طعمًا . جعلها هذا الأمر فتاةً منعزلة، حسب إحساسها، تكتم كل أحزانها بداخلها. لم تكن أبداً فتاة عاطفيّة، وقد كابدت ملماتها دون أن تصرخ أبداً فى أحد، بل كتمت شعورها بالتعاسة داخلها

الأطفال، مع ذلك، لم يتصرفوا معها بقسوة أبدًا فى المدرسة . كان لفاليا أربعة أشقاء، لذا لم يكن من اليسير بالنسبة للأطفال أن يهينوها. كان أشقاؤها وشقيقاتها جميعًا يتمتعون بالصحّة، فكانوا يكنون مشاعر خاصة تجاه فاليا .أشفقوا عليها بسبب مرضها طوال ذلك العام و رؤيتهم لمعاناتها. لقد قال أبوها حتى، لعلمك، حين كُنتِ طفلة أمضيتُ معك لوحدك وقتًا أكثر مما أمضيته مع كل أشقائك الآخرين. كنتُ أحملك فوق ذراعى طوال ذلك العام، وكنتِ تبكين كثيراً" . كبرت فاليا و لديها يقين أن تلك الندبّة فوق خدّها قد حرمتها من جمالها كامرأة. كانت تملك قوامًا متناسقًا، وأسنانًا متناسقة، لكن وبسبب وجنتها لم تعتبر نفسها جذّابة، ورغم أنّه لطالما كان يحوطها رجال، إلا أنّها عدته أمرًا مستغربًا،

وعجزت عن معرفة سبب افتتان هؤلاء الرجال بها، ومع ذلك كانت تفتنهم. حتى حين تزوجت فعلاً، وكانت مسافرة من أرخانجيلسك إلى منسك كى تلحق بزوجها، فى وقت كان من العسير شراء تذاكر قطار وكانت تقف فى طابور ساعات من أجل الحصول على تذكرة، كان ثمّة كابتن يقف وراءها و قد تكلما ثلاث أو أربع ساعات أثناء وقوفهما بالطابور. قال هذا الكابتن،" لا أعرف ما إذا كنت متزوجة أم لا، لكن لو أمكنك الارتباط بى، آنئذٍ سنتجه فوراً لمكتب الزواج وتصبحين زوجتى وقد فكرتُ ملياً، إنّه يقول هذا رغم وجود تلك الندبة فى وجهى! وكانت فى حوالى الثالثة أو الرابعة والعشرين من عمرها. كان جاداً، لكنها قالت،" أنا ذاهبة إلى زوجى. أنا فى عصمة رجل

يجوز، لتقول، أنّ السبب يعود لمعرفة الناس بمهارتها فى تدبّر الأمور المنزليّة؛ فطوال الوقت كان كل ما يشغلها هو تدبير شئون المنزل. كانت تحرص على تنظيف كل شىء، وقد جعلت بيت جورى كالمرآة. كان بيتًا صغيرًا مكونًا من غرفتين، واحدة لأطفاله السبعة والأخرى لجورى وزوجته. ما من مطبخ، لكن فى غرفة والدها ثمّة مستوقد طبخت عليه وجباتهم. وفى العطلات، كعطلة رأس السنة، كانوا يضعون شجرتهم المُزينة فى الغرفة الأخرى، حيث كان الأطفال السبعة يرقدون على ثلاثة أسرّة

بالقرب من كل محطّة قطار ثمّة بيت صغير، عادة فى حقل قرب السكّة الحديد، طابقه الأول

مكتب، لكن طابقه العلوى كان مُخصصًا لأيما ناظر محطة يعيش هناك برفقة أسرته. لذا فهى الآن، متى تمرّ بمحطة قطار صغيرة ، يغمرها إحساس بالأسى، فطفولتها لم تكن سهلة أبداً، سوى أنّها بطريقةٍ ما تحب تذكّرها و الاستمتاع بتلك الذكريات، وهكذا يُعادل هذا الأسى تذكّر بعض اللحظات البهيجة فى حياتها. يروقها هذا الأسى

فى المدرسة الثانويّة درست اللغة الألمانيّة كلغة ثانيّة، سوى أنّ ما كان يُلقى على مسامع الطلاب هو أنّ الفاشيّة نظام استبدادى وأنّهم ينعمون بديمقراطية الاشتراكية، وطبعاً، لم تشهد ألمانيّاً واحداً حتى وصولهم فى حشد كبير عقب بدء الحرب مباشرةً فى يونيو ١٩٤١. تذكر أنّ المحاصيل فى الحقول كانت على وشك النضج حين بلغ الألمان فعلاً سمولنسك. جاءوا بسرعة كبيرة، وحيثما كانت القوات الروسية تنسحب، مُخلفة وراءها الكثير من الدبابات أثناء الانسحاب ، كان الألمان يجيئون. صاروا سادة هذا المكان، فى البدء جاءت الطائرات، ومن ثمّ وصل الألمان. لكن فى البداية كانت ثمّة طائرات عالية وخفيضة تمطرهم بوابل من النيران . دمرت الجسور، ومحطّة السكّة الحديد والقرى. جاءت تلك الطائرات أسبوعاً تلتها الدبابات لتحتل كل شبر. جلب الألمان معهم قوانينهم، ولم يسمحوا لأحد بمغادرة بيته أو المشى حتى كيلومترات قليلة دون تصريح خاص

ليقتلوا المرء. كان الألمان يشنقون الناس على الشجر، شهدت فاليا ذلك : أنصار شباب معلقون. تذكر فاليا هذا اليوم: زقاق ، وعند نهاية هذا الزقاق شباب يتدلون مشنوقين. أحياناً، شابان على الشجرة الواحدة. كل من بالقرية نزل ليلقى نظرة، يتملكه الفزع، لكنه نزل ليرى، كانت آنذاك بالسادسة عشرة وقد اجتاح الألمان كل شبر بتلك البلاد، عرفت ذلك.

كان أبوها يشتغل فى محطة القطار، وقد شقّ الألمان طريقهم مروراً به دون أن يطردوه، وقد كان. كان عليه أن يكسب قوته، سوى أنّهم كانوا بالغى القسوة فى أماكن أخرى وأحرقوا الكثير من القرى وهكذا، كُل الروس الّذين عملوا لأجل الألمان فى تلك القرى أحسّوا بالهلع؛ فربما ينالهم العقاب لاحقاً. يقيناً قلق أبوها. لم يفه بحرف، سوى أنّ الجميع قلقوا أن ينال أبوها العقاب، وتكلموا عن ذلك بينهم وبين بعض، ولاحقاً تساءلوا ما إذا كان ستالين سيفعل شيئاً بالوقت المناسب كى يجىء. كانت أسرتها تشعر دائماً أنّها أسرة مشبوهة، رغم أنّها لم تتعاون أبدًا مع الألمان، أبدًا. لطالما عاشت بصدق فى حياتها، فضلاً عن أن الألمان قد ضربوا أباها.

لا تزال فاليا تذكر. كان لدى أسرتها بقرة دون علف ، وعندما كانت القطارات تمرّ، كانت أحياناً ما تخلف قشّاً فوق رصيف المحطّة، يندفع خارجاً من صناديق الشحن. كان أبوها يجمع تلك البقايا، ومرّة، قضى بعض الألمان ممن جاءوا على متن أحد

القطارات أنّ الرجل يبدو يهوديًا؛ لأنّ شعره أسود ولحيته سوداء وعينيه سوداوان ولأنه كان يلبس قبعة كانوا ثلاثة ألمان و قد هشموا وجهه وفقد بعض الأسنان ، ومن ساعتها ثمّة خطب بأسنانه دائماً.

حين تدبّر العودة إلى البيت تلك الليلة، أطلق سباباً بطريقة ما كانت فاليا لتكررها .قال أقذع الشتائم، Iob ikh mat (*) بكل ما يملك من قوة. عجزت عن ترديدها بصوتٍ عالٍ. كانت تعنى انتهاكاً جنسياً لحرمة أمه. ولِما تلا من حياة جورى، ظلّ يذكر تلك العلقة. كان عليه ملازمة البيت أسبوعين. ولاحقاً، لازمه شعور بالخوف ، لكنه عاود الخروج لجمع القشّ من فوق رصيف المحطّة؛ لأنّ أبقارهم كانت بحاجة إليه، لطالما خشى أن يُضرب مرّة أخرى ، لكن بعدئذٍ ، تملكهم جميعاً هذا الخوف

فيما بعد، حرمها الألمان من أبيها وأشقائها واثنين من أعمامها . وفى حين لم يحرقوا محطة القطار، إلا أنهم هشّموا كل النوافذ، واغتصب هؤلاء الألمان الكثير من النساء ونجت زوجة أبيها؛ لأنّها لم تكن مُغرية كفاية، ونجت هى نفسها وشقيقاتها لأنّهن كُن لا يزلن أطفالاً . ثمّ حاولوا إشعال النار فى بيتهم، سوى أنّهم أشعلوه على عجل ورحلوا، وكان لدى فاليا بعض الماء بغرض الغسيل سكبته فوق النار. وقد صرخ فيها جيرانها أنّ ألمانياً لو رآها تطفئ النار، لأحرقوا باقى البيوت. كان أمراً بالغ الوحشية، جميعهم يقفون

(*) المقصود سبّ أم الألمانى (المترجم).

فى باحة البيت ، وقد قتل هؤلاء الألمان كلبهم ، وكل القرى المحيطة بمحطتهم تشتعل بها النيران.

كان على أبيها وأشقائها المكوث عاماً كاملاً ونصف فى معسكر الاعتقال الألمانى، وحتى انتهاء الحرب. كانت محظوظة لو أمكنها أن تراهم فحسب، كانت وشقيقتها الصغرى وزوجة أبيها يمشون خمسة وثلاثين كيلو مترًا، وأحياناً ما كان يُسمح لهم بحمل الطعام. وبسبب كثرة الثلج ، ذبحت الأسرة كل ما تملكه من خنازير وأخفتها ، وبذلك استطاعت زوجة أبيها أن تسلق اللحم وتحمله لأشقائها ولأبيها. فى الحقيقة، ضحّوا بنصيبهم رغم إصرار رجالهم، فى المقابل، على إعادة حصتهن. وقد جرى الأمر بنفس الوتيرة، عند عودتهم، كان عليهم أن يستجدوا الهبات بشوارع البلاد. كانوا دائماً جوعى طوال المدة التى كانت بها بين الخامسة و السادسة عشرة، بلا أحذيّة أو ملابس. مرّة سمعت أباها يتكلم مع زوجته، وقال"إنّ بناتى يكبرن دون أن يكون لديهن ما يلبسنه، خُذى سترتى، فقد يمكنك أن تقلبيها ثوباً لإحداهن"

ومرّة ، فى الحقيقة، حين بلغت فاليا الخامسة عشرة و شقيقتها الرابعة عشرة، كانتا تلبسان بعض الثياب المهلهلة التى كان بعض الألمان يسمونها matki وهى كلمة بذيئة ، كـ "أجولة قديمة"فى أحد أيام يونيو ١٩٤٤ ودون تحذير، جاء كثير من الألمان وأخذوا كل من فى عمرها وشحنوهم على قطار، محشوين فى عربة شحن ، وأوصدوها، ونفوهم بعيدًا. كانت كل

الفتيات يذرفن الدمع . جرى هذا قرب الأصيل، وقد جمعوهم و أحضروهم لمحطة القطار، وقد أمروهن ألا يثرن حتى جلبة بشأن تبديل ملابسهن، فقط أخذوهن على عجل بأيما ثيابٍ كُنّ يلبسنها، وقد علمت فيما بعد أنّ أباها قد فشل بالعثور عليها لدى عودته من المعسكر، وجثا على ركبتيه وبكى، سوى أنّها كانت فى عربة شحن بقطار، مسحوقة تحت وطأة عدد هائل من الفتيات غيرها، وبلا مرحاض، وقد اضطررن إلى اقتلاع لوح خشبى وعمل فتحة فى الأرضيّة

كان قطاراً طويلاً، وقد شحنوهن من مكان كانوا يعملون فيه بالمعاول، فكان عليهن أن يتسلقن إلى داخل صندوق الشحن دون حتى لوح خشبى كالّذى يستخدم لتسلق الأبقار.

"دفعونا فحسب داخل الصندوق وأوصدوا الباب لم يصرخ هؤلاء الألمان فى أحد، لم يضربونا، سوى أنّهم كانوا بالغى الصرامة. كانت الفتيات من كل حدب وصوب ، وقد ظلّوا يكدسوننا عند كل محطة. فيما بعد، بعد كم محطة، صار الصندوق مثل علبة سردين "لن تنسى أبداً ما شهدته على متن هذا القطار إلى ألمانيا. ما من فنان يمكنه رسم تلك اللوحة. وقد ارتسم الخوف على كل الوجوه، كأنّ الحياة قد بلغت نهايتها، ليتبعها الرعب. كان الظلام يغمرنا، ثمّ اضطررنا لعمل تلك الفتحة فى أرضيّة القطار لاتذكر الأداة التى استعملوها، يجوز كان ثمّة فتحة صغيرة فعلاً فى الأرضيّة وقد وسّعوها بأصابعهم.

لم تر فاليا ولا بلدة واحدة و لا تتذكّر أى شىء بخصوص بولندا عدا أنّهم أخبروها، بلى، أنتِ تعبرين بولندا، ثمّ بلغوا معسكر ترانزيت، حيث أمروهم بالاصطفاف وخلع الملابس، ثمّ فحصوا أسنانهم كأنّهم خيول، كذلك كل جزء فى أجسادهم قبل أن يحقنوهم، وكلهم متعرون فى طابور، رجالاً ونساءً. كان أمراً غير مريح بالمرة، وقد جهلوا ما سيجرى لهم بعد ذلك، كلهم واقفون هناك عراة دون أن يعرفوا حقيقة ما قُدِّرَ لهم. لم تشعر بالخجل، لأن كل الآخرين أيضاً كانوا دون ملابس، سوى أنّه كان أمراً غير مريح. وإلى الآن، تعتقد فاليا أنّ الحقن التى حقنوهم بها فى ذلك اليوم كانت سبباً فى عدم حملها فيما بعد.

ثمّ أعادوا لهم ملابسهم، وفى هذه المرّة قضوا على متن ذلك القطار أسبوعاً، مع القليل من الطعام فحسب، و قليل من الحساء ومتسع للقعود على الأرضية ، وهو ما كان أفضل مما كان عليه هذا القطار أولاً فى رحلته من بيلاروسيا إلى بولندا. سوى أنّ الجميع كان يبدى عبوساً كأنّهم بطريقهم إلى الإعدام . وحتى الآن تعجز فاليا عن منع نفسها من البكاء حين تتذكر ذلك

فى آخر الأمر، وصلوا إلى فرانكفورت أم ماين(*) وبقوا فى معسكر من البيوت الخشبيّة وسمعوا أنّ

(*) Frankfurt am Main هى المدينة المعروفة بفرانكفورت وغالبًا ما يدعوها الألمان باسمها كاملا للتمييز بينها وبين فرانكفورت أخرى فى براندرنبرج اصغر من الأولى تدعى فرانكفورت اودر سيأتى ذكرها لاحقًا (المترجم).

الألمان قد حرقوا كثيرين فى مواقد ضخمة، سوى أنّ كل هؤلاء الفتيات اللائى كانت برفقتهن كُنّ شابات وكُن فى طريقهن كى يجبرن على العمل ، لا القتل، رغم التهديد القائم لكل من لاح أنّه يهودى.

فى المعسكر، كانت أسرّتهم مصنوعة من الخشب، بلا أغطية ولا وسائد، وباختيارهم رقدوا جميعاً فى الخلاء حيث الطقس دافئ . بعد ذلك بقليل ، وزّعوا عليهم قباقيب مبطنة بالجلد و سترات حملت شارة مميزة ost وهكذا عرف الجميع أنّهم قد جئ بهم من الشرق.

صباح كل يوم فى السابعة كانوا يمشون منحدرين من المعسكر لركوب القطار إلى فرانكفورت أم ماين، حيث يقضون اليوم فى العمل، ولا يعودون قبل ساعة متأخرة فى المساء. قضت فى هذا المعسكر تسعة أشهر، لم تر خلالها أحدًا يضرب بالرصاص، رغم سقوط بعض الفتيات موتى جراء سوء التغذية. لكن جاء يوم ، فى إبريل ١٩٤٥ لم يأت القطار لنقلهم إلى مكان شغلهم وأجبروا على الذهاب إلى العمل مشياً على الأقدام. كان بإمكانهم الآن رؤية الطائرات الأمريكية وقد جاءت منذ الليلة السابقة فى غارة قصف، ورأت فاليا قضبان السكّة الحديد تنتصب مغروزة فى الهواء، وخشيت من العودة إلى المعسكر خوفاً من غارة جويّة أخرى، فبقيت بمفردها فى فرانكفورت فى الوقت الّذى شرعت فيه صديقة بالعودة، لكن لم تمر دقائق كثيرة إلا وقد فكّرت، ماذا

عساى أفعل هنا وحدى؟" وهكذا ركضت لتلحق بصديقتها . وسرت إشاعة بينهم فى المعسكر أنّ الألمان سيجلونهم، وانتاب الجميع الفزع، هل سيضعونهم فى مواقد ويحرقونهم ؟.

شرعوا بالهروب، وبرفقة الآخرين، نزلت فاليا تلاً شديد الانحدار كان عليهم أن يتدحرجوا بأجزاء كثيرة منه. كان عليهم أيضاً أن يجتازوا وادياً وراء هذا التلّ ، وغابة صغيرة ، وبعض البيوت . وقد علمهم ألمانى، جىء به مع مجموعتهم، كيفية الاختباء فى صندوق تخزين تحت الأرض، وهناك مكثوا عشرة أيام دون إضاءة، حتى انتهاء الحرب

سمعت فاليا أنّ خبلاً أصاب العالم فوقهم وهى تختبئ تحت الأرض. حين أتمّت عشرة أيام فيما بعد لم تعرف حتى أنّ الحرب قد انتهت، سوى أنّ هذا الألمانى كان قد أنقذ مجموعتها؛ لأن معسكرهم دُمِّر فى معركة بين الألمان و الأمريكان. ولاحقاً رأت أمريكيين للمرّة الأولى فى حياتها. ثمّة كثير من الزنوج، تذكر أنّهم لاحوا لطفاء، ملؤهم سعادة و حياة، أقوياء البنية. كانوا فخورين أنهم حرروا الناس. كانت المرّة الأولى التى ترى فيها وجوهاً مبتسمة خلال عام. تعتقد فاليا أنّها وحتى حين تموت، ستتذكّر هذا اليوم وكيف كان حين برزت للنور ولاحت الأمور، وكأنّ حياتها بدأت مرّة أخرى .

تذكر فاليا جندياً أمريكياً اتجه إليها وعرض عليها زوادته العسكريّة، وأعطاها قطعة كبيرة من

الشيكولاتة. كانت المرّة الأولى فى حياة فاليا التى تذق فيها للشيكولاتة طعماً ، وكان ثمّة نبيذ فى حقيبته ولأنّها لم تشرب الكحوليات أيضاً من قبل أبداً، فقد أحسّت بغتة أنّها ليست على ما يُرام. وهكذا، ملؤها السعادة، كان لا يزال عليها أن تتقيأ

قال الضباط الأمريكيون:" لو أنّك لا ترغبين بالعودة إلى روسيا، يمكنك البقاء هنا ، وسنحاول مساعدتك بتوفير عمل لك". سوى أنّ فاليا أحسّت بعدم قدرتها على البقاء فى الجانب الأمريكى. أحبّت أباها واشتاقت إليه كثيرًا. وهكذا ، أُرسلت مع أصدقائها ممن أرادوا أيضاً العودة للديار إلى معسكر ترانزيت ـ معسكر إعادة تأهيل روسى ـ وهناك اختلطوا مع آلاف آخرين فى فرانكفورت آن دير أودر فى هذا المعسكر الروسى حيث بقوا منتظرين. كانوا الآن فى يونيو مرّة أخرى، وقد عملت فى حقول قريبة، تفصل العشب الجيد عن السيئ من أجل الأبقار، ثمّ تحلبها، ثمّ دُفعت للعمل فى مصنع زبد صغير وحصلت على ترقية و صارت مسئولة حتى بسبب إخلاصها فى العمل. هنا، فى مصنع الزبد، التقت رجلاً أحبته جداً، لكنه مكث بالمصنع شهرين فحسب. كان طويلاً وشديد الحياء، متواضعًا، رجل شديد الطيبة، وبإمكانك بالكاد القول أنّهما كانا يتواعدان، سوى أنّهما كانا يتقابلان كل ليلة بعد العمل و يتبادلان القبل. لم يلمس ثدييها أبداً، وقد تقدّم إليها بعرض الزواج قائلاً، حين نعود إلى روسيا، سنتزوج"، وراودها حلم أنّها كانت تقبله

وتقبله دونما قدرة على الكفّ عن ذلك، سوى أنّها حين روت حلمها لصديقاتها، قلن،" أصغى، حلمك يعنى أنّك لن تريه مرّة أخرى أبداً". وثبت بالنهاية صدق تأويلهن؛ فقد احتاجه الجيش الروسى، ولم تسنح لها الفرصة حتى لتوديعه. آنئذٍ بكت. كانت قد أحبّته بقوّة؛ لأنّها لم تشهد فى حياتها مطلقاً حناناً مماثلاً. كان قريباً منها شهرين كاملين لم يسألها خلالهما ولا مرّة عمّا أصاب وجهها، عاملها وكأنّ فيها شيئاً ما شديد التميز حقّا، فى حين، بعد ذلك بقليل، عندما التقت الرجل الّذى سيصير فعلاً زوجها، سألها فى لقائهما الثانى عمّا جعل وجنتها على ما هى عليه.

تزوجت هذا الرجل الثانى، سوى أنّها لطالما أحسّت بالراحة أكثر مع الأول، الّذى لم تره مرّة أخرى مطلقاً، رغم أنّهما كانا يتبادلان كتابة الرسائل جيئة وذهاباً. حتى حين تزوجت كانت تكتب الرسائل، لكنها كفّت فيما بعد. لأنّه، وبرغم مصاب وجهها، فقد تزوجها الرجل الثانى، ما جعلها تشعر بالامتنان. كانت تخشى خسارته. لذا، توقفت عن الكتابة

بعدها، كتب لها الرجل الأول أنّه قد تزوج من مُدرسة وأنّهما يرتادان معًا المسرح كثيراً و السينما، وأردف، عرفتك شهرين فحسب، مع ذلك فإن قلبى ملكك ومع أنّهما لم يتضاجعا، فقد أحبّت ذلك الرجل كثيراً وتثق أنّه لو كان حيّاً الآن، فهو بالتأكيد لا يزال يحبها.

عقب رحيله، ظلّت تعمل فى هذا المكان الصغير الّذى دعوه مصنعاً للزبد، وكان جندياً قد كُلِّف بحراسة مستشفى قريب يجىء إلى مصنعها ليأخذ طعاماً لرجل سيصير زوجها فى المستقبل. أخيراً سألت فاليا: "لمن تأخذ كل هذا الطعام؟" وقال، ثمّة ملازم مريض وأنا أعطيه له" . قالت،" طيب، أبلغه تحياتى وأخبره أننا جميعاً نتمنى له العافية" . قالت ذلك الكلام مجاملةً لرجل مريض، سوى أنّ الجندى حين عاد قال، هذا المُلازم ، يبلغك تحياته أيضاً" وتبيّن لاحقاً أنّ الرجل المفترض أن يصير زوجها قد قيل له:" لعلمك، ثمّة فتاة تعمل هنا، بالغة الرقة والعطف، إنّها حتى من تعطينى الطعام ، وسرعان ما صار ذلك الملازم مسئولاً عن مصنع الزبد بأكمله ، وتكشّف أنّه طويل وصارم مثل الألمان. آنذاك، فى واحدة من الأمسيات قررت كل فتيات مصنع الألبان الأخريات الذهاب للسينما، إلا فاليا - لا تذكر سبباً لذلك - التى مكثت بالبيت، يجوز كانت تعانى اكتئاباً. رأت رجلاً يمشى بالجوار يلبس سترة جلديّة - حتى الآن لديها هذه السترة الجلديّة - وقد رمقها وقال، لِما لم تخرجى؟" ثمّ تعرّف عليها وقال، طيب، لنقم بالتعارف وكما يفعل من هم بمنزلته فى العادة، دعاها إلى مكتبه، وقد مضت معه وتكلما. قال، اسمحى لى بسماع حكايتك" ، وروت له الحكاية بحذافيرها. عندئذٍ زاره صديق له وكان يعزف على البيانو، فقال لها هذا الضابط، هل ترقصين ؟" ولأنّه

ما من أحدٍ كان بالجوار فقد شجعها، ثمّ قال،" شكراً على تحياتك" حينئذٍ فهمت فاليا أنّ هذا هو الرجل الّذى كانت ترسل له كلّ ذلك الطعام.

كان متزوجاً. تزوج عام ١٩٣٩ سوى أنّ زوجته لم ترسل له سوى خطاب واحد خلال أربع سنوات ثمّ طلبت الطلاق من أجل الزواج من ربّان. حكى هذا الرجل الطويل قصته، ثمّ أردف أنّه لم يرزق بأطفال مطلقاً من تلك المرأة، و عرض عليها صورة. كانت زوجته السابقة شديدة الجاذبيّة

كان هذا الضابط يكبرها بخمسة عشر عاماً، وشديد الصرامة، سوى أنّه كان ظريفاً حين يرقص. وما هى إلا الأمسيّة التالية إلا وسألها عن وجهها، أحسّت بالانتهاك وظلّت تبكى طوال الليل ما أن صارت وحدها. بعدها كاشفته بانزعاجها من الأمر، انزعاجها من مسألة جهله الأكيد بها، سوى أنّه كان آنذاك يُقبلها و يسألها بعض الأسئلة.

كان مفرط الذكاء والثقافة . وبعد أن تزوجا، اكتشفت كم هو بارع حقّاً لدرجة كان من المُحال معها الا تحبه، سوى أنّه كان حُبّاً مُغايراً عمّا عرفته قبلاً. الحبّ الأول هو الحبّ الأول. هذا الرجل الّذى كانت ستتزوجه كان فارع الطول، نحيلاً و وسيماً، و لم يكن أنيقاً و ذكيّاً خلال أمسيتهما الأولى فحسب بل ظل على هذا الحال طوال حياتهما معًا. دائماً يتصرف بطريقة أنيقة ورصينة، شديدة الأناقة. فى نهاية حياتهما معاً، منذ بضع سنوات فحسب، حين كان

طريح الفراش يعانى الحُمّى، كان شديد التأنق لدرجة أنّه حين جاءت عربة إسعاف من أجله، قال:" فاليا، هل تظنين أنّنى أستطيع الذهاب دون رابطة عنق ؟" ساعتها لم تعرف هل تضحك أم تبكى

عاشا معًا أغلب ذلك العام التالى فى ألمانيا ، تسعة أشهر. التقيا فى أغسطس ١٩٤٥ و تزوجا فى مايو ١٩٤٦ وقد تودد إليها إيليا ـ هذا اسمه، إيليا بروساكوف ـ بطريقة مناسبة. صانها و عاملها بحنان كبير، هى التى ما كان ليخطر ببالها أن يتزوجا. عاملها برقّة كبيرة كإنسان، وقد راق لها، لكنه غالباً ما كان مريضاً. كان قد أصيب بمرضٍ ما أثناء إحدى حملاته ، ومرّة خلال هذه الفترة نُقِل إلى مستشفى وعجزت حتى عن الوصول إلى مكانه ـ كانت زيارته شديدة الصعوبة بالنسبة إليها، سوى أنّه حين عاد، قال لها،" تعرفين ، لقد أسديتِ لى معروفًا كبيرًا فى مرضى يجعل لزاماً علىّ أن أرعاك، لأتزوجك لو توافقين، سوى أنّى أدرك أنّك شابة جداً ـ وأعجز عن أن أعرض عليك الزواج بى بسبب فارق العمر الكبير بيننا. يمكن فيما بعد أن تجدين رجلاً آخر وساعتها ستأكلنى الغيرة. لذا أودّ أن أعرض عليك الزواج، لكن القرار لك"

طبعاً، كان يعانى التهابًا خطيرًا للغاية فى واحدة من عظامه، وبعدئذٍ أصابه مرض آخر جعله يعانى حمى شديدة، وكان عليه الذهاب إلى مستشفى آخر، سوى أنّه نطق كلمة. طلب من فاليا أن تُحضر له مرقة

دجاج ، لم يكن من الهين شراء دجاجة، فوجدت فاليا امرأة بولندية تتكلم الألمانية اصطحبتها إلى بلدة أخرى لشراء دجاجة أحضرتها فاليا معها، وصنعت منها بعض الحساء. ثمّ طلب منها إيليا أن تحضر شاياً، وأراد أن يكون عند درجة حرارة محددة؛ لأنّه أحسّ براحة أكبر مع السائل الدافئ، فركضت تحمله إليه خشية أن يبرد الشاى. آنئذٍ كانت ثمّة أمور أخرى فعلتها، أصلحت ثيابه، وكانت سعيدة بذلك. أرادت عمل ذلك. كان قد قال إنّها حتى لو رفضت أن تتزوجه، سيرعاها دائماً. قال، سأساعدك دائمًا، سأدريك وأعلمك على الآلة الكاتبة. أحبّ أن تكونى دائماً إلى جوارى لكن فى الحقيقة، وافقت على الزواج منه . كانت قد توقعت عرضه للزواج

لقد تبيّن أيضاً أنّ هذا الضابط الرقيق قد عانى الكثير من جروح الحرب الخطيرة. لا جرح ساقه العميق من رصاص مدفع رشّاش فحسب، بل لقد كان قريباً من انفجار ما خلفه فى حالة اسمها khontu zheniy وتعنى أنّه كان قريباً من انفجار ما، وأنّ مخه قد عانى صدمة. ارتجاج فى المُخّ

فى غضون ذلك، أُغلق مصنع الزبد، ولأنّ أمنية إيليا كانت إبقاء فاليا بالقرب منه، فقد تدبر منحها عملاً، وهكذا كانت تطبخ للجنود و الضباط الروس

كانت تنبض بالحيوية، عذبة مبتهجة جداً دائبة الحركة بدرجة راح معها إيليا يدعوها فولشوك، وهى دُمية تشبه غطاء مدهونًا بألوان ساطعة ودائبة

الحركة، والمرح، مفعمة بالحيوية، دون توقف. كانت، فى المقابل، تسميه ايلشكا. حين عزموا على توثيق علاقتهما والزواج، مضى إلى بوطسدام. لم يكن لديها حتى ثوب مناسب، لكنه اشترى لها فستاناً مُطرزاً جميلاً ، وتذكر أنّهما سافرا بالقطار إلى برلين، وكانت فاليا سعيدة جداً لمعرفتها أنّها الآن فى طريقها أن تصبح زوجة، منذ أخبر أقاربه.

فى طريق العودة إلى روسيا، انتقلا مع متاعهما وأهله إلى أرخانجيلسك، الأمر بالغ الصعوبة؛ فأرخانجيلسك على طول الطريق إلى الشمال من فنلندا، والآن لم يعودا اثنين فحسب، بل جزءًا من أسرة أكبر، بعيداً فى أقصى الشمال. لم يتبدّل إيليا حين انتقلا إلى هناك، لم ينتهك كرامتها ولا أهانها أبداً فى حياته، وسرعان ما أحبّته لدرجة كان حينما يجىء إلى البيت من العمل، ترنو إليه بإعجاب كبير دفع أمّه لتقول،" لا تفضحى كل هذا القدر من السعادة، لاتحملقى فيه كثيراً فيأتى الشيطان"، صحيح، خطر جداً السماح للشيطان بمعرفة كم السعادة التى كانت تحسها.

على الوتيرة نفسها، سارتِ ثلاثة عشر عاماً من العيش مع عائلة بروساكوف. طبعاً، لم يكن مفاجئاً أن إيليا قبل توثيق زيجتهما، قال، فاليا، أريد أن أخبرك أنّى لن أترك أمّى أبداً" وهكذا كانت فاليا جاهزة لتقاسم حياتها مع عائلته وليس معه، وقد عرفت أن أمّه لها تأثير كبير عليه. كانت زوجة إيليا الأولى امرأة

أحضرها معه من عطلة فى منتجع علاجى، و أمّه، تاتيانا، لم يسرها هذا الاختيار. فى رأى أمّه، أنّ رجلاً حين يذهب إلى القرم(*) فى عطلة، ويلتقى امرأة ويتزوجها، فهذا خيار غير سديد، ووضيع جداً؛ فأنت لا تعرف هذه المرأة ، تلهو معها فحسب بضعة أسابيع، ثمّ تتزوجها، امرأة كتلك هى امرأة مخادعة ـ نصبت له فخّ الزواج. قالت أمّ إيليا إنّه لم يكن قراراً جاداً، هى العاطفة وحدها، لا الزواج ، وكانت أمّه محقّة، فالعلاقة لم تدم خلال حرب سيئة

حين رجع إيليا برفقة فاليا، قبلتها والدته بطريقة ما. كذلك فعلت كل شقيقات إيليا، تقريباً. مع ذلك، كان الجميع مندهشاً؛ فإيليا كان رجلاً متعلماً جذّاباً وقد تزوج من امرأة تعانى مشكلة من ندبة فى وجهها، جميعهم قالوا، ألم يتمكن من العثور على من تلائمه أكثر ؟" وطبعاً، ثرثرن بخصوص ذلك، سوى أنّ إيليا كان يحبّ النساء الشّابات، وكانت هى امرأةً شابة.

فى البدء ، واجهت فاليا صعوبة فى التأقلم مع عائلة متعلمة كآل بروساكوف. كانت، مع كل شىء، من قرية. فى وقتٍ لاحق، ستتعلم لكن فى البداية لم يكن يسيراً عمل ما هو متوقع. ثمّة كثير من الأشخاص الجديدين الذين شعرت أنّهم ـ بدرجةٍ ما ـ منغلقون. مع ذلك، كانت تحاول دائماً التعلم، وقد علمتها والدة إيليا، تاتيانا، الكثير.

(*) شبه جزيرة القرم.

كانت تاتيانا طباخة ماهرة جداً، ولأن فاليا كانت دائماً بالقرب منها، فقد تعلمت كى تصير أفضل فى المطبخ من شقيقات إيليا، وقد ساعدها أنّ إيليا لم يبرر أبداً زواجه من فاليا، قال هذه هى المرأة التى أحبّها" ـ الخلاصة. لقد جاء بها من ألمانيا ، ولو أنّك لا تحبّ امرأة ، فلن تأخذها للديار معك

فى عامهما الأول معاً، أرادت فاليا أن تنجب أطفالاً، و كانت كل شهر تبكى ، وكان إيليا يقول لها، لا تقلقى . الآن، تتساءل فاليا هل أقلقه هذا الأمر أبداً، وحين شاخ ، كان حتى يقول لها ربما يكون أحسن أننا لم نرزق بأطفال: انظرى حولك. فى الوقت الحاضر، الأطفال ليسوا بالنعمة الحقيقية

طبعاً، كان ثمّة كثيرون حولهما. فى أرخانجيلسك، عاشا فى شقّة تاتيانا، والتى كانت مكونة من ثلاث حجرات. فى البدء قالت تاتيانا لدىّ خمس بنات. الآن، ستصيرين السادسة" . سرّ ذلك فاليا كثيرًا لدرجة وقعت معها فى حبّ إيليا للمرّة الثانية؛ لأنّها أدركت أنّ لديه حياة عائلية سعيدة بالفعل، وإنّه وقد اختارها، فهذا يعنى أنّه قد أحبّها حقّاً، لا أنّه كان بحاجة إليها فحسب. فضلاً عن أنّ عائلته كانت تعيش معاً فى ألفة مثل عائلة فاليا، لكن بطريقة مُغايرة، بتراحم، وثقافة أكبر. وهكذا، أحبّته أكثر؛ لأنّه بدّل حياتها للأفضل.

سوى أنّها أحسّت بقيد على حريتها، فعيون الجميع دائماً مُسلطة عليها. تذكر مرّة أنّهما كانا فى

الفراش وقد بكّت حتى لأنّها لم تشعر أنّها بمفردها معه.

فى ليلة، جاءوا بألبوم صور، وكان على فاليا أن تفكر كم كان الأمر مختلفاً بالنسبة لأسرتها، حيث ما من شىء مماثل لديهم أبدًا، فقرٌ مدقع . وقد ارتبكت حين تحلقوا حول منضدتهم الضخمة وسألتها أمّه ،"الآن، أروى لى حكايتك، أخبرينى عن نفسك" ولحسن الحظّ أنّ أم إيليا قالت آنئذ ،" تعلمين أنّ من ربّى زوجة إليوشا الأولى كانت زوجةً أبيها" وانزعجت فاليا، فلمست قدم زوجها تحت المنضدة ، ولمسها بدوره بما فهمت أنّه يعنى ،"لا تخبريها" فلم تفعل. لكن فيما بعد، وحين سألتها حماتها:" لِماذا تتكلمين دائماً عن أبيك؟ لِماذا لم تخبرينى شيئاً أبداً عن أمّك؟" حينئذٍ، ارتبكت، فهى الأخرى، ربّتها زوجة أب.

فى آل بروساكوف أولئك فى أرخانجيلسك كانت شقيقة إيليا كلافديا وابنتاها مارينا وبيتيا من أبوين مختلفين . ثمّة شقيقة أخرى ، ميسيا وما زالت واحدة أخرى، لايوبا التى تعيش معهم، لكن واسطة العقد فى هذه الأسرة كانت مارينا، ابنة كلافديا، ذات الخمس سنوات الباهرة الحُسن والإشراق. كانت تملك عينين واسعتين زرقاوين جميلتين، وكانت جدتها أكثر من فتن بها، تستطيع القول إنّ تاتيانا قد شغفت بها حدّ الوله. لم تكن مارينا مدللة تماماً، بل بالأحرى izbalovanaya وهو ما يعنى ألطف قليلاً من مدللة، لأنّها تعنى شخصاً محبوباً بدرجة كبيرة. كان ثمّة ميل ما فى

التعامل مع مارينا للتساهل بدرجة أكبر مما قد يقبله أبوان صارمان، لكنها كانت طفلة يحبها المرء، وكانت تحصل على درجات كبيرة جداً فى المدرسة ، وكل أسرتها فداء لها

ما من أبّ بالجوار، مع ذلك، زوج أمّ فحسب، اسمه ألكسندر ميدفيديف، وقد عامل مارينا فى البداية بطريقة جيدة جداً، حتى بعد أن رّزِق بطفلته الأولى من كلافديا، بيتيا.

وبالنسبة لوالد مارينا الطبيعى، لم تتيقن فاليا أبداً مما جرى له. كان قد اختفى عام ١٩٤١ قبل ولادة مارينا، ولم يفسر إيليا الأمر مطلقاً، بل اكتفى بالقول إنّ والد مارينا المفقود كان رجلاً لطيفاً، وقالت شقيقة كلافديا، ميسيا، إنّها قابلته مرّة واحدة وكان رجلاً جذّاباً، يملك عينين شديدتى الجاذبية، مهندس اسمه نيكولايف. كان نيكولايف وإيليا قد عملا معاً فى بناء مدينة صغيرة جديدة فى مكان كان كل ما به سابقاً ماء ومستنقع، صارت الآن حقيقة، سوفيرودفينسك، على بُعد خمسين كيلو متراً شمال أرخانجيلسك.

بالنسبة لنيكولايف، تظن فاليا أن آل بروساكوف لم يخبروها شيئاً ذا وزن فيما يتعلق به بسبب رغبتهم فى ألا يلحقوا بأنفسهم عاراً. يجوز تزوج نيكولايف من امرأة أخرى، وأنه أنجب بنتاً من كلافديا فحسب ورحل. من جانب آخر، جرى كل هذا فى عهد ستالين، وربما يكون قد خضع للترحيل. تتذكّر فاليا وهى

صغيرة أنّ ستالين قال مرّة :" لقد بدأنا نحيا بطريقة أفضل و صارت لدينا متعة أكبر ، وكان ثمّة رجل بين الجماهير سمع هذا الشعار فأضاف،" مُتعة أكبر بأن يستطيع المرء البكاء وقد زُجّ به فى السجن جراء ذلك. كان عهداً فظيعاً ، وقد صارت لدى الناس عادة التكتم. لكن عموماً ، لطالما ردد إيليا أنّ نيكولايف كان رجلاً صالحاً.

طبعاً، لم تعرف فاليا الكثير حول مثل تلك الأمور، فقد عاشت فى البيت و أولت رعايتها لكل ما يخصّ حماتها، ولا آنذاك ولا فيما بعد راحت إلى مكتب إيليا. عمل فى وزارة الشئون الداخلية MVD وكان دائماً فى عمله، لا يفارقه أبداً. لا عرفت تحديدًا نوع العمل الّذى يقوم به، ولا كان هو مدير مكتب أو مدير إنتاج. عرفت أنّ ثمّة من اشتغل فى مصانع ومعسكرات قضاءً لعقوبة عن أخطاء ارتكبوها، ولم يحتك إيليا مباشرة فى العمل مع مثل هؤلاء، كان بالأحرى كمن يتحكم بالإنتاج. تعامل مع من كانوا يديرون مصانع دون أن يكون فى منصب عال، لكن بمسئوليات اقتضتها وظيفته، ولتقول إنّه كان سعيداً بهذا الأمر، ويقيناً لم يناقش معها أى أمر سلبى بهذا الخصوص.

أثناء كل تلك السنوات فى أرخانجيلسك برفقة عائلة إيليا ، كانت لا تزال حياة هانئة، فعلى الأقل كانت لفاليا وزوجها حجرة منفصلة ، دون أن يثيرا ضجّة ، لكن يبقى أنّ المرء يمكنه العيش كذلك حتى وإن عجزت عن التطلع للصيف؛ فإيليا لم يستطب

التفتيش عن فطر عيش الغراب. كان البعوض فظيعاً فى أرخانجيلسك صيفاً، وهكذا تستطيع القول إنّك ستخرجين برفقة زوجك للبحث عن الفطر و تنالين خلوة فى الخارج فى حقول ملؤها العشب

لم تكن أرخانجيلسك آنذاك قد صارت مدينة كبرى بعد وليس بها الكثير من الطُرق. أغلبها كان موحلاً ، أو مصنوعاً من جذوع الشجر، لكن نهرهم دفينا كان عميقاً ، وكان باستطاعة السفن التى تمخر عباب المحيط أن تمرّ خلاله قادمةً من البحر الأبيض، مع ذلك كان شديد البرودة، وقد عانى إيليا من التهاب بالمفاصل فى ظهره جعله فى حاجة للعيش فى طقس أكثر دفئاً. لذا، عام ١٩٥١ انتقلا إلى منسك، فى البدء إيليا ثمّ لحقت به فاليا بعد شهر، بدايةً كان عليهما أن يتقاسما مطبخاً مع أسرة غريبة، ويعيشا فى حجرة واحدة فقط ، رغم أنّه لاحقاً ، وبسبب عمله، كانا يعيشان بشكل أفضل. لكن مرّة أخرى، كانت فاليا تجهل طبيعة عمله، بسبب وجوده فى هذه الوزارة الاستثنائية التى تتحكم بالإنتاج عسكرياً وأمنياً . فى الحقيقة، كان مكتب إيليا الآن فى المبنى نفسه حيث كانت الكى جى بى(*) وزارة الشئون الداخلية والاستخبارات الروسيّة كلاهما كان فى المبنى نفسه

(*) KGB اختصار Komitet gosudarstvennoy bezopasnosti أو لجنة أمن الدولة المعروفة بالاستخبارات الروسية. تأسست ٢٠ ديسمبر ١٩١٧ تحت إشراف فلاديميير لينين ورئاسة فليكس درز سنسكاى قبل أن تتفكك عقب انهيار الاتحاد السوفيتى فى الحادى عشر من أكتوبر عام ١٩٩١ (المترجم).

الأصفر الضخم الّذى يرتفع خمسة طوابق، بأعمدة أماميّة ـ مبنى حكومى كلاسيكى بأبواب صغيرة، كما قد لاحظت فاليا، بالنسبة لمكان ضخم كهذا.

كان إيليا، طبعاً، عضوًا فى الحزب الشيوعى، سوى أنّه لم يتكلم كثيرًا مع فاليا بهذا الشأن كما لم يطلب منها أبدًا أن تنضم إليه. فى الحقيقة، لم ينطق بحرف مطلقاً عن هذا الموضوع. وفى حين لم يكن ما قد تدعوه نصيراً متحمسًا، إلا أنّه كان مسئولا، مُخلصاً، وكان يدفع الرسوم بانتظام ويقوم بما يوكل إليه، كان فى كل شىء مسئولاً. لو كان كل الشيوعيين مثل إيليا ، إذًا لصار عالماً مُختلفاً، فإيليا كان أميناً، ولم تقابل فاليا فى حياتها أبداً من هو أكثر أمانة منه.

كان على فاليا محبّة منسك. كانت قد تعرضت للتدمير مرتين أثناء الحرب الوطنيّة العظمى ـ مرّة حين جاء الألمان ومرّة حين انسحبوا عائدين إلى بولندا بعد ثلاث سنوات. تسعون بالمائة من منسك سوى بالأرض جراء ذلك، ومع هذا، أُتخذ قرار عقب الحرب بإعادة بنائها، لا بمكان آخر و هو الأمر الأسهل ، لكن المكان نفسه فوق الأنقاض. جرى هذا عام١٩٤٥ ومع انتقال فاليا وإيليا هناك عام ١٩٥١ كان وسط مدينة منسك قد أُعيد بناؤه على الطريقة العصريّة. لم تعد المدينة تشبه بأى حال ما كانت عليه من قبل. كانت منسك منطقة شاسعة للغاية تتكون من عدد لا نهائى من البيوت الصغيرة المصنوعة من الخشب والتى تتكئ كل منها على الأخرى، وقد صارت

الآن فخمة، تحوى مبانى من خمسة أو ستة طوابق مبنية بالكثير من الحجارة الصفراء، كما فى لينجراد، وشوارع عريضة تطل عليها عمارات سكنية لاحت كأنّها مبنيّة من مائة عام. الآن، عام١٩٥١ صارت مدينة نظيفة بلا أنقاض، وكان الطعام متوفراً فى كل مكان: بطارخ سوداء وحمراء، أنواع عديدة مختلفة من السُجق والجبن . لم تكن لديهما لا هى ولا إيليا الكثير من المال، لكن ما يكفى، وقد عاشا قريبين من وسط المدينة المبنى جيداً على يدّ السجناء الألمان قبل أن يعودوا لبلادهم. حتى والدة إيليا، التى لم ترغب بمغادرة أرخانجيلسك؛ لأنّ لديها شقّة جيدة مكونة من ثلاث حجرات لا تدفع إيجاراً كبيراً لها، أصابها الإعجاب حين حضرت إلى منسك، وبعد أن قضت هناك شهرين، قالت:" آه ، لقد شعرت هنا و كأنّى فى الجنّة وآنذاك تقريباً، استطاعوا الانتقال إلى شقّة أخرى مكونة من حجرتين، وقد ثابروا على هذا الحال سنوات، تاتيانا و فاليا وإيليا جميعهم عاشوا فى شقّة صغيرة، يتقاسمون مطبخاً مع جار لديه ثلاثة أطفال ويشتغل نائباً عاماً . كانت جيرة طيبة ، وفى الحقيقة، حزن جارهم حين انتقلوا وقال لن نقابل من هم بمثل لطفهم مرّة أخرى . طبعاً كان مرحاضهم فى الفناء الخلفى ، وكان على المرء الخروج إلى هناك فى درجات حرارة صفر أو أسوأ، لكن فاليا كانت قويّة؛ فمنذُ طفولتها وقد تعودت على التجول دون حذاء، وحتى الآن كان إيليا يصحو هو الآخر ويقول "ارتدى

حذاءك " كانت معتادة على المشى حافية على الثلج فى طفولتها، فلم يكن ثمّة ضرورة بادية فى ارتداء حذاء للمشى ثلاثين متراً إلى مرحاض فى فناء شقتهم الخلفى

فى تلك الفترة، بين عامى١٩٥٥و١٩٦٠ عرفت فاليا أنّ هذا الإنتاج الّذى يشرف عليه إيليا ينتجه مساجين، لم يقل زوجها شيئاً، لكن أحياناً حين يجىء بعض زملائه الضباط لزيارته على العشاء وتناول الشراب، كانت تسمعهم يتكلمون وعرفت أنّ ثمة خطّة قيد الإنجاز: يجب أن يعمل السجناء بجد ، ويسلّموا الإنتاج حسب الخطّة . سوى أنّهما لم يتناقشا بهذا الخصوص زوجاً وزوجة على الإطلاق.

تستطيع فاليا كتمان الأسرار، وإذا طلبت منها ألا تفشى سرّاً فلن تفشيه. مرّة كان إيليا فى رحلة عمل وهاتفها و قال لها إنّ أحد زملائه سيأتى إلى شقتهما وأنّ عليها إعطاؤه مفتاح خزانته.

بعدئذ مباشرة ، دقّ أحدهم بابها ودخل رجل بملابس مدنيّة وطلب منها المفتاح، فقالت لنفسها،" ربما تنصّت على مكالمتى الهاتفيّة وهكذا سألته،" هلا أريتنى هويتك ؟"ولم تعطه المفتاح إلا بعد أن فعل.

فيما بعد قال لإيليا:" لديك زوجة! لقد طلبت رؤية هويتى! " كانت فاليا تجهل أى نوع من الأسرار احتفظ بها فى خزانته، لكنه إذا طلب منها عمل شىء، فهى تعمله كما ينبغى.

جرت رحلة فاليا الوحيدة إلى لينينجراد حين كانت مارينا فى الحادية أو الثانيّة عشرة. كانت كلافديا تعيش فى لينينجراد آنذاك برفقة زوجها ألكسندر ميدفيديف، فى حجرة واحدة مع ثلاثة أطفال، وحين وصلت فاليا و إيليا و تاتيانا، صار الأمرُ شاقاً، ثمانى أنفس فى حجرة واحدة، أسرة ضخمة فى مكان صغير، بل أسوأ لأن ألكسندر ميدفيديف كانت لديه أمّ لا راقت لها كلافديا ولا راق لها أن يتزوج ابنها من امرأة لديها طفل من رجل آخر. كانت والدة ألكسندر ميدفيديف امرأة بالغة الذكاء والشرّ والبدانة، ساحرة. لذا، فقد صار الآن موقف مارينا مُغايرًا، ولم تعد واسطة عقد أسرتها

فى هذا الوقت، وقبل موت كلافديا، كان ميدفيديف يعامل مارينا وأمّها كما ينبغى، لكن كانت لاتزال ثمّة مشقّات؛ فكلافديا كانت تعانى مرحلةً متقدمة من الروماتيزم ومرّة كاشف إيليا زوجته:" ترين كم هى مريضة فضلاً عن أنّ موقف ألكسندر حيال مارينا قد تبدّل بعد أن كبر طفلاه من كلافديا. صار ألكسندر يعاقب مارينا كثيراً وساءت الأحوال لدى وفاة كلافديا، قبل أن تتم مارينا السادسة عشرة.

بعد عامين، كتبت مارينا إلى فاليا وإيليا فى منسك تكاشفهما أنّه قد صار من العسير جداً عليها أن تبقى أكثر برفقة زوج أمّها، وطلبت منهما إن أمكن أن تجىء للحياة معهما

لم يكن مثل هذا الطلب محل ترحيب كبير من جانب فاليا، كانت قد تعبت من أقاربها وإن لم تُظهر ذلك، لكن على مدى كل تلك السنوات لطالما كان ثمّة من يعيش برفقتهما من أسرة إيليا. لقد ماتت حتّى تاتيانا فى بيتهما، وفى شهورها العشرة الأخيرة ، كانت فاليا ترعاها جيداً لدرجة أنّها قبل أن تُسلم الروح قالت لفاليا: " لقد بقيت حيّة بفضلك أنت فحسب يافاليا" . كان إيليا بمثابة الأب بالنسبة لعائلته، وكان هذا أمراً لا بأس به، عدا أنّ فاليا أحسّت أنّه ما كان ليمنح زوجته وقتاً إلا حين يدلفان للفراش.

مع ذلك، حين وصلت مارينا إلى محطّة القطار، ورأت فاليا حقيبتها الوحيدة أحسّت بالإشفاق عليها، ولاح أنّ الفتاة سعيدة لتمكنها من الانتقال إلى منسك. كانت خجولة، ولوهلة، مطيعة. محض بنت حلوة بنت ثمانية عشر عاماً. كانت شفتا مارينا كحبتى كرز بطبيعتهما ولم تدهنهما أبداً. جذّابة مع أنّها كانت تخشى الابتسام ـ وقد سبقت سِنّة واحدة شقيقاتها قليلاً . كان ليكون أمراً لطيفاً لو لم تكن فاليا مضطرة لتقاسم حياتها مع قريب آخر مرّة أخرى.

طبعاً، كانت مارينا تجهل الكثير فيما يتعلق بشئون المنزل، وإن كانت تحاول عمل ما قد تطلبه منها فاليا، لكن كانت تجهل الطبخ . كانت تغسل ملابسها ، وبالكاد تعرف كيف تغسلها كما ينبغى. آنذاك، كانت مارينا قد حصلت على وظيفة فى صيدلية بمستشفى، وهو العمل الّذى تدربت عليه فى لينينجراد، وكانت

عادة تعود منهكة من شغلها، لذا، فى الواقع، لم تقم بواجباتها المنزلية . كانت حرّة فى الذهاب إلى صالة السينما ، وحضور الحفلات والمسرحيات ، أمّا فاليا فكانت ، عموماً، لا تخرج للعمل فكانت مسئولة عن الشقّة. أحياناً كانت مارينا تغسل الأرضيات ، وأحياناً تغسل الصحون، ويقيناً حين كانت تأكل وحدها لاتترك الأطباق مكانها لفاليا مطلقاً ، ولديها عملها. كانت ثمّة حاجة لمن يشتغل فى أعمال الصيدلة، وقد راقت لمارينا وظيفتها، حتى أنّها قالت لفاليا وإيليا :"سأعالجكما فقد كانت آنذاك قد حصلت على إذن بالدخول للدواء

كان المأزق الوحيد الّذى تتوقعه فاليا ما يتعلق ربما بالمواعيد الغرامية، مع أنّ مارينا كانت حاسمة عادة بشأنّها. كانت لا تتردد فى وضع حدّ لأية علاقة مع أى فتى ينطق كلامًا سيئًا أو يشترى لها حاجة رخِيصة! وقد كاشفت فاليا أنّها قد توقفت عن مواعدة رجل فى لينينجراد؛ لأنّه اشترى لها سكاكر رخيصة. طبعًا، كونها بهذا الحسم كان مسألة غير معتادة بالنسبة لفتاة فى مكانها، فالفتيات مثل مارينا، ممن لم يتلقين سوى تعليم مهنى، لا يعتبرن بارزات مثل الفتيات اللواتى ارتدن معهداً أو ارتدن جامعات. وهكذا، كانت الفتيات مثل مارينا لا يحظين بمواعدات لعلاقات جادة مع أفضل شباب ممن تخرجوا فى أفضل المدارس، مع ذلك لم يرق لمارينا إلا المتعلمون.

لم تشهدها فاليا أبداً تخرج مع رجل عادى. كان لديها الكثير من العُشّاق، طُلاب بمعهد أو بجامعة منسك، وقد ارتادت حفلاتهم مع صديقتها الأثيرة، لاريسّا، كما كانت تنفق كل دخلها على الملابس. وعموماً ، ما كان لا إيليا ولا فاليا ليقتطعا شيئاً لا من راتبها و لا طعامها. وأحياناً، إذا ما أرادت مارينا نقودًا للذهاب إلى المسرح أو السينما، كانت تصنع ملابسها.

كانت كادحة بدرجة كبيرة، أحبّت الحياكة وعمل التطريز بل وقصّت معاطف فراء فاليا القديمة وفصّلت منها قبعات لها

كانت تقرأ كثيرًا أبدًا خصوصًا ثيدور درايسر الّذى أحبّته مارينا و كان ذا شعبية كبيرة آنذاك، لكن بعدئذ، ظهرت مئات الكتب فى شقتهم حين اشترى إيليا الأعمال الكاملة لمشاهير الأدباء الروس، فقرأت فاليا تشيكوف وتولستوى ودوستوفيسكى وتورجنيف وبوشكين وجوجول و ليرمنتوف. مع ذلك اصطفت مارينا درايسر، فكُتاب مثل تشيكوف كان عليها دائماً دراستهم أثناء المدرسة

إجمالا، كان أمراً لا بأس به استضافة مارينا، ولم تُعر فاليا بالاً لعدم إسهامها فى نفقات معيشتهم، فمارينا كانت بالغة الفقر حين وصلت ولم يكن لديها حتى ملابس داخليّة، وكان راتبها ضئيلاً. كانت بحاجة لكل شىء ـ أحذية، جوارب، وملابس من رأسها إلى أخمص قدميها. كانت فاليا تشفق عليها فقسمة مارينا كانت بالغة المشقّة، وقد كاشفت مارينا فاليا

بحبّها لها، حبّها الشديد، وصارحتها أنّها أول امرأة تعاملها بلطف و تمنحها كل هذا القدر من الحريّة، وفى المقابل، أحبّتها فاليا وعطفت عليها.

كان إيليا أكثر صرامة، وكان ينتابه القلق حتى ترجع مارينا ليلاً من موعد غرامى. لا شىء بينهما يمرّ بهدوء فضلاً عن لسان مارينا الفالت. من جانب آخر، كان ثمّة شاب دمث الخلق راق لإيليا، طالب طبّ شاب اسمه ساشا شرب معه إيليا القهوة حتّى، وطبعاً لم يكن ثمةّ الكثير للكلام بشأنه بينه و بين إيليا، لأنّ مارينا لم تكن تعد للبيت متأخرة كل هذا القدر، لا حين يكون موجوداً. كانت مارينا تدخر رجوعها المتأخر لتلك الليالى التى يكون فيها إيليا بالخارج فى رحلة عمل و تكون فاليا بمفردها، وقد كاشفت مارينا فاليا أنّ زوج أمّها فى لينجراد، ميدفيديف، لم يكن يسمح لها بدخول الشقّة لو رجعت متأخرة، آنئذ كان عليها النوم خارجاً فوق الدَّرَج، وقد أجهشت فالًيا بالبكاء لدى سماعها هذا الكلام

لطالما تملّكت الحيرة فاليا لِماذا، بعد وفاة كلافديا وإساءة زوج أمّها معاملتها، لم تطلب مارينا من أىٍ من خالاتها أو إيليا إيواءها: " لِماذا مكثت فى لينجراد كل تلك الفترة ـ عامين كاملين؟"

مع ذلك، كان ملء مارينا حسد حين وصلت فى النهاية، وقالت: " آه، يا للجنة التى تنعمان بها هنا" ولم تستوعب فاليا أبداً تلك التعليقات، فما من أحد كان يخدم فاليا إذا كانت الأمور كما وصفتها مارينا، وكانت فاليا من كدّ ليصنع تلك الحياة

مع ذلك، لم يكن ثمّة مشكلة حقيقية مع مارينا، كانت حجرتها دائماً مرتبة دون أيّة صعوبات فى استعمال الحمام الّذى صار داخل الشقّة الآن، وفى المقابل، ما كانت فاليا لتوجه لها كلمة حين كانت تعود متأخرة للبيت، فقد وثقت بقدرتها على التصرف كفتاة مهذبة. وبالنسبة إلى هذا الأمر، شاركتها مارينا أسرارها، وهكذا، علمت فاليا الآن مَنْ مِنْ أصدقائها الأثير لديها ومن تشعر حياله أكثر بضرورة الحسم

وبسبب تلك المعرفة، أشفقت فاليا على ساشا حين لم تعامله مارينا بشكل جيد، وعجزت فاليا عن رؤية الناس يعاملون بخشونة. وعموماً، كان ساشا يجىء كل مرّة حاملاً الزهور، وكان بالغ الرّقة مع مارينا، وكيف عاملته مارينا!.

فى الحقيقة، كان غارقاً فى غرام مارينا حتى أذنيه حتى أنّ إيليا و فاليا شرعا يدعوانه ابناً بالتبنى، لكن فى يوم، وقد أحسّت بالأسف لأجله، صارحته فاليا إنّه إذا كان يعتزم الزواج من مارينا فعليه أن يعى أنّها قد عانت فترةً شاقةً للغاية فى لينينجراد، فقال ساشا:" لا أرغب بسماع أى شىء بخصوص هذا الشأن

كانت مارينا قد جاءت للبيت فى تلك الأثناء وسمعت مصادفة جزءًا من تلك المحادثة ، فاصطحبت فاليا إلى المطبخ لتصارحها بمدى انزعاجها، ثمّ خرجت و قالت لساشا:" لا أرغب برؤيتك هنا أبداً"

حزنت فاليا لذلك، لكن آنذاك يمكن للمرء القول إنّ مارينا، جراء حياتها مع زوج أمّها ميدفيديف، كانت قد تعودت أن تكون سيدة نفسها على أية حال. ما من أحد يمكنه التأثير عليها كما قررت فاليا، لأنّ مارينا كانت معتادة على اتخاذ القرارات الصعبة دون أمّ أو أبّ. وقد عرفت فاليا مثلاً أنّ مارينا كانت تدخن. فى لينـنجراد، عرضت عليها صديقة سيجارة مغلفة فى صندوق جميل. كانت سجائر رفيعة و نحيلة و أنثويّة. وقد عرفت فاليا أنّها تدخن، لأنّ جاراً رأى مارينا تفعل ذلك فى مطعم و أخبر فاليا، و لحسن الحظّ أنّ خالها إيليا كان فى الخارج بمدينة أخرى فى شغل، وكانت فاليا تعانى آلاماً بأسنانها آنذاك، فقالت لمارينا: " أنا آخذ دواءً لا يجدى نفعاً. أنا أتألم، أعطنى واحدة من سجائرك   وكانت مارينا مذهولة، وقالت:"ليست لدىّ سجائر فقالت فاليا :"مهلاً، لا تكذبى علىّ، اذهبى وأحضريها من حقيبتك"

قالت مارينا: " هل عبثت بأغراضى؟" وقالت فاليا: " أعلم أنّك تدخنين ، لذا فأعطنى واحدة لأجل آلام أسنانى. لعلمك النيكوتين يقتل الألم   وبعد أن مررت لها مارينا واحدة ، قالت فاليا: " أحرى بك الكفّ عن التدخين ، وإن لم تفعلى سأخبر خالك إيليا" . سوى أنّها ما كانت لتتوقف، كانت فاليا تعلم هذا. لقد راق التدخين لمارينا، كان غريبًا، مغامرًا، يشبه السينما الإيطاليّة، وقد أحبّت مارينا أفلام فيللينى إلى حدّ الهوس.

كانت هذه الأفلام تمنحها إلهاماً ما. مرّة، كاشفت مارينا فاليا أنّه برأيها، أنّ إيليا ما كان ليكون لها؛ فالضبّاط دائماً ما يتزوجون من نساء مثقّفات، لا تزال فاليا تذكر، كم أوجعها هذا الكلام كثيراً.

كانت فاليا مُخلصة لزوجها، لكن مارينا لم تع سبباً لذلك، وأرادت أن تكون لدى فاليا علاقة، بل وألحّت عليها، فإذا كانت لم تفلح فى الإنجاب من إيليا، لِما لا تنجب من غيره؟ ،" لِما ترغمين نفسك على المعاناة بسببه؟" وأردفت مارينا أنّ فاليا لو خادنت رجلاً فإنّها ، أى مارينا، ستقعد عند المدخل تحرسه لتنذرها إذا جاء إيليا،" ستكون لديك آنئذٍ علاقتك ومن ثمّ طفلك وهو ما دفع فاليا للقول،" كلا، مستحيل، فلو علم إيليا سيقتلنى وطبعاً، أحياناً ما يكون إيليا شديد الصرامة مع مارينا التى لم يرق لها ذلك، فما من أحد يغضبها إلا و يدفع الثمن. مرّة ، فاليا ومارينا كانتا تنقعان خياراً فى ماء مالح واحتاجتا أوراقاً من شجيرة توت لتكسباه نكهة، فراحتا إلى مسرح كانت تحوطه الكثير من الزهور فى الخارج، وشجرة توت، فشرعتا فى التقاط بعض الأوراق، وكانت ثمّة امرأة مسئولة عن المتنزه راحت توبخهما قائلةً ،" كيف تجروءان ؟ ألا تعلما لِماذا نحيط المكان بالشجيرات والورود ؟ ألا تعلمانَ أنّنا نرغب أن نظهر بمظهر حسن كى تستمتع المدينة بأكملها ؟ ثمّ تجيئان إلى هنا وتدمران مثل ذلك

الجمال ؟" لكن مارينا قالت،" هل تعرفين ما نحن بصدد عمله ؟ خيار مخلل. تعالى و قومى بزيارتنا وسنعطيك خيارًا أيضًا. ثمّ ماذا عسانا نفعل مع كل ذلك ؟ نحن لانقترف خطأً . لو لم تكن مارينا، وكان الأمر يقتصر على فاليا، إذًا لصارت الأمور عادية، لكن لطالما كان لدى مارينا القدرة على الدفاع عن قرارها و الإحساس بصواب ما تفعله أيّاً كان.

فى إحدى ليالى مارس عام١٩٦١ كان إيليا فى الخارج برحلة عمل وراحت مارينا لحفل رقص فى قصر اتحاد التجارة ثمّ عادت للبيت فى وقت متأخر وأيقظت فاليا هامسةً فى أذنها أنّها كانت ترقص، ثمّ أردفت،" استيقظى يا فاليا ، أظهرى مقدار ثقافتك، فقد اصطحبتُ أمريكياً إلى المنزل، لقد أحضرت لك شاباً أمريكياً. حضّرى فنجانًا جيدًا من القهوة " كانت مارينا منتشية وقالت، أحبُّ أن تسلكى كامرأة متحضرة"

طبعاً، نهضت فاليا مفزوعة، كانت ترتعد تقريباً فى فراشها؛ فلو أنّ مارينا كانت قد عبرت الباب برفقة أمريكى منذ عشر سنوات مضت، فى عهد ستالين، لزُج بهم جميعاً خلف القضبان. الآن، عام ١٩٦١ كان ثمّة فارق كبير فى المشاعر ـ لقد و دعوا عهد ستالين وصاروا فى عهد خروتشيف ـ وهكذا تتذكّر فاليا أنّها لم تنزعج كثيرًا وأنّها نهضت وأعدت قهوة للأمريكى الذى كان لطيفاً، لطيفاً جداً ، ومهندمًا للغاية. كان اسمه أليك لأن، كما عرفت فيما بعد، ما

من أحد كان يمكنه قول لى ـ Lee فهى تبدو مثل Li التى تبدو صينية أكثر ـ وهكذا ما هى إلا هنيهة إلا وعرفت أنّ اسمه الأمريكى كاملاً هو: لى هارفى أوزوالد.

ـ ٢ ـ

زياتوك

عجز ساشا بسكاليف الّذى بلغ من العمر سبعة عشر عاماً فى صيف ١٩٥٨ عن اجتياز امتحاناته فى معهد منسك الطبّى فى أولى محاولاته. كانت ضربة خطيرة؛ فمنذ طفولته وهو يحلم بأن يصير طبيباً. كان قد أمضى طفولته مريضًا ما جعله يحبّ دائماً ويحترم من يرتدون المعاطف البيضاء، وراق له كيف يجيئون ويعالجونه ويعالجون الآخرين، فمن يقدر على جعل المرضى أصحاء لابد وأنّه بالغ الأهميّة. لذا، فبعد أن رسب بامتحاناته حصل على وظيفة مساعد فى معمل الأستاذ بوندارين الّذى عامله جيدًا، ومع أنّ ساشا كان صغيرًا للغاية فإنّ هذا الأستاذ القدير دائمًا ما كان يدعوه باسمه واسم أبيه الأول، نيكولاى، مخاطبًا إياه سانيش، وهى طريقة محببة للكلام مع شاب

باستعمال اسم الأسرة، ساشا نيكولايفيتش، فى صيغة مُختصرة ، سانيش. وفى عام ١٩٦٠ نجح ساشا فى أن يصير طالب طبّ فى الكليّة المسائية حيث كان لا يزال يعمل نهاراً لدى الأستاذ بوندارين

صار أيضاً صديقاً لابن شقيق الأستاذ بوندارين ، قنسطنطين بوندارين. كان كوستا قد أنهى دراسته الثانوية أثناء عمل ساشا، ونجحا معًا فى امتحاناتهما الجامعيّة. لدى كوستا أيضاً صديق اسمه يورى ميريزينسكى، وهو الابن الوحيد لعالمين رفيعى المنزلة. لم يكن لدى ساشا فى الواقع الكثير من الوقت للهو برفقة أبناء النخبة فى حياتهم السهلة ـ كان عليه أن يعمل، ومع ذلك، أن يذهب إلى الجامعة ـ سوى أنّهم درسوا معاً وأحياناً كانوا يخرجون معًا فيما بعد.

فى غضون تلك الأثناء، قابل ساشا مارينا لتبدأ الحكاية. كانت مارينا تكبره بشهر أو اثنين وأكثر خبرة، وقد فتنته، ثمّ سرعان ما سقط صريع هواها. راحا معاً لدور السينما، وعزف على البيانو لأجلها كما سمعا سيمفونيات موسيقية، وكان تشايكوفسكى هو الأثير لديهما. بعد شهر ، تطورت الأمور، فقدمته لأقاربها، وحصل على دعوة لزيارة زوجة خالها وخالها اللذين يعيشان فى شقّة من ثلاث غرف بالقرب من دار الأوبرا، وقد قدمت لهما فاليا شاياً وكعكاً. آنذاك كان ساشا يكن لمارينا إعجاباً كبيراً لكنهما لم يتكلما عن الزواج، مع أنّ قريبيها سرعان ما راحا يدعوانه zyatouk وهى كلمة دافئة تقابل الابن بالتبنى، كلمة

مهذبة. ليسا بمخطوبين لكن من المفترض أن يُخطبا لبعضهما، وقد جدّ ساشا فى عمله ودراسته لأنّ مارينا كانت فى حياته

عاش من موعد غرامى لآخر، وصار عمله ودراسته أيسر ، وحين كان يزور بيتهم كانت زوجة خال مارينا توضّب لهما الشطائر و الكعك وإما تشاهد التلفاز برفقتهما أو تدعهما معًا فتسنح لهما الفرصة للاحتضان وتبادل القبل، ولا شىء أكثر. لاحت زوجة الخال تلك كامرأة بالغة البساطة، لكن مثل تلك المظاهر كانت مضللة، فقد قرأت كثيراً، وبداخلها، حسبما فكّر ساشا، تحمل أكثر بكثير مما يبدو عليها.

فيما كان ساشا يواعد مارينا، كان صديقاه فى دراسة الطبّ يورى وكوستا يخرجان برفقة فتيات مختلفات طوال الوقت. يظن ساشا أنّهما كانا يسخران من جديته، وقد هزءا به أحياناً، وربما حاولا إغاظة مارينا، سوى أنّه أحسّ بغيرتهما لأنّ لديه أجمل فتاة، ولم يعتقد أنّهما ضايقاها بشكل بغيض أبداً، بسبب من شخصية مارينا القوية، وحتى لو حاول جنس مخلوق التصرف بشكل بغيض أمامها كانت سلترد،"يبدو أنّك باستغناء عن نفسك!" ولا أحسّ برغبتهما فى إزاحة مارينا عن طريقه، فبمقدورهما رؤية أنّه غارق حتى أذنيه فى هواها، فى حين، طبعاً، لم يكونا يحبان أية امرأة كانت. وبسبب تلك المسألة، نادراً جداً ما كان يدعو مارينا للخروج

برفقة صديقيه؛ لأنّه لم يكن يرغب فى الواقع أن يكونا معهما، وربما كان يخشى قليلاً كونها بصحبتهما.

كان أثناء تسكعه فى الخارج برفقة صديقيه يورى وكوستا يشرب دون أن يسكر، فكان يتكلم قليلاً عن مارينا لكن دون الكلام عمّا يضر. أبداً، فقد طلبت منه أنّ تظل علاقتهما مكنونة فى قلبه. كان يروق له فحسب أن يمتدحها بسبب غرامه الشديد بها

كان قد قابل مارينا فى واحدة من حفلات طلاب معهد الطبّ تلك ، و دعاها للرقص مرّة ، ثمّ دعاها مرّة أخرى، ثمّ طلب منها إن أمكن مرافقتها لبيتها. كانت راقصة شديدة البراعة على عكسه، سوى أنّها كانت تملك القدرة على جعل المرء يشعر بالتحسن أكثر من المعتاد أثناء الرقص معها، ما كان أمراً نادراً بالنسبة إليه. لم يكن من النوعية التى تهتم بقاعات الرقص، و قد علّم نفسه كيفية الرقص، دون مساعدة من أحد. لذا، خلال دقائقهما القليلة الأولى معاً أصابه الارتباك بدرجةٍ ما، لكن بعدها بدأت تأخذ بيده، وبدت الأمور و كأنها بثّت فيه مزيداً من الحياة. أحسّا بالراحة معاً. وكان بالجانب الأقصر، لكن حتى حين كانت تلبس حذاءها ذا الكعبين الطويلين، كان يشعر أنّه أطول.

قابل مارينا فى صيف ١٩٦٠حين تجاوز التاسعة عشرة دون أن تثير اهتمامه أية فتاة أخرى. كانا يتواعدان مرّة كل أسبوع ويتمشيان معاً ويتناقشان عن وجهتما بالمرّة المُقبلة، سواء أكانت الأوبرا أو المسرح أو

قاعة الموسيقى أو الباليه حيث كانت كسّارة البندق الأثيرة لديهما

كانا يتقاسمان نفقاتهما، وقد وعت أنّه لا يزال طالباً، فى حين كانت بالفعل تشتغل. وهكذا، كان عليه شراء التذاكر مرّة ، وعليها بالمرّة التالية. يذكر أن تلك ثمن تلك التذاكر آنذاك كان حوالى روبل أو روبل ونصف ، وكانا بإمكانهما الحضور عبر صالة الطلاب حيث المقاعد أرخص، سوى أنّهما كانا عادة ما يختاران البارتيرى الأغلى سعراً، فروبلان(*) كان متوسط أجر عامل لقاء يومٍ كامل

فتنه مسلكها، كانت مختلفة عن الفتيات الأخريات، حتى عاداتها كانت مختلفة، كذلك طريقة لبسهما كانت تتضح بالذوق. كانت الشقّة حيث عاشت مع خالها وزوجته بسقوف عالية وحجرات واسعة وردهة أنيقة. يذكر كم كان خجلاً حين جاء إلى شقتها، ثمّ جاءت فاليا و دعته إلى حجرة المعيشة، وكم كان يسيراً الكلام معها. كانت اجتماعيّة جداً

فى النهاية، حين عرض الزواج من مارينا قالت:"لنتمهل قليلاً" لكنه كان مستعداً للزواج. كان يعمل ليلاً كممرض فى جناح الطوارئ ويكسب مائة وخمسين روبلاً كل شهر، أكثر مما يكسب طبيب ـ وهو السبب الذى منعه من مواعدة مارينا كل ليلة، كان يكدح جداً فى عمله، تدفعه رغبته أن يكون قادراً على قضاء وقت ممتع برفقة مارينا ثمّ تأسيس منزل فيما

(*) روبل العملة الروسية تعادل الجنيه المصرى.

بعد. كان بمقدورهما استئجار شقّة بمكانٍ ما وقالت فاليا إنّهما يستطيعان العيش برفقتها، سوى أنّه أراد حياة مستقلة

فى العادة، كان يرجع للبيت برفقة مارينا بعد مشاهدة فيلم أو حضور حفلة موسيقية ويمكث حوالى ربع أو ثلث ساعة قبل أن يغادر، ويذكر ساشا أنّ زوج فاليا، إيليا، قد بدا مُفزعاً له حين التقيا للمرّة الأولى. كان طويلاً وهزيلاً و له أنف طويل. كولونيل بروساكوف. مع ذلك، حين فتح فمه للكلام بدا رجلاً ودوداً. مع ذلك، للوهلة الأولى أحسّ ساشا بالضآلة وبعض الخوف، وعمومًا كان يعرف أين يعمل الكولونيل، وكان لديه خوف من الأورجانز، وقد فكّر أنّ الاستخبارات السوفيتية كى. جى. بى. ووزارة الشئون الداخلية كليهما اسمه الأورجانز، لكن لاحقاً اختلطا فى رأسه. وكان هذا الخال إيليا بالغ الطول والنحول، وقد يكون قد انتبه لخوف ساشا بطريقةٍ ما، لأنّه حين شرع بالكلام، كان ليناً و لم يتكلم بنبرة قاطعة بل بنبرة إنسانية عاديّة. وخامر ساشا شعور أنّهما كانا يعاملان مارينا جيداً جدًا. وطبعاً لم يكن إيليا بالجوار كثيراً، لكن بيتهم لم يكن شيئاً دون حضوره

فى المرّات التى ينوى فيها ساشا المجىء لزيارتهم واصطحاب مارينا لمكان ما فى المساء، كانت فاليا لتقول "ساشا، لا تتأخرا أكثر من الحادية عشرة" كانا يتصرفان كأبوين، فى الواقع، فكّر للوهلة الأولى أنّهما أبوها وأمها

من جانب آخر، كان لديه إدراك ما ولو ضئيل لمهنة إيليا ، وكيف يتأتى لشاب صغير إدراك ما كان يجرى الأورجانز؟ عرف أنّه شىء يجب الخوف منه وكان إيليا برتبة كبيرة فثمّة نجوم فوق كتفيه. وهكذا، فى البدء لم يكن ساشا مرعوباً من إيليا فحسب، بل وكنتيجة، كان يخشى قليلاً مارينا. فيما بعد، حين تعرف على إيليا بشكل أفضل، صار بمقدوره رؤية مارينا دون خوف، وفى الحقيقة، لم يكن يرغب فى معرفة مهنة إيليا ـ ولا يهتم ما إذا كان مأمور سجن أو مدير مصنع

سأل مارينا مرّة و قالت:" من الأفضل ألا تعرف "فى تلك الأيام، بالنسبة لشخصٍ مثله، الاستخبارات السوفيتية ووزارة الشئون الداخلية شىء واحد ومتشابهان : مكان ضخم ومظلم.

أحياناً. كانت مارينا تحاول مصارحته بعضاً من ماضيها سوى أنّه كان يمنعها. لم يكن ليهتم. آنئذٍ كانت زوجة خالها تجرب الكلام معه بهذا الشأن. لكن ساشا لم يعتبره أمراً مبجلاً أن ينخرط فى حوارات كهذه. الآن. يعتقد ساشا أنّ زوجة خالها فاليا أرادت إخباره بقصة ماضى مارينا؛ لأنّها تخشى أن يخبره شخص آخر. ويقع الضرر.

يذكر أنّه جاء لبيت مارينا بعد أن أغفلت مواعدة ولم تجئ. أعدت فاليا شاياً وتكلما، وكانت منتبهة جداً لغياب مارينا. بدأت فاليا بالكلام عن لينينجراد وظروف المعيشة ثمّ عن مارينا وقال ساشا." تعلمين

أنّى غير مهتم. كما أنّى أريد أن تصير زوجتى فى المستقبل. لذا تجديننى غير مهتم بما جرى فى الماضى

آنئذٍ جاءت مارينا وقالت فاليا لقد تكلمت مع ساشا عنك ومارينا. وكأنها كانت تتوقع ذلك. كانت ودودة للغاية مع ساشا. بعدها. بدا وكأنها تحاول التهرب منه. ويعتقد أنّها كانت تخشى ردة فعله. فراح إلى صيدليتها. هاتفها فى البيت. لكنها تجنبته. كانت تحبّ الزهور و كانت لدى أمه حديقة فسيحة. فراح يداوم على إرسال باقات الورد أثناء الخريف. لكنها ما كانت لتراه. كان ينتظرها خارج صيدليتها. وفى النهاية قابلها أثناء عودتها للبيت من العمل، وسمحت له بالمشى برفقتها. كان الجو بارداً فى ليلة شتائيّة وقد قصدا متنزهًا صغيرًا بالقرب من دار الأوبرا. وصارحته أنّها عانت حياةً شديدة الصعوبة. كاشفته أنّها كانت نكرة لا نفع فيها ـ لست من تعتقد. لستُ ملاكاً. أنا لا أنفعك ثمّ قالت لابد أن تخرج من حياتى

أحسّ أنّ مارينا قد أرادت إذلال نفسها أمامه. فراح يرد لا يهمنى ماضيك. ما يعنينى هو حاضرنا ومستقبلنا" الآن. يتساءل إذا ما كانت قد أرادت فحسب التسلق من خلاله. مع أنّه لا يعتقد أنّها كانت تواعد شخصاً كان يعرفه. وحين حاولت مصارحته بشأن لينينجراد. مع ذلك. صارت عاطفية جداً وانخرطت فى البكاء. مع ذلك. راح يكرر: " أنت هنا من أجلى. وستظلين كذلك. لا أريد أن أعرف ما ألمَّ بك

من قبل. فأنت الآن حياتى وسنقضى حياتنا معاً سعيدين

هدأت. وفيما بعد بتلك الليلة تبادلا القبل وقالت:" أنا لا أستحقك؛ أنا سيئة لكنه قال لها. أحبّ ما أنت عليه تحديدًا

وهكذا عادا لبعضهما مرّة أخرى. راح البيت وكانت أمّه صارمة جدًا، وكان عليه التواجد بالبيت بساعة معينة. لكن فى الليالى الأكثر دفئاً. كانت أحياناً ما تتمشى معه طوال الطريق إلى بيته. ساعتها كان عليه التمشية معها عائدين لبيتها. و بهذه الطريقة يستمتعان بساعة أو اثنتين. فى التمشية جيئة وذهاباً.

هذه السعادة. والتى بدأت فى صيف ١٩٦٠ استمرت بالنسبة لساشا إلا من عائق واحد. حتى مارس ١٩٦١ حين أقام المعهد الطبّى حفلاً طلابياً ضخماً بقصر اتحاد التجارة. دعا مارينا طبعاً. وكان كوستيا بوندارين هناك. ويورى ميريزينسكى. وكما يذكر أحضر يورى أليك. أمريكى. وبمجرد أنّ انخرط جميع الموجودين فى الرقص. دعا هذا الأمريكى. أليك. مارينا للرقص. حينها كان ساشا قد رقص أيضاً مع مارينا ـ بالنسبة لتلك المسألة. كان أغلب الموجودين قد دعوا مارينا للرقص ـ فلم يعر المسألة انتباهًا كبيرًا. كانت ترقص. هذا كل ما فى الأمر. لكن خلال الأسبوعين التاليين. صارت مارينا متنائية. كان حين يهاتفها تردّ فاليا إنّها ليست موجودة. وحين كان ينزل إلى صيدليتها. كانت تحاول تجنبه مرّة أخرى.

فعلم أنّ شيئاً ما خطأ. وكما يُقال فى منسك ثمّة قطة سوداء تركض بيننا . بعدها عرف أنّه قد حاقت به مأساة فى علاقته العاطفية. لقد انتهت. حياته وأحلامه. تلاشت. وحتى الآن. يوجعه هذا الأمر.

لوح بيديه بدماثة. وكأنّ ما بقى من أسفه القديم. الّذى مرّ عليه أكثر من ثلاثين عاماً. يمكن أن يفيض من جديد. لا بأس يقول:" توقفنا عن مواعدة بعضنا. وفى خلال شهر أو اثنين. أخبرنى أحدهم "ساشا. هل سمعت أنّ مارينا ستتزوج هذا الأمريكى"؟

كانت لا تزال فى قلبه. ومتى كان عليه الذهاب لصيدليتها من أجل بعض الأدوية. كان يتتبعها بعينيه حين كانت تمرّ. لم يذرف دموعاً. لكن كان وكأن قِطّة داخل روحه. تخمشه ببراثنها.

ـ ٣ ـ

ليالى بيضاء

الآن ومارينا فى أوائل الخمسينيات من عمرها، تتذكّر جدتها باعتبارها امرأة متغطرسة. تجهل من أى جذور جاءت تاتيانا، يجوز من أصول ريفية مثل كل الآخرين تقريباً، لكنها كانت متغطرسة. ربما تكون قد حصلت على زيجة أفضل قليلاً من قريباتها الفلاحات؛ فزوجها كان قبطاناً بحريًا، وكانت هى امرأة قوية. تستطيع مارينا تصوير جدتها ربما أفضل مما تتذكّر أمها.كانت تشم رائحة طيبة دائماً من جدتها، نظيفة وناضرة. كانت فيكتوريّة جداً شديدة العناد، وهاهى مارينا التى ولدت لامرأة لم تتزوج، كلافيديا ابنة تاتيانا، مع أنّ جدتها لم تتبرأ أبداً لا من الأم ولا من الطفلة.

عاشوا جميعاً فى أرخانجيلسك، وتتساءل مارينا هل هى مدينة خشبية جميلة كما تتذكرها. لكن، طبعاً،

بالنسبة لطفلة حتى شجر البتولا تفوح منه الرائحة الطيبة عقب هطول المطر، فحين تكون طفلاً تكون أقرب للأرض وكذا تكون قريباً من كل روائح الزهور والأعشاب، وتتذكر مارينا لهوها فى المتنزه يوم أن قابلت زوج أمّها ألكسندر مدفيديف. جاء وقال، مرحباً، أنا أبوكِ تتذكّر أنّ هذا قد جرى عقب انتهاء الحرب مباشرة عام ١٩٤٥ وتستطيع تذكر مقدار السعادة التى كان عليها الناس وكذلك سعادتها هى.

مع ذلك، عقب هذه الحرب، كانت تعانى من الكوابيس، وتتذكّر أنّ أسرة جدتها كانت متزمتة جدًا، وحين بلغت الخامسة كرهت الذهاب للمرحاض بمفردها؛ فالربّ قد يرى كل شىء." كنت مشوشة، فلو أنا ذاهبة لقضاء حاجتى ـ والربّ يرانى ـ فليس من اللائق أن أفعل، كما تعرف ؟" وكانت حين يستعمل الناس لغة تجديفية تحاول إغلاق أذنيها، فلم تحمل نفسها على تكرار الكلمات البذيئة، كانت تكوى أذنيها.

كانت جدتها متدينة، وبالنسبة لمارينا حين كانت شابة، كل الخير كان معها وما سواها من عمل الشيطان، الكومسومول(*) والحزب الشيوعى ـ كلام فارغ .

تعودت جدتها على القول لعلمك، لو أردت الاحتفاظ بأيقونة فى بيتى، سأفعل دون تردد، وتعال اعتقلنى .

(*) الكومسومول: اتحاد الشبيبة الشيوعى.

برفقة جدتها، لطالما كانت الأمور فى أفضل أحوالها بالنسبة لمارينا، كانت لتحكى لها قصص الجنيات وتشرح مغزاها الأخلاقى، كانت تعلمها ألا تكذب، ربما تعاليمها ما يجعلنى أواصل الحياة" تقول مارينا الآن. لا أنّى دائماً أقول الصدق، بل أنّنى لا أجد راحتى فى الكذب ـ ستمسك بى متلبسة، فسرعان ما أخون نفسى

كانت تظل حبيسة وراء الأبواب عدة أيام إن عصت جدتها، وما كانت أمّها لتجرؤ على التدخل.

لم تعد مارينا تتذكّر متى عرفت أنّ زوج أمها لم يكن أباها حقيقة، لكنها لم تكتشف ذلك من خلال أمها، لذا جاءت مارينا للبيت وواجهت كلافديا بما عرفته للتوّ، لكن إجابة أمّها الوحيدة كانت، لا أريد الخوض فى هذا الموضوع الآن، ربما لاحقاً وتقول مارينا، أحسب أننا نظن أنّه فيما بعد سيفهم الطفل، لكننى أحسست بالألم وقد ثُرت ضد أمى. قسوت عليها. كنت أحبها سوى أنى جعلتها تعانى عمداً. كنت أختبرها: لأى مدى يمكن أن أواصل الضغط لأرى لو كانت تحبنى ؟ لقد قالت أمّى: حين تكبرين، سأشرح لك كل شىء، لكنك الآن صغيرة جداً على الإدراك" وقد فكّرت أنّ ما فعلته كان شيئاً قذراً، وسخاً حتى .

بعد وفاة أمها، عثرت مارينا على بعض الأوراق التى تكشف عن أنّ أمّها كانت تفتش عن نيكولاى. جرى هذا عقب موت ستالين وحصول كل المساجين السابقين على عفو عام، فكانت أمّها تعبئ الأوراق

بحثاً عن والد مارينا الحقيقى، و تتذكر مارينا أنّ أمّها حين قاربت الموت، كانت لا تزال راغبة فى عقابها. كانت كلافديا فى المستشفى، وكانت مارينا تنقل إليها رسائل قاسية من والدة ألكسندر، يفدوكيا. لم تحبها حماتها، تقول بعض الرسائل حتى أنّ ألكسندر كان ساذجاً مخدوعاً ـ ما لم يحدث أبداً، كانت أمّه تكذب، لكن مارينا لم تعرف ذلك ـ وقد فكّرت أنّ يفدوكيا لديها دليل. طبعاً، عرفت أيضاً أنّ هذا سيؤذى أمّها، وكانت مارينا تقول طيب، يجوز بابا يرى شخصاً أشد عافية لتشرع أمها بالبكاء، ثمّ تقول، لا تقلقى يا مارينا، لن يطول الأمر قبل أن نكشف عمن أحبنا أكثر هذا ما قالته. بين الكراهية والحبّ تقول مارينا، خيط رفيع. لم أكره أمّى، بل أردت حبّها كله. لم أرغب فى تقاسمها مع أحد، لهذا الحدّ كنت مهووسة بأمى، لننظر للأمور من هذا الجانب. كانت يفدوكيا قاسية، وقد بلغت درجة من الشر عرفت معها أنّى سأكون رسولاً أميناً لكلماتها القاسية. تعلم ما تكون عليه المراهقات

بعد وفاة أمّها، رفضت مارينا الحياة وفق قواعد زوج أمّها بشأن حظر التجوال، وأحسّت برغبته فى امرأة جديدة فى شقته، وكانت مارينا تقف حائلاً فى طريقه، لا تعرف ما إذا كانت تلك هى الحقيقة، لكن هذا ما أحسّت به. كانت إذا عادت متأخرة للبيت ليلاً يوصد زوج أمها الباب فى وجهها، مع ذلك، حزن على أمّها جداً لدرجة جعلت مارينا لا تظنه رجلاً شريراً

حقّاً. اليوم تنظر إليه على نحو مختلف. الآن وأنا فى الثانية والخمسين، أسير على نهج أمّى، بعد أن ماتت أمّى، لازمنى هذا التعليق الّذى تلوته على مسامعها فى المستشفى، لطالما كانت حمامة ودودة مع زوجها، وكنت أغار "لطالما سمعت الكثير من الأمور الحميمة بين أمّها وزوجها، وكانت لتدفن رأسها بالوسائد حين يتناهى لمسامعها صوت صرير مُلّة السرير، وقد عجزت عن التفكير بأمّها كامرأة إلى أن رزقت بالأطفال. وحتى هذا الحين، لم تفكّر أنّ النساء من المفترض أن يكون لهن مثل تلك الحاجات. كانت بمثل تلك الدرجة من البراءة. كيف سمحت أمّها بحدوث هذا فى حضور آخرين بالحجرة، مع أنّ الحجرة كانت مظلمة ؟ لم تكن مارينا نفسها محرجة، بل لأن جدتها كانت تنام هناك، وكان على مارينا التفكير، ماذا لو سمعت؟" فقد عاشوا جميعاً بحجرة واحدة، وقد فكرت مارينا كم كان هذا بغيضاً، وأحسّت بالإحراج لأمّها. كالكلاب تماماً، لا تستطيع التمهل. ومع أنّ الأمر لم يكن يتكرر كثيراً، لكن...

فى السنوات التالية، حين سقطت أمّها مريضة، كانت تسمع أم زوج أمها يفدوكيا، تقول،" لِما كان عليك الزواج من تلك المرأة ؟ وكان بإمكانك الارتباط بامرأة بصحة جيدة. لِما تزعج نفسك برعاية هذه المرأة ؟" وكانت مارينا طوال الوقت تفكّر أنّ أمها تزوجت ألكسندر لتمنح طفلتها اسماً دون أن نفلح فى ذلك، كانت لا تزال مارينا بروساكوف، فألكسندر لم يتبنها أبداً، وكانت تلك لطمة أخرى.

بعد وفاة أمّها افتقدت من يأتى للبيت من أجلها، ربما صارت طليقة لكنّها أحسّت بعبوديتها، خصوصاً وقد كانت تجهل ما تفعله بحريتها.

كانت لها جارة، صديقة سيئة السمعة، وكانت مارينا تعلم ذلك لكن الفتاة راقت لها على أيّة حال. اسمها كان إيرينا وكان لديها بنت غير شرعيّة تعمل كى تعيلها، بعد أنّ رفض صديقها الزواج منها، وقوله إنّه ليس على يقين من صحة نسب البنت له. كانت إيرينا فتاة صغيرة و قد منحته كل قلبها، لذا حين رأى صديقها أنّ ابنتها تشبهه بالضبط، غيّر رأيه و أبدى استعداده للزواج، سوى أنّ إيرينا قالت:" كلا، أشكرك. ليس بعد أن عانيت كل تلك المتاعب" وهكذا، حين كان الجميع يقولون لمارينا:"لا تتكلمى مع تلك الفتاة، فلا نفع فيها " كانت وإيرينا تلتقيان رغم ذلك، لا فى جوارهما بل بعيداً حيث تتكلمان معًا. اكتشفت الجانب الآخر من إيرينا التى قالت:" بلى، أنا أعمل من التاسعة صباحاً للخامسة بعد الظهر، لكن فى الليل أتجمّل وأضاجع الرجال. أطباء ومحامون يدفعون جيداً. أمزّق نفسى اشلاءً لأجل كل الناس؛ لأنّها الوسيلة لأحضر لابنتى أفضل شىء، فأنا أحبّها لتلك الدرجة وأكثر

وقالت مارينا لنفسها:" أمّ مُخلصة" كانت حينئذٍ بالسابعة عشرة تقريباً، وقد رحلت كلافديا منذ عام.

الآن، فى إبـريل، قـبل شـهـرين من الـلـيـالى البيضاء(*) وقت أن يكون حتى منتصف الليل قريباً لا يزال من الشّفق، و لدى عودة مارينا من التسكّع مع فتيان آخرين فى ضواحى المدينة، كان ثمّة برقية بانتظارها، جنازة جدّتها قيد الترتيب. لم تكن مارينا تملك ثمن تذكرة السفر إلى منسك لحضور دفنها، كانت طعنة فى قلبها. راح كل شىء مع موت كلافديا والآن، بعد عام، يمضى مرّة أخرى مع جدتها، وراحت تتأمل حال إيرينا التى ضحّت بسمعتها من أجل ابنتها.

مرّة، و كانت فى الخارج برفقة إيرينا و قد تأخر الوقت، و قد عرفت مارينا أنّ ألكسندر سيغلق دونها باب البيت لو تأخرت عن الحادية عشرة، لكن إيرينا قالت:" لقد قابلت بعض الشباب ممن جاءوا للتوّ من فيتبسك ضمن فريق كرّة القدم. لديهم فاكهة طازجة، لنمض إليهم و نتناول شراباً   هناك قالت مارينا إنّ لا مكان لديها تقضى به ليلتها. لأنّ باب بيتها أغلق دونها، سوى أنّ واحداً من فريق كرة القدم سمعها صدفة، وقال لها   لدينا متسع، سيكون كل شىء على ما يُرام، لا تقلقى ففكّرت أنّه لا بأس من أن تسهر برفقة بعض اللاعبين، وتعود للبيت فى الصباح، فالمرء يعجز عن النوم فوق مُنبسط الدَّرَج طوال الوقت.

(*) ظاهرة جغرافية لا يعم فيها الظلام كاملا أثناء الانقلاب الصيفى ـ خصوصًا شهر يونيو ـ بالبلاد التى يقترب موقعها من القطبين.

لكن بمجرد أن خلعت ثيابها و تمددت فى حجرة نوم وحدها، انفتح بابها واندفع شاب عار تماماً واثباً فوقها. قاومته رغم أنّه لاعب كرة قدم، وفى النهاية وثبت من الفراش ووقفت بجانب نافذة مفتوحة. كانت مُقمرة بالخارج وقد تسمرت ترتعد بالقرب من نافذة واسعة بالطابق الرابع، وقالت، خطوة واحدة أقرب وأثب فى تلك اللحظة، كانت قد عزمت بالفعل على القفز من خلال النافذة و ألا تستسلم لذلك الشاب. ويجوز صرخت ؛ لأنّ بقية اللاعبين جاءوا وجرجروه للخارج. كانت ترتعد جداً، لكنهم طمأنوها،" لا تقلقى، ما من سوء سيحدث"

فى الليالى التى ترجع فيها للبيت متأخرة خمس أو عشر دقائق فقط، كان ألكسندر يفتح لها الباب، لكن ما يزيد عن ذلك ـ طيب، لا ترغب فى أن تضطر للإصغاء لكل هرائهم. ربما تكون قد نامت فوق مُنبَسَط الدَّرَج عشر مرّات، وكان عليها أن تأمل ألا تراها أية عاملة نظافة؛ لكان الوضع حتى بالغ الإحراج لأسرتها إذ تعاملها بهذا السوء. فى الليالى المماثلة، كانت تكتفى بالقعود فحسب فوق الدَّرَج، أو تذهب للبقاء مع إيرينا.

كان صيفاً بطيئاً حتى تكلّمت معها والدة إيرينا بلهجة قاسية. تدير هذه الأم مكتب رهونات وأحياناً، لأنّها كانت عاطلة عن العمل، كانت مارينا تقضى يوماً برفقتها، حيث قد يأتى الشباب ليرهنوا أشياءً ويتعابثوا، فكانت أحياناً تواعدهم و تخرج برفقة

أحدهم إلى مطعم و تتناول وجبة، ثمّ تعود لبيت إيرينا لتنام معها على سريرها. هكذا صارت الأمور ـ لا تعلم ما إذا كان شهراً ؟ أم أسبوعين ؟ أم شهرين ؟عموماً، فى يوم، اصطحبت والدة إيرينا مارينا إلى مطبخها وقالت،" لقد مات زوجى أثناء الحرب وخلفنى مع طفلتين. كان علىّ العمل لأرعاهما، ولا مانع لدىّ فى منحك ملتجأ تأوين إليه لفترة قصيرة ؛ فأنا أعلم أنّك تعانين الحرمان فى بيتك، لكن المواصلة على ذات النهج، الأكل فى بيتى و استغلالى ـ كلا، اذهبى وابحثى عن عمل. أهلاً بك هنا، لكن دون أن تعيشى عالة " آنئذٍ احمرّت مارينا، كانت المرأة صائبة، فاعتذرت ولم تبق هناك مرّة أخرى أبداً.

كانت جرعة من دواء مُرّ، لكن هذه المرأة أسدت إليها صنيعاً حقّاً، فقد جرى هذا عقب طرد مارينا من مدرسة الصيدلة، حين لم تعد تحضر دروساً، فضلاً عن إحساسها بالإعياء. تصوّرت أنّه ناجم عن نقص فيتامين ما أو ما شابه، وظهرت عليها القوباء المناطقية، ولا تزال تحمل ندوباً خلفتها تلك البثور الكبيرة بكل أنحاء رأسها وجسمها. كان عليها زيارة عيادة اسمها بلاس لعلاج الأمراض التناسلية والمعدية، وقد تعودت على الانتظار فى طابور ريثما تحصل على دوائها لتسمع الجميع يتهامسون، صغيرة جدًا! وقد أدركت مارينا أنّهم حسبوها مصابة بعدوى تناسلية. فى الواقع كان عليها الخضوع لعلاجات إشعاعيّة وجرعات جلوكوز وفيتامين. كانت تعانى نقص تغذية

مريع، ولم تعان عدوى تناسلية أبداً، طبعاً لا، لكنه كان موجعاً ظن الناس بها.

منذُ أكثر من عامٍ سبق، وقبل أغلب المشاكل مع زوج أمّها، كان ثمّة شاب واحد أحبّته فعلاً. كانت فى السادسة عشرة وتزور منسك فترة الصيف فحسب، قبل عامين من سفرها إلى هناك للعيش، حين قابلت صبياً اسمه فلاديمير كروجلوف، ولأنّ كل الشبابيك كانت مفتوحة فى شقّة فاليا بسبب الحرارة، كانت مارينا تستطيع سماع عزف فلاديمير على الجيتار بالطابق العلوى، وقد سمعت مارينا من فاليا أنّ فلاديمير كان طالباً فى جامعة لينتجراد، ويعيش وحده فى منسك. كان أكبر منها، لكن لأنّه لطالما كان يعزف على جيتاره، فقد حسبت أنّه يقصدها بعزفه وأحبّته.

فى ليلة حصلت هى و فلاديمير على تذكرتين للسينما، وحين خرجا كان المطر ينهمر، وقال فلاديمير:" لدىّ صديق يعيش قريباً من هنا" فمضيا إلى تلك الشقّة وجففا نفسيهما بالمناشف، وجلسا معاً وكانت تلك هى المرّة الأولى التى يُقبلها فيها رجل. أول مرّة فى حياتها.و قد انخرطت تبكى، كانت لا تزال بالسادسة عشرة، وقد قال فلاديمير كروجلوف، ما المشكلة ؟" فأجابت، فولوديا، لم يسبق أن قبّلنى أحد من قبل فقال، لو علمت ذلك ما كنت قبلتك، فمن يتوقع أن يكون لديك مثل ردة الفعل تلك ؟" لكنها كانت تحبه، فمكثت هناك بعض الوقت، رغم خوفها حدّ الموت، وفى الصباح الباكر، حوالى الخامسة، خرجت

للتمشية وبعدها بقليل قالت لنفسها إنّها لن تغسل وجهها مرّة أخرى لأنّها كانت أول قبلة فى حياتها وعليها أن تحافظ عليها للأبد.

بعد ذلك الصيف، حين عادت إلى لينينجراد، لم تكن الأمور على ما يرام. فى ذلك الوقت، كانت لا تزال تدرس فى مدرسة الصيدلة، لكن شيئاً فشيئاً، شرع زوج أمّها فى عزلها. على طاولة الطعام، راحوا يعطونها فُتات الطعام، وكان لديها القليل من النقود، معاش بسيط مقسوم بين شقيقها الأصغر وشقيقتها الصغرى وهى، لكن الآن إذا جاعت واشترت لنفسها غداءً يومين أو ثلاثة متتالية، كانت نقودها تفرغ. كان عليها إيجاد سُبل للخروج من رِبقتها. بعد هذا الشتاء القاسى فى لينينجراد، بدأت الكثير من المتاعب. تبعه ربيع رائع ثمّ صيف جامح. لا تزال تتذكّر ليلة أن انطلق صديقها عيدى ـ رجل كان فى ضعف عمرها ـ فى قارب معها و كانا لا يزالان فى الصباح المبكر، والناس لا تزال تكنس الشوارع وكانت الشمس تشرق، كل شىء يتألق. كانت هى وعيدى فى مزاج رائق؛ لأنّ الليالى البيضاء كانت رائعة وقد مضى قاربهما إلى خليج فنلندا. كانت الموسيقى تعزف طوال الليل وقد أوتى المرء فرصة للرقص بل ربما تبادل القبل قليلاً.

قال عيدى وهما يمرّان بالسوق أريدُ أن أشترى لكِ زهوراً" وانتقى لها حزمة، ثمّ راحا يطفران فوق الملاط المبلل. كانت مدينتها بهيجة، لكن بغتة رأت زوج

أمّها يمشى ناحيتها، فكان عليها أن تركض إلى أقرب مدخل لعمارة سكنيّة.

كاشفت عيدى أنّ أباها لو كان قد رآها، ماذا كان ليدور فى خُلدِه ؟ لن يعرف أنّها كانت علاقة بريئة، فمع عيدى كان الأمر كُله لهو وملاطفة و تدليل، لاشىء أبداً أكثر من ذلك، لكنها خجلت مما قد يدور فى خُلدِ زوج أمّها، ليحسبَ أنّها بغى على الأرجح، وإلا فما تفسير كل تلك الورود والخروج مع رجل غريب فى الصباح الباكر جداً.

وهكذا، حاولت العودة للبيت و الخلود للنوم لكن ألكسندر جاء وقال، لا تزالين فى الفراش؟ انهضى!" ثمّ تابع، اخرجى من هنا! ولقبها بالعاهرة، آنئذٍ أيقنت أنّه رآها، وقد أردف، لا أريدك فى هذه الشقّة. اخرجى من حياتى "فردّت، كلا، لا يمكنك الإلقاء بى للشارع فقال،" لديك أقارب فى منسك. سافرى لهم فحسب وقالت مارينا، لا أرغب بالرحيل، وسأمضى كى أشكو إلى ميليشيا(*) المدينة أنّك قاس وبذىء وتطردنى ضد إرادتى " آنئذٍ قال، طيب، أرينى ميليشياك وسأكشف لك عمّن كان والدك الحقيقى

فى تلك اللحظة، كفّ لسانه وخرج من الباب. هكذا كان، ولم تعرف أكثر أبداً عن أبيها الحقيقى.

طوال هذه الفترة، واصلت رؤية عيدى الّذى كان يعمل بمحترف سينمائى فى لينينجراد، عيدى، ابن

(*) ميليشيا: البوليس الروسى.

جورجيا السوفيتية، داكن البشرة ذو الشّارب.لقد أحبّته. كانت لا تراه يومياً؛ فلديها أصدقاء آخرون، لكن لا شيء مهم بينها وبين كل أصدقائها، فقد كانت صعبة الإرضاء جداً.

طبعاً، كان لديها أيضاً مواعدات خشنة ممن كانوا يصطحبونها للعشاء، لكن في النهاية، كانت تتدبر مسألة تجنبهم ـ بقدر كبير. وقد أحسّت أنّها محظوظة لتناولها وجبة فحسب، مستثارة حتى، ولاح الأمر كأنّك تعادل الوجبة لقاء متاعب مستقبلية. تأكل أولاً، ثمّ تصدّ الرجل بعدئذ ـ طريقة صعبة للحصول على وجبة طعام. لكنها كانت جائعة جداً، ورغم ذلك كانت عذراء لا تزال، وفى مخيلتها أمير أبيض وسجّاد أحمر وزهور، ما لم يحدث أبداً. فلطالما كان شخصاً جلفاً.

كان لقب عيدى دزهيوجانيان، وكان بالغ التهذيب. فى يوم راحت إلى شقته لإبلاغه رسالة، لكن حين سألت عنه، أجابها واحد من الجيران،" هل هو ذلك الرجل برفقة الصبى الصغير ؟" فاكتشفت أنّه كان متزوجاً ويعيش فى لينتجراد مع زوجته، وكانت تجهل ما فعله ليبرر غيابه لزوجته ـ يجوز أخبرها أنّه كان يصوّر فيلماً طوال الليلة السابقة، ويجوز كان حُراً هذا الصيف بعد أن أرسل زوجته وابنه إلى بيتهم الريفى فصار طليقاً فى الصيف. كان يلهو بها فكتبت له خطاباً غاضباً ولم تره مرّة أخرى.

بعدها، أحسّت بلا ريب بكسل شديد يمنعها عن الشغل. جرى هذا حين كانت تقيم عند إيرينا، التى اصطحبتها فى ليلة للخارج فى مواعدة مزدوجة مع زبون أفغانى خدع مارينا من أجل الصعود معه لغرفته بالفندق. قال إنّه كان سيخرج مرّة أخرى، فهل تأتى معه دقيقة واحدة لتتناول شيئاً فيما يبدّل ملابسه. حينئذ، اغتصبها، ضاجعها كرهًا، وهكذا فقدت عذريتهاً. بعدها قال،" لم أكن أعرف أنّك كنت عذراء. أريد استعادة نقودى وهكذا اكتشفت أنّه قد دفع لإيرينا مقدماً، وبعد أن طردها هذا الأفغانى من حجرته، قالت إيرينا،" طيب، ماذا تتوقعين ؟ هل تظنّين أنّه بمقدورك التجول برفقتى للأبد، وأن تأكلى دون أن تفعلى شيئاً بالمقابل؟ بعدها تكلّمت أمّ إيرينا معها هى الأخرى.

أحسّت أنّها امرأة ساقطة. مع ذلك، قابلت ذلك الصيف فتياناً آخرين دعوها إلى رحلات خلويّة، وقد أمضوا وقتاً بالتسكع خلال غابات خارج لينين‌جراد، مجموعة كبيرة برفقة موسيقيين ونار. غنّوا فى الليالى البيضاء، واستأجر بعض هؤلاء الموسيقيين عاهرات، لكنها بقيت برفقة الأولاد السذج المهذبين. ليلة، انغمسوا فى طقوس عربدة فى نهاية واحدة من هذه الرحلات الخلويّة، لكنها قعدت فحسب وتكلمت مع الأولاد المهذبين، وحين جاء الصباح، مضى الجميع للسباحة ـ بعض التقبيل، ليس إلا. قضت عطلة نهاية أسبوع كاملة هكذا، السبت والأحد، ومتى رجعت للبيت

وجدت نفسها تفكر فى جدتها وكيف ماتت دون حتى أن تكتب إلى تاتيانا قبل موتها؛ لأنّها شعرت بذنب هائل بشأن طريقة عيشها، لكنها كانت تتلقى نقوداً من معاشها ولم تكتب لتشكرها حتى. حتى فى رسالة، عجزت عن مواجهة تاتيانا، لقد خيبت أملها، وكان أمراً مُريعاً. أحسّت كأنّها عاهرة تتلقى الوجبات من رجال غرباء فى مواعدات. والآن، فى لحظة غباء، فقدت عذريتها مع هذا الأفغانى، بلا وظيفة ولا رغبة فى وظيفة ـ بل وقتاً طيباً. لم يكن هذا ما أرادت أن تراه جدتها، لم تستحق حبّها. والآن رحلت جدتها، وقد عجزت حتى عن حضور جنازتها. تأملت نفسها فى مرآة و سألت إلى أى حال صرت ؟"

وهكذا، حين أصابتها أمّ إيرينا بالخزى؛ لأنّها لاتدر دخلاً، قررت ضرورة أن تجمع شتات نفسها مرّة أخرى، وعثرت على وظيفة فى كافيتريا مدرسة. نظّفت المناضد وكنست الأرضيات بعد نهاية اليوم الدراسى. فى يوم، جاء ثلاثة أو أربعة أولاد يركضون وكانوا لم يأكلوا بعد، لكنها كانت لا تزال تكنس، حملقوا فيها ـ كانوا أصغر منها، مجرد أطفال، لكنهم يلبسون بذلات نظاميّة أنيقة، أطفال مدللون لآباء من الصفوة ـ وقالوا،" يا لها من فتاة حسناء. وانظروا، إنّها تمسك مكنسة فى يدها" وقد عصف كلامهم برأسها ؛ فها هم أولاد صغار يهزءون بها، هى التى لم تولد لكنس الأرضيات، فتحولت للعمل بمدرسة أخرى، وقد راقت هناك للمسئول عن المدرسة السيد نايمان

الّذى اهتم بها وحصل لها على وظيفة فى صيدلية، وأعيد قيدها مرّة أخرى فى مدرسة ليلية للصيادلة. كانت عاجزة عن تصديق أنّ كل هذا قد جرى لها فى ربيع وصيف واحد، لكن آن الأوان للحياة فى هدوء، وبالنسبة لشتائها الأخير فى لينـنجراد، فقد كانت تعمل وعادت للدراسة، وقد لاقت معاملة حسنة من أسرة اسمها طاروسين كان ابنهم أوليج شاباً استثنائى التهذيب. تصوّرت نفسها زوجة صالحة لأوليج طاروسين، عدا أنّها أحبّت أبويه أكثر مما أحبّته. طبعاً، راق لها كثيراً، لا بالطريقة حيث تشعر بالهوس بزميل، لكن أبويه أحبّاها، كانت ابنتهما التى لم ينجباها أبداً. وللمرة الأولى منذ موت أمّها، أحسّت بمن يحبها مرّة أخرى و مضى شطر من الوقت بهدوء مقارنة بالصيف الفائت. مع ذلك، حين تخرّجت فى مدرسة الصيدلة، احتارت بشأن الذهاب إلى منسك، فمن الهين جداً الزواج بأوليج طاروسين، لكنها لا تظن فى نفسها القدرة على البقاء فى لينـنجراد، لا حين تكون الذكريات سكاكين حادة، فضلاً عن أنّها كانت لاتزال ترى عيدى وقد قال لها أن ترحل. تقع فى الحبّ بكل يسر، حسب قوله، ويخشى أن تورط نفسها بمأزق حقيقى لو بقيت. بعدها، حاول لاعب كرة قدم آخر اغتصابها، ولم تعد للبيت حتى التاسعة فى صباح اليوم التالى. استدانت العشرة روبلات الإضافيّة التى احتاجتها من أجل أجرة القطار، حزمت حقيبة، ورحلت من أجل العيش مع فاليا وإيليا. كانت حقيقة، حسب قرارها، لينـنجراد ليست بالمكان المناسب لها.

القسم الثانى

أوزوالد فى موسكو

ـ ١ ـ

إنجليزية فصيحة

من دفتر يوميات أوزوالد

١٦ أكتوبر ١٩٥٩

الوصول إلى هلسنكى بالقطار، كان فى لقائى مندوب إنتورست و أقلّنى فى سيارة إلى فندق برلين. بياناتى مسجلة فى تذكرة سياحة فاخرة لمدة خمسة أيام بوصفى طالباً. أقابل مرشدتى من إنتورست ريماً شيراكوفا. (أشرح لها رغبتى فى الحصول على الجنسية الروسيّة).

أحبّت ريمّا التكلم باللغة الإنجليزيّة. ركيكة الآن، يمكن أن تقول، لكنها تستطيع التواصل إن شاءت، فكل كلمة من هذه المقابلة باللغة الإنجليزيّة، وهى تستطيع إخبار السّادة الّذين كانوا يتكلمون معها فى ذلك الوقت، بالنسبة للشعب السوفيتى، كان عام ١٩٥٧عاماً

مثيراً. فبعد الكثير من التحضير، فتحت موسكو آنئذٍ مهرجاناً لتأسيس علاقات إنسانيّة بين الأجانب والروس فى موسكو. كان هذا الحدث الأكبر من أجل تغيير الحياة بالاتحاد السوفيتى، حسبما فسّرت. كانت ريمّا بالعشرين من عمرها عام ١٩٥٧ طالبة فى معهد موسكو للغات الأجنبيّة، وقد التقت عدداً من الجدد ممن يتكلمون مع الأجانب ويدرِّسون الإنجليزيّة للأطفال.

كانت الحرية كبيرة فى ذلك العام، كما ترى. ثمّة عدد وافر من الشباب الأجانب والروس معاً. وقد سمع الأجانب بهذا وأرادوا المجىء من أجل الزيارة. وهكذا، عام ١٩٥٩ كانت إنتورست قد شرعت بترتيب كل ما يتعلق بالجولات السياحيّة والتأشيرات، ووظفت الكثير من المرشدين السياحيين، وهى الكيفية التى تشرح بها ريمّا التحاقها بالوكالة.

قبل كل شىء، تلقى الموظفون الجدد جرعات تعليمية حول كيفية الإجادة فى عملهم، ما كان مرتبطاً بدراسة مواد وثيقة الصلة على الأدلاء السياحيين استعمالها. مثلاً، خاضت ريمّا اختبارات بشأن كيفية إظهار مقتنيات الكريملين. جرى هذا فى يونيو ١٩٥٩ ومن اجتازوا الاختبارات حصلوا على وظائف فى يوليو، وأغلبهم كانوا من زملائها فى معهد اللغات الأجنبيّة.

فى سبتمبر، صُرِف أغلب هؤلاء ممن يستخدمون إنجليزيّة فصيحة. أشباهها فحسب، من أظهروا قدرة

على حفظ الحقائق، هم الّذين جرى قبولهم للعمل بصفة دائمة.

مع مجىء خريف وشتاء ١٩٥٩ كان ثمّة عدد قليل من السائحين، لكن عموماً خلال عام ١٩٥٩ كان ثمّة عدد معقول من الأمريكيين، وأتى معرض تجارى ضخم ومضى فى أغسطس، وقد عملت ريمّا برفقة سبعة عشر "غلاماً" هكذا كانوا يقدّمون أنفسهم "غلمان" كانوا حُكّام ولايات من سبع عشرة ولاية جنوب أمريكا، سبعة عشر غلامًا ضخمًا، جميعهم يحملون كاميرات تصوير، ومن يقتنى من الروس صوراً فوتوغرافيّة لأمريكيين فى ذلك الوقت لا تجدهم فيها بلا كاميرات أبداً.

كانت ريمّا نحيلة آنذاك شقراء الشعر حسنة المظهر، وعلاوة على الإنجليزيّة كانت تتكلم اللغة العربيّة، وقد عملت مرّة مع وفد رفيع المستوى من الجمهوريّة العربية المتحدة، كانوا سعداء معها، وزراء رفيعو المنزلة، بالغو الرفعة، كلهم، وقد راحوا يواصلون الإطراء عليها.

فى نهاية جولة وفد الجمهورية العربية المتحدة، اصطحبتهم فى ليلة لمشاهدة مسرح البولشوى، وقد انتهت أمسيتهم عند الحادية عشرة، موعد ريمّا للعودة للبيت، وموعد هؤلاء العرب أيضاً ! لكن بغتة راحوا يسألونها أين يمكنهم الذهاب تالياً. صدمت،" ماذا تقصدون؟" قالت،" لقد انتهت الليلة، وعليكم الإيواء

إلى الفراش لكنهم شرعوا بالقول إنّه ربما توجد بعض المطاعم (بعض المطاعم التى تعمل إلى وقت متأخر وبها نساء) . بدأت تؤنبهم بقولها،" كم هو أمرٌ سيئ يصدر عنكم. لقد أريتمونى صوراً لزوجاتكم وأطفالكم، لديكم مثل هؤلاء الزوجات الرائعات وهاأنتم ترغبون فى التسكع برفقة نساء أخريات ـ عارٌ عليكم! ربما كانوا وزراء رفيعى المنزلة من دول عربية ـ مع ذلك، وبّختهم وقالت، ما من شىء لدينا كهذا، ماذا تحسبون بلادى وتحسبوننى ؟"

فى اليوم التالى، الصباح التالى، لم يتكلم معها أى منهم، لم يلقوا عليها حتى تحيّة الصباح، وقد وبّخها رئيسها،" كيف تجروئين ؟ هل تعلمين مع من تتعاملين ؟" ترى ماذا تقول ؟ هل فى شخصيتها ما يسمح لها بالموافقة على مثل تلك المسائل؟ كانت شابة وشقراء ولديها طلّة بهيّة إلا من نامية صغيرة تشبه طرف ممحاة بقلم رصاص فوق جانب من أنفها، ماذا تسميها، كيساً دُهنيّاً!.

الآن، كجزء من شغلها المألوف، أنّ ترسل تقريراً كل صباح إلى الإدارة المركزية فى الناشيونال. هناك، بذلك الفندق، يُعطى الأدِلاء قائمة بالسائحين القادمين إلى موسكو.

فى أحد أيام شهر أكتوبر ١٩٥٩ السادس عشر من أكتوبر، أعطيت ريمّا اسم رجل كُلِّفت الآن باصطحابه فى جولة بموسكو لمدة خمسة أيام. حين قابلته، مع ذلك، أصابها الذهول؛ لا لأنه جاء بالدرجة

الفاخرة فحسب ـ بل لأنّ رحلته بالكامل كانت فاخرة. الأثرياء فحسب من يسافرون بتلك الدرجة، الأكثر ثراءً! كم عدد من يقدرون على المجيء على الدرجة الفاخرة فحسب إلى موسكو لمدة خمسة أيام؟ وهكذا، كانت تتوقع نوعاً مُغايراً تماماً من الرفقة، نبيلاً ما يشبه حُكّام الولايات الجنوبيّة السبعة عشر، وحتى هؤلاء لم يكونوا بالدرجة الفاخرة.طبعاً، كانت تتوقع رجلاً بمنتصف العمر يترك انطباعاً قوياً. من الطراز الأول !.

حين راحت، مع ذلك، للقسم المخصص بردهة فندق برلين للقائه، كان ثمّة صبى فحسب، نحيل، متوسط الطول، يلبس معطفاً خريفياً ثلاثة أرباع داكن الزرقة من خامات غالية وحذاء عسكرياً بنعل سميك. حذاء مألوف. من وجهة نظرها، امرؤ يسافر بالدرجة الفاخرة ما كان ليبدو كذلك، يقيناً لا ! وهذا الصبى كان شاحباً، بالغ الشحوب، لتقول إنّه بدا عابساً وعصبياً ـ بلى، عصبياً، بالغ العصبية. لم يكن هادئاً.

قدّمت نفسها وعرضت نظرة عامة على البرنامج. لدى إنتورست خطط جماعية لمن يقومون بالرحلات، لكن الآن ثمّة ريمّا فحسب وهذا الصبى المترف، الّذى كان على وشك الحصول على كل شىء مخصوص. وهكذا، عرضت عليه جولة للفرجة. كان يتكلّم بهدوء، لكن فى البدء كأنّ باباً موصداً يحول بينهما، لم يبد أنّه يعرف كلمة واحدة بالروسيّة، فتكلمت ريمّا معه بالإنجليزّية، بشأن الحصول على

تذاكر بهذا المسرح أو ذاك، وقد ألقت على مسامعه قائمة بالأماكن التى يمكن التجول بها، سوى أنّه لم يبد اهتماماً بالرحلات. مضيا فى هذا الصباح الأول فى سيارة فولفو مع سائق فى جولة للفرجة بأرجاء موسكو، وتوقفوا عدة مرات، وكانت وقفتهم الأخيرة بالميدان الأحمر، لكن كل المبادرات التى جرت خلال الساعة والنصف كانت من جانب ريمّا. لم يقاطع ولا واحدة من قصص جولتها، ولا سأل. كم كان سائحاً مترفًا فريدًا.

ثمّ، انتهت جولتهم الصباحيّة وعاد إلى فندق برلين وتناول وجبة منتصف اليوم بمفرده، واكتفت ريمّا بالقول إنّها رأته بعد ذلك بقليل. كانت تخطط لاصطحابه إلى الكرملين ذلك الأصيل. ثمّة شىء فيه، ربما يكون غير معتاد، لكنه كان لطيفاً. كان مهذباً ويستحيل طبيعياً أكثر.

كانت ريمّا طفلة وحيدة، موسكوفيّة أصيلة، وهى تفخر بذلك. ولدت فى موسكو و أمّها ولدت هناك عام ١٩٠٤ وجدها كذلك. لذا، ربما تشوّقت لإطلاع هذا الفتى على مدينتها. ربما إلى تريتياكوف باليوم التالى حيث يمكنها وصف اللوحات هناك. لكن فى ذلك الأصيل، فى هذا اليوم الأول، شرع بالكلام عن نفسه، دون أن يذهبا إلى الكرملين على أيّة حال. لقد رغب بالكلام.

طبعاً، لم تصعد إلى جناحه، لم تكن لتفعل ذلك أبداً، ولم يكن مسموحاً، فخرجا. كان الجو دافئاً، وقد

قعدا فوق دكّة، وكرر، إن لم تمانعى، لا أريد الذهاب فى جولة الآن، لم يكن هذا يخالف قواعدهم، كان مسموحاً، سوى أنّه لا يُعد فكرة صائبة.

عموماً، بدأ يردد بعض الكلمات عن نفسه، إنّه من تكساس و أنّه خدم كجندى فى بحرية الولايات المتحدة، وأنّه كان قد قرر السفر لرؤية هذه الدولة، روسيا. وكان قد قرأ، كما صارح ريمّا، أنّ الشعب السوفيتى يحيا حياة كريمة، مفيدة، شديدة الطمأنينة.

الآن، فى تلك الفترة، كانت ريمّا مواطنة شديدة الولاء لبلدها، شديدة الإخلاص، لتقول، لذا فهى على ثقة أنّها اتفقت معه، وأخبرته أنّه من المؤكد أنّ بلادنا هى الأفضل، وأنّك كنت موفقاً فى مجيئك. وأحسّت أيضاً أنّه يحاول التقرّب منها، لأنّها كانت من استطاع إطلاعها على أفكاره. ليست أفكاراً خطيرة، بل الكلام فحسب عن حياته. كانت شديدة الحماس؛ لأنّ بلادها راقت له، لكنها لم تتوقع أبداً أن يتكلم بتلك الطريقة.

شرع يتكلم عن مدى سوء الحرب لأنّ أبرياء قُتِلوا فيها، وخلال كلامه كان يصير ودوداً أكثر، وقد أدركت أنّه أراد إطلاعها على الكثير من الأمور من وجهة نظره.

ثمّ قال إنّ فكرته الحقيقية هى عدم رغبته بالعودة للولايات المتحدة. ما من سبب معقول يدعوه للعودة، كما صارحها، كان هذا قد وقر بالفعل فى رأسه، أنّه فى سبيله للبقاء هنا، ولديه أسبابه. بالنسبة

إليها، لاحت أسباباً معقولة. قال إنّ أمّه تزوجت مرّة أخرى ولديها زوج آخر، عملياً صار لديها أسرة أخرى، فلم تعد أمّه مهتمة به. من مِن أحد يهتم بها هناك، وحين خدم بالشرق الأقصى، شهد الكثير من الآلام والموتى، ما جعله يلقى باللوم على الولايات المتحدة، فدولته تثير حروباً غير عادلة، حسب كلامه، لا يرغب أن يكون جزءاً منها. ترك لديها انطباعاً أنّه كان حقّاً فى معركة، يقاتل من أجل دولته، أعطاها هذا الانطباع بلا ريب، وكان متجانساً جديرًا بالتصديق بالنسبة إليها. وفكّرت أنّه على حقّ تماماً، وكان من الغريب حقّاً وجود أمريكى كهذا، لكنها كانت واثقة من صوابه كُليّةً، فأخبرته أنّها تشاركه آراءه، أنّه بالفعل ثمّة حروب ظالمة ـ بلا ريب، من غير الطبيعى قتل البشر. كرر مسألة رغبته بالبقاء هنا ؛ لأنّها بلاد مناسبة لوجهة نظره السياسية.

أصاب ريمّا الذهول، وصُدِمت حتى، فلم يكن موقفاً يستهان به. ليس روتينياً على الإطلاق. ما من أحد بالتدريب تكلم عن موقف مُشابه أبداً. لذا، ساعدته على كتابة رسالة لمجلس السوفييت الأعلى وسلمته بنفسها. لم يطلب منها أحد ذلك، بل كانت رغبتها الشّابة فى مساعدته. لكن فيما بعد، حين تكلمت مع رئيستها، وأخبرتها بتلك القصّة، لم يبد على رئيستها الحبور، بل قالت، ماذا فعلتِ ؟ لقد جاء سائحاً، ليكن سائحاً فحسب

أحبطت ريمّا قليلاً لأنّها أحسّت أنّ رئيستها تسلك الطريقة الأسهل، بيروقراطيّة يقيناً. لكن ريمّا كانت تعرف أهلها. عموماً، أغلبهم بطيئون، ما من رغبة لديهم بأن يكونوا فعّالين ،ليقولوا:" وظيفتى ليست أن أكون ذئباً والركض خلال الغابة، لذا فلما أضطر للتعجّل؟" كان هذا موقفاً سائداً، لكن ريمّا كانت واثقة أيضاً أنّ رئيستها لتتصل بمن يفوقها مرتبة لمعرفة ما يجب عمله.

أشرح لها (ريمّا) رغبتى بالحصول على الجنسيّة الروسيّة. إنّها مندهشة، لكنها توافق على تقديم العون. تتحقق مع رئيستها، بالمكتب الرئيسى لإنتورست، ثم تساعدنى فى مخاطبة مجلس السوفييت الأعلى من أجل التجنّس .

ـ ٢ ـ

الأبله

كان ألكسندر سيمخينكوف رئيس الأو. فى. آى. آر. مكتب الجوازات والتأشيرات. لا يزال بعد عقود يتكلم بعض الإنجليزية، ليقول لمجرى اللقاءات بشأن أوزوالد: "أقول لكم بأمانة شديدة إنّه مَنْ مِن فرد آنذاك كان يعمل فى إنتورست إلا وكان تحت الملاحظة والتوجيه من الاستخبارات الروسيّة، فلو سألوا: "ما انطباعك عن فلان الفلانى؟" بشأن امرئ كُنّا نستضيفه، كان من المُحال القول،" لاأبالى بالكلام عنه"، حتى لو راق لك سائح، كان عليك إبداء رأيك المهنى. حين يتصل ضابط استخبارات، ليقول، من أجل التعريف بهويته، يعطيك اسمه واسمًا دالاً على أسرته، لا لقب العائلة، قد يقول: "معك جينادى

بيتروفيتش[1] نريد معلومات بشأن فلان الفلانى

و كان ألكسندر طبعاً يفهم. آنذاك، ألقى فى روعهم أنّ غالبية الأجانب جواسيس، لذا عليك أنّ تستنتج بعض متطلبات وظيفته، لكن بقدر ما يسع ألكسندر الإفصاح،لا يتعلق الأمر بفرد واحد قدّم تقريراً بشأنه حتى يمكن القول إنّه نقل معلومات غير دقيقة، ليقول لجينادى بيتروفيتش بالضبط كيف تقبّل وتتعامل مع كل فرد،و كان يقدّم تقريره شفهياً.

كان ألكسندر آنذاك عضواً فى الحزب، سوى أنّ بإمكانه الآن الاعتراف أنّ الذعر أصابه من تلك العضوية، رغم إدراكه أنّها ضرورية من أجل مستقبله. كان ذُعره لأنّه فكّر أنّه ليضطر إلى الإفصاح فى طلب العضويّة أنّ أباه كان ضابطاً فى روسيا القيصريّة أثناء الحرب العالمية الأولى. فى حين لم يلتحق أبوه أبداً بالجيش الأبيض[2]عقب الثورة البلشفية، وانتقاله برفقة أسرته عائدين إلى الريف حيث رأى الدنيا، وعونه من أجل ترتيب مزرعة تعاونيّة هناك، إلا أنّه كان لا يزال مُعتقلاً، عام ١٩٣٠. ورغم إطلاق سراحه فيما بعد، كان لا يزال أمراً مُخيفًا بالنسبة لألكسندر،

(١) Petrovich ابن بيترو (المترجم).

(٢) هو جيش حركة البيض التى ضمت السياسيين والعسكريين المناهضين للبلشفية بعد ثورة أكتوبر وحاربت الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية الروسية فى الفترة بين عامى ١٩٢٣ و١٩٧١.

لذا فى عامه الرابع فى معهد اللغات الأجنبيّة، حين قال واحد من ضبّاطه:"عليك الالتحاق بالحزب الشيوعى سأل ألكسندر أباه كيف يملأ النماذج، وأجاب أبوه:"حينها، حين ولدت عام ١٩٢٥ كُنتُ فلاحاً، سجّلنى باعتبارى فلاحاً، وبناءً عليه، لستُ ضابطاً مع ذلك، أحسّ ألكسندر أنّه كان يمشى على حافة سكين، فما هى إلا سنوات قليلة بعد ستالين، سوى أنّ أباه كان مُحقّاً، وتمّ قبوله، والتحق بحلقة دراسية للدراسات العُليا فى جامعة موسكو بكليّة فقه اللغة التاريخى. ولأنّه كان يقاسى ضائقة مالية عقب انتهائه، وكان قد قرأ أنّ إنتورست كانت تستقبل فوجها الأول من السائحين الأجانب، فقد قدّم طلباً مبكراً ليصير مترجمها الفورى الثالث عشر. الآن، بحلول أكتوبر ١٩٥٩ كان مديراً بقسم الولايات المتحدة/ كندا فى مكتب الجوازات و التأشيرات، ويترأس حوالى ثلاثين موظفاً.

اكتسب ألكسندر بعض الخبرة بشأن الأفراد من دول أخرى ممن أرادوا التقدّم للحصول على الجنسية السوفيتيّة. تسع وتسعون بالمائة منهم مشوشون. لقد تذكّر مكالمة من رجل ميليشيا فى الميدان الأحمر، قال له:" ثمّة سيدة أمريكيّة توزع منشورات أمام قبر لينين فردّ، لا بأس، أحضرها إلى مكتبى، وأحضر منشوراتها أيضاً " كانت مطبوعة فى روسيا وتقول:"أعزائى مواطنى الاتحاد السوفيتى: ساعدونى فى الحصول على الجنسية السوفيتية وقد أخبرها

ألكسندر أنّ:" عليك التقدّم لسفارتنا فى واشنطن من أجل شىء كهذا فأجابت،" لقد فعلت، لكنهم قالوا لى، "اذهبى إلى روسيا، و إنتورست ستقدم لك العون" فقال ألكسندر إنّ إنتورست مسئولة عن السائحين ممن يتصرفون على هذا الأساس فحسب، أمّا الآخرون فدائماً يُطلب منهم العودة والتقدّم مرّة أخرى لسفارة الاتحاد السوفيتى فى بلدهم، وحين يصرون على محاولة الحصول على الجنسية فى روسيا، كان جوابه الوحيد، اذهب إلى اللجنة التنفيذية بالهيئة التشريعية العُليا" حيث تصادف أنّ تلك اللجنة التنفيذية العُليا عمارة مجاورة، فيمشون إلى هناك ليستقبلهم موظف يقول لهم: "عودوا إلى إنتورست"وفى السفارة الروسية فى واشنطن يواصلون القول:"سافر إلى موسكو ضمن واحدة من رحلات إنتورست، وهى ستتكفل بالأمر .

طبعاً، كان ألكسندر ليسمع عن حالات مماثلة من الاستخبارات الروسية، مع ذلك، لم يلتق واحداً منهم أبداً، دائماً صوت بهاتفه، وإن لم يكن جينادى بتروفيتش، ليكون واحداً يتقدّم ويقول،" لا أعرفك، لكن جينادى بتروفيتش نصحنى بمهاتفتك والكلام معك..." ومن ثمّ يتابعان. كان يصغى فحسب، فى محاولة أن يكون مفيداً.

أول مرّة صادف ألكسندر اسم لى هارفى أوزوالد كانت حين تلقى مكالمة مفادها أنّ شاباً أمريكياً كان يحاول الحصول على الجنسية السوفيتية. حين سمع

ألكسندر أنّ اسمه الأول كان لى، ظنّ أنّه صينى، ربما كان صينى المولد لكنه عاد يمعن الفكر، " أوزوالد ـ ليس اسماً صينياً، ليس أوزوالد وهكذا لم يتفاجأ كثيراً حين جاء هذا الشاب برفقة سيدتين حسناوين من إنتورست، اسمهما ريمّا و روزا. و قد بدا شاباً أمريكياً معقولاً.

كان بالغ البراعة، مبتسماً، شخصاً يحاول أن يكون شديد الجاذبيّة، وقد كان، بلى، شديد الجاذبية، ومبتسماً. جاء مرتدياً سترة بقلنسوة من الفراء سوداء قصيرة دون قبعة عاقداً ياقة كنزته المنتصبة، وسلسلة فضيّة اسمه محفور عليها، وخاتم يزينه حجر كريم. كان حالة فريدة، وقد خشى ألكسندر الكلام معه فترة طويلة، تكلّم إليه قليلاً فحسب وصارحه بظرف أن يرحل. لا ريب أنّه لم يكن بمزاج يسمح له بالاتصال بمن يفوقونه مرتبة ويطلب منهم المساعدة ؛ فسيقولون فحسب "لِماذا؟"

بعدها بسنوات، مثلاً، حين زار رئيس همبرجر ماكدونالدز موسكو أول مرّة، صارح ألكسندر برغبته تقديم ماكدونالدز فى كل أنحاء الإتحاد السوفيتى، فأجرى ألكسندر مكالمة لقسم التغذية بمجلس المدينة الذين أجابوا :"ماذا ؟ماذا عساك فاعل؟ أترغب فى ترك وظيفتك؟ لِما تعرض هذا الأمر ؟" وذلك كان سبب، فى الحالات غير التقليدية. كراهية ألكسندر مخاطبة أى أحد .

سأل أوزوالد كيف حصل على اسمه لى، وأجاب الشّاب،" ربما من جدّى، قد يكون أيرلنديأ لكن حينئذٍ، ولدى تفكيره أنّه قد تكون ثمّة مسحة إسبانيّة فى اسمه أوزوالد، مثل أوزوالدو، قال ألكسندر:"هل تتحدّث الإسبانيّة؟(*) فردّ أوزوالد:" كلا.لا.لا.لا" وأفصح عن رغبته بالبقاء فى الاتحاد السوفيتى لأنّه أحسّ بالألفة مع بلد ألكسندر، لقد قرأ لينين و ستالين والصحف والمجلات إلخ، وحسب ألكسندر أنّ معرفته لعلها سطحيّة، ربما قرأ بعض الكُتب، دون تعمّق. وهكذا ردّ ألكسندر:" لعلمك، لن نقدر على عمل شىء هنا". آنذاك، كان صعباً تمديد جولة سياحيّة، فكلّ شىء كان يتوجّب الترتيب له مسبقاً من خلال وكالة سفريات. لا تبيع إنتورست بضاعتها فى المكان نفسه، وقد عرف ألكسندر حالات جمّة لأفراد أرادوا إطالة إقامتهم دون أن يتمكنوا من العثور على طريقة لشراء إيصالات جديدة للطعام أو التسلية والمسرح والباليه والزيارات والرحلات، محال أن تتصل فى الدقيقة الأخيرة بمكتب مناسب تحصل منه على إيصالات، فضلاً عن معرفة ألكسندر أنّه حتى وإن اهتم موظف عال بالإبقاء على هذا السائح فى البلاد، لكان هذا الموظف قد شرع باتخاذ بعض الخطوات، وحيثُ إنّ أوزوالد قد أُرسل روتينياً له، فهذا يعنى أنّ لا أحد اهتم لأمره . كان ألكسندر قد سلّم جدلاً أن الاستخبارات الروسيّة لديها معرفة بشأن أوزوالد أكثر مما لديه، وأنّ هذا ليس من شأنه.

(*) بالإسبانية فى الأصل (المترجم).

مع ذلك، كان موقفاً فريداً، وكان أوزوالد ظريفاً جداً، شديد الجاذبية، بلى، بسّاماً، ساحراً، شديد الهدوء ـ نعم، نعم، نعم، ظريفاً، ظريفاً كمراهق، ولا يرتدى قبعة، لا شىء، وملابسه رثّة جداً. لقد تطابقت آراء ألكسندر وموظفتيه بإنتورست: علينا شراء قبعة له. لن يُقبل على أية حال، لذا فعلى الأقل ليعتنى به شخص ما. يبقيه دافئاً.

دار بخلد ألكسندر أيضاً أنّ أوزوالد كان يشبه ممثلاً بدرجة ما، فقد كان مختلفاً قليلاً عن أقرانه، بلى. مثل ابن أمّه، من تعوّد أن تقوم أمّه بكل شىء بدلاً منه.

فى الصباح التالى، سألها هذا الغلام:" هل تعتقدين أنّه سيُسمح لى بالبقاء ؟" وقد أفصحت ربمّا عن جهلها. بالنسبة إلىَّ " قالت،" سأبذل قصارى جهدى لأساعدك ".كانت تحسّ بالقرب الشديد منه الآن، وقد صار بالنسبة إليها بمثابة قريب. ليس قُرباً رومانسياً من جانبها، مع أنّها شعرت أنّه من الممكن أن يكون ثمّة شىء ما رومانسى من جانبه، فدون ريب بدا على ثقة أنّها لن تسديه إلا ما ينفعه. كان عذباً وعلى راحته، وربما كانت فى ذلك الوقت حين كانت شابة جذّابة أكثر. أكثر قليلاً. لا يمكنها القول إنّه راق لها كثيراً: فلم يكن من نوعها المفضل. ربما شاب علاقتهما قدر بسيط من الرومانسيّة دون أن تبلغ درجة تبادل القُبل أبداً. كانت بمثابة شقيقة له كـ ترى، وكان فى موقف شديد الصعوبة فى حيا

وبحاجة لشخصٍ ما. ومن سواها يعتمد عليه هناك ؟ وهكذا صارا صديقين مقربين، وقد قلقت، وأيضاً، أحسّت بعدم الارتياح. لقد حسبت أنّ الردّ الرسمى ليكون أسرع، وأن يكون ثمّة اهتمام أكبر، لكن لا شىء حدث فى هذا اليوم التالى.

كان الصباح التالى يوم الأحد، يومه الثالث فى الزيارة، وكذا عيد ميلاده، الثامن عشر من أكتوبر. لقد علمت من جواز سفره أنّه الآن فى العشرين من عمره سوى أنّه بدا أصغر. منحته هدية، اشترت له كتابًا لديستوفيسكى، رواية الأبله، وزارا قبر لينين بالميدان الأحمر دون ردة فعل مميزة ؛ كان ينتظر أنباءً، وقد مرّ الأحد دون أنّ يحمل تلك الأنباء. الشىء نفسه يوم الإثنين، غياب معلومات جديدة، مع ذلك، كان ثمّة تقارير يجب أن تُنَقَح.

بعد أن أفصح لها عن رغبته فى المكوث، كانت ترسل تقارير كل أصيل للمعنيين. كان أمرًا مهمًا، كما ترى، بالنسبة لمصيره، سوى أنّها كانت مندهشة؛ فلم يبد أنّهم يولون الكثير من الاهتمام الجدّى لأمره.

اليوم، حين تُفكِّر فى نفسها باعتبارها مصدراً للمعلومات لرؤسائها بشأن أوزوالد، تتملكها الحيرة عمّا تمثله فتاة شابة ليس لديها خبرة مماثلة من قبل. على الأقل، كانت مُخلصة، لكن من العسير التكهن بما فكّرت فيه الكى. جى. بى .

على مدى الأحد والإثنين كان يكرر أنّه ربما يستطيع البوح لهم ببعض الأسرار؛ فقد خدم فى

الجيش ولديه ما يكشفه، وقد ذهبت ريمّا إلى رئيسها وذكرت فى تقريرها أنّ أوزوالد الآن جاهز لكشف مسائل مهمة، كانت لديه دراية عن الطائرات، فقد ذكر شيئاً عن الآلات وعبّر عن رغبته بلقاء بعض السلطات، لكن رئيسها قال :" آه، هيا تجولا مرّة أخرى وقد خامر ريمّا شعور أنّه من المحتمل أنّ معنيين بالأمن الداخلى قد جاءوا بالقرب فعلاً لإمعان النظر فيه، لا تبادل الكلام معه، بل مراقبته قليلاً فحسب.

ليلة الثلاثاء، عموماً، أخبروها أنّه لن يُسمح له بالبقاء، سيُرفَض، وقد عجزت عن نقل مثل تلك الأنباء السيئة إليه آنئذ، فتمهلت حتى الصباح التالى وهو اليوم الأخير فى تأشيرته.

صُدِم. أُحْبِط و توتر جداً. حاولت تهدئته لكن الآن لاح وكأنه فارق الحياة، وقضى الصباح كله برفقتها. شديد الإحباط، و قد اصطحبته فى رحلة فى فترة ما بعد الظهيرة.

بعد أن دعاها لوجبة ضخمة وقت الغداء، انتظرته بالطابق السفلى، كان عادة دقيقًا فى مواعيده التاسعة تمامًا كانت دائماً بالنسبة له التاسعة تمامًا، الشىء نفسه بالنسبة للساعة الثانية ظهراً. الآن، هذه الظهيرة، انتظرتهما السيارة و السائق، وكان أمراً شاقاً إيجاد سيارة، فكان على المرء حجز واحدة بعناية مسبقاً. لذا، حوالى الثانية والنصف قلقت جداً لدرجة صعدت للطابق العلوى حيث حجرته دون إذن.

قالت عاملة الطابق عند مُنبَسط المصعد:" لايزال فى حجرته، فمفتاحها ليس معى

قالت ريمّا،" تعالى معى وشرعا يقرعان الباب دون جدوى. كان بابه مُغلقاً من الداخل، فعجزت عاملة الطابق عن دسّ مفتاحها الإضافى. استدعتا واحداً من الأمن الداخلى وصانع أقفال من طاقم فندقهم لينضم إليهم، سوى أنّ صانع الأقفال واجه صعوبة فى فتح الباب، واضطروا فى النهاية لدفعه بعنف حتى أنّ الرجلين سقطا فى حجرة المعيشة. لم يروا أحداً، وريمّا من ورائهم لم تر أحداً، عندئذٍ تقدّم هذان الرجلان نحو اليسار وداخل حمام أوزوالد. تجهل ريمّا أين عثرا عليه، هل فى الحوض أم على أرضيّة الحمّام، كانت عاجزة عن الرؤية من حيث كانت تقف فى الردهة، ولم تكن ترغب. حينئذٍ، خرجا وقالا :"اطلبا سيارة الإسعاف. نزلت ريمّا لطلبها، وبعدها كشف لها رجل الشرطة أنّه قد قطع معصميه. قال قطع معصميه" لكنها كانت تجهل ما إذا كان يعنى معصماً واحداً أم الاثنين، وأردف طريقة إيطاليّة قديمة". لاريب أنّ ريمّا ارتعبت، لكن سرّها الأمر أيضاً، فمن وجهة نظر أخلاقيّة، ظنّت أنّه كان أمرًا خيّرًا أن جاءت بالموعد المناسب. رأت، حين حملوه على نقّالة، أنّه كان مرتدياً ملابسه، كانت ملابسه جافة، وقد تمدد فاقداً الوعى فوق نقالته وقد جلست جنبه فى سيارة الإسعاف. فى المقدمة كان رجل يقود ورفيق آخر كان يساعد فى حمل النقّالة. كانت بمفردها فى الخلف

وقد بدا عليه الوهن الشديد والنحول. كانت وجنتاه غائرتين ووجهه مزرقًا. بدا كمن أوشك على مفارقة الحياة، وهو ما إن حدث، قد يضع بلادها فى موقف حرج، فضيحة بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتى. سائحون يجيئون، والآن ها هو واحدٌ منهم يلقى حتفه، لذا قد يخشى آخرون المجىء، ومع الارتياب الخطير بين الدولتين العظميين، قد يظن الأمريكيون أنّ الضبّاط السوفييت قد قاموا بتعذيبه.

استغرقت رحلتهم فترة لأنّهم كانوا متجهين إلى مستشفى بوتكين، التى كانت بالنسبة لريمّا واحدة من أفضل المستشفيات فى موسكو. لم تكن قريبة من فندق برلين، لكن فيها أطباء شديدى البراعة، وقسمًا خاصًا للدبلوماسيين والأجانب أيضاً. حين وصلوا، عموماً، أخذوهم إلى غرفة تسهيل موصدة الأبواب من أجل الروس، جناح المرضى العقليين.

فى الاستقبال، حطّوه فوق نقّالة بعجل و حقنوه، وبعد الجراحة حين فتح عينيه، عجز فى البداية عن إدراك أين كان، لكن بعدها شرعت بالكلام معه، قائلةً:" كل شىء على ما يُرام، نحن فى الجناح المناسب. لا تقلق وربتت فوق شعره. كانت شديدة الرِقّة، وقد حدّق فيها دون أن يبتسم. و لأنهم كانوا قد خاطوا كل جروحه، فثمّة ضمّادة على ساعده اليسرى قريبة من معصمه، أمّا الساعد اليمنى فلا شىء. ساعده اليسرى فحسب. مكثت برفقته من لحظة

وصوله فى الرابعة بعد الظهر وحتى ربّما العاشرة مساءً، وقد طلب منها ألا ترحل، فبقيت. ست ساعات.

وضعوه فى حجرة مع روسيين، وقد أفصحت لهم ريمّا عن كونه أمريكيًا صالحًا، دون أن تأتى على ذكر أنّه حاول الانتحار، وقالت فحسب إنّها من إنتورست، إنّه أمريكى مريض ـ دون تفاصيل زيادة. قالت له أن يهدأ، طلب منها إن أمكن أن تجىء لزيارته وقالت إنّها ستفعل. صباح الغد، دون شكّ.

٢١ أكتوبر

السادسة مساءً

جاءنى نبأ بضرورة مغادرة البلاد عند الثامنة مساءً بسبب انقضاء تأشيرتى. انا مصدوم ! احلامى! أنعزل فى حجرتى. لدىَ مائة دولار باقية، لقد انتظرت عامين كى يتم قبولى.لقد تبعثرت أعزَ احلامى بسبب ضابط تافه، وتخطيط سيئ، لقد خططت أكثر من اللازم !

السابعة مساءً

قررت إنهاء الأمر. أنقع معصمى فى ماء بارد لتخدير الألم . ثمَ أشقَ معصمى الأيسر.ثمَ أغمر المعصم فى حوض استحمام ملؤه ماء ساخن. اظن :" حين تجىء ريمَا فى الثامنة لتجدنى ميتاً ستكون صدمة هائلة ". فى مكان ما يعزف كمان وأنا أراقب حياتى تندفع بعيداً. أقول لنفسى:" كم هو سهل الموت" و"موت عذب على أنغام الكمان" حوالى الثامنة تجدنى ريمّا فاقد الوعى (ماء

حوض الاستحمام ملؤه اللون الأحمر) . تصرخ (أذكر ذلك) وتركض طلباً للعون. تأتى سيارة الإسعاف وتنقلنى لمستشفى حيث يخيطون معصمى بخمس غُرز. تمكث ريماَ المسكينة إلى جانبى كمترجمة (لا تزال لغتى الروسية سيئة جداً)، فى وقت متأخر بالليل أقول لها،" عودى للبيت "، مزاجى سيئ، لكنها تبقى. إنّها "صديقتى". لديها إرادة قوية. وعند هذه اللحظة فحسب أنتبه لجمالها.

لا ترغب طبيبة موسكو فى ذكر اسمها، سوى أنّها تستطيع التصريح دون قطع أنّها كانت أثناء نوبتها بمستشفى بوتكين حين وصل أوزوالد فى الرابعة مساءً يوم ٢١ أكتوبر. لا ليلاً، بل عند الرابعة. هى الآن فى السبعين تقريباً، لكن بخلاف أغلب الروسيات من جيلها، تبدو أكثر شباباً من عمرها. ربما يعطيها المرء خمسة وخمسين، امرأة بدينة قصيرة بصحة جيدة، وسيمة بالأحرى، لكن متبلدة الحِسّ وواثقة من نفسها، تكرر أنّها تكره الشهرة ولا تذكر ذلك اليوم جيداً.

لم يكن جُرحاً عميقاً على الإطلاق، ليس أكثر من خدش. كان جرحه فى الجزء السفلى من ساعده اليسرى، وقد شُفى منه ليمشى على قدميه سريعاً. لم يبق بالفراش ولا يوم واحد، وحين جاءت لتطمئن عليه، كان عامراً بالحياة، وتكلما مع الآخرين فى جناحه، وكان قادرًا فحسب على التواصل بروسية شديدة السوء، لكن دون تحفظ أبدًا.

بالنظر لحاله الجيدة تلك، لم يكن ليسمح له بالبقاء لو كان روسياً. مثل تلك الحالات تدخل و تخرج اليوم نفسه. كان جُرحه بالكاد يزيد عن خدش، لم يبلغ وريده إطلاقاً.

بالنسبة لفحص طبيب نفسى، تسأل مريضك عن خلفيته العائلية و تاريخه الآخر، ثمّ تواصل إلى دافعه: لِما أراد الانتحار ؟ تحاول رؤية نوعية الحالة المزاجية التى يعيشها، وهل لا يزال فى عقله، مساحة مظلمة ؟ أم تراه يعود للحياة ؟هؤلاء إمّا يشعرون بالامتنان؛ لأنّهم أُنقذوا أو يغضبون، استكناه هذا الأمر بالغ الأهمية. بالنسبة إليه، لست مضطراً فى الواقع لتوجيه مثل هذه الأسئلة لأنّها فى الحقيقة لم تكن محاولة جديّة. كان يرغب بوضوح فى البرهنة على شىء ما، رغبته بالبقاء فى موسكو، لقد قال حتى:" أخشى العودة دون أن يفصح عن الأسباب أبداً.

أومأت إلى تقرير طبيب نفسى آخر فى صالة الاستقبال، كتبه الدكتور ميخائيلوفا ويقول إنّ هذا المريض يشعر بالندم على محاولته وهو الآن يرغب بالعودة للديار، لكن هذا كان فى الاستقبال. بعد ساعتين، أعرب عن رغبته فى عدم العودة. ليس من المزعج الاضطرار لتغيير ردود الأفعال عقب الوصول.

تقرير من طبيب هادئ آخر يقول:" لديه رغبة واضحة فى البقاء بالاتحاد السوفيتى. ما من اضطرابات جسدية أو نفسية ولا يمثل خطورة

قال تقرير الاستقبال إنّ جرحه كان ثلاثة سنتيمترات، أى لم يبلغ طوله بوصة وربع . وذكر التقرير الجراحى أنّه بلغ خمسة سنتيمترات وقد احتاج لأربع غُرز. ثمّة اتفاق عموماً أنّ جُرحه لم يكن عميقاً.

لم يطلب من ريمّا أن تحضر له أى متعلقات من حجرته، لكنها تفحصتها باليوم التالى ورأت أنّه كانت لديه سترة خضراء غامقة وقميصان، دون زيادة، يجوز كان يغسل واحداً كل ليلة، وبلا ريب كان يمشّط شعره دائماً و يلمّع حذاءه الوحيد.

أحضرت له أيضاً الكتاب الّذى سبق واشترته من أجل عيد ميلاده، الأبله. يجوز تنبأت به لى هذا. ولأن اسمه لم يبد روسياً على الإطلاق، فقد صار يدعو نفسه الآن أليك ـ حسبما اقترحت.

كان فى الجناح ذاته حين تركته، جالساً، على ما يرام تماماً، وقد قال لها رفاقه بالحجرة عندها: " كل شىء على ما يُرام، لا تقلقى، سنرعى أليك، فهو رجل صالح ومرّة أخرى قضت سحابة يومها برفقته دون أن تذهب لمكتبها ـ فكل الأمور ستسير كما يجب بدونها.

كانت سعيدة، فقد غمرت السعادة أليك حين رآها لدرجة احمر وجهه، وقد وقر فى يقينها أنّ السلطات السوفيتية الآن لتغير رأيها و تتخذ إجراءً ؛ لأنّ عليهم ذلك، ما كان لهم أن يدعوه يموت.

حين تلقّى ألكسندر هذه الأنباء بشأن أوزوالد، كانت رِدة فعله فظيعة، شديدة الفظاعة. عنيفة. إذا كان هذا الشاب يشعر بعجزه عن العودة، فكّر ألكسندر، فربما ثمّة من يلاحقه هناك بالولايات المتحدة، إلخ، إلخ. لم يقل أوزوالد ذلك، لكنه أعطى مثل هذا الانطباع، لذلك كان يخشى العودة.

فى اليوم التالى حين جاءت لجناحه الخاص بالمرضى النفسيين سألوها من تكون، فقالت svaie التى تعنى :"من المقربين" أو "الأسرة" وقد لازمها هذا كأمر مُضحك. أى نوع من الأسرة كانت هذى، كلهم حمقى، والآن صارت واحدة برفقة حمقى، وقد شرحت لأليك أنّها لم تفكر أنّه مجنون، بل كان طبيعياً بالأحرى، لكن كان عليهم فحصه ودراسته. وبالنسبة لتلك المسألة، قالت لنفسها إنّ بعض الأطباء النفسيين ربما كانوا من الاستخبارات السوفيتية، و لم تستبعد مثل تلك الأفكار.

ـ ٣ ـ

روزا، ريمّا، وريتشارد سنيدر

٢٢ أكتوبر

بمفردى مع ريماً وسط مرضى عقليين. تشجعنى وتوبخنى. تقول إنّها ستنقلنى لقسم آخر. .(ليس للمخابيل) حيث الطعام أفضل.

٢٣ أكتوبر

نُقلت لقسم المرضى العاديين. (جيد التهويّة جيد الطعام) لكن الممرضات يتشككن بى. (يعلمن الحقيقة).

ظهيرة ٢٣ أكتوبر

زارتنى روزا أجافونوفا من مكتب السياحة بالفندق، تسأل عن صحتى. رائعة الجمال،

إنجليزيتها ممتازة، رشيقة وودودة جداً. جعلتنى أشعر بالبهجة الشديدة كونى أحيا.

روزا، فى الثامنة والعشرين، لم تكن جميلة فحسب بل كانت فى منصب كبيرة المترجمين بمكتب فندق برلين التابع لإنتورست. لذا، لا تخرج غالباً برفقة أفواج أو أفراد، كانت هناك لفحص التأشيرات، جوازات السفر، تذاكر القطار والمسرح، الرحلات، الحرس، و المناسبات الخاصة، وكانت زيارتها لأوزوالد فى ذيل تلك القائمة. وفى حين كان موظفو فندقها بإنتورست حذرين ألا يتكلموا عن الأمريكيين الذين حاولوا الانتحار، مع ذلك، بعد محاولته بيومين، قال لها رئيسها،" استقلى واحدة من سياراتنا واتجهى لأحد المطاعم وخذى بعض الفاكهة، اصطحبى ريمّا، وقوما بزيارة لى أوزوالد فى مستشفى بوتكين

تتذكّر روزا أنّه كان يرتدى ملابس المستشفى ولديه ضمادة فوق ساعده، لكنها لم تعتقد أنّه قد قطع أوردته عميقاً جداً، فقد بدا على ما يرام. تمازحا قليلاً، ولم ترغب بإثارة موضوع بعينه، فتكلما فى موضوعات عامة فحسب. ربما استغرقت الزيارة ثلاثين دقيقة، تركته بعدها برفقة ريمّا، وكانت سيارة إنتورست فى انتظارها.

٢٥ اكتوبر

برنامج المستشفى الروتينى. تزورنى ريمّا بعد الظهر.

٢٦ أكتوبر

بعد الظهر، تزورنى ريماّ.

٢٧ أكتوبر

الطبيب يفكَ الغُرز بمقص بارد.

الأربعاء ٢٨ أكتوبر

مغادرة المستشفى فى سيارة إنتورست برفقة ريماّ إلى فندق برلين. بعدها، أبدِّل الفندق بمتروبولى. تبلغنى ريمّا أنّ مكتب الجوازات والتسجيل يأمل فى رؤيتى بخصوص مستقبلى.

بعدها، أستقل أنا وريمّا سيارة و ندخل المكتب لنجد أربعة ضبّاط فى انتظارى (جميعهم مجهولون بالنسبة إلىّ) . يسألون عن حال ساعدى، أقول لا بأس به، يسألوننى، هل ترغب فى العودة إلى بلادك ؟ أقول لا، أريد الجنسية السوفيتية. يقولون إنّهم سيرون ما يمكن عمله بهذا الشأن... يسجلون ملاحظات." ما الأوراق التى لديك لتعرض من وماذا تكون؟" أعطيهم أوراق إخلائى من القوات البحرية. يقولون : " انتظر ردّنا ". أسأل،" إلى متى ؟" " ليس قريباً ".

بعدها، تجىء ريمّا للاطمئنان على. أحس بالإهانة، و أوبخها.

٢٩ أكتوبر

حجرة رقم ٢١٤ فندق متروبولى.

انتظر.أحس بالقلق. آكل مرّة، ملازماً الهاتف. قَلِق. فى ملابسى كاملة.

١٣ أكتوبر

أتخذَ قرارى. أحمل جواز سفرى عند الثانية عشرة، أقابل ريماً وأتكلّم معها بضع دقائق. تقول:" ابق فى حجرتك وكُل جيداً ". لا أفصح لها عمّا قررت؛ لأنّى أعلم أنّها لن تُقره. بعد أن تغادر، أتمهل بضع دقائق ثم أستقل سيارة أجرة. أقول:" السفارة الأمريكية" أصل السفارة الأمريكية عند الثانية عشرة والنصف. أمشى، أقول لموظفة الاستقبال :" أرغب فى لقاء القنصل " تشير إلى دفتر ضخم وتقول :" لو كنت سائحاً، من فضلك سجّل بياناتك". أُخرج جواز سفرى الأمريكى وأضعه فوق المكتب :" جئت لأتنازل عن جنسيتى الأمريكية" أقول بلهجة جادة. تنهض وتدخل مكتب ريتشارد سنيدر، القنصل الأمريكى فى موسكو آنذاك. يدعونى للجلوس. ينهى خطاباً يكتبه على الآلة الكاتبة ثم يسألنى عمّا يمكنه تقديمه لى. أفصح له عن قرارى حمل الجنسية السوفيتية، وأنى أودّ التنازل قانونياً عن جنسيتى الأمريكية. ينظر مساعده (القنصل الآن) ماكفيكار من فوق شغله.

يسجل سنيدر معلومات شخصية، يسأل. يحذرنى سنيدر من اتخاذ أية خطوات قبل أن يقبلنى السوفييت، يقول إنّى أحمق، ويقول إن أوراق التنازل ستستغرق وقتاً قبل أن تجهز.(بمعنى آخر، يرفض

السماح لى بالوقت الحاضر بالتنازل عن جنسية الولايات المتحدة) أصرِح :" لقد اتخذت قرارى. من الآن فصاعداً، أعتبر نفسى لستُ مواطناً أمريكياً" أقضى أربعين دقيقة فى السفارة قبل أن يقول سنيدر،" الآن، ما لم تكن تأمل فى بسط معتقداتك الماركسيّة، يمكنك الذهاب" "أرجو التنازل عن جنسيتى الأمريكية" " ليس الآن" قال بلهجة حاسمة.

أغادر السفارة، مبتهجاً بسبب المكاشفة، فى طريق العودة إلى فندقى. أحسّ الآن أنّ جهودى لم تذهب سدى. أثق أنّ الروّس سيقبلون بى عقب هذه اللمحة عن إيمانى بهم.

من شهادة أمام لجنة وارين، ٦ يونيو ١٩٦٤.

السيد كولمان. لِما لم تزوده بشهادة خطّية آنذاك؟.

السيد سنيدر.... لم يبد لى القرار المناسب... إنّه أمر بديهى، حسب ظنّى، أنّه فى الخدمات القنصليّة حين يجىء رجل، مواطن، ويطلب التخلى عن جنسيته، لا تتناول بسرعة ورقة وتجعله يوقّع عليها. إنّها خطوة شديدة الخطورة، طبعاً، خطوة لا يمكن التراجع عنها فى الواقع، وإذ لم يكن هناك شىء آخر تحاول عمله... تأكد أنّ الرجل يعلم حقيقة ما يفعله. قُم بالشرح، لشىء واحد، معنى هذا التصرّف، وبعدها، مرّة أخرى أتكلّم عن نفسى ـ لا أستطيع الكلام عنِ الخدمة الأجنبية فى هذا ـ امنحه استراحة قصيرة،

وإن أمكن اجعل الرجل يغادر مكتبك ويرجع إليه فى وقت لاحق، لتتأكد فحسب ـ كم هو مهم التأكد هنا ـ أنّ تصرف الرجل ليس ناجماً عن فقدان صواب نهائياً!.

٣١ كتوبر، الثانية تماماً

قرع. مراسل صحفى اسمه جولدستن يريد مقابلة صحفية. أنا منذهل." كيف عرفت بالأمر؟""لقد اتصلت بنا السفارة " قال. اطرده. أجلس وأدرك أنّها طريقة واحدة للضغط على عبر إبلاغ أقاربى فى الولايات المتحدة من خلال الصُحف. يقولون،" إنّها للتسجيل العام ".

بعدها بنصف ساعة، مراسلة أخرى، الآنسة موسبى، تجىء. أجيب بعض الأسئلة السريعة بعد رفض إجراء مقابلة. مندهش بسبب هذا الاهتمام. أرفض كل المكالمات دون معرفة فى البدء هوية المتصل. أحسّ بالارتباك جراء الانتباه.

السيد كولمان. سيد سنيدر ما مسألة بترويوللى ؟.

السيد سنيدر. بلى. مسألة بترويوللى أذكرها تماماً.

كان السيد بترويوللى مواطناً أمريكياً... قدّم طلباً من أجل الحصول على الجنسية السوفيتية أثناء وجوده فى موسكو (و) وقد أجريت معه مقابلة بشأن التخلى عن جنسيته الأمريكية. لم، طبقاً للتفكير الّذى

أوجـزته لكم مسبقاً ـ لم أقبل تخليه أول مرّة حضر فيها، لكن قبلته حين ظهر فيما بعد، مُصراً أنّها رغبته الحقيقية.

المسألة كان لها...حل سريع لعقدتها، حين قررت السلطات السوفيتية، بعد أن تفحصّته عدداً من الأسابيع، إنّهم لا يريدونه لا مواطناً و لا مُقيماً بالاتحاد السوفيتى... وقد علمنا فيما بعد... أنّ السيد بترويوللى كان قد أعفى من الجيش الأمريكى... (مع) عجز عقلى كُلى (و) قد اتصل بى رئيس القسم القنصلى بوزارة الخارجيّة السوفيتية فى وزارة الخارجيّة يوماً و قال (أنّ) السيد بترويوللى قد تجاوز فترة إقامته حسب التأشيرة فى الاتحاد السوفيتى... و نطلب منكم اتخاذ خطوات للتأكد من مغادرته البلاد فوراً

أخبرت المسئول السوفيتى أنّه حسب علمى لم يعد السيد بترويوللى مواطناً أمريكياً، فقد أنجز تخلياً عن جنسيته أمامى.

قال المسئول السوفيتى بحسم:" بقدر ما يتعلق بنا الأمر، فقد جاء إلى هنا بجواز سفر أمريكى، ونحن نطلب منكم إخراجه من هنا

حسناً، (قررت وزارة الخارجية) أنّ تخلّى السيد بترويوللى كان باطلاً وفارغًا؛ لأنّه لم يكن ذا أهلية... وشحناه للوطن .

مسألة بترويوللى، حسب كلامى، كانت حاضرة فى رأسى بقوة حين وصل السيد أوزوالد.

الأول من نوفمبر

مزيد من المراسلين. ثلاث مكالمات هاتفيّة من شقيقي وأمي. أحسّ الآن بالبهجة على خفيف، لست وحدي تماماً.

النائب فورد. هل كان (أوزوالد) راضياً أم مستاءً من نتيجة تشاوره معك ؟

السيد سنيدر. أظنّه كان مستاءً، أو ما شابه... من الممكن تماماً أنّها كانت ستصير لحظته الكبرى على مسرح التاريخ بقدر ما كان مهتماً. يجوز توقع هذا لبعض الوقت... كما قال ـ وبالتالي رفضي آنذاك يجوز كان عقبة لم يجهز لها إطلاقًا...

ـ ٤ ـ

ما أخبارى

لا يزال يجهل ما إذا كان بإمكانه البقاء فى البلاد، كانوا يتداولون. بالنسبة لريمّا، بدأ موقفه يصير حرجاً. ليس لديه نقود، وفى فندق متروبولى لم تعد الدرجة فاخرة مثل فندق برلين، لكن مع ذلك، لديه حجرة لائقة. الآن فحسب صار الجو باردًا. لم يحل الشتاء، ولا الثلج بعد، لكن الجو بارد فى الخارج. لا جولات و لا فرجة ولا نقود لشراء الطعام، ومن يدفع نفقات فندقه ؟.

راحت إلى روزا، و تكلمتا كلتاهما عن حالة ملابسه المُزرية مع ألكسندر الّذى استحسن فكرة شراء قبعة مناسبة من متجر جوم"(*) وقد راقت جداً

(*) Gum : أكبر متجر حكومى فى الميدان الأحمر بموسكو به كل شىء ويشبه المول الآن.

للى هارفى أوزوالد وحاول احتضان ريمّا وروزا وتقبيلهما. كان شديد السعادة. رقيقًا، بلى، بلى، وعاطفيًا. ولم يخش ألكسندر شيئاً من شراء هذه القبعة، لأنّه لا ريب، يرسل تقريرًا بها.

من قاعدة تاشيكاوا الجويّة فى اليابان، أُرسلت برقية فى التاسع من نوفمبر إلى لى أوزوالد بواسطة السفارة الأمريكية فى موسكو. من طرف الرقيب جون إ. بيك.:

أرجو إعادة النظر فى نواياك

اتصل بى إن أمكن . محبّتى

جون

كتب جون ماكفيكار من السفارة الأمريكية فى موسكو ملاحظة ضمّها لملف أوزوالد.

٩ نوفمبر ١٩٥٩

أخذت نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة من بيك (نصف الشقيق لأوزوالد) نازلاً بها إلى فندق متروبولى اليوم من أجل تسليمها إلى أوزوالد. ذهبت مباشرة إلى حجرة رقم (٢٣٢) وقرعت الباب عدة مرّات دون أن يجيب أحد. قالت عاملة النظافة إنّه كان فى الحجرة وإنّه خرج فحسب للذهاب إلى المرحاض... قررت ألا أترك الرسالة، بل إرسالها بالبريد المُسجّل. أثناء خروجى هاتفته له من الطابق السفلى، لكنه لم يُجب.
ماكفى

من ٢ ـ ١٥ نوفمبر

أيام من العُزلة الخالصة.أرفض كافة المراسلين والمكالمات الهاتفيّة. أمكث فى حجرتى.أنهكتنى الدوسنتاريا.

الآن فى فندق متروبولى، لتصعد ريمّا إلى حجرته. تستطيع، فلديها قواعد جديدة، وكأنّها حالة جديدة. لقد كُلِّفت بإيلائه عنايتها كاملة، لم يعد سائحاً، وقد عدّوه أمراً شديد الجديّة، وكذلك عدّ نفسه. لِماذا لم يكونوا يحلون هذه المشكلة ؟ كان شديد العصبية، وقد أفصح لها عن ضياع كل نقوده على جولته الفاخرة. وهو ما أقدم عليه عمداً، فلو كان فى جولة فردية، فسيولى مزيداً من الانتباه عمّا لو كان وسط فوج وهكذا يستطيع إنجاز خطته.

صارت علاقة ريمّا مع لى أكثر قرباً، صار الآن كأنّه قريب ـ لكن ليس شقيقاً، ولا حبيباً، بل بين بين. أراد تقبيلها وتجهز للمحاولة، لكنها لم تشأ ذلك.لم تقبله أبداً، إطلاقاً. أُعتبر، كما قد يقول الإنجليز، ليس عُرفاً لائقاً التصرف هكذا، ومن يفعلون قد يفقدون وظائفهم. طبعاً، بالنسبة إليها شخصياً، كانت تستطيع دون شكّ تقبيله إن اشتهت ذلك لتلك الدرجة، لكن كما ترى، لم تفعل. دون شك، لا. كان لديها حبيب، مهندس شاب تخرّج فى معهد الطاقة بموسكو، والّذى كانت تراه مرّة أسبوعياً. زميلين حبيبين. علاوة على ذلك، مع أليك كان موقفاً حيث من الجائز أن يكون واضحاً، وعواقب السلوك غير

اللائق لن تكون هينة. قال كاتب روسى مرّة: " الموت أفضل من تبادل القبل دون حُبّ وكانت الفتيات الصالحات إلى جانب هذا الرأى. إذا كانت لا تحبّه ولا ترغب بعلاقة حميمة، فليس عليها أن تقبله، وهكذا ربتت فوق يده. كفاية. علاجها النفسى.

فضلاً عن أنّه كان عليها إرسال تقارير لرئيستها وأن تكون واقعية، دائماً واقعيّة. لذا تُرى كيف تُقبله؟ هل سترسل هذا فى تقريرها؟ لتقول إنّ أليك كان على ما يُرام، وأنّه أراد أن يُقبلَ فى الاتحاد السوفيتى، وأنّها حاولت منحه انطباعاً جيداً، لكن واقعياً. أحياناً كانت تكتب تقريرها يومياً، وأحياناً أسبوعياً، حسب كمّ المعلومات التى تتلقاها، لم يطلبوا منها موافاتهم يومياً لكن دون ريب حين تحسّ أنّه يتوجب ذلك. أيام شديدة الصعوبة.

عموماً، عليها القول: إنّها استمتعت بوظيفتها فى إنتورست على نحو ممتاز، وظيفة وطنيّة عامرة بالمغامرة، تعلّقت بحماية حكومتها وبلادها. اعتبرت نفسها تؤدى عملاً فائق الأهمية؛ لأن بلادها كانت فى حاجة لذلك. لذا، حين رفعت انطباعها عن أوزوالد لرئيستها، كان هذا لتمكينهم من اتخاذ قرار حكيم بشأن ما يجب عمله. كانت الاستخبارات السوفيتية فى حاجة لتقارير ذكيّة، وكان عليهم معرفة كل الجوانب الممكنة عن قدر اختلاف شخص بعينه عن الآخرين، وكان أليك مختلفاً عن الآخرين. ومع أنّها لم يدر بخلدها أنّه كان جاسوساً دسّته الاستخبارات

الأمريكية، فلم يسبق لها أن التقت جاسوساً. وهكذا، رغم انطباعاتها الشخصيّة، كان عليها الحذر. فى الوقت الحاضر، لو كانت تعمل لدى إنتورست، لكان بمقدورها تحليله، لكن آنذاك، يقولون فحسب لها، "هل قابل أشخاصاً فى حضورك ؟" لم يطلبوا رأيها أبداً إذا ما كان مُخلصاً، لكانت قد قالت لهم إنّه مُخلص،إنّه صريح و يرغب فى البقاء، لكن لم يطلب أحد رأيها، وطبعاً، الكى. جى. بى.، وليس إنتورست من سيتخذ هذا القرار فى النهاية، فضلاً عن أنّها كانت تجهل ما كان يفعله بعد العشاء، بين التاسعة والخامسة، بلى، باستثناء ما بعد العشاء.

١٥ نوفمبر

أقرر إجراء مقابلة صحفيّة. لدىّ بطاقة الآنسة موسبى لذا أتصل بها. تسوق سيارتها إلى. أروى حكايتى مدعومة بالصور. بعدها، تشوّه الحكاية، تُنشر دون إذنى: قبل حتى أن أرى وأقرّ موضوعها. مرّة أخرى، أحس بالبهجة على خفيف جراء الاهتمام.

١٦ نوفمبر

يأتى ضابط روسى إلى حجرتى، يسأل عن حالى. أبلغنى أنّى أستطيع البقاء فى الاتحاد السوفيتى حتى يعثروا لىّ على حل فيما يجب عمله معى. إنّها أنباء مريحة بالنسبة لى.

لتصادف بريسسللا جونسون ماكملان، والتى تكتب فيما بعد مارينا وأوزوالد، الأخير ذلك اليوم، ويجرى معها لقاءً صحفياً أيضاً

عُدتُ للتوّ من زيارة للولايات المتحدة وفى ١٦ نوفمبر، ذهبت إلى مكتب القنصليّة بالسفارة الأمريكية، شأن المراسلين الصحفيين، من أجل الحصول على بريدى. رحّب جون ماكفيكار بعودتى بتلك الكلمات:" أوه، بالمناسبة، ثمّة شاب فى فندقك يحاول الفرار. لن يتكلم لأىٍ منا، لكن قد يتكلّم معك لأنّك امرأة

تبيّن أنّ ماكفيكار كان مُحِقّاً. أتوقّف عند حجرة أوزوالد فى فندق المتروبولى، والتى كانت بالطابق الثانى، الّذى يقع أسفل طابقى. قرعت الباب، وفتح الشاب بالداخل الباب... المثير للدهشة، إنّه وافق بيسر على إجراء المقابلة الصحفيّة وقال إنّه سيأتى لحجرتى فى الثامنة أو التاسعة ذلك المساء. بدا مليحًا مثل كلماته، وقد لبس بذلة رمادية غامقة، وقميصًا أبيض برابطة عنق داكنة، وصدارىّ من صوف الكشمير المدبوغ. بدا مألوفًا لى، مثل كثرة من فتيان الكُليّة فى الشرق أثناء الخمسينيات. كان الاختلاف الوحيد فى صوته ـ فلديه تشدّق جنوبى خفيف.

قعد فوق كرسى بذراعين، و أحضرت له شاياً من موقد أبقيته فوق الأرضيّة وتكلّم (أوزوالد) بهدوء

وبلهجة غير واثقة، ونادراً فحسب ما تُشى لمحة أو تبدّل خفيف فى نبرة صوته أنّ ما كان يقوله فى تلك اللحظة يُمثل له أية أهمية تذكر...

خلال حديثنا عاد لى مرّة تلو الأخرى لِما سمّاه تعامل السفارة غير القانونى معه... وأنّه ما أن يصير مواطناً سوفيتياً، حسب قوله، ليجيز" لحكومته الحكومة السوفيتيّة، بمعالجة هذا الأمر لصالحه.

كانت نبرة لى متزنة، خالية من التعبير تقريباً، وفى حين أدركت أنّ كلماته كانت مريرة، بطريقةٍ ما... لم يلح لى رجلاً ناضجاً تماماً بالنسبة إلىَّ، وللحقيقة المُجرّدة، إنّ من طمس تقريباً كل الحقائق المتعلقة به، كان شبابه. بدا بالسابعة عشرة تقريباً.بغطرسة، كما يليق بفتى، حكى لى عن مغامرته الوحيدة إلى داخل موسكو بمفرده. لقد مشى بموازاة أربعة مربعات سكنيّة حتى ديتسكى مير(*)، وأشترى لنفسه مخروط آيس كريم . بالكاد أصدق أذنى. ها هو هنا الآن، جاء للحياة فى هذه الدولة للأبد، وأقصى ما تجرأ عليه هو أربعة مربعات سكنية داخلها ليس إلا.

صعقنى افتقاره للفضول والغياب الخالص لأى مرح أو روح للمغامرة بداخله. ومع ذلك احترمته. ها هنا كان هذا الفتى المذعور الوحيد يتكلّم عن بيروقراطيّة ثانى أكثر أمّة نفوذاً على وجه الأرض، ويفعل ذلك بمفرده فحسب...

(*) متجر أطفال شهير بموسكو.

" أعتقد أنّ ما أفعله هو الصواب قال. وقال أيضاً إنّه قد تكلّم معى لأنّه أراد منح الشعب الأمريكى ما يمعن فيه التفكير

الآن، بدأت الأيام بالمضى دون منحه رداًّ. وقد قضت ربمّا كل أيام عملها برفقته. أيام شديدة الطول لا تُطاق. كان مُحبطاً، وكان يجهل ما عليه فعله، ولم تحاول حتى تعليمه تكلّم الروسيّة قليلاً لأنّه، من وجهة نظر نفسانيّة، ليس بالوقت المناسب للتعلم، وبالنسبة لقناعتها، كان يقضى وقتاً طويلاً للغاية فى حجرته، يفكر دون توقف. كانت تجهل حتى إن كان يقرأ هديتها ـ الأبله. يجوز صدمه العنوان قليلاً، ربما تساءل إن كان الأمر شخصياً، بلى، ويجوز كان ديستوفيسكى عسيراً عليه، عسيراً جداً. لم يكن مهتماً إلا بمصيره، بالغ الأنانيّة.

أحيانًا، ليواصل ترديد أنّ كل البشر أخوة وأخوات، وأنّ السوفييت أرادوا المزيد من الخير لعالمنا أكثر من الأمريكان، لكن ربمّا شعرت أنّه جاء محملاُ بمثل تلك الأفكار دون معرفة الحقائق. سطحى جداً. لا طبيعى ولا عميق.

لم تبح بهذا له، عموماً، فمن اليسير للغاية أن يؤذى هذا الكلام مشاعره، وقد علم هذا أيضاً. لن يهينها أبداً، تعلم، فهى تقدر على الردّ بما يكشف له عن كونه شخصاً يفكر كثيراً فى نفسه وضرورة ألا يتصرف كما يفعل الآن. ينبغى أن تعرف ماهية

الشخص الّذى تكونه، وكانت جاهزة لمصارحته إن صار بغيضاً تماماً ـ أنت محض نكرة.

"ما أخبارى؟" كان يواصل سؤالها. دائماً هذا السؤال نفسه، وقد لازمها شعور أنّه ربما كان قد عزم على طلبها للزواج، لكنه لم يطلب. يجوز عرف أنّها ما كانت لتوافق، عموماً، ألمح للأمر عدة مرّات، معبراً عن مدى الارتياح والسعادة اللذين يشعر بهما حين يكون برفقتها. حين ذهبت لرئيسها واستفسرت عن موقفه، كانت تواجه بسؤال واحد دائماً تُقابل به:"ماذا يتقن لكسب رزقه ؟" ولسوء الحظّ، لا يتقن شيئاً.

أخيراً، ولأنّ نقوده قد نفدت، قال رئيس ريمّا أنّه عليهم نقله من حجرته الحالية الجيدة إلى حجرة أصغر، وقد وجدوا مثل هذا المكان الضيق، البالغ الصغر والتواضع. كانت حياته تتحدر من الفخامة إلى أسفل. أسفل و أسفل، وهو ما عنى فوق، على السطح، بحجرة أصغر.

عجزت ريّما حتى عن الأكل معه، آنذاك، حتى لو كان راتبها مائة روبل شهرياً بسبب علاقاتها الممتازة، فالوجبات فى فندق كانت غالية جداً، فكانت تذهب إلى أماكن معقولة. حينئذٍ، لأنّه لم تعد لديهم القدرة عن تحّمل توفير وجبات المَطاعم إلى فندقه، فقد قال المسئولون الأعلى:"وجبة خاصة" جودة أكثر زهداً. طبعاً، لم يكن دائماً عابساً، وأحياناً كان رومانسياً بلا ريب، ويلقى النِكات، لكن فى الغالب كانت تضطر لإبهاجه. ليقول إنّه لو كان مسموحاً له بالبقاء فى

بلادها، لعاش فى موسكو، وطبعاً، لو تزوجها لكان أيسر بالنسبة إليه عمل ذلك. لكنها لم تناقش هذا الأمر معه، ولم يدر بخلدها أنّه كان يتظاهر بحبها فحسب، بل حسبت أن مشاعره كانت حقيقية. سوى أنّه لم يكن ينام جيداً، كان يفكّر فى وضعه، ودائماً، لم تتحسن لغته الروسيّة، أيضاً ـ لا،لا.

١٧ نوفمبر إلى ٣٠ ديسمبر

اشتريت لنفسى كتابين لتعلم اللغة الروسية ذاتياً. أجبر نفسى على الدراسة ثمانى ساعات يومياً. أجلس فى حجرتى و أقرأ وأحفظ الكلمات. آخذ كل الوجبات فى حجرتى. لقد رتّبت ريمّا هذا. الجو بارد جداً فى الشوارع لذا نادراً ما أخرج إطلاقاً طوال هذا الشهر ونصف. لا أرى أحداً، ولا أتكلم مع أحد، عدا بين الفينة والأخرى ريمّا، التى تتصل بالوزارة بشأنى. هل نسوا؟ أثناء ديسمبر، لم أدفع شيئاً للفندق لكن ريمّا أخبرت الفندق أنّى كنت أتوقع الكثير من النقود من الولايات المتحدة. بقى لدى ٢٨ دولاراً. استدعونى هذا الشهر إلى مكتب الجوازات وقابلت ثلاثة ضباط جدد سألونى الأسئلة نفسها التى سبق وأجبت عنها منذ شهر. لا يبدو أنهم يعرفوننى مطلقاً.

طوال هذا الوقت، لا رفقة له. يجوز ليلاً، حين لم تكن هناك، ثمّة من يستطيع زيارته. تعجز ريمّا عن القطع، يجوز فى الأمسيات شرع فى محاولة العثور على مزيد من الناس، أحياناً كان يصارحها أنّه تكلّم

مع الروس، فلابد وأنّه قابل بعضهم، و يجوز كان هذا فى طابقه.

لو كان له مزيد من الموارد الماليّة، يجوز سلوكه كان اختلف قليلاً، سوى أنّه لا لديه ملابس دافئة ولا نقود. كان الثلج يتساقط، ولا كان يعرف موسكو ولا اللغة الروسيّة، كان الأمر هكذا دائماً :"كيف تنطق هذه الكلمة ؟" ماذا يعنى ذلك باللغة الروسيّة ؟"

أغلب الوقت، كان فى مزاج سيئ، وكان من الصعب الوصول لحجرته التى كانت بمكان ما على السطح، فكما ترى، لا أماكن للأجانب، بل طابق للموظفين العاملين فى فندق متروبولى، وقد سكن فيه لوجهة نظر اقتصاديّة، ويجوز للمراقبة." يجوز كان هذا سبباً، لا أنكر هذا، يجوز " لا تعرف، لأنّ الموظفات فى إنتورست لم يكنّ يتكلمن أبداً عن حجرة توضّب، لم يتكلمّن هكذا، فلم يدربن رءوسهن على التفكير هكذا.

فى يوم، أخيراً، بأواخر ديسمبر ١٩٥٩ قبيل العام الجديد فحسب، استدعوا ريمّا بمكتب إنتورست الرئيسى، وأخبروها أنّهم كانوا سيرسلون أوزوالد إلى منسك. حين أبلغته، أحسّ بإحباط شديد حتى أنّه ذرف فى البداية، دموعاً، بلى، لقد أراد موسكو لا منسك، لكنه كان سعيداً أيضاً فقد أتيح له البقاء، مرتاحاً وسعيداً. طبعاً كان سعيداً، ومشرقاً، ولم يكتم هذا، سوى أنّه كان لا يزال منزعجاً لاضطراره الرحيل إلىَ منسك.

لم يكن لديه فكرة عن مكانها ولا سبق وسمع عنها، وقد أخبرته ريمّا أنّها مدينة رائعة، ما كان حقيقياً. كانت غالباً تصطحب الأجانب إلى منسك برحلة فى مركبة سكّة حديد. لقد راق لها فندقها الجديد، فندق منسك. الناس فى منسك، أخبرته، أفضل كثيراً من أماكن أخرى كثيرة. لكنه كان حزيناً، أراد أن ترافقه فى رحلته التى استغرقت الليل بطوله بالسكة الحديد من موسكو إلى منسك، لكن من الآن أدرك أنّ الأمور ليست بهذه البساطة كما سبق وظنّ ـ كل حاجة كانت أكثر خطورة عمّا أعتقد. فى أمريكا، حين اتخذ قراره هذا بالذهاب إلى روسيا، ولابد وأنّه كان مثل طفل، لكن بعدها فى تلك الأيام كبر، كما ترى. لذا الآن، أدرك أنّه حتى وإن أرادت ريمّا لن تستطيع ترك عملها و الذهاب معه، أدرك استحالة هذا، وعلم أنّه كان بمكان غاية الخطورة.

٣١ ديسمبر

عشيّة رأس السنة، أقضيها برفقة روزا أجافونوفا فى فندق برلين. تؤدى مهمة. أجلس معها لبعد منتصف الليل. أعطتنى مهرجاً بوراتينياً صغيراً.

٥ يناير

أذهب للصليب الأحمر فى موسكو طلبًا للنقود (و) أتلقى ٥ آلاف روبل، مبلغ هائل!! بعدها فى منسك، أحصل على سبعمائة روبل شهرياً من المصنع.

٧ يناير

أغادر موسكو بالقطار إلى منسك، بيلاروسيا. كانت فاتورة فندقى ألفين و مائتى روبل و تذكرة القطار إلى منسك ١٥٠ روبلاً، لذا لدىّ الكثير من النقود والأمل. اكتب لأمّى وأخى رسائل أقول فيها،" لاأتمنى التواصل معكم أبداً مرّة أخرى، أبدا حياة جديدة ولا ارغب بأى وجود للماضى ".

تذكّرت ريمّا أنّه فى يوم غادر إلى منسك، كان الثلج يتساقط حين ودعته، كان يبكى وهى كذلك، لكنها لم تكتب إليه، وكان مفهومًا أنّ موظفة إنتورست ليس عليها كتابة رسائل للسائحين الذين كانت ترشدهم، و ما كانت ريمّا لتنتهك قاعدة كهذى.

النائب فورد. لو كنت قد علمت أنّ أوزوالد كان فى منسك، ترى ماذا كانت لتكون ردة فعلك ؟.

السيد سنيدر. توفير الخدمة المناسبة له.

النائب فورد. لماذا تقول ذلك ؟.

السيد سنيدر. أنت لم يسبق وأن ذهبت إلى منسك أبداً... البلاد الريفية فى الاتحاد السوفيتى هى خطوة هائلة للغاية دون العاصمة و العاصمة، صدّقنى، خطوة معقولة الحجم بوضوح دون أى مكان أمريكى مأهول.

لكن الفارق بين المدن الكبرى و الأخرى الصغيرة، وتلك الأخيرة والقرى، خطوة مروعة للوراء عبر الزمن. وأن تعيش فى منسك، أو بأية مدينة ريفية

أخرى فى الاتحاد السوفيتى، هى تجربة مقيتة إلى حدٍ ما بالنسبة لشخص سبق وعاش فى مجتمعنا...

النائب فورد. هل سبق وذهبت إلى منسك؟.

السيد سنيدر. قضيت حوالى ساعة مشياً بأرجاء منسك، بين قطارين، مرّة.

القسم الثالث

عَمَلُ أوزوالد،

حبيبة أوزوالد

ـ ١ ـ

إيـجـور

يـصـعُبَ، عـام ١٩٩٣ أنّ نـحـدد هـيـئـة إيـجـور إيفانوفتش جوزمين حين كان شاباً، فسيماؤه نطقت بما كان الآن ـ جنرال متقاعد من الاستخبارات السوفيتية المُضادة، رجل ضخم وعجوز ببشرة حمراء ووجه عريض كان ليخص مدير شرطة أيرلندى فى نيويورك، يثير أنفه الحاد المرفوع الخشبيّة، بعينين زرقاوين باهتتين جاهزتين للالتماع بصحّة الرأى، سوى أنّ أسفل الفمّ بدا منحرفاً ـ عجلة ضئيلة تحوط ذقنه، كرقبة مدير شرطة منتفخة.

وُلِدَ جوزمين، إيجور إيفانوفتش، عام ١٩٢٢ وعمل فى منسك بالكى.جى.بى. بالفترة من ١٩٤٦إلى ١٩٧٧وقد أُرسل للمرة الأولى هناك عبر مركز موسكو لتولى "تعزيز الكوادر وفى منسك ظلّ لأكثر من نصف

أعوامه الخمسين التى قضاها فى الخدمة، ولأنّه أمضى فترة كنائب رئيس بالاستخبارات المضادة، فى منسك، فقد أصبح نائب رئيس فرع ثمّ ترقّى أخيراً رئيس قسم فى بيلاروسيا. وفى حين جاء وصوله بعد أكثر من عام من انتهاء الاحتلال النازى لمنسك، إلا أنّه يستطيع إبلاغ محاوريه الصحفيين أنّ من بين كل أربعة أشخاص فى تلك البلاد لقى واحد نحبه فى معركة أو فى معسكرات الحشود الألمانيّة أو جراء ظروف أخرى، دون أن يزيد حرفاً.كانت وجهة نظره إنّ إعادة البناء جرت فى منسك تحت ظروف مغايرة، فليس ثمّة تمزّق مادى فحسب بل وسُكّان معرضون لشبهة التعاون مع النازى. لا ريب، فكافة رجال الشرطة المستديمين والجيش المحلى ومسئولى القرى ـ كُلّ من نصّبهم الألمان ـ كان من الواجب النظر إليهم كمتعاونين أو عملاء للفاشية، و كان على مكتب أمن الدولة، بالتالى، تطهير كل ما قد يسميه عقبة فى طريق البناء. لم يرغب كثيرون فى الاضطلاع بمسئولية أفعالهم جراء التعاون مع النازية فغابوا تحت الأرض ما منح الأورجانز مهمة إضافية بتحرير المجتمع من وجودهم الخفى. كان جهداً ضخماً، لم يفرغوا من التعامل معه حتى عام ١٩٥٣

عموماً، لا يتذكّر إيجور إيفانوفتش حدثاً عرض فى أى من مهامهم الأمنيّة كان يشبه ولو من بعيد المشاكل التى نجمت عن وصول أوزوالد.يجوز كان المُعادون إلى أوطانهم مبعثرين بأرجاء أوكرانيا

وبيلاروسيا، لكنهم كانوا من مواطنى بيلاروسيا حيث أُرسل أوزوالد إلى هنا بمنسك كلاجئ سياسى يطلب الإقامة الدائمة. طبعاً، أُرسِل العملاء الأجانب إلى منسك قبلاً، أعضاء من مخابرات بريطانيّة أو أمريكية أو ألمانية، أُرسلوا جوّاً، مهربين عبر الحدود ـ بطريقة أو بأخرى، راسخة فى الذهن. كثير من أعمال الكى. جى. بى. كانت تنصّب على كشف واعتقال وزجّ هؤلاء فى السجن . لقد أُسقِطَ أربعة عملاء أمريكان بالمظلات داخل بيلاروسيا عام ١٩٥١ وحده، لكن أوزوالد كان مختلفاً و مميزاً بشكل واضح.

لدى وصول أوزوالد إلى منسك فى يناير١٩٦٠، كانت بعض تقارير مرشدات ومسئولى إنتورست فى موسكو قد وصلت إلى مكتب إيجور إيفانوفتش بالفعل، لذا فقد كان قد تزوّد بمواد تتعلق بسبب السماح لهذا الشاب الأمريكى بالبقاء فى الأراضى السوفيتية. على العموم كان ملفاً صغيراً، وكان أوزوالد قد أُرسِل إلى منسك بغرض الإقامة الدائمة فى حين تولّت فروع أخرى بالحكومة المحلية مهمة توطينه، وكانت مهمة إيجور الكشف عمّا إذا كان لى هارفى أوزوالد هو حقّاً الشخص الّذى يدعيه، وهكذا فالوثيقة الأكثر أهمية كانت تلك التى أقرّت أنّه قد تقرر لدى مستويات عُليا منح أوزوالد التصريح بالإقامة بعد محاولته الانتحار، حتى وإن كانت محاولته مسرحيّة. آنذاك كان ثمّة، كما هو متوقع، تعليمات من مركز موسكو: ابدءوا تحقيقاً بشأن هذا الشخص.

كان لدى إيجور إيفانوفيتش جوزمين رجل فى قسمه بإمكانه العمل باعتباره الكاشف فى هذه الحالة، وهو، على أساس يومى، من يدير تحقيقهم ـ رجل ذكى كفء اسمه ستيبان فاسيليفيتش جريجوربيف. كانت أسباب إيجور إيفانوفيتش جوزمين فى اختياره كما يلى: كان ستيبان فاسيليفيتش بيلاروسياً نقياً، ولِد فى منطقة موجيليف وعلى دراية بالطرق المحلية فى المعيشة، والعادات وتلك التفاصيل تماماً، والأكثر أهمية هو احترافه. كان قد اضطلع باستجواب أسرى الجواسيس الألمان والبريطانيين، وهو ماهر على وجه الخصوص بتعيين موضع ومن ثمّ التعرّف على المشتبه بهم ممن مكثوا بالغرب بعد عام ١٩٤٨ . لكن، لأسباب شتى، كان لديه الآن المعادون أنفسهم ومن كان يتوجب فحصهم. ستيبان على دراية أيضاً ببعض الإنجليزيّة ومتى افتقر للطلاقة، يمكن لمندوب يتحدث الإنجليزية مساعدته فى ترجمة الوثائق ـ كمثال، أيّة رسائل قد يتلقاها أوزوالد من أمريكا.

علاوة على أنّ حرفية ستيبان كانت معروفة. وقد جرى التصديق على اختياره فى الحال. كان يُنظر إلى ستيبان، عموماً، باعتباره رجلاً جاداً هادئ العقل ذا شخصية ثابتة وصبور، كان يُرضيه إجلاء الشكوك وصولاً للجوهر." لا حدود لساعات عمل ضباطنا، وكان ستيبان فاسيليفيتش قادراً على العمل طوال النهار والليل بقدر ما يتطلب العمل، لا يتقلّب أبداً،

ضابط زميل صالح، فضلاً عن "يقول إيجور،" معرفتى الوثيقة به، فقد عشنا فى العمارة السكنيّة نفسها وعرفت زوجته وأطفاله، لذا فالجانب العائلى كان بادياً للعيان". كان ستيبان ليقدّم تقريره مباشرة لإيجور الّذى يتواصل مع رئيس الاستخبارات المضادة فى بيلاروسيا، وهذا الضابط بدوره، يُقدّم تقريره لمدير مركز موسكو. يمكن القول إذًا، إنّ ثمّة ثلاث مراحل فحسب فى هذه السلسلة من القيادة تسبق وصول التقرير إلى الرأس فى موسكو.

يضيف إيجور إيفانوفيتش أن كان ثمّة سبب لمثل هذا الاهتمام المفرط و التكتم الماكر بشأن لى هارفى أوزوالد. فالتحليل التمهيدى فى منسك كان قد طرح بالفعل فرضيات مُتعارضة، ثمّة على سبيل المثال، خدمة أوزوالد كجندى بالبحرية يجب أن تُفسّر، فبين العاملين بالاستخبارات المُضادة كان ثمّة اعتقاد مُسلّم به أنّ الاستخبارات الأمريكية (CIA) ومكتب التحقيق الفيدرالى (FBI) تُجنّدان بعض كوادرهما من جنود البحرية. وقد كشف أوزوالد لبعض مصادرهم فى موسكو أنّ لديه خبرة بالإلكترونيات والرادار، ومثل تلك المعرفة لم تكن بعيدة عمّن يخدمون فى الاستخبارات.

فرضيتهم التالية كانت أنّ لديه موقفاً مؤيداً للشيوعية، وأنّه ماركسى، مع ذلك كشف الفحص السرى أنّه لم يكن خبيرًا بالنظرية الماركسية اللينينية، ما يُظهر للعيان شكّاً جديرًا بالاعتبار.

كانت لا تزال مسألة أخرى للتيقن من أنّ الأمريكان لم يدرّبوه على الروسية، وأنّه كان يخفى معرفته. كان أمراً يستعصى على التحديد، لكن يُمكن التحقق منه عبر الملاحظة القريبة لدرجة تقدّمه فى اكتساب مزيد من البراعة اللغوية. لذا، لتصير تلك مهمة أخرى لأى شخص يُدرِسَ له اللغة الروسية، على المُراقب أن يكون قادراً على تحديد ما إذا كان أوزوالد يثب من درس لآخر بتقدّم موضع شك، أم يسلك الحالة النقيضة، و يواجه صعوبة حقيقية ؟ كانت تلك بلا ريب مسألة يجب أن توضَّح.

تأتى الآن فرضية أخرى: مؤخرًا، كانت الاستخبارات السوفيتية تختبر قنوات شرعية أخرى للدولة للتحقق من مدى الصعوبة التى قد تواجه دسّ عملائها داخل تلك الأمّة، وكان على إيجور الآن أن يأخذ بعين الاعتبار إمكانية حركة مرتدة : هل أرسل بعض أطقم الاستخبارات الأمريكية لى هارفى أوزوالد هنا للتحقق من قنواتهم السوفيتية القانونية؟ هل هو حالة اختبار لتحديد كم جاسوسًا ربّما تمّ زرعه من أجل مهام خاصة؟.

مع ذلك، بالإضافة لكل هذا، ونظراً لاعتبارات إنسانية، كان أوزوالد قد تمّ قبوله كمهاجر محتمل، لقد اعتبر هذا أمرًا مرغوبًا به، وبالتالى، ضرورة توفير ظروف مناسبة له كى لا تخيب ظنونه بشأن الحياة فى الاتحاد السوفيتى. بحلول عام ١٩٦٠ كانت منسك تتمتع بمستوى معيشى قد لا يُخيب ظنّه بشأن

المجتمع الشيوعى، فضلاً عن أنّه لغاياتهم الخاصة، كانت الأورجانز فى حاجة لمدينة ضخمة مثل منسك، فيها بشر كثيرون منتشرون فى الشوارع، يشهدون شخصاً يجرى التيسير له فيما يتّصلُ بالحياة هناك.

يبقى أن يُقال: إنّ تحقيقهم كان مُعداً بمكر، كان لديهم هدف مزدوج ومعقد: ألا يفوتوا أى شىء مثير للشكّ فى سلوك لى هارفى أوزوالد، ومع ذلك ألا يقيدوا حريته الشخصيّة. هدفهم النهائى ـ اكتشاف ما إذا كان جاسوسًا أم لا ـ كان عليهم القطع بشأن تلك الإمكانيّة، والاحتكاك المباشر من شأنه تعطيل محاولتهم لاستنباط إجابات موضوعيّة عبر أكثر الوسائل دِقّة فى التحقيق.

ـ ٢ ـ

كاشف

تلقى ستيبان فاسيليفيتش الإنذار بوصول أوزوالد إلى منسك قبل يومين فحسب من بلوغ الرجل عتبة بابهم.

كانت التفاصيل عن مكان خدمته أثناء وجوده فى الجيش الأمريكى أيضاً عند حدّها الأدنى، وعوضاً عن ذلك جاءت معلومات عن وقت وصوله إلى موسكو، كيف تصرًّف بعد قطع معصمه، ومدى إصراره على البقاء بالاتحاد السوفيتى.

لديهم فى منسك قناة بريدية خاصة يتراسلون عبرها مع مركز موسكو، وقد تلقّى ستيبان نبأ أنّ أوزوالد خدم مع البحرية الأمريكية فى اليابان، سوى أنّه أحسّ أنّه لا ينبغى أن يولى الكثير من الانتباه لهذه المسألة، فبوضوح، فحصت الاستخبارات

العسكرية المضادة هذا الأمر بالفعل ولا يتطلب المزيد.

من جانب آخر، كان أوزوالد بلا ريب فريداً:" كما يتضح لنا من المواد المرسلة من هؤلاء الأطباء الذين عالجوه في مستشفى بوتكين، كان واضحاً" قال ستيبان،" إنّه بسبب أنّ نواياه للإقامة في بلادنا لاتتبدّل، فإنّ أوزوالد لو تعرّض لرفض إقامته في الاتحاد السوفيتي مرّة أخرى، فإنّه، بالنظر لإرادته القوية، ليكرر محاولته للانتحار طبعاً، يتساوى الاحتمال إن كانت رغبة أوزوالد الملفتة للنظر للبقاء تتصل بمهمة أمريكية خاصة ما ـ لكن أي نوع من المهام ؟ لقد التحق بالبحرية الأمريكية حين كان في السابعة عشرة، والآن، بغتة كان ناقماً على أسلوب الحياة الأمريكي بأكمله. أمر مريب جداً. يجوز أنّه كان يمثل ظاهرة ما جديدة في أساليب الاستخبارات الأمريكية.

أثناء عملهم، حال دراسة شخصٍ بُغية كشف قناعه في النهاية، إذًا لا يُفترض بهم اتخاذ أي إجراءات من شأنّها تنبيه هدفهم. كان ستيبان يتفق مع قرار إيجور عدم محاولة استخلاص معلومات رسمياً من أوزوالد بشأن خدمته بالبحرية الأمريكية، فما يهم أكثر هو اكتشاف ما إذا كان عميلاً أم لا، فلا ريب أنّه ما من حاجة مُلحة في الحصول على معلومات عسكرية ثانوية لابد وأنّها لدى الجيش السوفيتي بلا ريب، وحتى إن كان ثمّة معلومات مفيدة يمكنه

تقديمــها، فيجب التضحــية بهـا لقـاء ألا ينــزع للشكّ.

كان هذا مفهومًا مسبقًا حين استعد ستيبان لاستجلاء حقيقة حالته .

ـ ٣ ـ

إليوشا

عام ١٩٦٠ كانت ستالينا ـ على اسم ستالين ـ مديرة مكتب خدمة إنتورست فى فندق منسك، وقد عمل تحت تصرفها اثنان من المترجمين. كانت آنذاك متزوجة فعلاً و لديها ابنة فى عامها الأول، وزوجها مدرس فى معهد منسك للغات الأجنبية. تتكلّم ستالينا نفسها اللغة الإنجليزية والألمانيّة والبيلاروسيّة وبقدر ما يتعلق الأمر بعملها كانت تتكلم التشيكية و البولندية وبعض اليديشية، فقد نشأت قريبة من جيران يهود.

قبل عام ١٩٥٩، لم تكن إنتورست موجودة فى منسك، لذا فقد كانت فى الواقع أول مؤسِسة لمكتب خدماتهم. كان فندق منسك حيث عملت، جديداً، وقد أُنشئ، حقيقة، لأن خروشوف أثناء زيارة له لاحظ أنّ منسك تفتقر لفنّدق جيد. وقبل افتتاحه أُرسلت

ستالينا وموظفان آخران، مدير فندقها وسكرتير وزارة فنادق منسك، إلى موسكو من أجل التدريب، جرى هذا حين تعلمت كيف أنّ موظفى إنتورست ممن فى موقع ستالينا لا يحددون ساعات عملهم بل بالأحرى يفترض بهم الاستعداد للخدمة طوال اليوم. كانت، حين يوجد عدد كبير من السائحين، على اتصال ليلاً، مع ذلك كانت فى فترات الركود تستعيد وقتاً لنفسها. وهكذا، إن جاء فوج سياحى ما بغتة من بريشت أو فنلندا، قد يتصل بها واحد فى منزلها ويقول:" ستالينا إيفانوفا، من فضلك، هل يمكنك المجىء و المساعدة؟" فتترك كل شىء و تهرول مسرعة.

حالة واحدة لن تنساها طوال حياتها. وصل اثنان فى سيارة، كندى وقد أحضر برفقته صديقته المجريّة، موديل، وقد أرادا السُكنى فى حجرة واحدة، لكن مدير الفندق قال لستما زوجين و سيكون عليكما أخذ حجرتين منفصلتين" لكن السيدة الشابة صديقة الكندى لم توافق، كانت غاضبة جداً، وقد رضخ صديقها الكندى لشروط إنتورست خشية الفضيحة، لكن المرأة المجرية كانت تستشيط غضباً، لذا حين أُعطى جناحه ووضعت هذه الموديل المجرية فى حجرة نوم مفردة، فتحت بابها ودفعت سريرها أمام الحجرة وخلعت كل ملابسها ورقدت عارية فوق أغطية الفراش، أشعلت سيجارة وراحت تصرخ بعلو حِسّها. من فضلك، إنتورست لا ترغب بأيّة فضائح، و هكذا طُلِب من ستالينا المجىء فوراً من شقتها ـ فالمشاكل

المحتملة فى هذه المواقف عديدة. كثير من الفنلنديين كانوا يقيمون فى الفندق آنذاك، وهؤلاء يشربون ـ فى الواقع، يشربون كثيراً لدرجة لا تصير لديهم معها أيّة عُقد، ليتجولوا حتى فى رواق فندقهم عراة بالكُلية. وهكذا، مع وجود هذه المرأة المجرية تتمدد هناك عارية هى الأخرى والكثير من الرجال الفنلنديين بالطابق نفسه، وبعضهم قد خلع ملابسه فعلاً ويتجول بالأرجاء، كان على ستالينا بلا ريب الكلام معها، لكن هذه الموديل المجرية قالت:" من أنت؟" وردّت ستالينا،" من فضلك، ارتدى ملابسك. أنت امرأة. لا يمكنك التصرّف هكذا" وأجابت الموديل المجرية" !Blyat والتى تعنى فى هذه الحالة "عاهرة"، وتذكر ستالينا أنّها سُميت أيضاً خنزيرة روسية". ها هنا هذه المجرية ترقد عارية أمام رجال أغراب يدعون ستالينا بالعاهرة. ثمّ قالت المرأة:" لن تجروئى على إقفال بابى. إذا لم يأخذنى صديقى إلى داخل جناحه، سيأتى هؤلاء الفنلنديون ويضاجعوننى هنا، جميعهم".

ومن يمكنه التعامل مع مثل هذه المشكلة؟ حتى صديقها الكندى فشل فى تهدئتها، فكان على ستالينا نقلهما من الفندق.

لكن الأمر كان مختلفاً مع الأمريكيين، فآنذاك، لم تكن العلاقات دافئة بين هاتين الدولتين، لكن ثمّة بعض الإعجاب. لقد نشأت ستالينا على أن تكون مضيفة جيدة للناس، فضلاً عن أنّها كانت بدار أيتام

أثناء حربهم الوطنية الكبرى وكانت تتذكّر كيف بعدئذٍ كانت الكثير من المساعدات الإنسانيّة تأتى من أمريكا ـ بندق، سكّر، شيكولاتة، أسرّة ـ تصوّر أسِرّة! ـ وملابس. لذا، بالنسبة إليها كانت أمريكا دولة رائعة، وحين وصل لى كان موقفها تجاهه، بالتالى، صادقاً، لا رسمياً ولا بيروقراطياً، وقد تمكنت من إدراك أنّه أحسّ بذلك وعرف أنّه ما من خطر من ناحيتها. فضلاً عن أنّه قد وصل إلى منسك فى السابع من يناير يوم عيد ميلاد ستالينا، وهكذا ! كان لقاءً ميموناً ـ يوم عيد ميلادها، هرة صغيرة تجىء.

يقول ستيبان إنّه لم يرافق لى هارفى أوزوالد أحد من موسكو. فى محطة قطار منسك، قابلته امرأتان من الصليب الأحمر فى بيلاروسيا، رافقتاه إلى فندقه، يجهل ستيبان حتى اسميهما. لا يبدو حتى أنّه كان ثمّة اهتمام بمسألة سفره وحيداً، وكذلك فالأورجانز لم يشغلها احتمال أن يحاول الهروب من القطار، فإن كان أوزوالد قد أراد البقاء بالاتحاد السوفيتى لتلك الدرجة، لِما قد يهرب إذاً؟ لكن لو افترض المرء أن الأمريكان قد أرسلوه إذًا ليفرّ ويصير غير شرعى، لصار تصرّفه حينئذٍ أكثر التصرفات بدائية وغباءً منه، أن يفرّ عند محطة ما بمنتصف الطريق، فحينها ستعثر عليه قوات الأمن سريعاً. إلى هنا، كان على الاستخبارات الأمريكية أن تعرف من سابق خبراتها، أن أورجانز تستطيع حتى القبض على من تلقى بهم الطائرات ليلاً.

لا يملك ستيبان معلومات عن كيفية سفره، سواء بالدرجة الأولى أو الثانية، لكن المؤكد أنّه من لحظة وصوله، بدأت المراقبة. عند محطة القطار، من أول لحظة وصل فيها إلى منسك.

٨ يناير

أقابل رئيس بلدية المدينة،الرفيق شارابوف، الّذى يرحب بى فى منسك ، ويعدنى بشقة مجانية الإيجار" قريباً " ويحذرنى بشأن الأشخاص غير المتحضرين الّذين أحياناً ما يهينون الأجانب .

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الثامنة صباحاً للحادية عشرة مساءً يوم ٩يناير ١٩٦٠.

فى العاشرة صباحاً دخل لى هارفى ردهة فندق منسك، واتجه إلى مدير الفندق، وراح يتكلّم معه بخصوص شىء ما. بعدها صعد للردهة بالطابق الرابع، أخذ مقعداً وشرع بحوار مع مترجمة اسمها تانيا كانت ترافقها عاملة أخرى بالفندق.

بعد الكلام معهما حوالى أربعين دقيقة عاد لى هارفى إلى حجرته رقم ٤٥٢

فى الحادية عشرة و أربعين دقيقة غادر لى هارفى الفندق على عجل إلى شارع سفردلوف قاصدًا محل جزارة. هناك مشى حوله يلقى نظرات سريعة على المنتجات المعروضة، بعد أن غادر وانطلق بشارع

كيروف ناحية نقطة تقاطعه مع ميدان محطة القطار، توقّف وتأمل نافذة عرض صور للكابينة التقنية بمحطة قطار بيلاروسيا، ثمّ اتجه صوب مطعم راديوجا وتوقّف هناك هنيهة، ثمّ مضى إلى دكان بقالة فى شارع كيروف. أثناء دخوله لاطف بعض من دخلوا بعده . مشى حول هذا الدكّان وغادر دون أن يشترى شيئاً، راح مباشرة إلى متجر كُتب، حيث سار بين أقسامه دون أن يتوقف بأى مكان، ثمّ غادر ومشى سريعاً. عاد إلى فندقه فى الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

فى الرابعة وأربعين دقيقة غادر لى هارفى حجرته بالفندق ونزل إلى مطعم فندق منسك. هناك جلس إلى طاولة شاغرة، وانتظر النادلة (المراقبة فى هذا المطعم لم تُنجز بسبب قلة الموجودين).

غادر المطعم بعد حوالى ساعة إلا ربع ثمّ صعد إلى حجرته. لم يغادر حجرته حتى الحادية عشرة مساءً وقد أُنهيت المراقبة حتى صباح اليوم التالى.

١٠ يناير

اليوم لنفسى.أمشى بأرجاء المدينة. لطيفة جداً.

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الثامنة صباحاً للثانية عشرة صباحاً يوم ١٠ يناير ١٩٦٠.

فى الحادية عشرة غادر لى هارفى فندق منسك وذهب إلى الـ جوم" هناك صعد إلى قسم الأجهزة الكهربائية، وسأل البائع بعض الأسئلة، ثمّ أخرج نقودًا من جيبه واتجه إلى موظّف خزانة هذا القسم. لم يدفع نظير شىء لكن أعاد النقود فحسب إلى جيبه وراح يذرع الطابق الأول بالمتجر جيئة وذهابًا متأملاً بضائع مختلفة. ثمّ عاد إلى قسم الأجهزة الكهربائية ودفع روبلين و٢٥ كوبيك نظير قابس كهربى وضعه فى جيبه وصعد للطابق الثانى. هناك قضى بعض الوقت فى قسم الملابس الجاهزة، تفحّص بذلات موجودة ثمّ غادر متجر الجوم مهرولاً. عاد إلى فندقه فى الحادية عشرة والنصف إلا خمس دقائق.

فى الواحدة إلا ربع خرج من حجرته بالفندق وراح إلى المطعم. جلس إلى طاولة شاغرة وراح يأكل. (لم تجر مراقبة أثناء هذه الوجبة بسبب عدم وجود آخرين بالمكان).

فى الواحدة والنصف وخمس دقائق غادر لى هارفى المطعم و صعد إلى حجرته.

فى السادسة وعشر دقائق غادر حجرته وذهب إلى المطعم. جلس إلى طاولة شاغرة وتناول وجبته، غادر المطعم فى السابعة إلا ربع و استقل المصعد للطابق الرابع حيث دخل حجرته.

لم يغادر حجرته حتى الثانية عشرة وقت انتهاء المراقبة حتى الصباح.

لأن ستالينا كانت قصيرة فقد كانت ترى أوزوالد طويلاً. بدا حزيناً لها، كطائر هوى من عشه. عادة، يتأنق الأجانب، بخلافه، لطالما بدا وقد لبس بذلته الوحيدة.

منحوه حجرة وحيدة من النوعية التى تُعطى للمواطنين السوفييت. دون تمييز. يجوز لأنّه كان سيعيش هنا بصفة دائمة، وقد دفع هذا ستالينا لإحساس وكأنّ أوزوالد قد وثق بها، لكن حينئذٍ، كانت ترى فى نفسها امرأةً جامدة. كان فى حاجة إليها، وكان بائساً بالكليّة بخصوص الخروج، ولأنّها أحسّت حياله بمشاعر أمومة، فقد اختارت أن تُفرِجه على أرجاء المدينة بنفسها.

كان روحاً ضائعة، وكان عليك وكزه كى يفعل أى شىء. كانت تعيش على مسافة عمارتين فحسب من فندقها، لذا كان أمراً يسيراً، أرادت أن يشعر بالتحسّن، وفى الواقع، سرعان ما راحت تدعوه إليوشا، لأن مثل هذا الاسم كان شائعاً جداً. كان ثمّة نُصب تذكارية تشبه مسلات منتصبة لهؤلاء الجنود الروس الّذين حرروا بلغاريا، وقد تعوّد البلغاريون على تسمية مثل تلك المسلات إليوشا، كانت ثمّة أغنية بهذا الخصوص حتى.فى الواقع لم يخطر ببال ستالينا إليوشا الآخر فى الأخوة كارامازوف(*) وقد ضحكت حيت تذكرت ذلك. بلا ريب لم تفكر بإليوشاها على

(*) كارامازوف واحدة من أشهر روايات الأديب الروسى ديستوفيسكى.

أنّه ورع، لكن كان بينهما نوع من العلاقات الأسرية. منذ حملها، ظلّت ستالينا بدينة و قد فكّرت أنّه ولابد قد رآها امرأة عجوزًا، لوهلة كانت فى الثامنة والعشرين من عمرها فحسب، ويجوز فكّر أنّها كانت امرأة لطيفة بمنتصف العمر، ودون ريب بدا أنّه يدرك أنّ أيما شىء أراد إنجازه فى هذه المدينة ليجب عمله فوراً من خلالها. لذا بعد فترة راح يعتمد على نفسه، وفى حين كان يفصح لها عن القليل عن نفسه، رأت فيه شخصاً كتوماً، شاباً شديد الكتمان. تذكر قولها لها فى هذا اليوم الأول أو الثانى:" يجب أن تكون لديك خطّة. كيف تتوقع أن تعيش ؟" وقد قال إنّه أراد الدراسة، وسألها عن نوعية الجامعات والمعاهد فى منسك. كان يفضّل دراسة العلوم الإنسانيّة، لا التقنيّة، ولأنها تخرجت فى معهد منسك للغات الأجنبيّة، فقد كانت تعرف ناساً واقترحت إمكانيّة قبوله هناك. مثل تلك الفكرة أثارت انتباهه، لكن بعد يومين جاء وقال،" لدى وظيفة فى مصنع أجهزة الراديو ذلك فى الشارع الأحمر" كراسنايا أولبتسا كان اسمه ـ الشّارع الأحمر(*).

١١ يناير

أزور مصنع أجهزة الراديو حيث سأعمل. هناك، أقابل مهاجراً أرجنتينيًا اسمه ألكسندر زيجر، ولد كيهودى بولندى، هاجر إلى الأرجنتين عام ١٩٣٨ ثم عاد إلى بولندا وطنه (الآن جزء من بيلاروسيا) عام

(*) الشارع الأحمر . اسم شارع شهير بمنِسك.

١٩٥٥ يتكلّم الإنجليزية بلكنة أمريكية. اشتغل فى شركة أمريكية فى الأرجنتين. هو رئيس القسم، مهندس كفء فى نهاية الأربعينيات، مهذّب وحبّوب. يبدو أنّه يريد الإفصاح عن شىء لى.

من كرونولوجيا الكى. جى. بى

13.01.60طبقاً للأمر رقم (N6(12.01.60 كان أوزوالد يعمل منظِماً، بالمرحلة الأولى، فى الورشة التجريبية فى مصنع راديو منسك.

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الثامنة صباحاً للثانية عشرة صباحاً يوم ١٣ يناير ١٩٦٠.

فى الثامنة جرى الترتيب لإجراء مراقبة بعد خروج العمّال من مصنع الراديو حيث يعمل الآن لى هارفى.

فى الرابعة والنصف إلا خمس دقائق غادر لى هارفى مصنع الراديو، وقصد شارع كراسنايا وزاخاروفا باتجاه محطة الترولِلى باص، حيث استقل واحداً بالطريق نمرة ٢ ودون أن يتكلم مع أحد بلغ محطة فولودارسكوجو، نزل هناك واتجه إلى الفندق. كانت الخامسة مساءً حين دخل لى هارفى الفندق. قصد حجرته مباشرة...

فى العاشرة إلا خمس دقائق غادر لى هارفى حجرته بالفندق ونزل إلى المطعم، حيث جلس إلى طاولة شاغرة، وطلب وجبته من نادلة، تناول عشاءه ثمّ

دفع، عاد إلى حجرته عند العاشرة و النصف إلا خمس دقائق.

لم يغادر حجرته. عند الثانية عشرة توقّفت المراقبة حتى الصباح التالى.

حسب إيجور إيفانوفيتش، لم تفعل الكى. جى. بى. شيئاً بشكل مباشر بشأن اختيار مكان عمل أوزوالد أو مكان سكنه، فمثل تلك الأمور كانت خاضعة لإشراف مجلس الوزراء، لذا لم تُشاور الأورجانز حتى، كان أمراً سياسيّاً، لا يهم مدى دقِّة رجال إيجور بالعمل فى ترتيب مكان له، لمحة من مساعيهم يمكن مع ذلك أن تصل لأوزوالد وتفسد قضيتهم. الآن، عموماً، وقد مُنح وظيفة متدرّب مناوب بجوريزونت (أفق /مصنع الراديو) وكان قادراً على استعمال تجهيزات الراديو ومعدات الاتصال، يمكن القول إنّ ذلك لم يضر بأهدافهم، فلو كان عميلاً تلقى تدريباً خاصاً، يجوز أن يُلاحظ فى بيئة المصنع مستوى خبراته التى يملكها فى التعامل مع معدات الراديو تحت ظروف مُختلفة. آنذاك، كان مصنع أفق فى منسك غير خاضع لتأمين عال، على الأقل ليس فى ورشة أوزوالد، وعموماً، تعاون مصنع الراديو هذا، بعض الأحيان، مع منظمات سوفيتية سريّة، فيجوز أنّه قُصِدَ من ذلك ملاحظة ما إذا كان أوزوالد قد يحاول التغلغل داخل شبكات العمل الفريدة هذه.

كان مصنعاً ضخماً، يشغل ربما ربع فى ثُمن ميل، وبداخل بواباته كانت تنتشر الشوارع والسقائف

وثلاثة وأربعة مبانى ورش بالمصنع ارتفعت فى سنين مختلفة، عدد وافر من المبانى والأزقة وعربات النقل والشحن وشوارع شركة ليست تذكارية حسب الشكل القديم، وتشبه محترف أفلام متقوِّض بعض الشىء.

١٣ إلى ١٦ يناير

أعمل مراجعاً، سمكرى، نظير ٧٠٠ روبل شهرياً، عمل سهل جداً. أتعلم اللغة الروسية بسرعة. الجميع الآن ودودون وعطوفون. أقابل الكثير من شباب الروس ممن بنفس عمرى. لديهم شخصيات متنوعة. جميعهم يأمل التعرّف على هويتى، حتى أنهم يقترحون لقاءً جماعياً أتمكن من الكلام فيه. أرفض بأدب.

ـ ٤ ـ

أوزوالد على دِكته

في باكورة العشرينات من عمرها، عملت كاتيا في مصنع راديو أفق لست سنوات. ولدت في مزرعة تعاونية ولا تزال تفتقر لإحساس بنت المدينة، لذا فهى هادئة جداً، لكن لا تزال جميلة رغم نحولها وخجلها الشديد، وهى لم تتكلّم أبداً مع أوزوالد، فقط راقبته. الآن، أكثر سمنة، أمّ، وأكثر جرأة لكنها كانت جبانة آنئذٍ. عام تلو الآخر، كانت تكدح مرتدية ثوب المصنع الأبيض ومنديلاً على شعرها كى لا يسقط داخل أى جهاز، وكان المصنع يوزع الثوب و المنديل، وحين جاء أليك إلى ممشاها، لم تندهش كاتيا، محض شاب يشبه قومها، دون زيادة.

عدا مسألة واحدة، كان هذا الأمريكى يشكو دائماً من إحساسه بالبرد. كان الجو فى ورشتهم

دافئاً، لكنه كان يقول دائماً إنّه يشعر بالبرد فى الخارج، كان العمّال يضحكون منه حين كان يتكلّم؛ فلغته الروسيّة كانت بالغة السوء ما كان يدفع الناس للضحك، لا الاستهزاء، بل بودّ. كان يحاول نطق كلمات وتخرج خطأ، فيضحكون.

سونيا، التى عملت بالقرب من كاتيا، كانت أيضاً حسنة المظهر فى شبابها، حتى مع اضطرارها للذهاب للعمل فى المصنع عام ١٥٩٢ حين كانت فى السادسة عشرة. لدى أمّها خمسة أطفال وموقف مالى صعب، لذا فقد رحلت من أجل العثور على عمل، لكن فى عام ١٩٦٠ كانت سونيا قد كُلِفت بورشة المصنع التجريبية حيث كشفت عن درايتها بما تفعله.

ذكرياتها الأولى عن لى هارفى أوزوالد أنّه يوم وصوله، أحاطه رجال من ورشتها فى دائرة وراحوا يستفسرون منه هل لديكم أبقار فى أمريكا؟ هل لديكم خنازير فى أمريكا ؟" كان عاجزاً عن فهم كلماتهم، لذا خاطبوه بلغة الإشارة مقلدين أصوات حيوانات، فضحك.

ما تتذكره أنّ أوزوالد كان شخصاً ذا هيكل عظمى ضيق و رقبة قويّة، أجنبى، ولم يحمل أى امرئ ضغينة تجاهه ـ محض أجنبى، جرى التعامل معه على هذا الأساس.

ستانسلاف شوشكيفيتش سبق ورأى بعض الأمريكان، لكن هذا النمط بدا مصوغاً حقّاً على

الطريقة السوفيتية. كان يلبس قبعة فراء جندى روسى وكانت تلائمه جداً، قبعة فراء رمادية نموذجيّة، وقد كان يلبسها بارتياح كبير.

كان هذا بوقت ما فى فبراير ١٩٦٠ وقد أنهى شوشكيفيتش مؤخراً دراساته العُليا فى جامعته، وقد زعم الموظفون المرموقون فى المصنع أنّه على دراية جيدة بالإنجليزية، مع أنّه كان فى الواقع يجد سهولة فى التعامل بالمواد المكتوبة عن التخاطب. لذا، فبعد يومين من وصول أوزوالد للمصنع أول مرّة، جاء الرّفيق ليبزين سكرتير الحزب الشيوعى فى المصنع، رجل ضخم، سواء بالنظر لمزية حجمه الشخصى أو لأهميّة موقعه، ليقول إنّه يحمل لشوشكيفيتش رسالة شفهية من الحزب: علّم هذا الرجل لغتنا الروسيّة. حتى الآن، كانت أى لقاءات لشوشكيفيتش مع أمريكان تتم عبر مؤتمرات علمية أو ندوات، وهذه هى ربما المرّة الأولى التى يحظى فيها بعلاقة مباشرة، وهكذا كانت نوعاً من التسلية بالنسبة إليه، وهو يذكر الكثير من تفاصيلها. لم يكن شوشكيفيتش عضواً فى الحزب، لكن مع ذلك تلقى تدريباً وتلقيناً كى يدرك أنّ الأمريكان لطالما مثّلوا خطراً ضئيلاً لكن ملموساً: يمكن أن يفشى المرء نماذج ما من معلومات مهمة دون أى انتباه يُذكر. من جانب آخر، كان قد كُلِف رسمياً بتعليمات حزبية أنّ يدرِّس اللغة الروسية لهذا الرجل، وهكذا يمكنه التواصل مع أمريكى دون أن يسفر هذا عن أى ضرر لحياته الخاصة. لقد كان ستانسلاف مستثاراً.

ربما ما قلل من المشاكل المُحتملة أكثر هو التنبيه عليه بالعمل مع روسى آخر كان يتكلم اللغة الإنجليزيّة أيضاً. كان الحزب لا يرغب بوضوح فى أن يكون شوشكيفيتش وأوزوالد بمفردهما، فمع كل شىء، كان شوشكيفيتش واحداً من كبار المهندسين ممن طوروا عدداً من الأجهزة الجديدة، وقد تصادف أن عمل بالمصنع فحسب من أجل التحقق من الشروط الأساسية لأطروحته، فقد كان على المرء امتلاك خبرة عملية فى مشروع صناعى قبل الحصول على درجة الدكتوراه.

عموماً، كانت الدروس تجرى فى حجرة بالطابق الثانى بعد العمل، وكان أوزوالد يأتى لزيارته من مبنى آخر فى مجمّع منشآت المصنع، كانت أولى تعليمات ليبزين لشوشكيفيتش،" لا تناقش أى شىء يتعلّق بحياته قبل أن يجىء إلى هنا"، نتيجة لذلك، لم يخوضا أبداً نقاشاً شخصيّاً، بل انكب شوشكيفيتش فحسب على العمل على الأفعال وأحياناً كان يحاول أن يُعلّم هذا الأمريكى الروسية الدارجة.

لم يبد أوزوالد على الإطلاق متوتراً أو غير ودود، لم يكن مثيراً للشكّ، بل متحفظاً، ولم يعبر أبداً عن عرفانه بالجميل بدروسه، وهو نادراً ما يهم. لم يرق لشوشكيفيتش؛ فكونه قد نشأ على معتقدات قديمة، كان يعتقد أنّ لا أحد يمكن أن يكون أسوأ من خائن، إنّ رجلاً غير وفى لطرف سيخون الآخر لا محالة. عموماً، كان تكليفاً رسمياً، وقد عنى بألا يدع أوزوالد يتعرّف على رأيه الخاص.

على أية حال، لم يبدر عن أوزوالد ما يبدّل وجهة نظر شوشكيفيتش، فلا أبدى الأمريكى سعة أفق ولا انفعالاً ولا بدرت عنه ابتسامة، وقد تواصلت دروسهما دون حماس كبيْر، ووجد أوزوالد الروسية لغة صعبة.

بلغ نقطة يمكنه عندها الفهم إذا تكلّم شوشكيفيتش ببطء، مستخدماً الإشارات، كاتباً الكلمات فوق قطع من الورق وأحياناً استعمال قاموس. فى الواقع، كان يتمنى خوض مزيد من الحوارات معه بالإنجليزيّة، سوى أنّ علاقتهما كان عليها أن تظل بوجه واحد، لم يحدث أبداً أن قلق شوشكيفيتش بشأن إمكانيّة اكتشاف أوزوالد أسراراً تقنية عبره، كان ليعتذر، سوى أنّه كان يعد نفسه ذكياً ولم يدر بخلده قطّ أنّ أوزوالد من الممكن أن يحصل على معلومات منه.

ولا لبرهة تطورت أى مشاعر شخصية، كان أوزوالد دائماً شديد النظافة والتأنق، وفى حين كان أغلب الناس يحرجون من لبس قبعة فراء جندى، كان أوزوالد يعرف كيف يضبطها فوق رأسه، يجوز كيّفها وفق نمط ما سائد، لكنها لم تجعله يبدو كرجل نبيل.

أخيراً، كان شوشكيفيتش منزعجاً بسبب الفتى، فأوزوالد كان يحصل على راتب جيد دون أن يبدو عليه أنّه يكدّ فى العمل شأنّه شأن آخرين كانوا يحصلون على راتب أقل، ويتذكّر شوشكيفيتش التفاته لأحد مساعديه وقوله   اسمع، لدينا عمل كثير اليوم

ونحن فى حاجة للإسراع، لماذا لا نعطى هذا الشىء للأمريكى ونجعله يساعدنا؟" سوى أن مساعده أجاب، لا يبدو أمراً مستساغاً، لن يكون عملاً صائباً

هذا كل ما يمكنه تذكره، يقول ستانسلاف شوشكيفيتش، وهو الآن رئيس السوفييت الأعلى فى جمهورية روسيا البيضاء المعروفة سابقاً ببيلاروسيا.

لم تبدأ ستالينا بتعليمه القليل من الروسية؛ لأنّه لم يدفع لها كوبيك واحداً، كانت ترشده أثناء اصطحابها ابنتها للتمشية فى عربة أطفال بملعب منسك الرياضى الضخم، على بعد كيلومترين. كان يُحبّ الأطفال و يستمتع باللعب مع طفلتها، سوى أنّه كان شخصاً مُعقداً جداً وسريع التأثر للغاية، لدرجة البكاء أحياناً وأحياناً أخرى يوصد عينيه كليّة، دون انفعال. مع ذلك، كان يدعوها أمه، مع أنّها كانت لاتكبره سوى بسبع أو ثمانى سنوات.

حين بدأ العمل أول مرّة، تعوّد على الرجوع من العمل شديد الإنهاك لدرجة كانت تمنعه عن عمل شىء، هالكاً فحسب، لا يجد فى نفسه القوة حتى للصعود للطابق العلوى حيث حجرته، بل يأتى إلى مكتبها ويرتمى فوق كرسى بذراعين ويقول أماه، أنا منهك جداً ولا أملك حتى القوة للصعود وأخذ مفتاحى كى أفتح باب حجرتى

كانت تقول له:" طيب، لقد جئت لهذا المجتمع كى تبنى الاشتراكيّة، لذا لا يجب أن تشعر بالإنهاك، بل بالفخر .

وليقول:" بدءًا أريد بعض الطعام والراحة ثمّ يجوز أن أقدر على بناء الاشتراكيّة وكان يُظهر حذاءه المتواضع والبالى ويقول:" اسمعى، الجو بارد فى الخارج، وحذائى متجمد أيضاً وقد تصادف أن كانت هناك موظفة أخرى فى إنتورست، وقد أردف:"تريدين أن أعطيك هدية؟ هذا الحذاء هو هديتى فهكذا ستعلمين أية أحذية بالية يلبسها الأمريكيون" لكن المرأة قالت:" لسنا فى حاجة لهدايا مماثلة، فنحن نرتدى ملابس بالية طوال حياتنا، لا شىء جديد لدينا"

ـ ٥ ـ

أصداء من جيتو(*)

دُفِنَ والدا ماكس بروخورشيك أحياءً فى الجيتو اليهودى بمنسك أثناء الحرب العالمية الثانية حين كان ماكس بالرابعة، فربّاه عمه الّذى كان روسياً، لا يهودياً، والّذى صار عمه عبر زواجه من خالة ماكس. ماكس نفسه لم يسمع الكثير أبداً عن الجيتو الّذى وُلِدَ به، لم يكن شيئاً أراد معرفته، فما زالت ذكراه تؤذيه، وحين كان أقاربه يحاولون إحاطته علماً، كان يقول:" لا أريد الإصغاء ، مع ذلك، كان الجميع فى منسك يعرفون. مابقى من ذلك الحى شارع ملتو وحيد ينحدّر أسفل تلّ، لا يزال يضم مبانى خشبية قديمة وفى نهايته حديقة عامة شديدة الصغر، يجوز مساحتها عشرون فى ثلاثين قدمًا، يتوسطها تجويف ضخم تركوه حين نقلوا كل الأجساد المدفونة فى هذا المكان.

(*) جيتو: حى اليهود (المترجم).

عام ١٩٤١ أُقتيد مائة يهودى أو يزيد بالمدافع الرشّاشة ثم دفنوا هناك، كان بمقدورهم رؤية الأرض لا تزال تتحرّك حتى والتراب يُهال فوق اليهود، ظاهرة سببها مقاومة اليهود تحت. لكن رويداً رويداً، ضعفت تلك الحياة، وخمدت الأرض هناك دون حركة.

هذا العمّ الروسى، الّذى انضم للمقاومة، أنقذ ماكس من الجيتو، لكنه تعرّض للقتل فيما بعد على يدّ الألمان، وأرملته، خالة ماكس، كانت لا تزال لديها شقيقة أخرى قتلها الألمان، وبالتالى تسلل زوجها والّذى كان روسياً غير يهودى، إلى داخل منسك ليتزّوج من خالة ماكس. بهذا، بقيت هذه الأسرة معاً، وبحلول شتاء عام ١٩٤٢ كان عليهم رغم ذلك مغادرة منسك والفرار إلى غابة نائية حيث مكثوا حتى عام ١٩٤٤ ليرجعوا بالأيام الأخيرة فحسب من وجود الألمان هناك. لم يتم إبلاغ أهل ماكس بالمعلومات بشكل دقيق، فحسبوا أنّ القوّات السوفيتية قد عادت فعلاً وأنّ منسك قد تحررت، وبدلاً من ذلك جاءوا بالكاد قبيل رفع الحِصار. وقت خطير. كان الألمان يقصفون ما تبقّى من المدينة و كذلك السوفييت، وأثناء عودة عائلة ماكس مشياً على الأقدام، كانت القنابل تتساقط.

كانوا فى أواخر يونيو، وقد عثروا على شقيقة والده الحقيقى وقد بدت وكأنها زعيمة عصابة، امرأة شديدة الخشونة كانت تحرز وثائق روسية مزورة لتحمى نفسها من كشف هويتها اليهودية، وبعد أن

تبادلوا العناق جميعاً، كان ماكس وعائلته قد بلغ بهم التعب ذروته فى ليلتهم الأولى هذه لدرجة أن ناموا على الأرضية دون حِراك فى حين كانت القنابل تتساقط فوق كل الخرائب من حولهم.

بعد يومين من القصف، دخلت ثلاث دبابات سوفيتية منسك فى التاسعة صباحاً، وبغتة خيّم صمت شديد، صمت مريع، وتوقّع الجميع حدثاً جللاً. فى البدء حسبوا أنّها دبابات ألمانيّة، وفجأة راح الصبية يصيحون، لكن الجنود السوفييت بقوا فى الداخل، كانوا شديدى الحذر، وكان المدفع بدبابتهم الأماميّة لا يزال يتنقّل ببطء من جانب لآخر أثناء حركة تلك المركبات. ثمّ، رأى الجميع شاحنات وطوابير من الدبابات تتلوهم، وألقى جنود فى تلك الدبابات خبزاً للأطفال متى صادفوا مجموعة منهم تلوِّح لهم.

عموماً، لم يكن ثمّة ضجّة تُذكر صاحبت تحرير منسك؛ فالجبهة الأماميّة كانت فى ذلك الحين نائية إلى الغرب من منسك و التى كانت تحت الحصار لأسابيع قبل أن تستسلم .

لم يشعر ماكس بشىء لدى رؤية الأسرى الألمان، ومن كل تلك الفترة حين كانوا يعيدون بناء منسك برفقة هؤلاء الألمان، يتذكّر القليل. ما يذكره تحديداً كان إحساسه بالجوع؛ فآنذاك لم يكن ثمّة ما يكفى، ولم يتوفر الطعام إلا فيما بعد، بواكير الخمسينيات حين أتيح فى النهاية ما يكفى الجميع. كان فى السابعة عشرة، وقد ذهب للعمل فى مصنع ينتج

الحافظات و السترات، وهناك مكث حتى انضم للجيش الأحمر.

بعد تجنيده عام ١٩٥٦ خدم ثلاثة أعوام ونصف كجندى مشاة فى منغوليا، وحين خرج من الخدمة عمل فى مصنع أفق. كان قد اكتسب خبرة مهنية ما من خدمته بالجيش، لذا كانت وظيفته فى الورشة التجريبية غير مألوفة.

بعد يومين من ذهابه للعمل، صادف لى أوزوالد، يتذكّر ماكس هذا التاريخ باعتباره فى نهاية يناير، حيث لم يكن يعرف أحداً، وقد خُصص له مكان للشغل وأدوات و عرف ما عليه فتفحّص كل شىء على مِكبس التخريم خاصته واختار أقطاراً مناسبة. فى وقت الغداء أحسّ أنّه حُرّ بشأن الخروج و التدخين، وكانت ممارسة مقبولة بين العُمال أنّه لو غادر واحد منهم دكِّته، كان على المرء التمهل حتى يرجع الغائب ويوافق قبل أن يستعمل المرء ماكينته، لكن حين رجع ماكس كانت كل مُعداته قد تبدّلت والقطعة الخاصة التى كان يعمل عليها مفكوكة. كانت أول وظيفة لماكس، وقد أراد الكشف لكبير العمّال عن مهارته. أشار رجل كان يعمل بالقرب من هذه الماكينة إلى أوزوالد: " هو من فعل ذلك "وكان أوزوالد يقف مولياً ظهره إلى ماكس فتحسس كتفه وقال: " ماذا تفعل؟"، فشرع هذا الزميل فى الكلام بلغة ليست روسية، وأصيب ماكس بالصدمة والذهول، فقد عجز عما فهم ما كان يجرى، ثمّ التفت هذا الزميل وحاول زحزحته، لا دفعه، بل زحزحته فحسب،

لكن ملامحه كانت تنم عن غضب. يجوز كان يوماً سيئاً بالنسبة إليه، هو الآخر، وأصدر هذه الإيماءة كأنّه يقول:" تنحَّ جانباً" ويجوز أصابت تلك الإيماءة ماكس بالغضب أكثر، فأخذ هذا الرجل من تلابيبه، وهو كما يُقال:"أمسكه من صدره" ودفعه إلى عمود، ثمّ أحاط بهما الآخرون وفرقوا بينهما إلى أن جاء سكرتير الحزب بالمصنع، ليبزين، يهتف ليأخذ ماكس معه للطابق العلوى لرؤية مدير ورشته، حيث شرح ليبزين أنّ هذا الزميل الّذى أمسك بصدره قد جاء من أمريكا.

بعدئذٍ أحضرا أوزوالد لفوق وعرّفا به وقالا إن ماكس عليه أن يعتذر. كانا مهذبين فى هذا الشأن لكنهما قالا:" إنّه جديد هنا ولا يعرف قواعدنا، لذا تأسف؛ فأنت من بدأ" ولم يكن ماكس يرغب فى الاعتذار.

فى تلك الأثناء، قعد هذا الزميل فحسب و كأنه لا يهتم، ولا يفهم ما يجرى، وماكس قال سأعتذر، لكن لن أصافحه، سيستغرق الأمر وقتاً حتى نتصافح"، كان ماكس غاضباً جداً، وقد أخبراه:" أنتما متساويان. هو أمريكى و أنت روسى، وكلاكما عاملان
لكن ماكس أردف، لقد ارتكب خطأ فى حقّى وعليه دفع الثمن". يجوز لو كان أوزوالد يتكلم اللغة الروسية، كانا قد تكلّما فى هذا الشأن، لكن هاهما كانا يوجهان ماكس ناحية وضع غريب. وهكذا، سوَّى الأمر بأن نهض وحطّ كفّه فوق صدره وأحنى رأسه، لا جسده ـ

أحنى رأسه، ولأن أوزوالد لم يكن يفهم هذه اللغة، فقد ظن أن ماكس كان يعتذر، وظل ساكتاً، ثمّ غادر برفقة ليبزين. كان هذا كل ما جرى بين ماكس وأوزوالد لفترة ما.

***

كانت ستالينا تعرف أنّه لا يُفترض أنّ يكون لديها مثل ذلك الاحتكاك مع أجانب، فطلبت من مترجمة أخرى، تانيا، أن تخرج برفقته. كانت تانيا تتكلم الإنجليزية بطلاقة، وقد اقترحت ستالينا أن يدعو أليوشا تانيا إلى فيلم .

عموماً، كشف اللقاء عن تعقيد، ففي حين كانت تانيا تواكليّة ومفرطة التأنّق، مع أنّها لم تتلق تعليماً جيداً على وجه الخصوص ـ يقيناً ليست امرأة من الإنتلجنتسيا(*) ممن قد يرمقون أوزوالد من أطراف أنوفهم، بل كانت في الواقع تعيش مع أمّها البوّابة ـ مع ذلك، يعجز المرء عن القول إنّ لقاءهما الأول سار على ما يُرام، فقد دعا أليوشا تانيا لمشاهدة فيلم، لكن كان ثمّة دارا سينما في ذات الفناء الضخم، وقد ذهب لواحدة في حين كانت تنتظر قرب الأخرى. باليوم التالي، جاء إلى ستالينا وقال:" أماه، ما نوعيّة الفتيات اللائي تعرفينى بهن؟ لقد خدعتني ولم تأت" وبدورها قالت تانيا :" لم يحضر"، لكن في اليوم التالي اتفقا على اللقاء بالسينما الصيفية، لكن آنذاك تبين أنّ في منسك داري سينما صيفيتين، بالاسم نفسه، لكن عند

(*)الإنتلجنتسيا أهل الفكر أو النخبة المثقفة.

طرفى المدينة، وهكذا تكرر الموقف السابق، وراح يغلى من الغضب، أماه، إنّها تهزأ بى

لكن فى النهاية تحقق اللقاء، وشرعا بالخروج معًا، لكن بعد أسبوعين، جاء إلى ستالينا وقال:" أى نوع من النساء دفعتى بها لى؟ لقد حاولت تقبيلها، فقالت :"لا تقبيل. فى البدء سنتزوج ثم نُقبِّل بعضنا"

من رصد الكى. جى. بى.

أُنجِزَ من السابعة صباحاً للحادية عشرة مساءً يوم ٣٠ يناير ١٩٦٠

فى السابعة والنصف صباحاً غادر لى هارفى الفندق و مضى إلى محطة فولودارسكوجو، واستقل ترولى باص، طريق نمرة واحد، ودون أن يتكلم مع أحد ذهب إلى ميدان بوبدى، نزل واتجه إلى شارع كراسنايا وزاخاروفا حيث عمله. كان فى شغله حوالى الثامنة إلا ربع.

فى الثانية وخمس دقائق غادر لى هارفى المصنع وهرول إلى ميدان بوبدى، واستقل ترولى باص نمرة ٢ كان قادماً، واشترى تذكرة ودون أن يتبادل الحديث مع أحد ذهب إلى فولودارسكوجو، حيث نزل وبلغ فندق منسك فى الثانية و عشرين دقيقة.

فى السادسة إلا خمس دقائق، نزل لى هارفى إلى ردهة الفندق و اتجه إلى الحلاق حيث قصّ شعره، وعاد إلى حجرته.

لم يغادر حجرته حتى الحادية عشرة. توقفت المراقبة عند هذه النقطة حتى الصباح التالى.

تتذكّر ستالينا أنّه قبل انقضاء أسابيعَ كثيرة، لاح أنّ أليوشا قد عثر على صديق يتكلّم الإنجليزيّة، طالب طبّ اسمه تيتوفيتس كان بلا ريب يتكلم الإنجليزيّة بطلاقة، وغالباً كان هذا الزميل يأتى الفندق للزيارة، وكانا يخرجان معًا. لذا بدأ أليوشا يصير على سجيته أكثر قليلاً، لا مثل الأيام القليلة الأولى، حين كان، كما يُقال:" ليس فى طبقه . بعدئذٍ بأسبوع أو اثنين، رأت ستالينا أليوشا مرّة برفقة صديق آخر، رفيق حسن المظهر أشقر الشعر اسمه بافل جولوفاتشيف. فى منسك، كان العديد من الناس بما فيهم ستالينا قد سبق وسمعوا عن بافل جولوفاتشيف لأن والده كان جنرالاً معروفاً فى القوات الجويّة، وقد صار وأليوشا الآن صديقين.

طبعاً، كان ثمّة اهتمام كبير بأليوشا باعتباره أمريكيًا، أمريكى حقيقى، وعزباً، وكانت النساء حتى يجئن إلى الفندق ويسألن، كيف يمكن لنا أن نلتقى هذا الفتى؟.

ـ ٦ ـ

بطل مرتان

كان عمل ستيبان فاسيليفيتش على أوزوالد دائماً يخضع لفحص إيجور المتأنى؛ فقد يفشل كاشف فى رؤية تفصيلة ما فى ميعادها، لذا لم يرض إيجور بما كان ستيبان يقدمه من تقارير، بل كان يدقق من أجل إعطاء توجيهات محددة.

لم يرغب إيجور فى أن يشير لحيازته عدداً كبيراً من المهام الأخرى التى كان عليه الإشراف عليها، لذا فمن المهم إدراك أنّه فى حين كان يواصل مراقبة كل مشروع، كان على كل كاشف معايشة حالته، ومراكمة كل الحقائق وإصدار التقييمات ثمّ يخلص إلى اقتراحات بفعاليات من شأنها توضيح وجهة نظره. لذا كان ستيبان يقود القضيّة.

"الآن طبعاً، اُرتكبت أخطاء   قال إيجور،" أحياناً كانت تصرفّاتنا لا تستهل فى الموعد المناسب، وبعض تصرفات أوزوالد لم تُمنع، لا شىء، بشكل واضح، يمكنه بلوغ حدّ الكمال .

فى مرحلة مبكرة ـ ولا تزال ناتئة فى ذاكرة إيجور ـ حدث أن لم يتخذ ستيبان خطوات لحجب أوزوالد عن فتى بالثامنة عشرة فى مصنع الراديو اُتفق أن كان الابن الوحيد لجنرال بالطيران كان قد تقلّد مرتين نوط البطولة بالاتحاد السوفيتى، وهى منحة شديدة العلو. لكن ابنه بافل، كان يُعد ذا   طبيعة مشاكسة   وكان يتعامل بأنشطة حقيرة فى السوق السوداء، لذا كان ثمّة خشية مما يمكن لعميل مؤهل أن يفعل مع جولوفاتشيف الشاب ـ يجوز حتى تجنيده إلى التفكير الغربى.

جاء ليبزين، الرجل الضخم المسئول عن البيئة الإيديولوجيّة الملائمة، ماشيّاً فى ممر بافل و قال:"أى شخص هنا يتكّلم الإنجليزيّة قليلاً ؟" وتصادف أن كان بافل هو من يتقنها، لم يُطلب منه، كان بإمكانه القول أنّ لا يعرف، لكنه أومأ برأسه، فاصطحبه ليبزين للقاء أوزوالد على طاولة عمله، وهناك كانا يتصافحان.

درس بافل اللغة الإنجليزية بالمرحلة الخامسة وحتى العاشرة وطبعاً، لم يكن هذا بالكثير. كان انطباعه الأول عن أوزوالد كأنّه قائم خارج الأرض نتأ بغتة فى مصنعهم. حسناً   قال بافل لنفسه، لو أنّه

ليس شيطاناً، فهو محض رجل. سيتكشف هذا بمرور الوقت، لكن لا شيء منفر بشأنه

فضلاً عن أنّه فى تلك الفترة كان خروشوف قد استهل حملة من أجل السلام و الصداقة، كان المجتمع منفتحاً، وكان على المرء الاحتفاظ بتفاصيل ذلك العهد. لذا، كان بافل موجوداً باليوم التالى من أجل التعارف، يقف حاملاً قاموس جيب ولى أوزوالد بجانبه حاملاً قاموساً آخر، طبعاً، دون أن يعرفا أن رفقتهما ستكون مهمة يوماً ما، فلم يسجّل بافل ملاحظات. لكن بعدئذٍ، لسنوات عديدة تالية، أراد نسيان الأمر برمته، الأمر اللعين كله، هل تفهم؟ لم يحتفظ فعلاً بالأمر فى ذاكرته، وهو الآن لا يتذكّر الكثير ولا يرغب باختلاق قصص، بإمكانه تلفيق حكاية عن خروجه برفقة أوزوالد لالتقاط الفتيات، لكن هذه حكاية أخرى.

كان بدرجة أكبر يصطحب أوزوالد فى جولة بأرجاء الورشة ومساعدته على التواصل مع العمّال الآخرين حين يستدعى الأمر شرح وظيفة ما. فى البدء، عموماً، كانت مفردات هذا الأمريكى فى حدّها الأدنى، وكان على بافل أن يشرح كلمة مثل "يتساقط" عبر أخذ علبة ثقاب وإسقاطها من كفّه، وهكذا علّم لى أغنية، أوراق متساقطة

عدد قليل من العمّال من عادى أوزوالد، ليس إلا عدد ضئيل، منهم واحد اسمه فيكتور،

أخـرق(*) شـخـص مـتـوسـط الحـجـم قـوى الـبـنـيّـة، تـعـوّد دائماً على الهتاف، هؤلاء الأمريكان إمبرياليون ـ لو كـان لـدى مـدفـع رشـاش لـكـنت أمـطـرتـهم جـمـيـعـاً بـالـرصـاص ، أحـمق حـقـيـقى.كـان لـدى فـيـكـتـور صـورة واضـحـة لـعـدوه، ومـرّة اخـتـار الـعـراك مـع لـى مع أنّهـمـا تـفـرقـا عـلـى الـفـور. ذكـرى بـافـل هـى أنّ لـى لم يـكن مشاكساً، محتمل كانت لديه مثل تلك الصفات مخزونة داخله، لكن جسمه لم يكن ضخماً.

طبعاً، لو كان فيكتور قد تمادى أكثر، كان بافل سيتدخل، كان هذا أقل ما يمكنه عمله، ففى حين لم يدع أوزوالد "صديقاً فهذا فحسب لأنّ هذه الكلمة فى الـلـغـة الـروسـيـة شـديـدة الـقـداسـة لـدرجـة أنّك لا تـتـخـلـى لـصـديـقك فـحـسـب عـن قـمـيـصـك الأخـيـر بل وتـكـون مـسـتـعـداً لـلـمـوت فـداءً له، إذا فـكّـرت بـالأمـر هكذا، فمن الواضح أنّك لا تملك الكثير من الأصدقاء. فى الواقع، تـكـون مـحـظـوظـاً إن كان لـديك صديق. كل الآخـريـن "زمـلاء وبـذلك المـعـنـى كـان أوزوالـد زمـيـلـه، يجوز أكثر، لكن لا يزال ليس صديقه.

فى الواقع، لفترة طويلة لم ير بافل لى كثيراً إلا أثناء العمل. لم يتمشيا معاً ولا تسكّعا معًا. كان على بافل الالتحاق بوظيفة فى المصنع لكسب سمعة جديدة تـكـفـيـه لـلالـتـحـاق بمـعـهـده. كـان بـافل قـد طُـردَ من الـكـومـسـومـول، لـذا حـين غـادر مـوسـكـو مُـتـجـهـاً إلـى مـنـسـك، كـتـبـت مـدرسـتـه الأخـيـرة مـوجـزاً من شـأنه إدخاله السجن إن كان محظوظاً.

(*) فى الأصل zhlob وهى كلمة من أصل بولندى (المترجم).

بإمكانه القول بالتالى أنّه لفترة طويلة كان يرى لى أثناء العمل فحسب، وكانا يلتقيان مرّة كل فترة على الغداء أو فى بيت واحد أرجنتينى اسمه زيجر، لكن هذا كان كل شىء، ولأن المسافة المادية بين طاولتهما كانت لا تزيد عن خمسة أمتار، فلم تكن لديهما الرغبة أبداً فى اللقاء بعد انتهاء الدوام، وعموماً كانا قادرين على تبادل الكلام مع بعضهما أثناء ساعات العمل كل يوم، وإن أراد أوزوالد الخروج ليلاً، فإلى أماكنه المخصوصة، هرّ يمشى وحده.

فى ليلة من ذلك الشتاء، و لم يمر أسبوعان عقب لقائه مع لى، اعترض غريب طريق بافل أثناء عودته من العمل للبيت، هناك، أمام مدخل عمارته مباشرة، كشف الغريب عن بطاقة هوية من الكى. جى. بى.

قال بافل:" هل يمكننا الصعود إلى شقّتى والكلام هناك ؟ نحن فى الشتاء

قال الغريب:" لنتكلم هنا

كان الجو قارس البرودة مع ذلك، و كان بافل متجمّداً، فأقنع الرجل بالصعود للطابق العلوى.

تبادلا الحديث فى حجرة بافل، حيث أخرج زائره حوالى خمس صور فوتوغرافيّة واستهل بقوله، هل تعرف هذا الرجل؟" وراح يتفحّص كل صورة من الصور الخمس، فقال بافل:" كلا، لا أعرف أيّاً منهم. من هؤلاء؟" وجاءه الردّ، مجرمون فى حقّ الدولة"، عندها رمقه الزائر بقسوة، وكأنّه كان على معرفة وثيقة بهم.

قال بافل:" لا أرغب أن تهدر وقتك؛ فأنا لم أقابل هؤلاء الرجال أبداً طوال حياتى، إنّه لمن الغريب أن تسألنى تلك الأسئلة

عندئذ، أظهر الرجل من الكى. جى. بى. صورة فوتوغرافيّة لأوزوالد وقال:" كما تعرف، فقد اضطلعت بعلاقة مع هذا الرجل الأمريكى بكل سهولة، لكن يطيب لنا أن نصارحك أنّ وطنك الأم يطلب منك الآن منحنا بعض المعلومات كى نعرف أى نوع من الرجال هو. نحن فى حاجة لمساعدتك". لم يراود بافل شعور المواطن الصالح، لكنه علم يقيناً أنّهم سيحصلون على التعاون. كان طلباً، لكن الناس الأكبر منه سناً يصبحون عصبيين إن رأوا بطاقة كى.جى.بى. فى يدّ أحدهم، وكان فى الثامنة عشرة ومذعوراً درجة الموت. كان ذلك، ليقول بافل، بديلاً قوياً للالتزام أن تصير مذعوراً درجة الموت.

لم يلق بافل أبداً نظرة على ساعته أثناء هذه المقابلة، لكن لابد وأنّها استغرقت ساعة، شغلتها أسئلة كثيرة، وقد ظل رجل الاستخبارات السوفيتية يراوغ فترة طويلة قبل أن يبلغ موضوعهما الرئيسى، ثمّ راح يُفسِّر، أوزوالد من بلد آخر، بلد مُعاد ، ما كان من الممكن أن يكون كلامه أكثر وضوحاً. لابد وأنّه فى ضعف عمر بافل، قصير، مكتنز، عيناه ثاقبتان - بيلاروسى أصيل ممن لا يكشفون أية مشاعر أو انفعالات، محض رجل أنيق بوجه مدوّر هادئ وأنف مستدق نحيل وطويل، وعينين داكنتين ضيقتين بحدّة

أنفه. كان يعتمد على تلك الأنف التى لاحت و كأنها تمخط كل شىء غير حقيقى كان بافل يقوله.

لم يهدد بافل على العموم بل قال بلهجة تقريرية: " من وقت لآخر يطيب لى أن التقى بك. اسمى ستيبان فاسيليفيتش

بالنسبة لإيجور يمكن قولها الآن ـ ثمّة مراقبون مُكلفون بأن يصيروا أذيالاً لأوزوالد، وآخرون مكلفون بالعمل معه ليصيروا رفاقه وأصدقاءه. كُنّا مهتمين على وجه الخصوص بالتحقق مما إذا كان يبحث عن احتكاك شخصى بعميل آخر، ورؤية ما إذا كانت ثمّة إشارات للقاء جرى ترتيبه سلفاً

طبقاً لخطة إيجور، فثمة أطروحات شتى فى سبيلها للخضوع للاختبار، لاكتشاف إذا كان أوزوالد يبحث عن أسرار فى تشكيلة اقتصادية وسياسية وعسكرية، علاوة على طلبهم التعرّف إذا كان قد طوّر أية وسائل اتصال باستخبارات أجنبية عبر الراديو أو القنوات البريديّة أو الرُّسُل. لتحاول الاستخبارات السوفيتية أيضاً استكشاف إذا كانت لديه أية وسائل للكتابة بالشفرة يمكن استعمالها فى كتابة رسائل سريّة. كان إيجور إيفانوفيتش نفسه مستعداً لتفحّص رسائل أوزوالد، إن أرسل خطاباً، من أجل التيقّن أنّه ما من كتابة كيميائيّة بين السطور. بعدها، حين اشترى أوزوالد جهاز راديو، فحصوا هذا الجهاز، وكانوا دائماً متيقظين لإشاراته القادرة على التواصل عبر شفرات خاصة.

لم يتكشّف شيء مثير للريبة في أول شهرين، لكن لو كان أوزوالد عميلاً للاستخبارات الأمريكيّة، فبلاشكّ لن يقوم بأية تحركات سريعة. أحياناً، يقوم رجل عادى بأمور تثير الشكوك، غالباً يحدث هذا، لكن حتى هذه الشكوك التي لا أساس لها لم يثرها أوزوالد. بدراسته عن قرب، راح يخامرهم شعور أنّه على الأقل شبه كسول واقتصادى جداً؛ فهو لا يشرب ولا يدخن ويرتاد المسرح والسينما حسب ميزانيته، وله دخل ـ حوالى ـ سبعون روبلا شهرياً من العملة الجديدة(*) زيادة على سبعون روبلاً أخرى شهرياً من الصليب الأحمر، أو مائة و أربعين روبلاً إجمالاً. عنى ذلك، فى النهاية، ألف وأربعمائة روبل شهرياً حسب المعايير القديمة، وهو مبلغ جيد، فستيبان مثلاً كان يتقاضى فحسب ثمانين روبلاً من العملة الجديدة وكان بالنسبة إليه كافيًا كى يستمر بالعيش. لم يكن ثمّة، مثلاً، هاتف فى شقّة أوزوالد ولم تحصل الاستخبارات السوفيتية أبداً على ما يفيد رغبته فى هاتف. فى تلك المناسبات حين كان يريد عمل مكالمة، كان يخرج إلى هاتف عمومى. كان من الأفضل لو رغب

(*) الروبل هو الوحدة الأساسية للعملة الروسية. وفى عام ١٩١٩ صدر أول روبل سوفيتى على شكل ورقة مالية رسمت عليها صورة لينين ابتداء من الورقة المالية بقيمة ١٠ روبلات. شهد العهد السوفيتى إصلاحيات مالية عديدة. وصار الروبل السوفيتى يعادل ٩٨٧٤١٢ جرامًا من الذهب. إلا أنه لم تتوفر إمكانية حقيقية لاستبدال الروبل بالذهب، وفى ٢٦ يوليو/ تموز عام ١٩٩٣ بدأ فى روسيًا الاتحادية الإصلاح المالى الذى تمخض عن إصدار روبل روسى جديد وإيقاف تداول الروبل فى الاتحاد السوفيتى.

بواحد لنفسه، سوى أنّهم كانوا يعجزون عن توصيله من أجله، وهل كان بوسعهم ذلك؟.

من تقرير الكى. جى.بى. : ١٨ فبراير ١٩٦٠

عبر وسائل المراقبة الشخصيّة و فى حوار، لم يلحظ "ل أن أوزوالد يثير شكوكاً فى تصرفاته. لم يكن مهتماً على وجه الخصوص بعمله، وغالباً ما كانت تصدر عنه تعليقات مثل:" لماذا علىّ نشر هذا المعدن بهذا المنشار، أنا لا أنوى أن أصير مهندساً. حلمى الحقيقى هو تعلّم لغات أجنبية وإتقانها" (لم يذكر أيها على وجه التحديد) . متحفظ فى كلامه، يجيب عن الأسئلة بإيجاز بطريقة رابطة الجأش.

مرّة وفق "ل ، هو وأوزوالد كانا يقرءان خطاب أيزنهاور فى صحيفة البرافدا. فى خطابه، حاول أيزنهاور التدليل على تخلّف الاتحاد السوفيتى التقنى مقارنة بالولايات المتحدة، وأجاب أوزوالد أن أيزنهاور كان يكذب، ذلك أن الاتحاد السوفيتى لم يكن أقل تقدماً من الولايات المتحدة.

تقريباً لم يتكلم أوزوالد أبداً عن حياته فى بلاده، وكيف وصل هنا. أحياناً، أثناء استراحة غداء كان يتبادل كلمتين أو ثلاث مع الشباب، فتية وفتيات، ويقارن بين الحياة فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، لكن فى هذه المواقف أيضاً كان يتكلم بإيجابيّة عن وضع العُمّال فى الاتحاد السوفيتى.

* * *

فى تقارير أخرى، عموماً، سرعان ما برهن أوزوالد على كونه عاملاً همتى دمتى(*) لم يتعامل مع وظيفته جيداً، واستطاع إيجور رؤية أنّه لم يكشف عن اهتمام يُذكر، وقد أسفر سلوكه وموقفه عن تذمّر باقى العمّال.

ولأنّ إيجور و ستيبان لم يكونا راضيين عن صورته باعتباره شخصاً ضئيل الشأن، فقد تداولا مسألة إذا كان عقله طبيعياً تماماً. من جانب آخر، كانا منتبهين إلى احتمال أن يكون كل هذا محض ادعاء، ومرّة أخرى، عملا على فرضيتين متناقضتين إمّا أنّ أوزوالد كان جزءاً من خطة استخبارات أجنبيّة، أو أنّه ما هو إلا شخص يعانى بعض المشاكل النفسية، وراحا يدرسان مواقف من شأنّها، لو كان لى هارفى أوزوالد جاسوساً، أن تجعله يفضح هويته.

على سبيل المثال، الآن وقد أسس علاقة مع بافل جولافاتشيف، ليراقب إيجور وعملاؤه أوزوالد وجولافاتشيف ؛ ليروا إن كان الأمريكى سيحاول استغلاله كتكأة للكلام، للحصول على وصلة لوالد بافل، الجنرال الّذى كانت لديه دراية بأسرار كُبرى.

"لعلمكم قال بافل لمحاوريه بعد ثلاثين عاماً، لدينا كفاح طبقى وضغينة طبقية، لكن لدينا أيضاً

(*) Humpty Dumpty واحد من أشهر الشخصيات الخيالية فى الأدب العالمى، وهو على شكل بيضة، وقد وردت فى قصة (Mother Goose) علاوة على أنها وردت فى قصة آليس فى بلاد العجائب.، كما أنها واردة فى الأدب الفرنسى تحت اسم Boule Boule وفى الأدب السويدى باسم Lille Trille.

ضغائن عاديّة. البشر بطبيعتهم حسودون " كان الناس دائماً يفصحون له،" آه، كم أرغب لو كان لدىّ أبوك. لكنت نابليون، لكنت أدرت الأرض من حولى لو كان عندى أبّ كأبيك! ، حتى فى المدرسة، حين كانوا يلهون جميعاً ويتساوون فى ارتكاب خطأ كسر قاعدة ما، كان بافل من تقع عليه اللائمة. قدّم هذا الكلام كخلفية للكلام عن أبيه، لقد حطّمت الحرب جزءًا ضئيلاً من جهاز الجنرال العصبى. بأمانة، أحبّ والده أطفاله، لكن بأمانة أيضاً كان طاغيةً بدرجةٍ ما. شخص عسكرى حقيقى: كانت لديه إرادة لعمل كل شىء بدقة وكما يجب، وفى حين وُلِدَ بافل، يقول، ديمقراطياًّ.

أثناء الحرب الوطنيّة الكبرى، كان والده نقيباً، مقاتل طيّار فى طائرة بمقعد واحد، كوبرا، وأغلب مهامه كانت تغطية طائرات القصف، لكن حين قرأ بافل سجلات أداء رحلات طيران والده، رأى أن والده فى أربع أو خمس مرّات اختار الإقلاع لمجرّد التصيّد الحرّ

كان الطيّار يُزكّى لنجمته الذهبية الأولى كبطل للاتحاد السوفيتى إذا أسقط خمس عشرة طائرة ألمانية، ومن أجل الثانية، كى تتقلد نوط البطولة للاتحاد السوفيتى مرتين، عليك أن تفى بنوع متطرف من الصنيع البطولى، شىء فريد فى أبعاده. مثلاً، حين رأى واحد من القوّاد، أن أحد رجاله كان عليه عمل هبوط اضطرارى فى ميدان، تدبّر أن يخفض طائرته

بمحاذاة مركبة زميله المعطلة، عندئذٍ صدّ بعض المشاة الألمان فترة كافية لحمل الطيّار المُصاب والعودة للطائرة للإقلاع. لأجل هذا الصنيع تلقى نوط بطولة الاتحاد السوفيتى للمرّة الثانيّة.

كان والده قد فاز بمعركة جوية على ارتفاع أحد عشر ألف قدم، لكن ذخيرته نفدت، ومع ذلك نجح فى إسقاط طائرته المناوئة عبر ضرب ذيلها بمروحته، بعدها دمّر نفسه، وتدبر العودة بأمان، ما جعله يحصل على نجمته الذهبية الثانية.

صار والده عضواً بالحزب، وكان هذا حتمياً كواجب وطنى أثناء الحرب العالمية الثانية، لكن فيما بعد، لم يعرف بافل أبداً ما إذا كان والده قد أحس بخيبة الأمل فى الحزب أو أنّه كان فخوراً به، فلم يتكلم أبداً بهذا الشأن، طبعاً لم يكن ثمّة الكثير من النقاشات العائلية فيما يتعلق بتلك الأمور. ونظراً لنظام الحزب الواحد، كان المرء لا يتخلى عن عضويته فى الحزب، وإن فعل فهو يتخلى عن كل شىء ليصعد مباشرة إلى السموات.

من جانب آخر، نصح والده بافل بالالتحاق بالكومسومول. إن عشت وسط ذئاب، فعليك أن تعوى مثلهم. لذا فوالد بافل لم يكن منشقاً، ولم يرغب أن يكون بافل هو الآخر منشقاً، لكن ما من أنشطة سياسية فى البيت، كان موقف أبويه هو: اقرأ لنفسك ولا تتكلم عمّا قرأته.

فى حين لم يرق لوالده أن يعطيه مصروف جيب، لم يضع أبداً قيوداً على نفقات الهوايات التقنيّة. وهكذا، كان بافل يشيد نماذج طائرات وسُفن، وكان أبوه يشترى أى شىء ينفع لتنمية مهاراته التقنيّة. بلا ريب، لم يحسّ أبداً بالحرمان من حُبّ أبيه ولا أمّه.

مع ذلك، كون والده رجلاً عسكرياً، كانت أسرته دائمة التنقل، وخلال عشر سنوات، بدّل بافل مدرسته إحدى عشرة مرّة، كان فى مونينو ثم ريجا ثمّ توكومز، ثمّ إلى شبه جزيرة كولسكى، وفى الأكورتى، مونينو، الأكورتى مرّة أخرى، ثمّ موسكو مع ربيع ١٩٥٧ إحدى عشرة مدرسة خلال عشر سنوات. وهو على وشك إتمام المرحلة العاشرة، انفصل عن أسرته عائداً إلى منسك، ومنذ ذلك الحين، كان يعيش بمفرده.

لكن ما سبب خيبة أمل غير مُعلنة لوالده، هى نفوره من مهنة الجيش. عام ١٩٥٦ أثناء الثورة المجريّة، عرض التلفاز أجساد الروس التى مزقها المجريون أشلاءً، لكن بعدها بعامين، عام ١٩٥٨ كان يعيش فى موسكو بنفس الطابق فى عمارتهم السكنية جنرال آخر، خدم ابنه فى المجر، وأخبر هذا الضابط الشاب بافل كيف كان يقود دبابة أثناء الانقلاب، وكان عليه وقد تحلّقت حوله حشود مجريّة، تحريك دبابته بسرعة كى يخرج وبعدها كانت أحشاء الناس عالقة فوق دواساته. حين رجع هذا الضابط الشاب إلى موسكو، كان بالضبط فى نفس لون طائر أبيض، حمامة. لم يكن صديقاً مقرباً، لكنه بدّل حياة بافل يقيناً.

كان بافل قد انخرط فى نقاشات مع والده بشأن مهنة الجيش، لأنّه فى إحدى من المدارس العُليا حصل على المركز الأول فى مسابقة إطلاق نار، وأبوه مبتهج طبعاً، أراد أن يواصل بالقوات الجوية، لكن فى أسرته لا أحد يجبرك على عمل شىء، وما حسم الأمور بالنسبة لبافل حتى أكثر من دوّاسات الدبابة كان وجود شقّة جيدة فى منسك مفتوحة له. كان والده باعتباره واحداً من أبطال جمهورية بيلاروسيا القوميين ـ وكان ثمّة أربعة جنود فحسب بيلاروسيين المولد ممن حصلوا على نوط بطولة الاتحاد السوفيتى مرّتين ـ قد مُنح بيته الصغير كتكريم خاص، وقد استبدل والدا بافل ذلك البيت بشقة تطل على الحلقة الكُبرى لميدان النصر، أربع غُرف مهيبة فى عمارة صُممت لصفوة منسك، بسقوف عالية.

حين انتقل بافل للحياة هناك، كانت خالته تشغلها فعلاً، والتى كانت طبعاً برفقة ابنيها، لكن كان ثمّة متسع لبافل.

كان مهتماً بتكنولوجيا الراديو، لذا كان العمل فى مصنع أفق أقرب لاهتماماته، مع أنّه وجد المصنع بدائياً إلى حدٍ ما. كانت المعرفة الحقيقية مُتاحة فحسب فى مدرسة الهندسة العُليا، وقد أراد الحصول على تعليم تقنى أكثر تقدماً، وفى حين كان العمّال المؤهلون جيداً يتقاضون أجوراً أعلى ممن حصلوا على درجات علمية أعلى (وهو بالنسبة لبافل كان تفاوتاً نموذجياً فى نظامهم السوفيتى) إلا أن تعلّم المرء يوسّع أفاقه.

كان بافل قد شاهد فيلما فرنسياً اسمه،عواقب الخوف، عن وصول مهندس إلى قرية نائية حيث كان أهلها يخافون الأرواح، وكان من المفترض بهذا المهندس التحضير لانفجار من أجل بناء سدّ، لكن الجميع كانوا يخشون من وضع الديناميت بسبب غضب الأرواح، وهكذا كان على المهندس وضع الديناميت بنفسه.

أراد بافل أن يكون هذا المهندس، رجل يقدر على عمل أشياء لا على الورق فحسب بل بيديه. كان يعمل جاهداً، وكانت لديه ثلاثة فصول دراسيّة؛ حيث كان عليه لا القيام بأعمال المصنع فحسب بل الحضور بمعهد البوليتكنيك فى منسك ، سبع ساعات عمل يومياً بالمصنع، ستة أيام فى الأسبوع، وبرنامج أكاديمى أربع ليال أسبوعياً. وهكذا، حين يحين أوان الجنس، كان عليه انتظار الصيف، فحينئذ هو وأصدقاؤه يتم إرسالهم فى مهام زراعية ويتحررون من ربقة الآباء. لم يكن يُمارس الجنس فى المقعد الخلفى فى سيارة أمريكية، علّق بافل، بل فى الهواء الطلق فى حقل أثناء جمع الفطر. طبعاً، فى تلك الأيام، كان لايزال لديه شعر ذهبى وشقّة رائعة، حجرة كاملة له وحده، لكن نظراً لعمله الشاق، لم ير الكثير من الفتيات، خصوصاً فى الشتاء. لا فى الليالى القارسة البرودة حيث كان رجل مثل ستيبان، رجل الاستخبارات السوفيتية، سيكون بانتظاره.

كانت بلاداً جامحة، وما كنت لتعرف أبداً كيف عساها تكون استجابة والديك. مرّة، ربط بطرس الأكبر(*) فلاحاً إلى دُبّ و رمى بهما معًا فى بركة، وقد وقف الجميع فى الجوار يضحكون. أغوت بافل مسألة إخبار والده عن زائر الكى.جى. بى.، لكنه قرر ألا يفعل ؛ فقد يتهوّر والده شأن بطرس الأكبر.

١٦ مارس

أتسلّم شقة صغيرة، حجرة صغيرة ومطبخ وحمام جنب المصنع، تطل على مشهد رائع..للنهر، بإيجار بسيط جداً. إنّها حلم روسى.

كان تصرفاً فريداً من نوعه، فكّرت ستالينا، منحه شقّة؛ فمصنعه، شأنه شأن كل مشروع صناعى آخر، لديه عُمّال على قائمة الانتظار، لذا كيف وثب إلى المقدمة ؟ ضمّت قائمة الانتظار هذه جنوداً، ومرضى، وعائلات كثيرة العيال، خُذ فى الحسبان أيضاً عدد سنوات العمل فى المصنع.

آنئذٍ، عقب انتقاله، لم تعد ستالينا تسمع عنه إلا نادراً، فى الواقع، لم تسمع عنه كلمة لأكثر من عام، حتى إبريل ١٩٦١.

مثلاً، لم تعرف بشأن زوجته حتى هذا الحين، عندما جاء أليوشا لزيارتها بعد عام كامل، وقال

(*) بطرس الأول أو بطرس الأكبر (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥م) قيصر روسيا (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥م) جعل من روسيا دولة أوروبية ذات شأن (المورد).

:"أماه، سأتزوج فقالت، كيف يتأتى ذلك؟ أنت لاتعرف الروسيّة كفاية، فكيف تقدر على التواصل مع هذه المرأة ؟ هل تعرف هى اللغة الإنجليزيّة؟"

ابتسم أليوشا وقال :"عبارتان : أطفئ النور، وقبّلنى من فضلك"

أقرّ إيجور أنّ أوزوالد قد تلقّى شقته بناءً على قرار المصنع، لا دخل للأورجانز. طبعاً، لم يكن يسيرًا العثور على شقق، لأنّه كان أمريكياً يطلب حقّ اللجوء السياسى، فقد قررت السلطات العُليا توفير أفضل منزلة له، و نما شعور أنّ المؤسسات السوفيتية عليها الكشف عن جانبها الإنسانى له.

كانت ثمّة تعليمات أيضاً من مركز موسكو إلى فرع الكى.جى.بى. فى منسك أن،" وجهوا أوزوالد للاتجاه الصحيح ، ما معنى ذلك ؟، ردّ إيجور، حين نتحقق من شخص، سواء أكان لاشتباه فى التجسس أو نشاط معاد ضد الاتحاد السوفيتى، لا ننحى جانباً مقدرتنا على اختلاق فرد صالح منه إذا جاز التعبير. وبلا ريب، حين جاء أوزوالد إلينا للتعرّف على الشيوعية وطريقتنا الاشتراكية فى الحياة، كان هذا الجانب من المشكلة أيضاً واجب الاعتبار، لأنّه لو كان حقّاً قد جاء إلى هنا كى ينخرط فى تحسين الاشتراكيّة، آنئذ كان علينا إرشاده فى هذه المسألة، لهذا السبب مُنحٍ لى حصة شهرية إضافية من الصليب الأحمر مساوية لراتبه، وشقّة ووظيفة، لتمكينه من اكتشاف موقعه فى نظامنا الاشتراكى.

نحن لا نتمنى حصر تفكيرنا بالجانب السيئ وحسب، بل نوفر له بعض الإمكانات الحقيقية كى ينطلق بالاتجاه الصحيح

عموماً، كان افتقاره الرغبة بالعمل، يتسبب فى إثارة الشكوك. العمل حتمى لنا، وغياب مثل تلك الرغبة من شأنّها انتزاع مصداقيته بخصوص شغفه ببلادنا قال إيجور.

طوال فترة إقامة أوزوالد فى الفندق، لم يدعُ بافل أبداً إلى هناك، وأغلب احتكاكهم الشخصى البارز فى تلك الأيام الأولى كان حين تسلّم أوزوالد شقّته فى منتصف مارس، وقد ساعده بافل وزميلان آخران فى نقل بعض الأثاث، وجاءت مترجمة من إنتورست اسمها تانيا معهم. لم يكن بافل على وجه الخصوص مندهشاً لمسألة منح أوزوالد شقة بشرفة ومنظر جميل، تحت الحزام كما يقولون، أعطوها له، لكن ذلك لم يؤثّر فى بافل، فعموماً، كانت ظروفه المعيشية أكثر إرضاءً بكثير.

كان مطبخ أوزوالد صغيراً، ولم تتجاوز حجرة المعيشة خمسة أمتار فى ثلاثة بحيث تعجز عن وضع أكثر من سرير فيها، سرير مصنع. بالنسبة لهذه المسألة، كانت الطاولة والكراسى أيضاً من المصنع، وطبعاً لم يدفع كثيراً. إيجار بسيط جداً، وحسب بافل، رمزى، وكانت لديه شرفة صغيرة تطل على واحد من أحلى مناظر منسك. أسفله أربعة طوابق وبالجانب الآخر من شارع كالينينا ضفّتان خضراوان بهيجتان

لنهر سفيسلوخ، نهير يجرى متعرجاً بمحاذاة حديقة جميلة، كم هو نهر هادئ ولطيف يستحق شعراء مجيدين، وقد امتد بمحاذاة ضفّة شارع كالينينا، وبذلك، كانت عمارة أوزوالد السكنيّة أنيقة، مهيبة حتى من الخارج وقد زينت واجهتها أعمدة عالية تؤطر الشرفات، وكانت تقع مثل شقّة بافل فى أرقى جزء بالبلدة. كانت لا تضم الكثير فحسب بداخلها.

ـ ٧ ـ

حفلات فى شقة آل زيجر

ما كان بافل، حسب كلامه، ليخرج كثيراً ذلك العام، لكن لى استماله للقاء أسرة أرجنتينية كان يعرفهم يدعون بآل زيجر.

استمتع بافل بزيارة شقّتهم. كان آل زيجر يقدّمون للمرء فنجان قهوة أو كأس نبيذ بأكثر الأساليب تهذيباً، فوق صينية. ما كانوا يسلكون مثل الروس، وكان الجو العام مريحاً. بالإضافة للأب والأم، كان ثمّة بنتان وحبيباهما وشباب آخرون. جو مثير ومُبهج، مع أنّ أول مرّة تذوّق فيها بافل نبيذ الطعام عند آل زيجر كان غير حلو بالمرّة إلى درجة أنّ كل الروس كانوا يلوون أفواههم، وكان فى منسك، أغلب النبيذ حلواً.

أواخر ذلك الصيف، تعودت بنتا زيجر على أخذ حمام شمس بالبكينى فى شرفة شقّتهم، ما صدم

جيرانهم. كانت فضيحة فى كل أرجاء العمارة، فآل زيجر لم يكونوا أجانب فحسب بل يهوداً، بذلك كان الخزى مزدوجاً.

حسب بافل، لم يخرج بجديّة مع أى من البنتين، لكن حينئذٍ، لم تكن بنتا زيجر من نوعه المُفضل. كانت أنيتا ضخمة جداً، هائلة العظم، وابنة زيجر الكُبرى، التى يجوز كانت مناسبة للى، كانت متزوجة فعلاً، كان اسمها اليونورا. فى رأى بافل، كان لى يحبّ الفتيات المنمنمات اللائى ملؤهن كبرياء ورِقّة. بعدها، لتصير إيلا ثمّ مارينا، وكلتاهما فتاتان أنيقتان نحيلتان ورقيقتان.

لوهلة فى حفلات آل زيجر، تراءى أنّ أوزوالد مهتم قليلاً بألبينا، فتاة بدينة، دائماً فى جوار آل زيجر، لكن حينئذٍ تذكّر بافل أنّه فى شبابهم عام ١٩٦٠ لم تكن ألبينا بدينة كما هى الآن، ولا كان شعرها ملوناً بلونه البرتقالى الجامح كما بالوقت الحاضر، كلا، كانت طويلة ورشيقة وشقراء، وتملك صدراً شاباً قوياً، لذا كانت جذّابة لكثيرين.

الآن، كانت ألبينا وعائلتها قد مرّوا بفترة عصيبة أثناء الحرب وصاروا فقراء بعدها مع كثير من الشدائد، لكن مع نهاية الخمسينيات حسّنت الحياة من نفسها قليلاً، وصارت ألبينا تعمل فى مكتب بوسطة منسك العمومية حيث قابلت أنيتا زيجر. تقول ألبينا إنّ الشباب كانوا دائماً يهزءون بطريقة لبس

أنيتا، كانت تلبس أحذية بكعب عال وبنطلونات فضفاضة، وكونها أرجنتينية، تراءى أنّ أنيتا تقدر على رقصة تانجو، الّذي كان بمقدورها فعلاً.

قابلت ألبينا الدون أليخاندرو زيجر و زوجته أولاً، ثمّ أنيتا، فى مكتب البوسطة، حين تلقّى آل زيجر طروداً من الأرجنتين وكانت ألبينا موجودة فى مساعدتهم بتمرير تلك المواد عبر الرسوم والتصاريح البريدية، والإجراءات البيروقراطية الأخرى، ولابد أنّها أنجزت الأمور كما يجب، لأنّ آل زيجر قاموا بدعوتها لزيارتهم و أعطوا ألبينا عنوانهم، حتى أنّهم قالوا تعالى لزيارتنا هذا الأحد، لكن ألبينا لم تذهب، فلم يكن لديها ما يكفى من النقود لتشترى لهم هدية مناسبة. فى روسيا، يأتى المرء حاملاً هدية عند دعوته، لكنها كانت شديدة الإحراج من شراء هدية رخيصة، و هكذا لم تذهب.

حين جاءت أنيتا مرّة أخرى لمكتب البوسطة، دعت ألبينا لمشاهدة فيلم. ذهبتا لفيلم ألمانى، هما الاثنتان بمفردهما فحسب، وكانت ألبينا متضايقة؛ لأنّ أنيتا كانت تلبس أفضل منها، مع أنّ أنيتا كانت أيضاً بنتاً بهيجة مرحة كثيرة المزاح، بعدها، دعت ألبينا لشقّة والديها ولم يكن ذلك شيئاً فريداً. كانت شقّتهم كعموم الشقق التى لدى الجميع، غرفة واحدة، فآنذاك، كان الإسكان لا يزال أمراً شاقاً، لذا، كان ثمّة سرير واحد فى الغرفة الوحيدة، وآخر فى الردهة وهو الّذى كانت أنيتا تنام عليه فى طُرقة

زيجر. لا شىء مميز. لم تكن ابنة زيجر الأخرى، إلينورا تعيش برفقتهم آنذاك، كانت متزوجة وتقيم فى بلدة بتروفسك حيث تظن ألبينا، أنّ أقارب زوجها كانوا يعاملونها بصورة سيئة. وهكذا، تدبَّر دون أليخاندرو الحصول على شقّة من حجرتين وزار بتروفسك واصطحب إلينورا لترجع معه، ولم تعد قط إلى زوجها، حيث حصلت على الطلاق أثناء إقامتها فى منسك، امرأة نحيلة بهية الطلعة جميلة الصوت.

كانت هذه الشقّة الجديدة مُزخرفة بشكل مختلف عن الشقق الروسية، مدخل لاتينى أمريكى قالت ألبينا، سريرهم ضخم، أحضروه من أمريكا الجنوبيّة، لأنّ الروس لا يصنعون أسرّة ضخمة للشعب، سرير شديد الروعة آنذاك، كان ثمّة نقص فى كل شىء، وكان آل زيجر هؤلاء عمليين جداً، وقد جلبوا معهم أيضاً الفرش من أمريكا اللاتينية، وكان هو الآخر، شديد الروعة، تزينه خيوط وضّاءة وورود مُطرّزة، وزهور أخرى، كل شىء. كانوا أيضاً يحيكون السترات ويبيعونها لبعض الروس ممن يعرفونهم. كانوا قد جاءوا بصناديق بالغة الضخامة ملؤها جلد طبيعى وقد قصّوا هذه الصناديق وباعوا أجزاءها لصانعى الأحذية. لقد كان دون أليخاندرو رجلاً ذا براعة ودهاء.

كان فى شقّتهم بيانو داكن اللون، وكانت أنيتا تعرف عليه كل المقطوعات سوناتة ضوء القمر ،"أغنية البحارة شيفالدى وتشايكوفسكى وكثير من الألحان

الأمريكية اللاتينية، بما فى ذلك التانجو. أيضاً، كان لدى آل زيجر راديو وجرامفون فى جهاز واحد. كانت هذه المرّة الأولى لألبينا أن تكون فى بيت به كل هذا القدر من الموسيقى والتسجيلات والحياة والحيوية وهذا القدر من المرح. قررت ألبينا أنّ ثمّة امرأة أخرى بداخلها، كائن بشرى آخر يسكنها ملؤه الفضول بشأن العالم بالخارج، وقررت أنّه يطيب لها السفر والتواصل مع البشر.

كان لآل زيجر أصدقاء ممن هاجروا أيضاً من الأرجنتين، وكانوا فى الحفلات يغيبون فى الذكريات بشأن المحلات الجميلة فى بيونس أيريس والشوارع البهيجة التى تعودا على المشى بها. لكم يشتاقون لبلادهم! ولأنّ أنيتا التحقت بكليّة موسيقيّة فى منسك و كانت تستضيف أصدقاءها من هناك، كانت حفلات الأسرة دائماً موسيقيّة وملؤها مثل هؤلاء الناس المشوقين. واحد منهم تبين أنّه لى هارفى أوزوالد الّذى كان الجميع يدعونه أليك. كان دون أليخاندرو قد دعا أليك من مصنع الراديو حيث يعملان معاً، وراحت ألبينا تُغرم بأليك هذا أكثر وأكثر. كان وحيداً، وشاباً، وبحلول مارس صارت لديه شقّة لطيفة، وحين أخذها لتتفرج عليها، أحسّت ببعض الحزن؛ فهى نفسها لم يكن لديها شقّة مماثلة قطّ طوال حياتها. لذا، فقد كان لديه الكثير للإحساس بالدلال، ويجوز هذا هو سبب غياب إحساسه بالحماس حيال وظيفته، لكن بعدها أفصح لها مرّة،" كل أولئك الفتيات أروق لهن،

وحين أعبر الفناء يتحلقن جميعاً ويهتفن : أليك، أليك".

لا تعترف ألبينا أكان أكثر صعوبة أن تقول له لا، أكثر من باقى الرجال، لكنّها بلا شكّ تستطيع التسليم أنّ أليك لم يكن يحب أبداً أن يتعرّض للرفض، حين كانت تقول له لا فى شقّته، كان يُطقطق أصابعه ويقول اللعنة !" بالإنجليزية. "اللعنة! " كانت تعرف تلك الكلمة. لم يكن يسرف فى إبداء الغضب حين يكون منزعجاً. كان يلمسها ويقول،" آه يا غبيّة، أنت لاتدركين ماهية السعادة وهو تعبير روسى.

يجوز كان مُحقّاً، فقد خسرته لاحقاً دون شكّ، وليس حتى لأجل امرأة أخرى. لقد أحسّت وكأنّها خسرته لأجل رجل، لا كما فى الروايات الغراميّة، بل لأنّ هذا الرجل تمكن من توفير حفلات أخرى و ناس آخرين، وربما لأنّه كان يستطيع الكلام بالإنجليزيّة جيداً.

كان صديقها أرنست تيتوفيتس ـ إن كان صديقاً. كانت قد ارتادت المدرسة الثانوية مع أرنست الّذى كان يُسمى أيضاً إيريك، وحدث عبرها، أى ألبينا، أن قابل إيريك أليك، لأنّها كانت تعرف تيتوفيتس منذ كان فى الخامسة عشرة، وأحياناً فى المدرسة كانا حتى يتقاسمان الطاولات معاً.

لطالما حسبت إيريك شخصاً غريب الأطوار قليلاً، ولا شئ يتعلق به ظريف، لكنه كان لا بأس به.

كان بعض الطُلاب قد تعودوا على الكلام معه بوصفه متكلفاً ـ ملؤه تكلُّف، لذا لم يرق لأحد، لكن بعدها كان دائماً ما أراد أن يُظهر للمحيطين أنّه قد تحسّن، وبلا ريب كان مهتماً بالإنجليزية، طبعاً كان على الجميع معرفة لغة كهذه، لأنّ نصف العالم كان يتكلّمها، كان المرء مضطراً كى يصير فرداً ذكياً مزوداً بخلفية ثقافيّة أن يكون قادراً على التكلّم على الأقل بلغة واحدة أخرى، لكن لطالما أراد تيتوفيتس الحصول على إعجاب المحيطين بوصفه ليس عادياً، ولذا دائماً ما كان ينجز أموراً بنفسه. لم يطارد امرأة شابة أبداً، بل كان فى الغالب منهمكاً فى هواياته، كان يلعب الشطرنج، وكان مهتماً بالموسيقى، وكان يعتزم الالتحاق بمدرسة الطبّ تقريباً فى الوقت الّذى عرفت فيه ألبينا إيريك تيتوفيتس على أليك. آنذاك، حين كان آل زيجر جزءاً وضاءً جداً فى حياتها، كانت ألبينا تشعر بالأسف؛ لأنّها أقدمت على هذا التعارف، لأنّ أليك تعوّد على المجىء إلى بيتهم كثيراً و قضاء وقت طويل معها، لكن الآن استولى عليه أرنست وأخذه لأماكن أخرى. أخيراً، بعد سنة، جَلَبه أرنست حتى إلى مكان حيث قابل أليك زوجته المستقبليّة، وعندئذٍ انتهى هوى ألبينا للأبد، تبخّر.

تتذكّر أنّها بعد أن قابلت أليك مباشرة فى يناير، كانت تمشى برفقة أنيتا وصديقات أرجنتينيات أخريات وحينئذٍ، ليس بعيداً من ميدان النصر، صادفن إيريك بغتة، وقد بلغها وقال،" مرحى، ماذا

تفعلين، كيف حالك، من هؤلاء الفتيات؟" ذلك أنّه سمع أولئك الأرجنتينيات يتكلّمن لغة أجنبية، الإسبانيّة، وقالت ألبينا إنّها لا تتكلمها ولكن تصغى لها فحسب، فقال،" آه، من هذا الشخص؟ إنّه أمريكى، أليس كذلك؟ هل يمكن أن تعرّفينى عليه؟" وقالت،" لماذا تريد ذلك؟" فأجاب،" تعلمين أنّى مهتم جداً بالتمرّن على الإنجليزية. مُدرّسى للغة الإنجليزية، أذهب إليه وأسأل بعض الأسئلة، لكنها دائماً غير ملائمة بالنسبة إليه "فقالت،" معذرة، لكن علىّ سؤال الأخريات أولاً إن كُن يرغبن بالتعارف. لا أشعر أنّى قادرة على تعريفكما ببعض هنا أمام الجميع هكذا

حينئذٍ كان على أنيتا شديدة البهجة والانفتاح أن تقول،" من هذا الشّاب ؟" فردّت ألبينا،" رجل سيصير طبيباً يريد أن أعرفه على...

فقالت أنيتا:" طيب، دعيه يأتى لواحدة من حفلاتنا وسنرقص ونتكلم . كانوا مطمئنين فى شقّة آل زيجر، ربما هذا هو سبب مصادفتهم لاحقاً صعوبة فى الحصول على تأشيرة خروج من أجل العودة إلى الأرجنتين، كان ما بداخلهم على لسانهم، وكانوا أحياناً يتكلمون بصورة سيئة عن الحياة السوفيتية.

١مايو

جاء عيد العُمّال بوصفه أول إجازة لى. كُل المصانع إلخ. مغلقة. مشهد استعراض عسكرى. كل العُمّال فى الموكب وراء منصة العرض يلوحون

بالرايات وصور للسيد ك.إلخ.اتبعت العادة الأمريكية فى دمغ العطلات بالنوم صباحاً.فى الليل، أقوم بزيارة وديّة لبنتى زيجر فى حفل أقاماه (و) جاء حوالى أربعون فرداً، أغلبهم من أصول أرجنتينية. نرقص، نلهو، نشرب حتى الثانية صباحاً حين ينتهى الحفل. إلينورا زيجر، الابنة الكبرى، ٢٦ عاماً، سبق لها الزواج وهى الآن مُطلّقة، مُغنية موهوبة. أنيتا زيجر، ٢٠ عاماً، شديدة الاستهتار، ليست جذّابة جداً، سوى أننا ننسجم سريعاً. حبيبها ألفريد شاب مجرى، ساكت، كأنه راقد على بيض، لا يشبه أنيتا مطلقاً. نصحنى زيجر بالعودة للولايات المتحدة. أول صوت نقيض أسمعه. أحترم زيجر، سبق ورأى العالم. يقول حاجات كثيرة ويربط ذهنياً بين أمور كثيرة أجهلها بشأن الاتحاد السوفيتى.أبدأ فى الشعور بعدم الارتياح بداخلى، هذا حقيقى !

من رصد الكى. جى. بى.

أُنجِزَ من السابعة صباحاً فى الأول من مايو ١٩٦٠حتى الثانيّة إلا عشر دقائق صباح يوم ٢ مايو ١٩٦٠

فى العاشرة صباحاً خرج لى هارفى من البيت (نمرة٤) فى شارع كالينينا، جاء إلى ميدان بوبدى حيثُ قضى ٢٥ دقيقة فى الفرجة على الاستعراض العسكرى المار. بعدها راح لشارع كالينينا وراح يمشى جيئة وذهاباً على جسر نهر سفيسلوخ. عاد للبيت حوالى الحادية عشرة.

من الحادية عشرة للواحدة خرج لشرفة شقّته أكثر من مرّة. فى الواحدة و النصف وخمس دقائق غادر لى هارفى البيت، ركب ترولّلى باص رقم اثنين من ميدان بوبدى، وذهب للميدان الرئيسى حيث أخيراً نزل من الباص، مشى بشارعى إنجلزا وماركسا ولينينا إلى دُكان خُبز فى بروسبيكت ستالينا.

هناك اشترى ٢٠٠ جرام من كعك الفانيليا المُحلى، ثمّ مضى إلى مقهى "فيسنا" وتناول فنجان قهوة مع فطيرة فى قسم الخدمة الذاتية، وهرع إلى دار السينما العمومية. بعد أن ألقى نظرة على لوحات الإعلانات اشترى صحيفة "راية الشباب" وزار دُكّان الخُبز للمرّة الثانية، وغادره فى الحال، وأخذ الترولّلى باص رقم واحد إلى ميدان بوبدى وكان فى البيت حوالى الثانية وعشرين دقيقة.

فى الخامسة إلا عشر دقائق غادر لى هارفى بيته وراح إلى بيت رقم ١٤ فى شارع كراسنايا.(مقر إقامة مهاجر من الأرجنتين ـ زيجر).

فى الثانيّة إلا أربعين دقيقة صباحاً يجىء لى هارفى ورجال ونساء آخرون فيهم بنتا زيجر للبيت. توقّفت المراقبة عند هذه النقطة حتى الصباح.

ـ ٨ ـ

فى حبّ إيللا

كان بافل قد بدأ يلاحظ أنّ لى وامرأة اسمها إيللا جيرمانّ يقضيان وقتاً ما معًا فى المصنع، كان لى غالباً ما يكون عند طاولة عملها، ومرّات كثيرة يكونان معاً عند الغداء. لم يتكلّم أبداً عن صداقته مع إيللا، لكن فى ذلك الحين، لم يكن لى من يخوض فى سبيل الكشف عن مشاعره. بالنسبة لتلك المسألة، لم يقل مرّة إنّه نام مع امرأة، كانت ثمّة واحدة، على سبيل المثال، ضخمة مثل حصان، ماجدا، كانت سهلة المنال، البعض كان يقول إن زوجها من دفع بها لذلك الطريق. فى الورديّة المتأخرة، كان بعض العُمّال يتشاجرون على دور من يأخذ وكزة. كانت تزن مائة وعشرين كيلوجراماً ٢٦٤ رطلاً . كانت تُسمّى حصاننا، ثلاجتنا.

لا يعتقد بافل أن لى ضاجع ماجدا، لكن بإمكانه إخبارك أنّ أوزوالد لم يكن يجثو على ركبتيه أمام إيللا، فوق ذلك، مع هذا، حين يلتقى شخصان خمس مرّات أسبوعياً، فهذا يثير الريبة. كان بافل يعتقد أن إيللا كانت مثيرة للاهتمام بطريقتها، لكنّها كانت يهودية، وقد أراد بافل أن يشرح أنّه ليس مناهضاً للسامية، بل أنّها كانت فقط، بصفة شخصية، ليست من نوعيته المفضلة.

صفحة إضافية (ليست ضمن اليوميات الرسميّة)

يونيو

إيللا جيرمانَ- يهوديّة ناعمة سوداء الشعر جميلة بعينين داكنتين ساحرتين، بشرة فى بياض الثلج، ابتسامة جميلة وطبيعة خيرة لكن لا يمكن التنبؤ بها. نقيصتها الوحيدة أنّها فى الرابعة والعشرين ولا تزال عذراء بناء على رغبتها كُليّة. قابلتها حين جاءت للعمل فى مصنعى.لاحظتها وربما هويت فى غرامها من أول لحظة رأيتها بها.

الآن، وقد بلغت الخامسة والخمسين، كانت إيللا لا تزال ناعمة الحديث وشديدة الانتباه فى اختيارها للكلمات. كان لها إكليل عالٍ من شعر داكن يستحيل رمادياً، وملامح معقوفة رقيقة.

تقول إنّ طفولتها لم تكن ذات شأن، فقد كانت شديدة الجبن أثناء طفولتها، لطالما فعلت ما أُملى عليها وبقيت فى البيت طويلاً، وحتى فى مراهقتها

أخبرتها صديقاتها أنّها لا تتألف إلا من عقد، لذا، ربما، اقترحت أنّها غير ذات شأن لمشروع المحاورين الصحفيين.

تبدأ ذكرياتها فى الرابعة من عمرها حين اشتعلت الحرب، كانت تعيش فى موجيليف، وهى مكان صغير، برفقة جدّيها. أول مرّة تتعرض بلدتهم للقصف كانت مذعورة جداً درجة أنّ كل ذكرياتها المتعلقة بتلك الفترة، ضاعت. لكن جدّتها، عموماً، أخبرت إيللا بما جرى.

كانت هذه الجدّة شديدة القوّة، فى شغلها كانت تقطع أجزاء ضخمة من اللحم من الماشية، وكانت الطفلة مرعوبة من قوتها، وحين بدأ الألمان فى قصف الرءوس، "وثبت إيللا فحسب إلى حضنها ، وظلّت كما هى محتضنة عنقها لتبقى كذلك طوال اليوم. لا أحد أمكنه زحزحة إيللا، وتراءى و كأنه كان على جدّتها أن تحملها طوال اليوم. بكى أطفال آخرون، وآخرون تكلّموا، لكن إيللا كانت ساكتة، وقد علّق بعض الآباء حتى:" انظروا! الطفلة لا تبدى انفعالاً "، حسبوا أنّ إيللا كانت قوية، سوى أنّها تدرك الآن أنّها أصيبت بصدمة عصبية شديدة.

اتفق أن كانت عائلة إيللا يهودية، سوى أنّها لم تعرف شيئاً بهذا الشأن. ولدت جدتها لأسرة شديدة التدين وقد أخبرتها عن طاليس ويرمولكه، سوى أنّها لم تر واحداً منهما.

بخلاف جدّتها التى أولتها عنايتها، كانت لأمّ إيللا حياتها الخاصة، كانت عزباء آنذاك منذ موت والد إيللا، وقد أرادت ترتيب حياتها بطريقة مناسبة، كانت مُغنية بارعة جداً لكن عاجزة عن النجاح فى مهنتها. لتشتغل أمّ إيللا طوال اليوم بوظائف أخرى وفى الليل غالباً ما تكون برفقة صديقتها فى دار سينما أو ترتادان نادياً أو آخر، فى الواقع، لطالما كانت مشغولة ولم تول انتباهاً يُذكر لطفلتها. كانت شديدة الجمال ملؤها حضور، مع ذلك لم تصر لا المغنية ولا الممثلة التى تنبأ بها الجميع. وأخيراً، لتكسب نفقات المعيشة، كان عليها العمل فى جوقة، ومثل تلك المصاعب تركت تأثيرها على طفولة إيللا.

عند نقطة ما، تتذكّر أنّ أمها كانت قد طُردت من وظيفة ومكثت بالبيت تبكى أياماً. كان لديها طفلتان عليها إعالتهما وأبوان، وكان جدّ إيللا طريح الفراش، لكنه تعوّد على الخروج وشراء حاجة من واحد بثمن محدد، ثمّ يذهب للسوق ويحاول بيعها بثمن أكبر.

طبعاً، العيال عيال، لتقول إيللا، وهم فى الحقيقة عاجزون عن إدراك الكثير من الأحداث الفاجعة. فى حين تستطيع الآن رؤية أنّها كانت حياة بائسة، لكنها آنذاك لم تشعر بالتعاسة قطّ . فى مدرستها، لم يكن الأطفال الآخرون أكثر ثراء، جميعهم متساوون، وكان لديها أصدقاء والكثير من اللحظات البهيجة، كانوا يغنون ولديهم ألعاب، فضلاً عن حضور السينما دائماً فى أسرتها، كانوا يعرفون بعض الممثلين والممثلات،

وقد ناقشوا أداءهم، وما من سنة قطّ فى حياة إيللا لم تذهب فيها للسينما. بقيت أمّها غامضة، مع ذلك، حتى حين كانت إيللا فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة، كانت تجهل حياة أمّها الخاصة، ولأنّ أمّها كانت جميلة، على العموم، وشديدة العاطفية والرومانسية، فقد ظلّت تنتظر من يرقى لمستواها، "الأمير فى حياتها . يجوز هذا سبب عدم زواجها مرّة أخرى أبداً، أو لأنّه حين كان يجىء الرجال، كانوا يرون طفلتين زائد جدّين فى حجرة واحدة، وقد أرعبهم هذا الوضع من طلب كهذا.

حين بلغت إيللا سن الرشد، كانت تحبّ رقصة الفالس، لكن بعدئذٍ سرعان ما صارت هوايتها الأثيرة رقصة الفوكستر. كانت لم يسبق لها أن سمعت عن قائد الفرقة الموسيقية الأمريكى هذا، جلينّ ميللر، ثمّ بعدئذٍ رأت السيد ميللر وفرقته الموسيقية فى فيلم اسمه، فى الروسيّة، سيرناده الوادى المشمس (العنوان الّذى يمكن ترجمته أيضاً إلى سيرناده وادى الشمس) تتذكّر أنّ الفيلم الأمريكى الّذى راق لها كان، اثنا عشر رجلاً غاضبًا؛ لأنّها استطاعت المقارنة بين نظامى المحلفين فى الدولتين. بعدها، لم تعد تثق فيما يُقال لها عن أمريكا ـ أنّ الأثرياء كانوا قلّة وأغلب الشعب من الفقراء. تتذكّر أنّ الناس آنذاك كانوا يتهامسون أنّه حتى العاطلين فى أمريكا لديهم مستوى معيشى مساو للروس ممن كانوا يعملون. من جانب آخر، كانت موقنة أن حكومة الولايات المتحدة قادرة على بدء حرب.

طبعاً، لم تكن معنية لا بالتقنيّة ولا بالسياسة، وحين كانت وصديقتها تذهبان لمشاهدة فيلم، كان كل برنامج ليبدأ عادة بعشر دقائق من الأنباء تصوّر إنجازات الاتحاد السوفيتى فى الزراعة والصناعة، ثمّ يرون صورًا للمظاهرات والبطالة فى الدول الرأسمالية، كانت وصديقتها عادة ما تجيئان متأخرتين ربع ساعة، حين يكون الفيلم الحقيقى قد بدأ.

أحبّت كل أفلام ديانا دوربن ـ امرأة جميلة، قصص رائعة، ملابس لطيفة، أثاث أنيق، كانت منجذبة أكثر لهذا الجانب من الحياة أكثر من السياسة، لكن حينئذٍ، فى الرابعة عشرة، أدركت فعلاً أنّ ثمّة خطأ ما بالسياسة. تتذكّر مشيها على طول أحد الشوارع برفقة صديقة وقولها، أظن أنّ ستالين لا يدرك حقيقة ما يجرى فى البلاد؛ لأنّه يتلقى تقارير زائفة "، كانت هذه صديقة مُقرّبة وكان بإمكانهما تقاسم أفكار كتلك، فهى تعجز عن البوح بذلك فى البيت، لكن صديقتها الحميمة اتفقت معها فى الرأى، كانتا قد شهدتا بالفعل كيف كان الرؤساء الأقل يكذبون على الرؤساء الأكبر، ودائماً يعرضون الجانب الأفضل فى كل شىء يفعلونه، وكذلك من هم بمستوى أعلى عليهم أيضاً فعل الشىء ذاته مع ستالين.

لم يكن كثير من صديقاتها معنيات بالسياسة، بل كانت المواعدات مع الصبيان ما يعنيهن أكثر، ما ترك إيللا منعزلة قليلاً، لكنه كان أمراً لا بأس به.

بدأت بالخروج مع شباب فى فترة متأخرة جداً ـ بلغت التاسعة عشرة قبل أن تحصل على مواعدتها الأولى، ولم يُمثِّل ذلك لها صعوبة تُذكر، فقد عدّت إيللا نفسها بنتاً ليست حسودة، ربما ليست حسودة بنسبة مائة بالمائة، لكن فى الغالب، وقد راقت لها صديقاتها اللائى تجاوزنها، فقد كُنّ يأتين إليها ويفصحن عن تجاربهن. كانت تتعلم أمور الحياة من خلالهن، فقد كُنّ فى حاجة لمن يتقاسما معهن قصصهن. مرّة قالت صديقة:" اسمعى، أُحبُّ شاباً وأريد أن ألقاه، لكن الحكاية صعبة، فهل تأتين معى؟ سنمشى مارين بالمكان حيث يعيش وربّما نراه" وهكذا، ارتدت إيللا معطفها على الفور ومضت، فقد بدأت تدرك مدى الأهميّة بالنسبة لصديقتها فى أن تقابل هذا الشاب، ولم يدر بخلد إيللا يوماً قطّ أنّه:" ربمّا سأروق له"، كلا، بل كانت تريد أن تنال صديقتها فرصتها.

آنذاك، كانت أمّها لا تزال معبداً من الكمال بالنسبة لإيللا، وتستأثر باهتمامها الأكبر. تشفق عليها إيللا الآن؛ فأمّها لم تعش حياة طبيعية أبداً.الآن، تعيش إيللا مع ابنتها وحفيدها وتعمل مُدرِسّة وتشغلها مسألة توفير وقت لهما، فالمدرسّون دائماً مجانين قليلاً، لتقول إيللا، فهم لا يولون اهتماماً كبيراً جداً لأبناء الآخرين فحسب، بل وحين يعودون للبيت يحملون معهم كرّاسات يصححونها ولا يملكون وقتاً لأبنائهم وبناتهم هم. مع ذلك كانت إيللا تطبخ لعيالها

وتغسل لهم و تعمل من أجلهم كما طبخت جدّتها لها من سابق.

مع ذلك، أتى وقت فكّرت فيه أنّه ربما تصير ممثلة مثل أمّها، وأدت إيللا أدواراً كثيرة فى مسرح عمومى، لكن فى النهاية قررت أنّها ترغب فى الالتحاق بالجامعة.

رسبت فى امتحان الدخول على أية حال، عجزت عن الحصول على تقدير عالٍ كفاية فى اللغة البيلاروسية. كُل درجاتها الأخرى كانت جيدة جداً، لكن لم تستطع القعود وانتظار عام آخر كى تجتاز امتحان البيلاروسيّة، وهكذا فى سبتمبر، مع فتيات صالحات أخريات وفتيان، ممن لم يلتحقوا بجامعة منسك، راحت تطوف على عدد من المصانع، والتحقت بمصنع أفق كمتدربة، وطوال الوقت، كانت لا تزال تواصل محاولة الالتحاق بجامعة منسك، لكن على مدى عامين، فشلت فى ذلك. الآن وقد مات ستالين، تفشّت الرشوة، وأفصح لها بعض العاملين فى لجنة الالتحاق بالجامعة أنّه تجيئهم قوائم لمن يجب قبولهم، وإذا لم يكن اسمك فى قائمة من تلك وحتى إن كان أداؤك جيداً، سيقحمون علامات خاطئة لاختلاق أخطاء بإجاباتك. كل ما تعرفه أنّه بعد عامين من الدراسة، صارت لغتها البيلاروسيّة جيدة، مع ذلك ظلّت تتلقى درجة أو اثنتين، وهى درجة منخفضة جدًا.

مرّة، اشتركت بمسابقة لقراءة الشعر وتكلّم واحد من حُكّامها عن منح إيللا الجائزة الكُبرى، لكن حينئذٍ،

كما علِمت فيما بعد، رُفِضت لأنّها ليست بيلاروسيّة، ليست" كادراً قوميّاً ، وبالتالى، عجزت عن تمثيل منسك فى مسابقة قوميّة، كونها يهودية كان يُنظر لها بوصفها تنتمى لعشيرة مُختلفة. لم يكن يهم لو كنت يهودياً وشيوعياً أو يهودياً أرثوذكسياً ـ فأنت جزء من عشيرة أخرى ولا يمكن أن تمثّل بيلاروسيا، ما لم يعزز إيمانها.

فى مصنعها، على أيّة حال، يعتمد الأمر أكثر على من يرأس، إذا تصادف أن عمل المرء تحت إمرة شخص كان يكره اليهود، فمن الممكن أن يواجه صعوبات، دون أن يعنى ذلك أنّ الجميع كانوا مناهضين للسامية، ومع رئيس صالح، يمكن أن يكون لدى المرء وظيفة وحياة هادئة إلى حدّ بعيد، وهكذا لم تصادف صعوبات بالمصنع.

فى النهاية، حين بدأت بالمواعدة، لا تستطيع القول حتى أنّها كانت مواعدة حقيقيّة. ربّما يشترى فتى تذاكر لأوبرا ويأخذها، لكن غالباً، قبل أن توافق، ليتوجّب عليه الكلام معها شهراً بطوله بشأن الخروج برفقته. تعتقد أنّ تطوّرها كان بالغ البطء.

وقت أن التقت لى، كانت قد بلغت الثالثة والعشرين فعلاً وواعدت الكثير من الشباب. لتخرج برفقة واحد مرّتين ثمّ تدرك بعدها أنّها لم تشعر بشىء حيال هذا الشخص، فلم تتابع ؟ من جانب آخر، كان القعود فى البيت مملاً، فكانت أحياناً تخرج

بمواعدة دون إى أحساس أنّه من المحتمل أن يكون الشخص المناسب لها.

فى تلك الأثناء كانت لا تزال مصممة على الحصول على تعليم عال، وما ساعدها أنّ وزير التعليم البيلاروسى كان قد سنّ للتوّ قانوناً: إذا عمل المرء فى مؤسسة صناعيّة عامين، يوضع على رأس قائمة المتقدمين.

وهكذا، لم تلتحق إيللا بجامعة منسك فحسب بل حصلت على منحة دراسيّة، واستطاعت التحرر من شغل المصنع. بعد عامين، على أيّة حال، حصلت على درجة سيئة فى امتحان فسحبوا تلك المنحة، وصار عليها التنقّل، بالتالى، بين نهار دراسى و مدرسة ليلية، واستأنفت وظيفتها فى مصنع أفق. فى الواقع، رحبوا بعودتها، فقد كانت إيللا معروفة فى ذلك الحين بسبب مشاركتها فى حفلات الهواة الموسيقية، وقد أخبرها المسئول عن دائرة الموظفين أنّه اعتزم وضعها فى قسم ملائم حيث يتم تجميع أجهزة الراديو.

حين جاءت فى صباحها الأول، تتذكّر تعارفها على لى، الّذى ظلّ الأسبوع بطوله يرنو إليها أثناء استراحة الغداء، وكانت تعرف أنّها لو نهضت وراحت إليه وطلبت منه خدمة ما، ليروق له عملها حتى مع رغبة كثرة من الفتيات فى صداقته، وقد لاحظت أنّه حين كان يمشى على طول ممرات المصنع، كانت فتيات كثيرة تهتف: "مرحباً، أليك، مرحى! "وكأنّه يحظى بأهمية خاصة.

الآن، فى فصول مدرستها الليلية، كانت تعمل على نصّ إنجليزى ما وكان عليها إنجاز ترجمة عدد من الصفحات فى موعد محدد، فلم تكن ذريعة قطعاً أن تطلب مساعدته، بل كان ثمّة حاجة حقيقية ما، وفى حين لا يصورها هذا على نحو إيجابى، لتقول، لكنها أحياناً كانت تستغل رجالاً لإنجاز بعض الأمور من أجلها. على سبيل المثال، كان ثمّة مهندس لا يروق لها خصوصاً، سوى أنّها لم تكن ماهرة فى رسم بعض أنواع مخططات شبكات الأسلاك، فطلبت منه المساعدة، مع أنّها لا تلقى بالاً لمسألة مواعدته. بالنسبة إلى لى، عموماً، لم يكن لديها مشاعر سلبية، ولأن الأمريكى تراءى أنّه يجدها جذّابة، فلماذا لا تطلب منه مساعدتها فى ترجمة فروضها؟ فى الواقع حين سألته، ابتسم، واتفقا على اللقاء فى غرفة أصغر بعد الظهر.افترضت أنّه لن يكون ثمّة آخرون عداهما هناك، على الرغم من أنّه قد تبين أنّ عدداً من العمّال كان لا يزال موجودًا، وجلست هى ولى إلى طاولة صغيرة حيث كانت الموسيقى تنساب من جهاز راديو.

نشر لى أوراقها و أقفل الصوت دون سؤال ما إذا كان ثمّة من كان يرغب فى الإصغاء، لكن ماكس بروخورشيك كان يعمل أيضاً فى الغرفة و قد أصابه هذا بالسخط، فنهض وفتح الراديو مرّة أخرى. أقفله لى وفتحه ماكس، ثمّ أقفله لى وقال : " يا لك من خنزير روسى!" ومن ثمّ انصرف ماكس.

كان موقفاً كريهاً بالنسبة لإيللا، فأمام عمّال كُثُر أقفل لى الراديو؛ لأنها كانت مضطرة للدراسة فحسب، لكن من جانب آخر، كان على شخص صالح التربية القيام بما عمله لى بالضبط. حينئذٍ، يمكن لإيللا القول إنّها كانت فى جانب لى، ومع ذلك، لم يبد وضاءً فى البداية، كانت روسيته هزيلة وأخذ كل شىء على محمل الهزل، ضحك كثيراً، فضحكا كثيرًا، كثيرًا جداً ربما، مع ذلك، كلما اكتشفته أكثر، صار من المثير الكلام عن بلده.

لم يمض وقت طويل إلا ودعاها لمشاهدة أفلام، وكثيراً ما خرجا للتمشية وزيارة الحدائق والقعود على دكّة، كان ليغيظها: " لعلمك، أنا عريس ثرى وعندى شقّة "

كانت مواعدة أمريكى أمراً فريداً، وكان الفضول ينهشها، فضلاً عن أنّه لم يكن يثير المشاكل، ولا كان عدوانياً. كانت تلك المبادئ مُتفقًا عليها كأساس لخروجهما معاً. بعض الرجال كانوا بذيئين بخلافه، وطبعاً، لم تكن عنده مشاكل مالية، بل لقد ألمح لها مرّة أنّه يمتلك علاقات عالية؛ فقد قابل رئيس مجلس المدينة، شارابوف، " إذا احتجنا شيئاً قال لى، " لمستقبلنا، أستطيع الذهاب إلى رئيس البلدية، ونحصل على ما نريد "، فبدا لها لى شخصاً واثقاً، وبهيجاً. كان لديه حسّ المرح وكانا يضحكان كثيراً، لدرجة أن تعوّد آنذاك أصدقاؤها على تسميتها خاخاتوشكا أى الشخص الّذى يستمتع بحياته، لذا لم تصادف

صعوبات مع لى ولا خاضا بحوارات عميقة، بل تكلّما كشابين. راقت لها مضايقته، لا بثقل دمّ بل لتتحداه قليلاً.

فى غضون كل هذه الفترة، كانا يتواعدان تقريباً مرّتين كل أسبوع، لكن كانا يتناولان الغداء معاً فى الكافيتريا كل يوم، وكانا فى العادة يجلسان بمفردهما، وقد احترم الآخرون خصوصيتهما ولم يحاولوا الانضمام لطاولتهما.

لم يراودها إحساس:" آه، أتمنى لو خرجنا برفقة آخرين"، بل راق لها أن تكون وحدها معه، تلك كانت طريقتها فى المواعدة. لطالما كانت لديها مثل تلك العلاقات مع رجال، وهكذا، نادراً ما عرفت شيئاً عن أصدقائه أو من كان يراهم بخلافها.

مرّة فى المسرح، جاء رجل اسمه إيريك تيتوفيتس وراح يتكلّم مع لى، إيريك هذا لم تسقط عيناه عليها حتى، وكأنّها قطعة أثاث. هو ولى تكلّما فى حين كانت تقف قريباً، وكان لديها متسع كى تلاحظ أنّ إيريك كان فى العشرينات، أشقر وقوى البنية ووسيم، عظمتا وجنتيه عاليتان. تراءى إيريك كأنّه عارض أمريكى فى المجلات، وأنّه من الممكن أن يكون لى روسياً، أثناء محاولته استيعاب ما كان يقوله إيريك. طبعاً، كان إيريك يتكلّم نوعاً من الإنجليزيّة مما سمعته فى المدرسة، لغة مثقفين ـ مضبوطة، تقريباً غاية فى الزخرفة، فى حين كان يتكلّم لى كيفما اتفق.

كان إيريك مؤثراً، فقد كان أول شاب تقابله يستطيع الكلام بالإنجليزيّة دون أن يكون طالباً فى معهد اللغات الأجنبية، وحين علّقت على ذلك للى بعدها، قال:" أودّ لو تكلّمت بالروسيّة بالطريقة ذاتها التى يعبر بها إيريك عن نفسه بالإنجليزية "

برغم ذلك، لا يمكنها القول إنّها قد شغفت بصديق لى؛ فليس من الهيّن أن تعجب بشخص أنت بالنسبة إليه غير موجود، علاوة على أنّ لى لم يتكلّم عنه قطّ، وكان من الواضح أنّ لى شخص له خصوصيات فى حياته، فكان صعباً الوثوق فيه إجمالاً.

تثق أنّ لى كان يعرف أنّها يهوديّة، ربّما منذ أول لقاء جمع بينهما، سوى أنّها تذكر أنّه ذكر ذلك الأمر مرّة واحدة، وكانت حين أدرك أنّها لم تكن تتلّهف على الزواج منه تماماً، محضُ سؤال لم يُجب لا بلا ولا بنعم عدة شهور، لكنه قال لها:" أعرف أنّك يهوديّة والناس، كما تعرفين، لا يحبون اليهود، سوى أنى نفسى لايعنينى الأمر تلك كانت طريقته لقول،" لن يوقفنى هذا الأمر عن الزواج بك

قبل لى، كان عدد من الرجال قد عرضوا عليها الزواج فعلاً، منهم واحد كانت تحبّه، نقيب، رحل لأداء الخدمة فى كامشاتكا، لكن إيللا أحسّت بالتردد ولم تذهب معه، وهناك حبيب آخر ظلّت تواعده عاماً وقد طلب منها هو الآخر الزواج. وهكذا، لم يكن لى الأول من نوعه بتلك العلاقة، فضلاً عن أنّه لو كان يحبها

فهى لا تحبه.على العكس، أحسّت أنّه لا بأس من المشاعر الطيبة تجاه شخص ما بصورةٍ ما، والإحساس أنّه كان، فى الأسفل مباشرة من كل شئ، وحيداً جداً هنا، وهكذا أشفقت عليه كفاية للإحساس أنّها لو رفضته، ليصير أكثر وحدة، وبالتالى، لم تكفّ عن مواعدته، سوى أنّها علمت أنّه لا يروق لها على نحو ما قد يؤدى بها للزواج منه.

أفصح لى لإيللا مرّة أنّها كانت تعرف الكثير عنه أكثر من أحدٍ آخر، لذا اندهشت حين اكتشفت بعد سنين أنّ لديه أمّاً ما زالت على قيد الحياة ـ وكان قد أخبرها أنّها ماتت، كذلك أخبرها برغبته فى عدم العودة أبداً إلى أمريكا.

مرّة، بعد خروجهما مع بعض أول مرّة، كان مضطرباً لحد بعيد. كان هذا حين وردت أنباء إلى منسك أنّ طائرة أمريكية من طراز U-2 قد أُسقطت فوق الأراضى السوفيتية، وأنّ طيّارها، فرانسيس جارى باورز، قد أُسِر. سألها لى:" ماذا تظنين إيللا ؟ هل يؤذينى هذا الحادث كونى أمريكياً؟" فأخبرته ألا يقلق بصورة شخصية لأنّه:" ما من أحد يمكنه القول إنّك مسئول وحاولت تهدئته والكلام معه بلطف. لم تكن حقّاً واثقة، لكنّها رغبت بمساندته. كانت أكثر لحظاتهما عاطفية حتى الآن.

أخبر لى إيللا أنّه حين كان يعيش فى موسكو كان يخشى من الأمريكيين أكثر من الروس، فى الواقع، أفصح لها أنّ السلطات السوفيتية قد أرسلته إلى

منسك؛ لأنّها ستكون أكثر أمناً بالنسبة إليه، قال حتى:"هنا في منسك أنا خفي، لكن حين جئت إلى موسكو كنتُ بالفعل بارزاً " كان الأمريكيون معنيين به جداً، حسب كلامه لها، وكانوا يطاردونه ويرغبون في قتله. فكّرت أنّه يجوز قدّم بعض المعلومات لقاء الحصول على الجنسية السوفيتية، معلومات لا يرغب الأمريكيون في إفشائها، قال،" إن عُدّتُ إلى أمريكا، سيقتلونني

جعلته هذه الحكاية مثيراً أكثر، لكنّها لم تصدّق كلامه، فكّرت فحسب أنّها ملاحظات عابرة، وأنّه ليس بالشجاعة البادية. تتذكّر فترة حين كانا ينزلان شارعاً كان يقود إلى بيتها، وكانت بنت شابة تركض هاتفة:"لقد هاجمني بعض اللصوص وسرقوا حقيبتي، ساعدوني! حسناً، أغلب الرجال الروس كانوا يركضون محاولين اللحاق باللص، لكن لي واسى البنت فحسب، وقالت إيللا،" حسناً، من المحتمل ألا نستعيد حقيبتك ـ فهؤلاء اللصوص لا يبقون في الجوار"، بل وطلب لي حتى لو أمكن أن يسلكا شارعاً آخر.

وتابعوا في طريق آخر وكانت الأمور على ما يُرام عدا أنّ البنت كانت مُغتمّة جداً، وكانت قد فقدت، على أيّة حال، كتاباً للجيب. بعدها، لدى إمعانها التفكير، خلصت إيللا لأنّه ربما كان جباناً بعض الشيء، أو يجوز لو كان الأمر كما قال، إنّ الأمريكيين في موسكو كانوا يريدون قتله، وربّما فكّر أنّه هنا

أيضاً، من كان يسعى لاستفزازه، لذا كان ينأى بنفسه عن المشاكل. كان دون شكّ لا يخوض فى الأمور السياسية، ومرّة مضت بعيداً فى السؤال عن سبب رغبة الكثيرين فى أمريكا فى الحرب وأجاب، الأمريكيون لا يدركون حقّاً معنى الحرب فما من معارك على أراضيهم"، فقالت،" أنا أعلم ما هى، ولا أحبّها "فاكتفى بالقول،" بلى، بلى، أنت على حقّ. أعلم كم عانيتِ

بطريقة أخرى لم يُدردشا بشأن مسائل كثيرة، لكن أيضاً ثمّة لحظات فى ليالى الصيف حين كانا يجلسان فوق دِكّة ويستمتعان بالصمت وكأنه رجل روسى، كانت تشعر أنّه يتفاعل مع كُل حاجة بإدراك، لكنه كان شديد التحفّظ، وحتى مع أنّهما تواعدا شهوراً عدّة، ربّما ثمانية أشهر، إلا أنّها كانت فترة قصيرة بالنسبة إليها كى تتفهّم طبيعته. لم يكشف عن الكثير أبداً، كان دائماً هادئاً، رقيق الفؤاد، بشوشاً، لطيفاً، غير متقلّب، إلا مرّتين فى الواقع، تشاجرا فيهما. طبعاً، كانت هى الأخرى لا تثير المتاعب، كان حتى المحيطون بها يقولون،" أنت تضحكين بسرعة، إن أظهرت إصبعى تشرعى بالضحك. أنت شديدة العفويّة

يجوز كانت تضحك بسهولة كبيرة. حين قرأت يومياته بعد كل تلك السنوات الثلاثين ونيف، لم تصدّق لأى مدى كان إحساسه بالزمن مشوهاً، كان قد ذكر أنّ لقاءهما جرى بعد صيف ١٩٦٠ فى حين، فى

الواقع، كانا يعرفان بعضهما منذ مايو ١٩٦٠ حين أُسقطت الطائرة الأمريكية U-2 وقد تكلّما بخصوص جارى باورز. كم كان قليلاً ما كانت تعرفه عن لى، وكم كان قليلاً، بشكل واضح، ما كان يعرفه عنها.

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الثانية عشرة ظهراً حتى الثانيَة عشرة صباح السبت ٢ يوليو ١٩٦٠.

فى الثانية والنصف غادر لى هارفى عمله وراح للغداء بكافيه آلى، يقع فى ميدان بوبدى. تناول وجبته وكان فى البيت حوالى الساعة الثالثة.

فى الرابعة غادر عمارته السكنيّة، واستقل الترولّلى باص نمرة واحد عند ميدان بوبدى وراح حتى الميدان العمومى دون أن يدفع أجرته.نزل من الباص من الباب الخلفى وراح إلى محل جرائد نمرة واحد فى شارع ماركسا.

هناك اشترى بعض الصُحف و راح إلى دُكّان بقالة نمرة ١٣ فى بروسبيكت ستالينا، و دون أن يشترى شيئاً، غادر الدُكّان وراح إلى .GUM ألقى نظرة على البضائع فى قسم اللدائن ودون أن يشترى شيئاً غادر المتجر وراح إلى محل زهور، ثم إلى دُكّان خُبز ثم إلى كافيه "فيسنا وغادر الكافيه بعد خمس دقائق، واستقل الترولّلى باص نمرة واحد إلى محطّة كومسومولسكايا، حيث نزل ميدان بوبدى وعاد للبيت حوالى الساعة الخامسة إلا عشر دقائق.

فى الثامنة والثلث غادر لى هارفى البيت وهرع إلى دار الأوبرا، هناك راح يمشى جيئة وذهاباً بالقرب من المدخل الرئيسى، بعد عشر دقائق اتجه إلى الميدان وهناك عند زقاق رئيسى قابل امرأة مجهولة كنيتها "دورا"حيّا كُل منهما الآخر عبر المصافحة بالأيدى وشرعا بالكلام. بعد أن تكلّما حوالى ثلاث دقائق افترقا دون توديع بعضهما. "دورا" راحت لعمارة سكنية نمرة ٢٢ فى شارع لافسكو نابيرزنايا فى حين ظلّ لى هارفى فى الميدان. بعد عشرين دقيقة عادت "دورا وأخبرته شيئاً وراح كلاهما إلى مبنى سيركس متشابكى الأيدى.

تفرّجا على فاترينة عرض بعد أن مشيا بطول بروسبيكت ستالينا حوالى خمس وثلاثين دقيقة يتكلّمان مع بعضهما بخصوص شىء ما.

فى العاشرة إلا ربع دخل لى هارفى و "دورا" إلى دار سينما سيركس. أظهر لى هارفى التذكرتين وقعدا فى الصفّ العاشر حيث راحا يشاهدان فيلماً أمريكياً اسمه"ليلى . فى الثانية عشرة إلا ربع بعد انتهاء الفيلم رجعا متمهلين إلى البيت نمرة ٢٢ فى شارع نابيرزنايا، وتوقفا هناك، تكلّما حوالى ربع ساعة بعدها افترقا. دخلت "دورا"بيتها (يجرى التعرّف على هويتها) فى حين رجع لى هارفى للبيت وقد وصل حوالى الثانية عشرة صباحاً. توقّفت المراقبة هنا حتى الصباح.

ثبت أنّ دورا هى نفسها إيللا.

يونيو - يوليو

شهرا الصيف بجمالهما الأخضر، غابات الصنوبر، شديد العُمق. أتمتع بالعديد من أيام الآحاد فى ضواحى منسك برفقة آل زيجر، الذين يمتلكون سيارة،"موسكوفيتش"...

لاحقاً ذلك الصيف، ركب بافل مع أوزوالد مرّة قارباً. راقت المياه للى، لكن بقدر ما يتعلّق الأمر بالتجديف، فهذا كان الشىء الّذى لا يمانع فيه هذا الأمريكى، حسبما خلص بافل، لو قام به واحد آخر، وليكن بافل مثلاً.

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الثامنة حتى الحادية عشرة مساء الأحد ٣ يوليو ١٩٦٠.

فى العاشرة والنصف وخمس دقائق غادر لى هارفى البيت، استقلِ التروللى باص نمرة ستة من محطة ميدان بوبدِى، اشترى تذكرة ونزل فى محطة كومسومولسكايا من الباب الخلفى. اتجه مباشرة إلى دُكّان خُبز، واشترى لنفسه كعكة وكوب قهوة، وتناولهما واقفاً وغادر. فى الخارج، تفحّص المكان واتجه إلى دار سينما سنترالنى، اشترى صحيفة راية الشباب من فرش صُحف، قلّب فيها وأعادها. توقّف فى زاوية بروسبيكت ستالينا(*) وشارع كومسومولسكايا، رمق الصحيفة مرّة أخرى، أعتصرها ورمى بها فى سلّة مهملات. بعدها راح إلى جوم" ألقى نظرة على قسم

(*) شارع ستالين.

الأدوات المنزلية، غادر المتجر، اشترى بعض الورق من محل صُحف نمرة واحد وعاد للبيت.

في الواحدة والنصف غادر لي هارفي البيت للمرّة الثانيّة و مشى متمهلاً إلى متجر قرطاسيّة في شارع جوركي حيث اشترى راديو محمولا وعاد للبيت. في غضون ثلاثين دقيقة، غادر لي هارفي بيته مرّة ثالثة، استقل الترولّلي باص نمرة واحد من محطة ميدان بوبدي، ونزل في محطة كومسومولسكايا من الباب الخلفي وراح إلى جوم لقسم الأسطوانات الفونغرافية. هناك استغرق عشرين دقيقة في الفرجة على قوائم الأسطوانات، ودون أن يشترى شيئاً غادر المتجر وراح إلى محل بضائع كهربائية نمرة ٧١ . هناك اشترى لي هارفي أسطوانتين وبعدها ركب الترام نمرة سبعة من محطة ميدان سفوبودي ودون أن يتكلم مع أحد اتجه إلى محطة دار الباليه والأوبرا، حيث نزل من الترام، زار محلات قرطاسيّة وبضائع استهلاكيّة. في الرابعة إلا ربع مشى للبيت.

لم يغادر لي هارفي بيته حتى الحادية عشرة. توقّفت المراقبة عند هذه النقطة.

حصل المحاورون الصحفيون على تقرير خدمة واحد ملأته تانيا، من إنتورست منسك، في الثامن من يوليو ١٩٦٠.

تقرير خدمة

٨ يوليو ١٩٦٠

نتيجة للقاءاتهما، رسّخت المصدر علاقات وطيدة مع لى هارفى. ترى المصدر فيه شخصاً بالإمكان قضاء بعض الوقت معه بصفاء. لا يُظهر اهتماماً بسيرة المصدر، عدا عمرها.لى هارفى سعيد لحدٍ ما بشقّته الجديدة و وسائل الراحة المتوفرة. لا تزال غير مُزينة، لكنها مناسبة تماماً لشخص أعزب. أثناء وجودها فى محلّ إقامة لى هارفى، حدث أن سألها فى حوار:" لماذا لا تهتمين بانطباعاتى بشأن الاتحاد السوفيتى؟" وقد ردّت المصدر:" أعتقد أنّك ستتقاسم تلك الانطباعات معى... وتلتها إجابة أوزوالد. راح يروى انطباعاته، تألفت حكايته من استجابات حماسية للواقع السوفيتى. وقد شدّ انتباه المصدر زوج من الأحذية طويلة الرقبة كان قد حصل عليه، سألته مندهشة:" لماذا تحتاج حذاء برقبة؟" قال،" أحبّ كل ما هو روسى، أحبّ أن أبدو كروسى

أثناء رواية انطباعاته عن معارفه، عرض على المصدر العديد من الصور الفوتوغرافيّة، التقطت له برفقة أصدقاء، رجل أرجنتينى وزوجته، بذات الوقت، أبلغها أنّ لديه علاوة على ذلك صديقًا آخر، مهندسًا أيضاً، رجلا روسيًا، كان يعمل فى مصنع الراديو. تطور لى هارفى العام، مدى اهتمامه، يبدو مقصوراً على مصدرنا. لديه تصوّر هزيل عن الفن والموسيقى والرسم، يجعل كلامه عن النظرية الماركسية اللينينية عديم القيمة. يحاول تسجيل اسمه بمعهد اللغات الأجنبية ويعتزم، إلى جانب الإنجليزية، دراسة اللغة الألمانية على أساس مستقل.

فى سلوك لى هارفى، كفاح للتعارف على البنات خصوصاً الشقراوات اللائى يتقن الإنجليزيّة، جرت ملاحظته، علاوة على حرص يتاخم البخل. مثلاً، يقدر على الخروج بمواعدة، برفقة امرأة، لكنه بعدئذٍ يذهب إلى مطعم بمفرده، باعتبار أنّ من الأرخص الذهاب بمفرده. كان قد رتب عديداً من اللقاءات مع المصدر بما أنّه يستطيع الذهاب لمكان عملها أو الاتصال بها. المصدر مقتنعة بفكرة أنّ ولعه بها قد هدأ مؤخراً، لأنّ طلبه بأنّه: " يستحق قبلة بعد ستة أشهر من المواعدة" لم يُشبع. زعم أنّه مجروح أو مُهان و بعدها بدأت زياراته للمصدر تقل.

ذلك الصيف، أجرى أوزوالد تحسينات فى شقّته، تحسينات بسيطة، شيئاً فشيئاً. مثلاً، اشترى صندوقاً رخيصاً لأسطواناته الفونغرافيّة ومائدة دوّارة.

حين علم أنّ بافل كان يعرف الكثير عن أجهزة الراديو التى تعمل بالموجات القصيرة، طلب منه لو أمكن أن يصنع له واحداً، فعبر أجهزة الراديو المحليّة، تتلقى الأنباء السوفيتية فحسب. أخبره بافل أنّه يستطيع تجميع جهاز كهذا، لكنه لن يبدو ظريفاً ـ كل أجزائه ستكون مكشوفة ـ فأخرج أوزوالد عندئذٍ نقوده واشترى لنفسه جهاز راديو يستقبل الموجات القصيرة تراءى رائعاً مثل حقيبة سيدة أنيقة. كان يستقبل ترددين، عاليًا ومتوسطًا، لكن على الموجة المتوسطة ٢٥٧ متراً، كان يُستقبل صوت أمريكا، ولأنّ

القناة كانت كُلها باللغة الإنجليزية فلم يشغلا بالهما بكبحها.

كان الناس يتكلّمون عن أوزوالد كأنّه ربّما جاسوس، لكن بافل يتذكّر مجيء لى أوزوالد إليه حاملاً كاميرا سوفيتية بسيطة، وكان عاجزاً عن وضع فيلم داخلها، وكان على بافل أن يُريه كيف. مرّة، اشترى أوزوالد جهاز راديو وحاول وضع بطارياته، لكن حتى أثناء محاولة عمل ذلك كثيراً، مزّق بعض الأسلاك المرتخية. مثال آخر، كان أوزوالد يحبّ سماع صوت أمريكا، لكنه كان يجهل كيف يضبط جهاز الراديو خاصته ليستقبل الصوت واضحاً، وكان بافل، مستعملاً سكين جيب، كان عليه التلاعب بأحد الأجزاء وتحريكه قليلاً كى يستطيع لى الإصغاء. كان بافل يفترض أنّ أوزوالد لو كان جيمس بوند، لكان وصل إلى الاتحاد السوفيتى على دراية بمثل تلك التفاصيل البسيطة.

من كرونولوجيا الكى.جى.بى.

٤ سبتمبر ١٩٦٠ شاهد أوزوالد فيلم الريح فى دار سينما ليتنى.

٤ سبتمبر ١٩٦٠ زار أوزوالد حفلاً للشباب فى بيت ضابط.

٦سبتمبر ١٩٦٠ شاهد أوزوالد فيلم بابيتا ذاهبة للحرب فى دار سينما مير.

٧سبتمبر ١٩٦٠ شاهد أوزوالد فيلم شرارة مقاوم فى دار سينما بوبيدا.

٨ سبتمبر ١٩٦٠ شاهد أوزوالد فيلم بابيتا ذاهبة للحرب للمرّة الثانية فى دار سينما مير.

٩ سبتمبر ١٩٦٠ شاهد أوزوالد فيلم قائد المفرزة فى دار سينما ليتنى.

من ٤ سبتمبر وحتى ٩ سبتمبر شاهد خمسة أفلام، واحداً منهم مرّتين، وجميعهم عدا واحد كانت أفلام حرب. كان قد اشترى بندقية بماسورة واحدة فى أغسطس، وانضم لنادى صيد أنشأه المصنع، لكن ليس قبل ١٠ سبتمبر، وقد صار مشحوناً الآن، كما قد يحسب المرء، مع صور له مشاركاً فى فيلم حربى، أن خرج فى النهاية مع نادى الصيد.

الآن، أعطى ستيبان لفريقه من المراقبين اسماً كودياً لأوزوالد. كان ليخوى. بدا مثل لى هارفى، لكن الكلمة كانت تعنى الشجاع، أو الجرىء. كانت مزحة الكى. جى. بى.. فليخوى لم يبد قطّ أن قام بشىء عدا الذهاب للعمل، والتسكّع، و الورشة.

من رصد الكى.جى.بى.

أُنجِزَ من الواحدة حتى الثالثة والثلث مساء ١٠ سبتمبر ١٩٦٠.

فى الثانية والنصف غادر ليخوى العمل وهرول إلى البيت.

فى الثالثة إلا خمس دقائق غادر البيت حاملاً بندقية صيد فى غطاء، وكيس بقالة محشو جزئياً، وعاد إلى مدخل مصنع الراديو.

هناك انضم ليخوى لمجموعة من سبعة رجال بعضهم يحمل أيضاً بنادق، وراح يتكلّم معهم.

بعد حوالى ربع ساعة دلف ليخوى و الرجال الآخرون إلى سيارة مركونة نمرة ب. و١٨٠. ـ ٨٩ وعند الثالثة والثلث غادروا المدينة عبر شارع ستوروزيفيسكايا ودولجينوفسكى تراكت.

بناءً على اتفاق مع رئيس القسم، ألغيت مراقبة ليخوى عند هذه النقطة حتى ١٧ سبتمبر ١٩٦٠

قضى ليونيد ستيبانوفيتش تزاجيكو، كل حياته. عامل خراطة، صار معنياً بالصيد حوالى عام ١٩٥٥. كل سنة بعد ١٥ أغسطس، يروحون لصيد الطير، ثمّ فى سبتمبر البطّ وطير الحَجَل وفراخ الماء، بحلول أكتوبر يشرعون فى البحث عن الثعالب. الذئاب يمكنك صيدها طوال العام، لكن الخنازير البريّة بتصريح خاص فحسب، لأنّ تلك الطرائد فى العادة تكون محجوزة لكبار أعضاء الحزب الشيوعى.

آنذاك، يجوز كان عدد أعضاء ناديه للصيد حوالى خمسين، وثمّة رئيس وظيفته جمع الرسوم واستخراج التصاريح لصيد الظِباء وأحياناً الخنازير البريّة، مع أنّ المرء كان عليه دفع الكثير لقاء ذلك، حوالى مائة وخمسين روبلاً.

فى باكورة عام ١٩٦٠ حين أتى لى أوزوالد للعمل فى الورشة التجريبية، قابله تزاجيكو أول يوم، صار الأمر احتفالاً تقريباً، فالجميع جاءوا إلى الأمريكى

على الفور للتعرّف عليه، بعدها، أثناء الاستراحات، غالباً ما كان أوزوالد يجلس ممدداً قدمه فوق طاولة، وقال واحد منهم مرّة :"لماذا تجلس هكذا ؟"فأجاب،" أنا في إضراب. أنا مُضرِب"، كان يمزح فقط، فخلصوا إلى أنّ الأمريكيين يضعون أقدامهم فوق الطاولة، ذلك ما يفعلونه.

الآن، في المصنع، لديهم ما يسمونه شُعَب ـ ناس كانت تلعب كرة سلّة، كرة قدم، كرة طائرة، وفي أيام الآحاد، البعض يذهب في رحلات صيد. لم يكن الأمر بتلك الدرجة من الأهمية أن يصيدوا شيئاً، بل الخروج للطبيعة، لذا حين طلب أوزوالد من واحد من عمّال السمكرة إن أمكن أن يأخذه معهم، قال:" طبعاً، إنّهم لا يحضرون طعاماً كثيراً ولا يحملون أي فودكا ولا براندي، لأنّهم جادون بدرجة معقولة بشأن العودة محملين ببعض الصيد. إنّهم يمشون كثيراً على الأقدام، يمرّون على مزارع تعاونيّة، وحقول وقُرى ومساحات تغطيها غابات متناثرة على خفيف".

كانوا يصطادون الأرانب حينئذٍ، لم يكن الثلج قد تساقط بعد، فكان عليهم الانطلاق وراء الأرانب على أقدامهم. لدى مشيهم بطابور مفرد، كان أوزوالد قبل الأخير وتزاجيكو الأخير، وكان أوزوالد ممسكاً ببندقيته معقوفة في يده. آنئذٍ، وثب أرنب بوضوح من تحت قدمه، فأطلق صيحة،"أوواواه!" وأطلق رصاصة في الهواء، فهتف تزاجيكو،" ربّاه، أوزوالد، ستقتلني ببندقيتك تلك" فردّ أوزوالد،" لقد أصابني أرنبك

بالذعر بعدها حصل على محاولة أخرى، وفشل ثانية.

حقيقة أنّه كان سيئاً فى التصويب ويعجز عن ضبط جهاز الراديو خاصته أسفرت عن تنبيه إيجور وستيبان. تُرى كيف يُعقل أن جندى بحريّة سابق بتصنيف ماهر فى الرماية بفيلق البحرية الأمريكية - بلى، حصلت الكى.جى. بى. على معلومات أنّه لم يكن بالرامى السيئ - أن يفوّت أهدافه هكذا ؟.

دون شكّ، حين أُبلغت الأورجانز أنّ أوزوالد اشترى بندقية للصيد، وبذلك تصير لديه فُرَص للترحال كجزء من حفلة صيد إلى منطقة توجد بها أيضاً مواضع عسكرية، صارت على أهبة الاستعداد. كان الصيادون ممنوعين من السير داخل مساحات محظورة فى مناطق بعينها، لم يكن حتى مسموح لهم بالاقتراب من أسيجة محددة، ولو كان أوزوالد عميلاً، فربّما لديه تجهيزات خاصة يستعملها لتسجيل الأنشطة النووية أو الإذاعات العسكرية - بتكنولوجيا مناسبة، يستطيع المرء جمع الكثير من المعلومات.

جاءت التقارير، سوى أنّها كانت مُربكة. كان بهذا السوء فى التصويب. لو كانت لديهم أيّة معرفة طفيفة أنّه قد يكون لاحقاً مشتبهاً به فى تنفيذ جريمة عالية الأهمية - من الدرجة القصوى! - لكانوا قد تحققوا من براعته فى الرماية بتفصيل أكبر. إذا جاز التعبير، عموماً، فيما يتصل بكل شىء يشمله، فإنّهم لم يبذلوا أية محاولات خاصة للتحقق مما إذا كان بارعاً فى

التصويب يحاول اختلاق الانطباع أنّه سيئ أم أنّه كان غير كفء بالطبيعة ذلك اليوم.

أغسطس - سبتمبر

مع تحسّن لغتى الروسيّة، أصير مُدركاً زيادة لنوعية المجتمع الّذى أعيش فيه. رياضة بدنية جماعية، لقاءات إجباريّة بعد العمل، فى العادة إعلام سياسى. حضور إجبارى للمحاضرات، و إرسال جماعة الورشة كُلها (عداى) لجمع البطاطا أيام الآحاد فى مزرعة تعاونية تابعة للدولة." فرض وطنى" لحصاد الغلّة. آراء العُمّال (مهموسة) أنّه يجلب آلاماً عظيمة فى العُنق. لا يبدون متحمسين على وجه الخصوص بشأن أى من الفروض"التعاونيّة"، شعور طبيعى...

أكتوبر

مجىء الخريف، رهبتى من شتاء روسى جديد، أينع بألوان الخريف البيلاروسى الذهبيّة والحمراء الرائعة. يكثر البرقوق والخوخ والمشمش و الكرز فى أسابيع هذا الخريف الأخير. لدى لون داكن صحى وأحشو معدتى بالفاكهة الطازجة، ففى أوقات أخرى من العام تكون بعيدة المنال.

١٨ أكتوبر

فى عيد ميلادى الواحد و العشرين أرى تانيا وبافل وإيللا حيثُ يُقام احتفال صغير فى شقّتى. إيللا (هى) يهوديّة شديدة الجاذبية كُنتُ أمشى معها

مؤخراً. (هى) تعمل فى مصنع الراديو أيضاً. تانيا وإيللا تغاران من بعضهما، ما يسرِّب لى شعوراً دافئاً. كلتاهما فى شقّتى للمرّة الأولى. إيللا ويافل كلاهما أهدانى منفضتين للسجائر (لا أدخّن) . نضحك.

- ٩ -

إيللا ولى

بعد أن عرفته إيللا مدة نصف عام، دعاها فى الواقع إلى شقّته، وكان بافل موجوداً مع امرأة اسمها تانيا من إنتورست، ثمّ جاءت واحدة أخرى اسمها إنّا تاخينا. اختفى بافل فترة قصيرة، وحين عاد كانت هذه المرأة معه، وقال:" لا بأس يا لى، ارقص ! انظر من أحضرت لك. إنّا !".

صُدِمت إيللا، فطول تلك الشهور فى مصنعها، لم يواعد لى امرأة سواها، وهكذا كانت تجهل أنّه كان يرى نساءً أخريات، افترضت أنّه كان يفعل ـ أدركت ذلك ـ لكن بعدئذٍ، من الطريقة التى أُعلِن بها وصول إنّا، صار من الواضح أنّ لى كان يواعدها بصورة مُغايرة. آذى ذلك إيللا. بحلول أكتوبر، كان لى يُلمِّح فعلاً أنّهما كانا بصدد علاقة جديّة، لكن لو كان بمثل

تلك الدرجة من الجديّة، ترى ما كان يفعل مع هذه المرأة ؟.

تسبب ذلك بشجار. كانت إيللا شديدة الانفعال والغضب وحين غادرت الحفل، كان على لى الخروج معها. قالت له:" اسمع، لو كنت ترغب فى قضاء وقت ظريف مع إنّا فلا دخل لى، سأشعر بمزيد من الراحة بالبقاء فى البيت"، فقال،" بافل هو من أحضر إنّا، لقد رأيت أنّى كنت معك طوال الليلة، والآن ها أنا أترك إنّا وبافل ورائى"، أقنعها. قال:" انظرى، لقد تركت كل ضيوفى. وها أنا أوصلك لشغلك فى المصنع". كانت فى وردية ليل آنذاك وقد جاءت إلى حفله قبل الذهاب إلى شغلها. ينبغى أن يبرهن لك ذلك أنّك أكثرهن قُرباً لى

بعدها، كانت إيللا كثيراً ما تنوه عن إنّا، كانت تضايقه:" إذًا ثمّة امرأة أخرى فى حياتك ؟" وليجيب،"ألا تدركى أنّك حبيبتى الحقيقية ؟ هى محض شغف" وكان موقف إيللا:" طيباً، ما دمت لاأرغب، فهذا الشاب لا يزال بحاجة لنوع من العلاقات الجسدية، ولو حصل عليها من مكان آخر، فهذا طبيعى. كانت بلا ريب لم تحب أحداً بشدة درجة الاستئثار بشأن أى شئ يفعله، بما فى ذلك العلاقات الجسدية، فهى ليست بأهمية الحبّ الحقيقى بالنسبة إليها.

من زاوية أخرى، لقد كان بافل من جَلَبَ إنّا تاخينا وهى لا تستلطف بافل فعلاً. كانت ثمّة مشكلة

بسيطة فى المصنع خلفت لبافل سُمعة سيئة، حيثُ كان يشتغل فى عملية توليف مؤشرات الراديو فى قسم آخر من مصنعهم بالقرب من أخريات كُنّ يقمْن بالوظيفة ذاتها، وأحياناً كان يصادف عمّالاً ممن يؤلفون أجهزة الراديو، جهاز يكون ضبطه أمراً بالغ العُسر، فلا يستقبل الموجات كما يجب وأحياناً يكون جامداً، مثل هذا الراديو غير الفعّال يُطلق عليه" تابوت"، ويستغرق وقتاً طويلاً كى يتحسّن استقباله، وحين يكون راتبك وعلاوتك يعتمدان على عدد أجهزة الراديو التى تضبطها كل يوم، فإنّ الأجهزة غير القياسية تخفض من مستواك. فى ليلة، أدركت واحدة تعمل فى مركز بافل أنّها تركت جهازاً فوق طاولتها وقت الانصراف و كان تقريباً مضبوطاً، مع ذلك هو الآن خامد، فى حين كان بافل يواصل تسليم عدد جيد من أجهزة الراديو المضبوطة، فارتابوا أن بافل حين أتى للعمل فى وردية النهار، يجوز بدّل جهازه، التابوت كُليّاً، مع جهازها. ما كان ليُقدم على ذلك مع رجل آخر، هكذا أحسّت البنات، لأنّ الرجال أكثر دِقّة، ليتذكّر رجل ما ضبطه بالأمس، لكن البنات ينسون، عقولهن ليست حقّاً مُعدّة لأمر مماثل، لذا كان من الأيسر خداعهن، كما أحسّت إيللا.

كانت حكاية سيئة، جرت مقابلة كبيرة، وأتت مجموعة للتحقق من سلوك بافل، وأبوه الجنرال، جاء حتّى، وبعينين ملؤهما الدمع قال فى هذا اللقاء،" أرجوكم سامحوه، أرجوكم يا ناس، لا تفسدوا سيرته، لن يكرر هذا الأمر مرّة أخرى أبداً

وهكذا طبعاً بعد هذا، لم يكن تقدير إيللا لبافل عاليًا، فلو كانت لديه أسرة ضخمة وكانوا فقراء حقّاً، لكانت قد تفهّمت ـ قد يبرر المرء تصرفاً كهذا من أجل عياله، لكن بافل كان يسرق فتيات فقيرات دخلهن أقل منه، لذا لم يكن فى رأيها رجلاً محترماً، وها هو الآن يجىء برفقة إنّا قائلاً:" إنّها امرأة لأجلك يا لى . داخل إيللا أيضاً إحساس ما أنّ بافل ربما لم تكن تروق له لأنّها كانت يهوديّة، وقد قيل لها أنّه فى جماعته الخاصة، بين العسكريين فى روسيا، ثمّة مناهضة للسامية أكبر مما هى بين المدنيين.

يصادف نوفمبر بوادر الشتاء الآن.تستبد بى وحدة متزايدة. على الرغم من إخضاعى إنّا تاخينا، امرأة من ريجا، تدرس فى معهد الفنون الموسيقية فى منسك. بعد علاقة تدوم عدة أسابيع، نفترق.

صفحة إضافيّة (ليست فى اليوميات الرسميّة)

إنّا تاخينا... قابلتها عام ١٩٦٠عند آل زيجر، أسرتها (التى أرسلتها إلى منسك) موسرة بشكل واضح. تحبّ إنّا الملابس المزخرفة، الأحذية والملابس التحتيّة جيدة الصنع. فى أكتوبر ١٩٦٠ بدأنا نبلغ أوج علاقتنا الحميمية فى ٢١ أكتوبر. كانت عذراء ومثيرة جداً. التقينا على هذا المنوال أربع أو خمس مرّات انتهت فى الرابع من نوفمبر ١٩٦٠. بناءً على إتمامها عامها الأخير فى معهد منسك للفنون الموسيقية فقد غادرت منسك عائدة إلى ريجا.

- ١٠ -

زدرادستفى

أحيانـاً ذلك الخـريف، كـانت ألـبيـنـا تـدرك أنّ مشكلة ما نشأت لآل زيجر. فبغتة صاروا متشككين بالجميع، وراحوا يتصرّفون كأنّ ثمّة من يقدّم فيهم تقارير. وهنا كيف بدأ الأمر.كان عندهم قريب فى فيلنيوس بلتوانيا وقد رغب فى زيارتهم فى بيلاروسيا، لكن قريب آل زيجر لم يكن يملك تصريحاً لدخول منسك، فاستقل آل زيجر سيارتهم الموسكوفيتش، وقادوها إلى فيلنيوس لإحضار قريبهم إلى منسك، لكن أثناء رحلة الرجوع، طلب أحد ضبّاط الطريق العام أوراقهم، وكان قريبهم لا يملك الأوراق الضرورية، لذا خسروا يوماً فى مكتب شرطة ريفى للخروج من تلك الورطة، ناهيك عن مدى السوء الّذى بلغته المعاملة، ما خلف آل زيجر يستشيطون غضباً.

كيف عرفت الشرطة ذلك كى تستوقفهم؟ محتمل واحد من أصدقائهم حكى لآخر أنّهم كانوا بصدد الذهاب إلى فيلنيوس لإحضار قريبهم. لاحظت ألبينا أنّهم كفّوا عن دعوة إرنست إلى محل إقامتهم، وبعد فترة توقفوا عن دعوة العديد من الأصدقاء الصالحين الآخرين، أيضاً. لم يكن إرنست مندهشاً لِما جرى، لكن بعدئذٍ، لم يعد معنياً كثيراً بآل زيجر. كان تعارفه على أليك هو هدفه، وبلا ريب تحقق هذا الهدف، تستطيع ألبينا إدراك هذا تماماً، فما كانت ترى أيّاً منهما الآن كثيراً.

حاجتهم الأولى فى قضية أوزوالد هذه، حسب تعليق إيجور، كانت طبعاً العثور على من يعرفون اللغة الإنجليزية." فى حين كان لدى أوزوالد استيعاب متزايد للغة الروسية، كان علينا ربطه بمن يقدر على تبادل حوارات حميمة معه بالإنجليزية. فعموماً، ترى كيف يمكن للمرء استجلاء حقيقة امرئ موضع شبهات دون معرفة لغته ؟ لذا كان الناس مشغولين بمن يمكنه الكلام مع أوزوالد بلسانه الأصلى

كانت ثمّة حاجة للعثور على شخص على دراية بالإنجليزيّة بدرجة كافية للخروج مع أوزوالد اجتماعياً، يصير صديقاً له، ولديه نفاذ بصيرة إلى بعض دواخله. وكُنّا أيضاً على استعداد للبحث عن ناس فى معهدنا للغات الأجنبيّة بمنسك".إذاً فقد اجتذب هؤلاء الطلاب ممن كانوا يدرسون الإنجليزيّة انتباه الاستخبارات."قد تفترض قال إيجور،" إنّ

فتيات معهد اللغات كُن فى موضع لإبلاغنا عن طريقة تصرّف أوزوالد. لقد راقبت الاستخبارات المضادة هذه العملية كلها و كانت على علم بما يجرى". تيتوفيتس طبعاً ساعد لى على إقامة و توسيع جسور علاقاته مع نساء هناك وسجّل أيضاً شرائط أثناء وجودهما بمفردهما، كى، كما أخبر أوزوالد، يكون قادراً على دراسة لكنته فى الإنجليزية وهكذا يُحسّن قدراته الدارجة.

نسخة من برنامج تليفزيونى

عنوان رئيسى،" حقيقة لى هارفى أوزوالد؟" بثّ على محطّات قناة PBS نوفمبر ١٩٩٣

راو: (صوت) سرعان ما صار صديقاً لأرنست تيتوفيتس.... وقد سجّل تيتوفيتس شريطاً لأوزوالد من أجل دراسة لكنته الجنوبيّة.

أوزوالد: (صوت) انفتح باب طاولة غداء هنرى وظهر رجلان. جلسا إلى الطاولة." ماذا لديكما ؟" سألهما جورج.

تيتوفيتس: أعطيته... قطعاً أدبيّة و تصادف أن كانت تلك لشكسبير، عطيل، أرنست همنجواى ـ

أوزوالد: (صوت) جلسا إلى الطاولة وقرءا قائمة الطعام. كان نيك آدمز يراقبهما من الطرف الآخر للطاولة.

الرّاوى: حاوز تيتوفيتس أيضاً أوزوالد بشكل ساخر. هذه هى المرّة الأولى التى تُسمع فيها هذه

التسجيلات علانيّة. في واحدة من تلك الحوارات لعب لي دور قاتل.

تيتوفيتس: (صوت) هلا تحكي لنا آخر قصّة آخر قتلاك ؟.

اوزوالد: (صوت) حسناً، كانت فتاة شابة تحت جسر. جاءت حاملة رغيف خبز وقد ذبحتها من الأذن للأذن.

تيتوفيتس: (صوت) لِماذا؟.

اوزوالد:(صوت) حسناً، أردت رغيف الخبز طبعاً.

تيتوفيتس: (صوت) لا بأس.(توقّف)، وماذا تعتقد، بالرجوع لأكثر قصص قتلك شهرة على الإطلاق، طوال حياتك.

اوزوالد: (صوت) حسناً، وقت أن قتلت ثمانية رجال في شارع المشرّدين، فوق رصيف المشاة. كانوا جميعاً يقفون هناك، يتسكعون، ولم ترق لي وجوههم لذا أطلقت عليهم الرصاص فحسب من بندقيتي. كان حادثاً ذاع صيته، ونقلته كل الصحف.(ضحك).

تيتوفيتس: كُنا نقضي وقتاً ظريفاً فقط في الحقيقة، تجنباً للإحراج.

لم يستبعد إيجور إمكانيّة أنّ شرائط أوزوالد الناطقة بالإنجليزيّة قد خضعت للفحص بعناية لتحديد ما إذا كانت لكنته الجنوبيّة لا خداع فيها، فشرائطه الناطقة بالروسية هي الأخرى خضعت

للدراسة لاكتشاف أى إمكانيّة لكونه يخفى معرفة أفضل بلغتهم أكثر مما كان يتظاهر به.

وأضاف ستيبان:" من المهم أن تخضع المعلومات الآتية من أى مصدر للتحقق المزدوج، فدائماً ما كُنّا نحاول ضمّ المراقبة مع التقارير من مصادر بشرية، زائد ما نستطيع معرفته من إمكانات تقنيّة أخرى، وبتلك الطريقة يُمكن بناء الثقة فى مصادرنا البشريّة. على أيّة حال"، تابع" لاختلاق موقف مصطنع، لتأسيس تجربة من أجل تحديد هل يعطى شخص ما خلفية للشكّ، هذا أمر محفوف بالمخاطر، فالشخص قد يكشف عن اهتمام بحادث أو خلو من الفضول، ومع ذلك قد يثير مخاوف الاستخبارات المضادة، وبالتالى نكون قد قدنا أنفسنا إلى الضلال

كان ستيبان يُعدُّ نفسه محظوظًا؛ لأنّ الفرصة واتته لدراسة أوزوالد بطريقة طبيعية." لو، مثلاً، صار معروفاً لدينا أنّ ليخوى كان يتخذ خطوات للقاء عالم ما فى حقل بعينه، لكُنّا يجوز رتبنا هذا اللقاء "سوى أنّ أوزوالد لم يقم بمثل تلك المساعى، لذا فقد درسوا الحوادث العرضيّة التى نشأت بصورة طبيعية، وراقبوها باجتهاد، وإجمالاً عثروا على القليل مما أثار شكّهم. لم تصدر عنه أبداً محاولات لمدّ جسور التعارف مع أشخاص بعينهم أو النفاذ إلى بعض الأسرار العسكرية، لم يُظهر رغبات مماثلة. ليس حتى الآن، بأية درجة.

١٥ نوفمبر

فى نوفمبر تعرّفتُ على أربع فتيات يسكنّ فى داخليّة معهد اللغات الأجنبيّة حجرة ٢١٢ . نيلّ مثيرة جداً، وكذلك تومكا وتوميس وآللا.فى العادة أذهب لداخليّة المعهد برفقة صديق لى يتكلّم الإنجليزية بطلاقة. إيريك تيتوفيتس فى عامه الرابع بمعهد الطبّ. شاب شديد الذكاء. فى مبنى الإقامة الداخليّة، نجلس نحن الستة و نتكلّم ساعات بالإنجليزيّة.

كما شهد بافل، فتيات معهد اللغات الأجنبية كُنّ متوفرات بصورة أكبر للكلام عن الجنس. كانت السيكولوجيا التى يمتلكنها مختلفة، فقد كُنّ يتعاملن مع لغات أخرى، وكان عليهن التفكير قليلاً بثقافة مُغايرة، ومن ثمّ اكتشاف المزيد. كُنّ قادرات على مشاهدة أفلام أجنبيّة، وإجمالاً، أولئك النساء كُنّ أكثر استرخاءً ـ كُنّ يدخّن ويشربن ويقرأن الأدب. كان إيريك ماريا ريمارك ذا شعبية كبيرة، وكتب همنجواى عن نساء تحررن قبل الزواج فى رواية الشمس تشرق أيضاً، فربما كُنّ يحاولن الاضطلاع بتلك الصورة. بعضهن.

إنّا باسينكو، لا تخلط بينها وبين صديقة أوزوالد إنّا تاخينا، كانت فى عامها الأول بمعهد اللغات الأجنبيّة، وكانت شديدة الشغف بالإنجليزيّة، ومتى سمعت أحداً يتكلّم كانت تسعد لمجرد الوقوف والإصغاء (كانت مهووسة أيضاً بالسباحة وكانت، آنذاك، بطلة بيلاروسيا فى السباحة الحرّة والفراشة).

فى يوم أحد مُعيّن، ذهبت برفقة صديقتها جاليا إلى جمعية الفيلهارمونى، وأثناء استراحة الحفل الموسيقى الأولى، سمعتا رجلين يتحدثان بالإنجليزيّة، واحد منهما كان داكن الشعر ويرتدى سترة رماديّة، الآخر كان يلبس بذلة سوداء، الأول، أوزوالد كما عرفت فيما بعد، والثانى إيريك تيتوفيتس. مضت إنّا إلى تيتوفيتس وقالت،" معذرة ـ هل أنا محقّة أم مخطئة: أنت، يا سيدى، محض روسى يتكلّم الإنجليزيّة، وأنت رجل إنجليزى حقيقى أو ـ لا أدرى ـ أمريكى؟" وقال إيريك،" كلانا بريطانى وقال أوزوالد بدوره،" لا.لا،لا، لا تصدقيه . كان واضحاً أنّه كان لا يرغب أن يتورط فى الخلط الناجم عن ضمير المثنّى هذا، وأنّه كان لديه هويته الخاصة. قالت إنّا،" لا تكذب علىّ " فقال إيريك،" كلا. كلانا بريطانى ـ لكنها كانت تستطيع سماع لكنته ـ فقد كانت الصوتيات موضوعها الأثير، حتى أنّها عملت رسالة دكتوراه فى الصوتيات الإنجليزيّة فيما بعد.

راحوا جميعاً يتكلّمون، وقالت إنّا،" لنلتق بعد هذا الحفل الموسيقى وقد حدث، وساروا من الجمعية الموسيقية إلى ميدان النصر، قُرب معهد اللغات الأجنبيّة. كان بيتها على بعد خمس دقائق سيراً فحسب. أعطتهما نمرة تليفونها وقال إيريك،" يقيناً سنهاتفك وسنأتى لنراك" وكانت هى وجاليا مبتهجتين لحقيقة أنّهما تكلّمتا بالإنجليزيّة نصف ساعة بطولها. كانت جاليا تسكن فى سكن الطلبة التابع للمعهد لكن

إنّا كانت تعيش فى شقّة والـدهـا، حيـث لا تـزال هـى وأمّـهـا وعـائلـتـهـا بـالـكـامل يقـيـمـون فى الـوقـت الحـاضر.

فى اليـوم التـالى، هـاتفهـا إيريك وسـألهـا لو كان بإمكانهما زيارتهما فرتبت إنّا الأمر مع جاليا كى تكون موجودة هى الأخرى. كانت ثمّة عقبة واحدة، على أيّة حال، هى أنّ والدهـا كان شـخـصيـة حزبيـة مرموقة، كولونيل، و رجل شديد الانتماء للوطن، وما كان ليصبر على وجود شخص غريب فى بيـته، فـحتى الإصـغـاء لـلـراديو يثيـر الـشبـهـات، لـكن أمّـهـا كـانت فى الـبيت لأبوهـا، لـذا أتى إيريك و لى تلك الظهيـرة، و انضمّت لهم جاليا.

أثناء التـعـارف، تصـادف أن قـال لى zdradstvy لأمّ إنّـا بدلاً من zdradstvuytye (*) فـأخـذت أمّـهـا إنّـا إلى المـطـبخ وقـالـت: " أين صـادفت مـثل هـذين الـشـابين الوقـحين، من يجهلان حتى كيف يخاطبان الأكبر سناً؟" فـردّت إنّـا،" يـا أمّـى إنّه لـيس روسـيـاً، بل أمـريـكى فشحب وجه أمّـهـا، ثمّ قـالت،" اصرفيـهمـا من هـنـا فوالدك سرعان ما سيجىء" لكن إنّا قالت،" ماما، كلا، لن أفعل ذلك. سنبقى بالطابق الأول، ولن نصدر جلبة. سنقلّب فى قاموسنا ونصغى لبعض الموسيقى فقالت أمّها،" لا بأس، لكن فترة قصيرة فحسب قبل أن يرجع أبوك للبيت "

(*) بالروسية فى الأصل. زدراست فوى للمخاطب المفرد، وزدراست فويتى للمُخاطب الجمع وهى الاحترام أيضًا والتوقير.

وهكذا راحوا يصغون للموسيقى وشربوا شاياً وتكلموا وقتاً لا بأس به.تتذكّر أنّها سألته كيف جاء إلى هنا فردّ أنّه اختار منسك؛ لأنّها كانت مدينة ظريفة. فى البدء أراد الذهاب إلى لينينجراد لكنه بدّل رأيه بعدها،" الجو أكثر هدوءاً هنا، والطقس أفضل. لقد أردت منسك" وعندما سألتاه عن مكان شقّته، قال إنّها هى الأخرى تطل على ميدان النصر، وأضاف، لماذا لا تأتيان لرؤية شقّتى؟ فلدى الكثير من الكُتب الإنجليزيّة" فأجابت جاليا و إنّا، بلى، طبعاً. وتدبرت إنّا مسألة مغادرة زائريها قبل عودة والدها.

أراد لى أن تزوره إنّا بمفردها، لكن تنشئتها كانت تمنعها من زيارة مكان سكن أى أحد بتلك الطريقة، قالت، سأحضر جاليا" وقد وافق، وهكذا ذهبتا بعد بضعة أيام.

تتذكّر أنّهما عادتا قبل حلول الظلام ولا تزال تذكر شعورها بالإثارة، كانت فكّرت، ها أنا ماضية لمكان سيكون ملؤه كُتب إنجليزيّة" ـ فى الواقع، كان ذلك دافعها الرئيسى لزيارته، فقد كان لا يُقدّم أى نوع آخر من الانطباعات المفعمة بالحياة لها. كانت تتوقع العثور على روايات همنجواى وفوكنر فى خِزانة كُتبه، أو كُتب ممنوعة، بعض المعرفة.التى لم تكن يسيرة المنال، لكنها تتذكّر جيداً أنّه حين فتح الباب ودخلتا، كان ثمّة مطبخ صغير زائد حجرة صغيرة على شمالهما، وفى رُكن هذه الغرفة الثانية كانت خزانة كُتب صغيرة ـ لا يمكنك أن تطلق عليها خِزانة كُتب،

بل بضعة ألواح من الخشب، فوق أسفلها بعض الصُحف و الرفّ التالى فارغ، وعلى الرفّ الأعلى كُتب كارل ماركس ولينين، كلاهما بالإنجليزيّة. هذا كل شئ. كان سريره تقريباً يشغل الحجرة، سرير عسكرى من الحديد مُغطّى ببطانيّة رمادية مقلّمة بأبيض. ولأن الفتاتين كانتا لا تزالان واقفتين هناك، فقد جلستا أخيراً على طرف فراشه، وأعدّ لهما شاياً. كان لديه شاى لذيذ، تتذكّر ذلك، وقد حطّه فوق كُرسى صغير أمام سريره.

بعد فترة سألته، مُشيرةً إلى ماركس و لينين،" هل هذا ما تقرأ؟" وأجاب،" أجد فى هذا متعة حقيقية، ألا توافقينى؟" قالت،" لقد درسنا كل هذه الكُتب بالروسيّة ـ لِماذا نضطر لقراءتها بالإنجليزيّة؟" فردّ، "طيب، أنا لم يسبق لى أن قرأتها. وقد اكتشفت أنّها مشوّقة جداً"

كان مُرتّباً. تذكر أنّه ما من فوضى كانت بالمكان. كان يرتدى بنطلوناً فضفاضاً رمادياً ورابطة عنق زرقاء وقميصاً مخططًا، وكان سعيداً جداً بشقّته، وقال إنّه كان يدفع سبعة روبلات فحسب إيجارًا لها. طبعاً، كانت أقل تأثراً، فقد كانت أسرتها تعيش فى شقّة فسيحة رائعة، ثلاث غُرف لأربعة أفراد.

مع ذلك، لم ترق لها الزيارة. لأول مرّة فى حياتها كانت تشهد أمريكيّاً حقيقيّاً، وكانت إنّا مبهورة بكل تلك الاختلافات فى اللكنة بين الإنجليزيّة الأمريكيّة والبريطانيّة. هذا الأمريكى بدوره، كان يولى اهتماماً

كبيراً بإنّا، حتى أنّ جاليا كررت ذلك كثيراً فيما بعد، لكن عموماً لم تعنى إنّا بالرجل بصورة حقيقيّة، كانت مبهورة لا مُنجذبة، وحين شكا وحدته وغياب ما يفعله، قالت إنّا،" هيا نرجع لبيتنا مرّة أخرى" لكنه أجاب:"بيت والدك شديد الصرامة وتتذكّر إضافته،" كلا، ما من مرّة أخرى فى بيتك" ثم اتجه إلى جاليا،" أحبّ زيارة معهدكم للغات الأجنبية" ما أبهج إنّا، فها هى فرصة أخرى لمزيد من التدرّب على الإنجليزيّة.

كان الانطلاق به إلى سكن داخليّة جاليا، فى حين كان يُنظر إليه دون شكّ بوصفه استعادة جائزة، يُشكّل أيضاً مأزقاً؛ فآنذاك كان على المرء إبراز بطاقة هويته وهذا ينطبق على طُلاب المعهد ممن كانوا لا يعيشون فى السكن الداخلى. مؤكّد لم يكن روتيناً، فالفتيات اللائى كُنّ يدرسن فى معهد اللغات الأجنبيّة كُن يُعاملن كسيدات شابات فى دير، كانت تنشئتهن الأيديولوجيّة شديدة الأهميّة، وإجمالاً كان يجرى إطلاعهن على الأدب والأفلام الغربيّة، وكان مسموحاً لهن بسماع الإذاعات الأجنبيّة.

فى هذه الحالة، كى تُدخل جاليا أوزوالد إلى سكنها كان عليها أن تطلب منه أن:" كُن هادئاً. التزم الصمت" وأخبرت البوّاب أنّه واحد من أقاربها. كانت جاليا تنتهز فرصة، فلو تمّ الإمساك بها ستُحرم من راتبها الشهرى لفترة. قادته للداخل بأمان على أيّة حال وبعدها كان كلاماً مُعاداً.

تذكر إنّا حادثة: أوزوالد برفقة ست فتيات، محطّ الاهتمام فى تلك الحجرة بالسكن الداخلى، كان جالساً إلى منضدة برفقة فتاتين قريبتين منه وجميعهم يلعب لعبة، كان يفتح كتاب اللغة الإنجليزيّة البُنّى الداكن الّذى قدموه له، قاموس ميللر للغة الإنجليزيّة، وينتقى كلمة عشوائياً، ثمّ تقترح إحداهن ترجمة، وأياً كانت الفتاة الجالسة بالقرب منه لتتحقق من صحّة الترجمة، وكان ثمّة الكثير من الضحك أثناء ممارسة لعبة القاموس، فقد كانت لديه لكنة جنوبيّة على خفيف، وفتاة واحدة، لتسلية الجميع، كانت تصحح نطقه.

على مدى الشهر التالى، كان يزورهن كثيراً، وأحياناً يرغبن أن يعود للبيت، سوى أنّه كان يبقى، وأصاب بعضهن الرعب أن يُمسكه أحد، فكُن يبقين الباب موصداً ولا يصدرن أية جلبة، كان ضحكهن ليس عاليًا، ابتسامات أكثر من كونها ضحكاً. كانت ذكرياتها أنّه تراءى مبتهجاً كونه مقبولاً، وقد خامرها إحساس أيضاً أن جزءًا من تشوّقه فى البقاء معهن وقتاً طويلاً كان للهروب من إيريك، وتخمينها أنّه يجوز أراد أوزوالد عمل مجموعته الخاصة من الأصدقاء.

على كلٍ، لم يكن مرتاح البال تماماً على الرغم من كونه محطّ الاهتمام. طبعاً، كان نوعاً خاصاً من الاهتمام، لتقول الفتيات،" آه، لم نره منذ ثلاثة أيام وكانت إنّا تعلم من كُن يقصدنه بالكلام. لم يكن خائفات من ذكر اسمه فحسب بل ويرفضن البقاء

وحدهن برفقة لى ـ ماذا لو رفع واحد تقريراً أنّ إحداهن كانت بمفردها مع أجنبى؟ ذلك كان اعتبارهن الأول. لم يكن الأمر أنّه من نوعية الرجال الذين كان عليهن الخوف منهم ـ فإذا جاز التعبير، كان جباناً مع النساء، والفتاة الوحيدة التى كانت مُغامِرة كانت نيليا كوربينكا، والتى لم تكن على معرفة وثيقة مع إنّا.

وسرعان، حسبما شهدت إنّا، ما ملّت فتيات المعهد من لى، كُن قد تعودن عليه، ونادراً ما كُن يولينه اهتماماً بوصفه رجلاً، وكان عند هذه النقطة، لايملك شيئاً جديداً يقوله. ليتكلّم عن أسرته و يروى النِكات، لكنها جميعاً كانت قصصاً غبية. لم يكن ثمّة الكثير من النقاش، وقد أفصح لإنّا كم احترم أمّها، لكن إنّا ترتاب بالأمر فقد كانت تحترم أبويها جداً، فى حين كان مستعداً للكلام بدفء عن أمّها.

بعدئذٍ بفترة، غاب أوزوالد عن النظر ولم يعد يُرى كثيراً، واعتادت بعض الفتيات على النميمة أنّ سببه الوحيد للمجىء للمعهد كان لأنّ ما من امرأة أخرى أرادت مواعدته.

صفحة إضافية (ليست فى اليوميات الرسميّة)

نيليا كوربينكا، هائلة، خمسة أقدام، إحدى عشرة بوصة، مائة و خمسون رطلاً، متناسقة الأعضاء، ثديان عظيمان منتصبان، وردفان عريضان بهيجان لكن شديدا التناسق، من قرية قرب الحدود البولندية، من سلالة روسية ريفية صارمة. انيقة، عطوفة،

أنثويّة، ومتفهِّمة، مشبوبة العاطفة، عنيدة في آن. جمعت كل الخصال الأنثوية الجميلة مع القلب الروسي الواسع الرقيق. قابلتها من خلال واحدة من رفيقاتها بالحجرة، تومكا. كانت نيل و تومكا وثلاث فتيات أخريات يعشن في حجرة واحدة في داخليّة معهد اللغات الأجنبية في منسك قرب ميدان النصر. بدأت أنتبه لنيل جدياً فقط بعد أن انفصلت عن إنّا تاخينا.

ـ ١١ ـ

رازيتويا كاريتو

متى أراد لى الكلام عن خططه لمستقبلهما، كانت إيللا تحاول تجنّب ذلك الموضوع، فإن تناقش أمراً كهذا ربمّا يعنى أنّها كانت مستعدة للزواج منه، وقد كانت ممانعتها لإظهار اهتمام يضايقه، سوى أنّه لم يكن عدوانيّاً، بلى، حتى مع هذا، زاد جهده لبلوغ غايته، قليلاً.

قال، هل تريدين أن تعلمى لِماذا جئت إلى هنا؟" لكنها لم تسأله قطّ كثيراً من الأسئلة، كانت تخشى أن يحسبها امرأة تحاول الحصول على معلومات منه، كان هذا جزءاً من تربيتها: النساء لا يسألن، كان يُعدُّ طبعاً سيئاً، لذا راح يروى و أيضاً زاد جهده.

كانا يستهلان لقاءهما بحديث خفيف، ظريف وملؤه مزاح. يشاهدان فيلماً ويناقشان كل مزحة بعده.

كانت علاقة ظريفة. يتكلمان هراء، مرّة انخرطا فى نقاش عن كيف تتكلم الضفادع، وأصرّت أن ضفدعاً يقول،" كوا بالروسية، لطالما يقول ضفدع،" كوا" وردّه:" كلا، الضفدع يقول فروك" كان كلاماً مُضحكاً.

لكن فيما بعد، بدأ يناقش مسائل جديّة. مثلاً، لم يكن يرغب فى العيش فى منسك، كانت حسب كلامه، مدينة ريفية، وكان قد عاش فى نيوأورليانز، المدينة الهائلة. طلب منها أن يتقاسما حلماً. قال، ربّما سأنتقل لدولة اشتراكيّة أخرى، تشيكوسلوفاكيا مثلاً وأردف،" هل ترانا نذهب للحياة فى براغ ؟"

كان رجلاً شديد الغرور، ولم يُرد أن ترفضه إيللا، تعتقد أنّ ذلك هو السبب وراء عدم طلبه الزواج بشكل مباشر أبداً. ليقول،" كيف الأحوال هنا؟ فى أمريكا عندنا خاتم زواج، خاتم فضّى يتبدّل إلى آخر ذهبى. كيف يتم الزواج هنا؟"، يجوز كان ينتظر أن تسأل،" لِما أنت مشغول بكيفية عقد الزواج فى روسيا؟" لكنه لم يقل مباشرة قطّ،" أودُّ أن تصبحى زوجتى

مرّة، أظهر أوراق إقامته الروسيّة وقال، قريباً علىّ اتخاذ قرار، وأنتِ من سيشكّل فارقاً. هل تريدين العيش فى براغ ؟ لأنّكِ لو تريدين ذلك، إذًا فلن أقبل الجنسية السوفيتية، لكن لو ترغبين فى الحياة هنا، أخبرينى لو هذه رغبتك، فسأقبل بالجنسية ـ هذا كُله يعتمد عليك". وفى ديسمبر، أفصح لها عن أن أوراقه تنتهى فى الرابع من يناير فى العام التالى،

محض بضعة أسابيع باقية. وكان عليه اتخاذ قرار بشأن ما ينبغى عمله فى حياته قبل أن تمر أربعة أيام من عمر سنة ١٩٦١

لكن هذه كانت مسألة كبيرة بالنسبة إليها: فلِماذا أتى إلى هنا، ولماذا أراد الآن الرحيل؟ كان قد قال، "أنتِ لا تفهمين. فى بلادنا، نسافر، نغيّر الأماكن - أنتِ لا تفهمين" لكنها لم تصدقه، فضلاً عن أنّ لى لم يكن حقّاً على ذوقها، كانت تحبّ الرجال ذوى الأكتاف الأعرض.

من رصد الكى. جى. بى.

أُنجِزَ من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة صباحاً، يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠.

فى الحادية عشرة والنصف غادر ليخوى بيته، وراح إلى محطة باص ميدان بوبدى، وركب باص نمرة خمسة، وبلغ محطة كومسومولسكايا، و هناك نزل ودخل جوم» . فى قسم الخردوات، اشترى أمواس حلاقة آمنة، ثمّ جرّب قبعة فى قسم القبّعات، لكنه لم يشترها ودخل قسم المخبوزات. هناك شرب كوب قهوة مع كعكة، وخرج قاصداً جلافبوختمات. فى طريقه، مال على عدد من متاجر البضائع الصناعية، ثمّ راح إلى جلافبوختمات، وسويوزبيخات كيوسك، وألقى نظرة على الصحف دون أن يشترى، خرج وركب ترووللى نمرة ٢ بلغ ميدان تسنترالنايا. فى الميدان، ركب ليخوى ترووللى نمرة واحد وبلغ ميدان بوبدى،

وهناك نزل ودخل كافيه آلى حيث تناول الغداء، خرج ووصل البيت عند الواحدة إلا الربع...

فى التاسعة إلا ربع غادر الهدف البيت و اتجه شرقاً إلى البيت نمرة ٢٢ شقة ٢ فى شارع لافسكو ـ نابيرزنايا. بعد عشر دقائق غادر المكان برفقة "دورا" يداً بيد وراحا معاً، يتكلّمان بخصوص شىء ما، أثناء سيرهما على طول ضفّة نهر سفيسلوخ، وعند التاسعة والربع مضيا إلى شقّة الهدف.

فى الحادية عشرة وعشر دقائق خرجت دورا وليخوى من شقّته وتمشيّا متمهلين على طول ضفّة نهر سفيسلوخ، يتكلمان مع بعضهما. فى الطريق كان ليخوى بين الفينة والأخرى يضمّ يدا دورا إليه ويعانقها. فى الثانية عشرة إلا ثلث وصلا بيت نمرة ٢٢ فى شارع لافسكو ـ نابيرزنايا، حيث ودعا بعضهما وافترقا. دخلت "دورا" المنزل المذكور ورجع ليخوى للبيت فى الثانية عشرة إلا خمس، وعند هذه النقطة توقفت المراقبة حتى الصباح.

حين قبلها، لم يكن بغيضاً ـ بل كان لطيفاً. لكن لأنّ إيللا لم تكن تحبه، فقد كانت غير مبتهجة. مع ذلك، لم يخفها أبداً كرجل، وفى هذا الشأن، كان مثاليًا، كان شديد الرِقّة، ولم تخافه أبداً. لكن ورغم أنّها طوال كل تلك الشهور كانت تخرج معه، من مايو إلى يناير، إلا أنّها لم تثق به. البعض قال لها إنّه كان جاسوساً أمريكياً، وقد فكّرت،" يجوز يرغب فى الزواج

بى كى يستطيع البقاء فى هذه البلاد، لذا فحين يقول إنّه يحبّنى فهو غير صادق بالمرّة

لم تقل قطّ لنفسها،" يمكن سأذهب إلى براغ وينجح الأمر. أو، لو فشل الزواج سأحصل على الطلاق .بالنسبة لإيللا كان الزواج شيئاً تقوم به كى تعيش. تحبّ واحداً وتثق به، لأنّك إن لم تفعل، ترى كيف تمضى لعالم جديد؟.

فى النهاية، صار شديد التصميم. قال، لابد أنّ تحسمى أمرك إذا كنتِ تعتزمين الزواج بى وحين طلبت وقتاً لتمعن التفكير ـ قال،" كلا، علىّ أن أقرر قبل الرابع من يناير ما جعلها تشعر بالارتياب أكثر، فقالت له، أنتَ تروق لى، أيضاً، سوى أنّى فى حاجة لوقت للتفكير ، فلم تكن بالمرأة التى تهين من كانوا لطفاء معها.

تشاجرا مرّة أخرى، عموماً، بشأن عشية رأس الميلاد. كان قد دعاها لحفل لأجل تلك الليلة، لذا رفضت دعوة كانت قد جاءتها لحشد آخر، حينئذٍ، وعند اللحظة الأخيرة، أخبرها أن أمسيته قد ألغيت، وصارا الآن دون أى مكان يذهبان إليه تلك الليلة لقضاء عشية رأس السنة.

كان ثمّة تعبير، razbitoye karito كان يعنى أنّهم كانوا مستعدين للأكل لكن كل ما حصلوا عليه كان طبقاً مكسوراً.استشاطت إيللا غضباً ذلك أنّهما لم يكونا بموقف لائق، قالت،"لقد خذلتنى وكانت لم

يسبق لها أن تكلمت معه بطريقة مشابهة، عدا، ربما، فيما يتعلق بإنّا تاخينا. تلك المرّة كان هادئاً، لكن الآن، صار مهتاجاً، وأخيراً قال،" أنت تتلاعبين بموقفنا، آه، أنت ممثلّة! ما كان مساوياً للقول بأن عواطفها ليست صادقة، و فارقا بعضهما.

لأنّ إيللا لم تكن تذهب لأى حفلٍ الآن، فقد شرعت بمساعدة أمّها، وكان بعض العائلة آتون من أجل حفل عشية عيد ميلاد صغير، فنظفتا البيت وطبختا، وبعدئذٍ، كما هو شائع فى روسيا نامتا القيلولة لفترة حتى حوالى الثامنة مساءً كى تقدرا على البقاء ساهرتين الليلة بطولها. عند الحادية عشرة كان الضيوف يشرعون بالمجىء، لكن هذه الليلة، بعد التاسعة بقليل، سمعت جرس الباب يرن. كانت ناعسة حين فتحت بابها، وكان لى يقف على العتبة مرتدياً قبعة روسية لم ترق لها أبداً، لكنه كان فخوراً بها، وكان يقف منتصباً عاقداً كفيه خلف ظهره، وقال، لعلمك يا إيللا، الكريسماس واحد من أعزّ عطلاتنا فى أمريكا، وعامكم الجديد يشبه ليلة الكريسماس لدينا، لهذا جئت إليك، فهذا يوم حين أشعر فيه بوحدة شديدة آتى إليك" وأردف، لدينا تقليد فى أمريكا، فى العادة نُحضر هدايا وأعطاها صندوقاً ضخماً من الشيكولاتة المُزيّنة بتمثال صغير من السُكّر. أخذت هديته وقالت، تمهّل لحظة. أريد أنّ أضع هديتك جانباً" ودخلت إلى أمّها وقالت، صديقى الأمريكى أحضر لى هذه الهدية. هل يمكن أن ندعوه؟" وقالت أمّها،" نعم، طبعاً"

وهكذا رجعت وقالت،" اسمع، هل تهتم بقضاء ليلة مع أسرتى ؟" وكان سعيداً حيال هذا الأمر.

حين رجع حوالى الحادية عشرة، كان يلبس بذلة رمادية ورابطة عنق و كان مهندماً جداً، وسرعان ما تبعه أشقاء أمّها برفقة زوجاتهم. كانوا قد خدموا فى البحرية الروسية وقد حضروا بقيثاراتهم. كانت عائلة موسيقية، لا يتمتع جميعهم بحلاوة الصوت، لكن متى غنوا فى جوقة، خرج صوتهم جيداً بما يكفى. الجميع غنى وأدوا رقصة الكعوب نزولاً وصعوداً فوق دَرج بيتهم، نمط غربى من الخطوات، كان يتمتع بشعبية كبيرة فى البحرية الروسية، نمط غربى من الرقص، وقد قام أشقاء أمّها برقصها، رقِصوا بالطابق العلوى ثمّ بالسفلى، بخطوات مختلفة لكنهم كانوا بارعين بها، من أجل جو مبهج، ورقصت أمّها على أغان غجرية. كان لى وإيللا قد اكتفيا بالمراقبة.كانت مرتبكة أن تقوم بأى شىء فى بيتها لأن هؤلاء الآخرين كانوا شديدى البراعة.

قبل مغادرة لى، بعدها بساعات، كشف لها عن إعجابه بالليلة. راق له هذا الجو، كما راق له كيف قعد الجميع يأكلون ويشربون ويرقصون، ثمّ عند منتصف الليل شربوا جميعاً الشمبانيا. لم يتبادلوا القبل، فذلك ليس عُرفاً روسياً، لكن بعد منتصف الليل، أثناء الساعات المبكّرة للصباح، لم يجلسوا ويأكلوا فحسب بل خرجوا وصنعوا كُرات ثلجيّة و قذفوا بعضهم البعض بها، ركضوا فى الجوار قليلاً ثمّ رجعوا وأكلوا مرّة أخرى.الجميع ترنّح ـ فى الواقع، لم يسبق لها

أبداً أن رأت لى أوزوالد مترنحاً لتلك الدرجة كما رأته هذه الليلة. جاءت صديقات، وعرّفته على صديقاتها وأقاربها، وتحلّقوا جميعاً حول منضدة العائلة و شربوا أنخاب السنة الفائتة ـ وداعاً أيتها السنة الفائتة، ها أنت تغادرين". الكُل تكلّم معه، وعومل كأنّه رجل روسى انضم لحفل عائلتهم. كان أقاربها فضوليين قليلاً بشأنه، دون أن يكشفوا عن موقف خاص، وكانت أمّها أيضاً على راحتها، وطبعاً كان موقفها أنّه، لو أنّ إيللا تواعد رجلاً، فهذا لا يعنى أنّها ستتزوجه.

١ يناير

قضيت عشية عيد الميلاد فى بيت إيللا جيرمانَ. اعتقد انّى احبها. رفضت اكثر عروضى المشينة، نشرب ونأكل فى حضرة أسرتها فى جو بالغ الكرم. بعدها أعود للبيت سكيراً ومبتهجاً. اثناء مرورى بالنهر تجاه المنزل، أقرر عرض الزواج على إيللا.

فى اليوم التالى، قالت لها أمّها، التى لم يسبق أن تدخلت فى حياتها الشخصية أبداً،" إيللا، القرار لك أنت من يختار، سوى أنّى أريد إخبارك بأمر. عام ١٩٣٩ كان من الممكن اقتيادك للسجن؛ لأنّك ولدت فى بولندا فقط". تلك كانت كلمات أمّها، وقد أوقفتها.

٢ يناير

بعد تمشية بكفين متشابكين إلى دار السينما المحليّة، نعود للبيت. لدى وقوفنا على عتبة الباب،

أعرض عليها الزواج. تتردد، ثمّ ترفض.حُبّى لها حقيقى لكنها لا تحمل شعوراً لى. سببها، عدا افتقار الحبّ ـ أنّى أمريكى ويوماً ما سيُقبض على ببساطة بسبب هذا المثال للتدخل البولندى(*) فى العشرينيات الّذى أدى لاعتقال كل من هم ذوى أصول بولنديّة فى الاتحاد السوفيتى." أنت تدرك الوضع الدولى، ثمّة الكثير ضدك وأنت حتى تجهل ذلك" أنا دائخ.تضحك ضحكة مكتومة إزاء ارتباكى أثناء دورانى للعودة (أنا دائخ جداً درجة تعوقنى من التفكير!) أدرك أنّها لم تكن أبداً جادة معى لكنها استغلّت فحسب كونى أمريكياً كى تثير غيرة الفتيات الأخريات، اللائى اعتبرننى مختلفاً عن الشباب الروس.كم أنا مثير للرثاء.

فى الليلة التى تكلّما فيها مع بعض آخر مرّة بشأن ما إذا كان عليه أم لا أن يتقدّم للحصول على الجنسية الروسيّة، قالت له فى النهاية، أليك، من الجائز أنّك تهدر وقتك معى. عند هذه النقطة، لاأستطيع الموافقة على الزواج منك، لذا لا تحصل على الجنسية الروسية، ربمّا علينا التوقّف الآن وإلا صار عسيراً فيما بعد فأجاب بطريقة لطيفة،" أعى أنّه ينبغى علىّ الكفّ عن الشرب، لكن الخمر لذيذة وأريد مواصلة هذه المتعة لفترة

(*) تدخل عسكرى ضم أربع عشرة قومية فى الفترة منذ عام ١٩١٨ أثناء الحرب الأهلية الروسية والحرب العالمية الأولى وكان الهدف المُعلن هو إنقاذ الفيلق التشيكوسلوفاكى (المترجم).

تلك، عموماً، حسبما تتذكّر، كانت آخر مرّة التقيا فيها. وقد وافقت إيللا على لقائه مرّة واحدة أخرى، لكنه لم يحضر. بعدها، تجاهل وجودها فحسب فى الورشة.

ليقول إيجور إنّ طاقمه نظر لهذه المسألة من وجهة نظر إنسانيّة." لم يخرج ويؤذى أحداً؛ لأنّه تعرض للرفض قال إيجور،" و لم يتراء أنّه يحمل ضغائن. طبعاً كان حزيناً لبعض الوقت، لكن لم يكشف عن ذلك فى سلوكه. لم يترك العمل، مثلاً، أو يمرض، ولا بدأ فى الإسراف بالشرب ـ لا شىء من ذلك" لو أنّه كان قد اضطلع بأية مهمات محفوفة بالمخاطر عند هذه النقطة ـ لنقل، طلب من واحد سرقة شىء ووضعه عند آخر ـ لوضع هذا المخابرات المضادة على أهبة الاستعداد. لكن لا شىء من ذلك.

***

فى الحادى عشر من يناير، بعد افتراقهما ومعرفة الجميع بالأمر، طارت إيللا إلى ليننجراد عشرة أيام إجازة. كان ثمّة كل أنواع الكلام حولها فى المصنع: لقد كفّا عن رؤية بعضهما، قال الناس، وقد طارت إلى ليننجراد لتجهض نفسها. وقالت إيللا وكأنى أعجز عن الإجهاض فى منسك" حكايات مخرِفة!

مع ذلك، كان الجميع على يقين أنّها ما دامت كانت تواعد أمريكياً، فلابد أنّهما تضاجعا. ما من أمريكى، يقولون لها، ليواعدك كل تلك الفترة دون

النوم معك. لدى هؤلاء الرجال مواخير فى أمريكا، وهم دائماً فى حاجة للجنس. وهكذا، حين كفّت هى ولى عن رؤية بعضهما، طالت إيللا سمعة سيئة. بلى، كان ذلك غريباً، فقد كان دائماً يخشى الإساءة إليها عبر مدّ علاقة جسديّة. كان حساساً ـ بلى، كان حساساً.

٣ يناير

أنا بائس بشأن إيللا.أحبّها، لكن ماذا أفعل ؟ إنّها حالة الرعب المسيطرة دائماً فى الاتحاد السوفيتى.

٤ يناير

بعد عام من استلام وثيقة الإقامة، استدعيت لمكتب الجوازات وسُئلت بشأن رغبتى بالجنسية (الروسية). قلت لا ـ ببساطة مددوا جواز إقامتى، (وافقوا)، وتمّ تمديد وثائقى حتى الرابع من يناير ١٩٦٢.

صفحة إضافية (ليست فى اليوميات الرسميّة)

نيليا، فى البدء، لم يبد أنّها تسوّغ انتباهاً بسبب مظهرها الصريح وبدانتها المرعبة، لكننى أحسست مرّة أنّها عطوفة و أنّ شغفها متناسق مع حجمها، حقيقة عرفتها بعد بحث طويل. عقب علاقة خفيفة دامت طوال يناير وفبراير حتى، واصلنا البقاء بعلاقة وديّة لكن تقليدية خلال عام ١٩٦١وحتى شهر مايو حين تزوجت، فلم نعد نتقابل.

هذه الصفحات الإضافيّة هى دليلنا الملموس الوحيد على حياته الجنسية فى منسك قبل أن يقابل مارينا بشهرين ونصف بعد ذلك، فى ١٧ مارس ١٩٦١. على مدى الأربعة عشر شهراً الأولى من إقامته فى منسك، يبدو أنّ إنّا تاخينا ونيليا هما المرأتان الوحيدتان اللتان نام معهما.

مسألة إن كان أقام فى أى وقت علاقات جسدية مع رجال أثناء هذه الفترة، كانت الكى. جى. بى. غير مستعدة لمناقشتها إلا بطريق غير مباشر، لكن عندئذٍ كانت أسانيد ستيبان وإيجور جدّ متناقضة، فبالحقيقة كان التناقض طبيعياً، فواحد منهما كان قوبل صحفياً فى منسك والآخر فى موسكو، وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً.

فى ردّ على سؤال حول الثنائية الجنسية، قال إيجور إيفانوفيتش أنّ لى لم يكن رجلاً نظيفاً، ولم يرفض أياً مما عُرض عليه. كانت لديه اتصالات جنسية متى تمكن من الحصول عليها، وهو ما لم يتكرر كثيراً.

حسب ستيبان، على أية حال، لم يكشف أوزوالد عن أيّة انحرافات. ذلك كان بيان ستيبان الصريح. قبل زواجه من مارينا، لاحظوا أنّ أوزوالد كان، يقابل فتاة أحياناً ويأخذها للبيت، والله وحده يعلم ما كانا يفعلان بالداخل، وأحياناً أخرى كان يأخذها فحسب إلى أقرب محطة ترام . نظراً لذلك فقد عاش حياة طبيعية عادية، على الأقل كما فهموها بالوسائل

الروسيّة. وإذا كان قد انجذب للكثير من الفتيات، فهذا يعنى أنّ لديه ما يجزم ـ أنّه كان رجلاً، وإلا كانت نبذته البنات، فضلاً عن أنّ اللوطى يكشف عن نفسه فى سلوكه" قال ستيبان، فى اهتماماته، فى صوته. فى العادة، لدى اللوطى صوت مخنث، حاجة أنثوية فى تصرفاته، ومن ثمّ، رجل كهذا يعنى فحسب بالنساء بالطريقة الرسميّة، لكن عينيه تبدءان باللمعان متى يرى رجلاً، خصوصاً ـ اعذرنى لقول ذلك ـ حين تكون مؤخرته كبيرة. باستمرار يظهر فى المراحيض العامة، وغالباً يمارسون الرذيلة هناك. وهكذا فاللوطى له سمات ثابتة ومميزة يمكن استعمالها لفرزه، ونحن لم نلاحظ مثل تلك السمات فى أوزوالد. لقد قضيتُ كل هذه الفترة أفكّر فى تلك السمات؛ لأنّه قبل هذه القضية، كانت لدىّ حالة تتضمن لوطياً وكنتُ أعرف أمراً أو أمرين بخصوص تلك المسائل .

القسم الرابع

أصدقاء مارينا،

عُشاق مارينا

ـ ١ ـ

يانينا وسونيا

فى العمل، ثمّة من كان لا يحمل حُبّاً لمارينا. كانت يانينا سابيلا تشتغل فى مخزن أدوية المستشفى الإكلينيكى الثالث فى شارع لينين عشر سنوات قبل انتقال مارينا من ليننجراد إلى منسك، وقد رأت فيها يانينا امرأة جذّابة، ذات سريرة ثريّة وتربية طيبة، قويّة الإرادة رغم انفتاحها تماماً. كانت قد دخلت المستشفى الإكلينيكى الثالث فى عمر صغير جداً، لذا كان الفارق العمرى بينهما بضع سنوات فحسب ـ كانت يانينا فى الرابعة والعشرين ومارينا فى الثامنة عشرة ـ لكن مع ذلك، كانت مارينا شديدة الحِرَفيّة، ورأت فيها يانينا حِنكة رغم عمرها. بالنسبة لنفسها، كانت تشعر بافتقارها الكثير من المعرفة الاجتماعيّة، مثل كيف تقدّم نفسها للآخرين ـ كانت ثمّة فجوات

فى نموها. كانت قد تربّت فى مكان ريفى فى منطقة موجيليف فى بيلاروسيا، لكن مارينا، كونها من لينينجراد، كانت ذات تطوّر مُغاير، فحتى طُلاب المدارس من لينينجراد كانوا يبدون على دراية أكثر ممن سواهم من أى مكان آخر، وكانت ثمّة متاحف كثيرة فى تلك المدينة. رغم هذا، كانت يانينا صديقة مُقربة لمارينا وقد تقاسمتا الكثير.

بعدها، بعد انضمام مارينا للعمل فى مخزن الأدوية ومرور حوالى ستة أشهر، قضت مع يانينا عطلة نهاية أسبوع معاً خارج منسك برفقة صديقات أخريات، وهو أمر لا بأس به - فالفتيات ينمن فى فراش واحد، فلا عيب بالأمر - وكُنّ يدنين من بعضهن ويتكلّمن كثيراً. تتذكّر يانينا سماعها كيف تعوّد زوج أمّ مارينا الصراخ فيها، حتى أنّه كان يدعوها بالعاهرة، وكانت على خلاف ما يقول، فتاة طبيعية لطيفة. تستطيع يانينا استيعاب مواقف مشابهة فوالدها هو الآخر كان شديد التزمّت وأحياناً ما صرخ بكلمات بذيئة لأطفاله، لكن يانينا كانت تتجاهل فحسب تقريعه المسهب، فلعلمك، تسمع بين الرجال الروس فى الأماكن الريفية الصغيرة، كلمات وقحة تثير الغثيان، لذا مثل تلك الاتهامات لم تترك انطباعاً لدى يانينا، بل عرفت مارينا بصورة أفضل.

***

ولِدت سونيا فى زابولاط، قرية تبعد مائة وخمسين كيلومتراً عن منسك وكان والدها مسئولاً عن

مزرعة وكانت أمّها تحلب اللبن فى تلك المزرعة. من ثمانيّة أطفال، كانت سونيا الأولى، وكون أسرتها بيلاروسيّة، فقد عمّدتها، لكن حينئذٍ، فى تلك القُرى دائماً ما كان أهلها يجرى تعميدهم وفق كنيسة أرثوذكسيّة وأحياناً حتى تتبعها شعيرة، ما كان يعنى فعلاً دعوة ضيوف إلى بيت المرء بعد التعميد؛ حيث يوضّب مائدة طعام ومن ثمّ يُدعى الجيران والأقارب للاحتفال. ما كان عضو حزب ليحضر ما لم يكن، هو أو هى، من أقارب المرء أيضاً، فى الواقع، لم يكونوا يولون كثيراً من الاهتمام لمسألة ما إذا كان هناك تعميد فعلى من عدمه، فالفكرة الرئيسية كانت : متى يولد طفل، لندع الجميع يجيئون و يحتفلون.

فى مراهقتها الأخيرة، بعد تعليمها الثانوى الفنى، حصلت سونيا على تكليف بالعمل بمخزن الأدوية فى المستشفى الإكلينيكى الثالث فى منسك حيث قابلت مارينا، وتتذكّر سونيا أنّ مارينا كانت دائماً تلبس أفضل قليلاً من زميلاتها. لم تكن تحصل على راتب أكبر من أى أحد، لكن زوجة خالها كانت تزودها بالطعام ويقيناً كانت مارينا تنفق راتبها على الملابس، ومع ذلك كانت عطوفة دون جشع، ولو معها روبلاً، لا بأس، إن أرادت واحدة سُلفة لتعطيه لها ـ لم تكن شَرِهة، وما كانت لتفكّر لو طلب منها المرء شيئاً، قد احتاجه فيما بعد بل تعطيه له وحسب، وكانت صريحة، لتقول الحقيقة فى وجهك بدلاً من الهمس بها وراء ظهرك، وكانت لا تخشى الكلام

مباشرة مع رؤسائها، لتقول وحسب، أحتاج إلى هذا لأجل شغلى

كان شغل مخزن الأدوية من التاسعة حتى الرابعة وثمّة حوالى خمس عشرة فتاة فى الورديّة مكلّفات بتخصصات شتى. سونيا مثلاً، لماذا كان يحتاج لدرجة عالية من التعقيم، وكانت مارينا فى الغالب تتعامل مع أدوية العين، لكن فى قدرة أى منهن القيام بعمل الأخرى إذا استلزم الأمر فى يوم مُعين. كانت مارينا عاملة بارعة، شديدة البراعة فى المسائل المشابهة.

ـ ٢ ـ

جـــيران

لإيليا زميل ضابط فى وزارة الشئون الداخليّة اسمه ميخائيل كوزميخ، طبيب، كان يعيش بالجانب الآخر من الردهة حيثُ إيليا وفاليا، ومتى حدث أن رُددت ألحان فى حفلات، لم يكن ثمّة كثيرون ممن يملكون صوتاً أفضل. كان ميشا كوزميخ ملؤه طاقة بوصفه شاباً، وقد حصل على علامات عظيمة فى مدرسة الطبّ، وفى حين لم يكن قد أتمّ عامه العشرين كان بالفعل طبيباً عسكرياً وأُرسِل للجبهة الغربية فى الحرب الوطنية العظمى.

بعدها، صار أستاذاً جامعياً و أكاديميّاً كذلك ـ قليل من كل شىء حسب كلامه. ولأنّه كان يتكلّم بصوت جهير مع الصحفيين، فقد راحت زوجة ميشا، سيدة شقراء بهية الطلعة مدوّرة الوجه، اسمها

لودميلا، وهى طبية أيضاً، تضايقه بشكل لطيف،" إنّه يصير نابضاً بالحياة" قالت،" لأنّ ميشا يظن أنّه حين يرفع صوته، ستقدرون على فهم اللغة الروسيّة

لودميلا هى الشقيقة الكُبرى للاريسّا التى كانت الصديقة الحبيبة لمارينا حين كانت مارينا ولاريسّا مراهقتين صغيرتين، وكانت مارينا تأتى إلى منسك فى زيارات. هاتان الشقيقتان، لودميلا و لاريسّا، كان لهما أبٌ قُمِعَ عام ١٩٣٧ أُعتقل فى عيد ميلاد لودميلا بالثانى من فبراير. ومرّة بعد عام، تلقّت بطاقة بريديّة فى التاريخ نفسه من يالطا، مُرسل من شقيقها لتهنئتها. أضاف، على أيّة حال، "أذكر كل ما اتصل بهذا التاريخ" وكذلك لودميلا، ما خلفها منفتحة على مشاعر الآخرين.

أحياناً، حين تزور شقيقها تطلب منه قراءة رسائلها القديمة، وكان يحتفظ بألبوم ضخم لتلك المراسلات، مع لقطات فوتوغرافيّة، وحين تقلّب الدفتر الذى يتعلق بعام ١٩٣٧ تنخرط فى البكاء. آنذاك، كان لديها ثلاثة أشقاء أكبر منها، كانت الرابعة وقد وُلِدت بعد ثلاثة صبيان يحبونها جداً، وفى حين كان والدا لودميلا يحتفلان عادة بأعياد ميلاد الجميع، كان عيد ميلادها يُعدّ مميزاً. فى الثانى من فبراير، كان الضيوف يجيئون ـ أطفال، ثمّ البالغون ـ وكانوا جميعاً ينتظرون عودة والدها من العمل هذا اليوم من عام ١٩٣٧ سوى أنّه لم يصل، وفى الليل، سمعوا قرعاً على الباب وحين فتحت أمّها الباب،

وجدت والدها مقبوضاً عليه، وقد صاحبه رجال من الميليشيا، واعتذر أبوها على مرأى من الجميع كونه مضطراً للظهور بهذا الوضع.

آنذاك، كان مسئولاً عن مصنع لحوم ضخم فى الشرق الأقصى، فى منصب مرموق جداً، ومع ذلك، شرع رجال الميليشيا هؤلاء فى بحثهم فى حضور الجميع ـ قلبوا الأثاث ساعة شاءوا، وفتحوا الأدراج. واختفى ضيوفهم.

فى السجن، لم يُعذّب أبوها، لكنه أيضاً لم يكن هيناً. يجوز لم تسئ معاملته كالآخرين لأنّه كان شخصية معروفة، ومع ذلك كانوا يجبرونه على أن يجثو على ركبتيه فى رُكن و كان عليه البقاء هكذا هناك ليلة كاملة، أو كانوا يقذفون برماد التبغ فى عينيه. رغم هذا، لا يساوى ذلك موقفهم الوحشى الّذى تعاملوا به مع الآخرين فى السجن ذاته. غالباً إذلال حقير.

تجلّى ذلك عن أنّ البعض كانوا لا يزالون يحترمونه. وهكذا، تسلّمت أمّها رسالة فى الواحدة صباحاً بإحدى الليالى، تبلغها أن تزور السجن، فلدى زوجها رسالة عليه إبلاغها، وكانت ملاحظته تقول،" فى غضون أيام معدودة يعتزمون نقلى إلى مصنع اللحوم حيث يرغبون فى إثبات أنّى ارتكبت أعمالاً بعينها، وأريد الوثائق التالية للدفاع عن نفسى... وكان قد اتُهِم بإخراج عربة شحن ملؤها لحم فاسد.

بعد خمسة عشر شهراً تلت اعتقاله، لم يطلقوا سراحه فحسب بل أعادوه لوظيفته و قد عمل جاهداً لسنوات عديدة، ثمّ ولدت لاريسّا صديقة مارينا عام ١٩٤١ تفصلها أربعة عشر عاماً عن لودميلا، وبدأت الحرب مع ألمانيا.

برغم منصبه الرفيع، لم يكن والدها عضواً فى الحزب، مع درايته بما كان يجرى. تذكر لودميلا أنّه متى سمع بعض الدعاية فى جهاز الراديو خاصتهم والتى يجدها عسيرة على التصديق، ليقول لها،" مرحى يا حبيبتى ـ ناولينى هرّاسة البطاطس ، وكانت تلك طريقته لقول،" لو نقدر فحسب على هرس هذا الهراء لفتافيت !". كان يكره الحرب، لكن حينئذٍ، وكان يعشق أولاده الثلاثة جداً، ويوم أن استهلت المعارك، راح يبكى، وقال لها،" سأفقد أبنائى . كان قد عُين مرّة أخرى كرجل ذى نفوذ، وهكذا كان قادراً على الاحتفاظ بابنه الأصغر الّذى كان قد تخرّج للتوّ فى المدرسة الثانوية، بعيداً عن التجنيد، لكن هذا الابن تجنّد طواعيّة، وفى غضون شهورٍ أربعة كان مقتولاً فى معركة. حين وصل الإنذار، كانت أمّ لودميلا فى غاية الحزن درجة أن لم تصارح زوجها، ومتى عجزت عن احتواء حزنها، كانت تمضى إلى جيرانها كى تبكى حتى إن عادت للبيت تستطيع التصرّف كأنّ شيئاً لم يكن، سوى أنّ والد لودميلا أصابه القلق: لماذا طوال أربعة شهور لم تأت ولا حتى رسالة واحدة ؟ كان اسم هذا الصبى يوزيك، وقد ذهب والد لودميلا إلى

سكرتير الحزب فى العمل وبدأ يشكو لِماذا ما من رسائل؟" وقد ردّ سكرتير الحزب هذا: "ماذا تقصد بما من رسائل؟ ألم تعرف بشأن يوزيك ؟"

رجع والدها للبيت وأصيب بأزمة قلبية وخلال أربعة أشهر وافته المنية، ثمّ أُرسل شقيق آخر للجبهة وقُتل أيضاً. كانت والدة لودميلا الآن قد فقدت ابنين وزوجاً. ابنان وزوج ضاعوا خلال عام ونصف. يا لها من سنوات صعبة.

منذ أكثر من أربعة عقودٍ مضت فى منسك، حين صار ميشا، آنذاك كان عمره تسعة وعشرين عاماً، خبيراً فى الطبّ الإشعاعى، طُلِب منه المجىء فى الثانية صباحاً إلى مكتب وكيل وزارة الصحّة. لم يكن ستالين ينام ليلاً، وبالتالى، كان ثمّة قاعدة أن تظلّ مكاتب الحكومة هى الأخرى مفتوحة وألا تنقطع عن العمل إلا حين يذهب ستالين للنوم. لذا، لم تكن الثانية صباحاً ساعة غير مألوفة كى يُطلب الحضور فيها. لم تكن لدى ميشا فكرة عن سبب استدعائه، لكن حالما وصل، سرعان ما صادف تعبيراً مميزاً، يقول، " ثمّة رأى متداول بأنّه عليك..."وأيّما مسئول كنت تراه، كان يتلو عليك بعدها تفاصيل هذا الرأى المتداول. طبعاً، ما كنت لتعرف أبداً هوية من كان وراء اقتراح كهذا، قد يكون حتى وزير الجمهورية، لكن على أيّة حال يقول المسئول الرفيع الّذى تتكلّم معه فحسب، ثمّة رأى متداول..." كما لو أنّ دولتك بالأكمل قد خلصت إلى نتيجة أنّ عليهم تبنّى هذا الرأى، وكل ما يمكنك

الوثوق به هو أنّ هذا الرأى جاء من مسئولين أرفع منك، وفى هذه الحالة، كان الرأى المتداول كما يلى، " نأمل أن تصير رئيس شعبتنا الطبيّة فى وزارة الشئون الداخليّة فى بيلاروسيا" ما عنى، طبعاً، أن ميشا الآن نُقِل إلىMVD

كان، بقدر ما كان معنياً، صغيراً جداً على وظيفة كهذه. كانت تحتاج لمن هو أكثر خبرة فى تنظيم الأمور، لذا فقد حاول ميشا إخبار وكيل الوزارة أنّه لم يكن يرغب فى هذا التكليف، كان طبيباً ويأمل أن يظل كذلك. لا يرغب أن يصبح رئيساً لشىء، لكن وكيل الوزارة قال له، سنعطيك شقّة فردّ ميشا، أنا لا أطلب شقّة، فلدى أنا وزوجتى حجرة مساحتها خمسة عشر متراً فى قلب المدينة لكن وكيل وزارة الصحّة هذا قال، أنتما أسرة شابة، وسترزقان بأطفال

وحين صمم ميشا على رفضه الاضطلاع بالوظيفة، قال وكيل وزارة الصحّة، دكتور كوزميخ، لماذا لا ترغب فى الترقّى؟ نحن نرقّيك" فكرر ميشا: إنّه أراد فحسب المواصلة فى تخصصه، طبيباً، وعاد وكيل الوزارة يقول،" ما دمت رجلاً شديد الاستقلالية، بمقدورك تنظيم حياتك، لذا فأنت تستطيع القيام بالأمرين معاً، التنظيم و البحث". وقضى أربعين دقيقة فى محاولة إقناعه بالمنصب.

الآن، كان يجلس بالقرب من وكيل الوزارة هذا رجل مسئول عن كل دوائر الموظفين، وفى النهاية، قيل

له،" حاول البحث عمن يصلح لهذه الوظيفة، ولو ثمّة فى بيلاروسيا من هو أكثر ملاءمة من ميشا، سأعرضها عليه، بخلاف ذلك، لا ترجع لى حتى، وأصدر قراراً بتعيين ميشا"

بعد المقابلة، اختلى ميشا برجل دائرة الموظفين جانباً وقال، حاول العثور على شخص ما لكنه أجاب،" لقد قلبت فى كل قوائمى فعلاً، ولن أقلّب فيها مرّة أخرى. من الأسهل لى ترتيب الأوراق. ستُعيّن غداً "وبالتالى انسحب ميشا لوزارة الشئون الداخلية، وبحلول عام ١٩٥٣ كان يعمل مع إيليا بروساكوف.

يمكن لميشا إبلاغ الصحفيين أنّ بروساكوف كان رئيس القسم المسئول عن إنتاج المساجين من الأثاث، الّذى كان يعنى القدرة على تنسيق تيسير مجموعات العمل فى مواقع الجالوجا(*) المحليّة مع وصول الخامات، وكانت تلك مهمة حقيقية، بالنظر لكمّ الأشجار الآتية من مكان واحد فى روسيا، والأوراق من آخر، وكان عليه إحضار هذه الخامات وفق جدول حتّى، متى جاء عُمّاله كل يوم، وجدوا الخامات الضرورية فى انتظارهم ـ طِلاء، أشجار، صمغ. كان توفير كل هذا فى المكان المطلوب إنجازاً.

ولأنّ ميشا وإيليا كانا قد بلغا ما يعادل رتبة متساوية فى وزارة الشئون الداخلية، فلم يكن أمراً فريداً أنّ انتهى بهما الأمر للعيش فى شقّتين

(*)الوكالة الحكومية المسئولة عن إدارة معسكرات عمل المدانين فى الاتحاد السوفيتي سابقًا (المترجم).

متساويتين تقريباً فى المساحة وتقعان على جانبى الردهة ذاتها، وعلاوة على كونه جاراً، كان ميشا يحبّ إيليا، واعتبره شخصاً مميزاً. كيف تترجم هذا الأمر؟ لم يكن يشبه الآخرين. يمكن للمرء أن يحترمه، فإيليا لم يثرثر قطّ، عالماً بقدره، طويل، نحيل، مهاب ومتحضّر، دون تكبّر، لكنه شديد الذكاء. له أنف طويلة لطيفة. عالماً بقدره.ليقول ميشا إنّ إيليا كان فخوراً بوظيفته ولم يتأخر عنها أبداً، ضابط مُحترف. فى وظيفته بالجيش، كان قد فاز بالعديد من الميداليات، لا على حسن السلوك وحسب، كلا، لقد حصل إيليا على ميداليات قتال لا مِراء فيها، وسام لينين العسكرى، قلادة النجمة الحمراء الشديدة الرفعة، وترشّح أيضاً أن يكون بطلاً للاتحاد السوفيتى لقاء مشاركته فى هجوم مهم على نهر سكرىّ. فى الحقيقة، فى جنازة إيليا عام ١٩٨٩ كانت راية القتال الحمراء محمولة فوق وسادة، وكان هذا عُرفاً سوفيتياً من أجل الشعائر الأخيرة لرجل عسكرى مُنِح ميدالية رفيعة.

إيليا شخصياً، على أيّة حال، لم يعلّق قطّ ميدالياته فوق سترته، وكان على استعداد لتفنيد قرارات رؤسائه إذا شعر أنهم لم يلتزموا مبادئ لائقة.

طبعاً، ما من شكّ فيمن كان الرئيس فى أسرته، وميشا لديه مثال جيد: فى يوم صيفى حار، بعد أن فرغوا من العمل وكانوا فى طريقهم للعودة إلى البيت، قال ميشا لإيليا،" هيا نذهب لنشترى بطيخة لكن إيليا أجاب،" أوه، فاليا ستشتريها فما دامت فاليا

كانت لا تعمل بوظيفة، إذًا ما من داع كى يحمل بطيخة للبيت.

طبعاً، كان ثمّة نواح بصديقه لم يؤت لميشا قطّ التعرّف عليها جيداً. فى هذه الفترة فى وزارتهم للشئون الداخليّة، كان أغلب الرؤساء ناس بسطاء ممن عادوا بأوسمة عقب الحرب الوطنية العظمى، حيث مُنِحوا مناصب رفيعة، لكن إيليا لم يكن متحضراً جداً فحسب، بل ولديه طبق نحاسى محفور فيه عبارة مهندس بروساكوف، فقبل الثورة، استخدم الكثير من الناس لقباً مهنيّاً وعلقوه على أبوابهم، لكن حين فعل إيليا ذلك، لم يرق للآخرين، بل وهزءوا به من وراء ظهره، إلى أن بلغه شعور المحيطين فانتزع لافتته من فوق الباب.

نظراً لعيشها على الجانب الآخر من الردهة، كانت لودميلا ترى فاليا بشكل متكرر، واستطاعت أن تشهد أنّ جارتها لم تكن تعيش حياة سهلة، فلم تكن ترعى إيليا وحسب بل وشقيقته لايوبا التى كانت تعيش معهما هى الأخرى، شأنّها شأن أمّ إيليا، وهاتان القريبتان كانتا تتصرفان وكأنهما أعلى منزلة فحسب. لم تكن فاليا بالمرأة التى تشكو لجيرانها، لكن لودميلا سمعت شيئاً بهذا الخصوص ـ فشقّتها كانت ذلك المكان النادر حيث تفضفض فاليا بهمومها.

ما أشعر فاليا بالإهانة أكثر كان أنّها تُعامل كـ domrabotnitza(*) وهى المرأة التى يستأجرها المرء

(*) بالروسية فى الأصل ـ خادمة.

لترتيب بيته. وفى الغالب، لم يكن إيليا رقيقاً معها، أو دافئاً، وكان من الواضح أنّ فاليا قد عانت. بعدها بأعوام، تبدّل الوضع، حين ماتت أمّه وغادرت مارينا، أدرك إيليا حينها كم يفوق فاليا بسنوات طوال، وفى سنواته العشر الأخيرة، صار مريضاً جداً، فتقاربا أكثر، وأدرك مدى الأهميّة التى تمثلها هذه المرأة بالنسبة إليها ولأية درجة أحسنت رعايته، وكان قطعها كل تلك المسافة لشراء الطعام، هو ما يبهجه بها على وجه الخصوص.

مع ذلك، طوال كل تلك السنوات الأولى، كانت فاليا تعانى للحفاظ على شكلها بهيئة لائقة، كانت تبدو آمنة وواثقة من نفسها، كانت فى الواقع، واثقة أنّ أسرتها لن تتفتت، فما كانت تخشى أن يتركها إيليا من أجل امرأة أخرى.

آنذاك، فى بدايات الخمسينيات، لم يكن ثمّة تلفاز، وعموماً كانت أسرتاهما تتحلقان حول منضدة مستديرة فى الليل وكان ميشا يقرأ كتباً بصوته الجهير، وكثيراً ما كانت تاتيانا تحضر. عادة، كانت تلبس ملابس غامقة ودائماً كانت محتشمة الملبس، كانت امرأة شديدة التديّن تذهب بانتظام للكنيسة وتحتفظ بأيقونة فى حجرتها. يجوز كان إيليا عضواً فى الحزب، لكنه لم يعترض قطّ على ذلك، لأنّ هذه الأيقونة كانت لأجل حجرتها فحسب، مجالها الخاص.

كانت جنازة تاتيانا فى كنيستها، خدمة خاصة. نظّمت فاليا كل شىء، وطبعاً، كان إيليا موجوداً وبنتا تاتيانا لايوبا وميسيا. كانت تاتيانا ودودة مع كاهن شاب، مدّت معه علاقات روحيّة عميقة، وأثناء

احتضارها دعته إلى بيتها لتبادل الكلام، ولم يقع مكروه لأحد بسبب هذا. فى الحقيقة، لودميلا وميشا أيضاً راحا لهذه الكنيسة فى هذا اليوم، دون أن يخافا الدخول، لكن لودميلا عجزت عن تذكّر آخرين دفنوا بطريقة مشابهة.

جاء جميع أصدقاء إيليا من وزارة الشئون الداخليّة، كلّهم، فى الحقيقة، إلا الرؤساء الأعلى منصباً. لابد وأنّ عددهم بلغ ثلاثين فى هذه الجنازة. لم يبك أحد أو كشف عن حزن، يجوز عجزوا عن تصديق أنّهم كانوا موجودين فى كنيسة.

بعد وفاة تاتيانا، بطيئاً لكن بشكل واضح، صارت فاليا المسئولة عن كل شىء. حين كان إيليا يقيم حفلات، كانت تصير حفلات جيدة، مع طعام استثنائى طبخته فاليا، كانت دون شكّ مضيفته، لكن فاليا اعترفت مرّة إلى لودميلا أنّها فى حين كان لديها ناس لطفاء يأتون إلى حفلاتها، إلا أنهم أبداً ما كانوا بنفس تأنّق من يأتون لحفلات لودميلا، مثل، على سبيل المثال، وزير ثقافة بيلاروسيا. تقريباً، كان لديها الضيوف أنفسهم بكل مرّة، ولم تكفّ فاليا عن ارتداء فستانها الجميل الوحيد فى كل مرّة ـ يجوز تحاول تزيينه بزهرة جديدة.

مع ذلك، كانت حياة هادئة ولطيفة حتى وصول مارينا للعيش معهم بصفة دائمة أواخر عام ١٩٥٩ مصطحبة معها مشاكل جديدة.

ـ ٣ ـ

لاريسـّا

الآن لاريسّا، شقيقة لودميلا التى تصغرها بأربعة عشر عاماً، امرأة جميلة، مُبهجة للحواس حتى. تصرفّاتها رسميّة لكن ابتسامتها مُشرقة، وتقدّم تلميحاً لحالة النعيم التى تزعم أنّها عاشتها فى شبابها. آنذاك، نظراً للزخم فى البيت، بسبب عيش والدة لاريسّا وشقيقة أمّها وزوج تلك الشقيقة جميعاً فى حجرة واحدة مساحتها تسعة أمتار، تقرر أن تقيم لاريسّا مع لودميلا وزوجها ميشا اللذين هامت بهما معًا.

فى تلك الأعوام من مراهقتها المبكرة، أرادت لاريسّا أن تصبح طبيبة، أرادت أن تضاهى لودميلا، لكنها لم تكن جيدة فى المدرسة، وقد اكتشفت فى المرحلة التاسعة أنّها لا تقدر على رؤية الدمّ. لذا، لم

تتمكّن أبداً من دخول لا غرفة التشريح ولا معرض الجثث. بعدها، كانت حتى تتجنب معهد الطبّ، فثمّة جيف فى ذلك المبنى.

واعدت فى مراهقتها فتياناً كُثّر واصطفت منهم أحبّاء، لكن أساساً كانوا جميعاً جزءاً من مجموعة، وفتى واحد هو ميشا سمولسكى، لا تخلط بينه وبين زوج لودميلا، ميشا كوزميخ، تصادف أن كان روح رفقتهم، واحد فى المليون. كان ميشا سمولسكى معنياً بالثقافة الغربية، وكان كل ما يلبسه أنيقاً رغم أنّه لم يكن مبهرجاً أبداً. كانت مجموعة رائعة، عرفت كيف تقضى وقتها بذوق حسن. كثير من الرقص، فى الواقع اخترعوا رقصة جماعية أطلقوا عليها مينخانكا أى "أنثى من منسك"، وقد سافرت حتى لجمهوريات أخرى برفقة مجموعتها، وكانت لاريسّا آنئذٍ نحيلة، شديدة النحول.

الآن، عرفت لاريسّا مارينا فترة طويلة. أول مرّة عرفتها كان بوصفها بنت مدارس فى الثالثة عشرة من عمرها جاءت من لينينجراد إلى منسك لزيارة جدّتها عام ١٩٥٤ وكان ذلك فى وقت سكنت فاليا و إيليا بالجانب الآخر من الردهة.

أعجبت لاريسّا بمارينا. فى الثالثة عشرة، كانت شديدة الجمال والفضول أيضاً، شديدة الإشراق. ما أن تقع عيناك عليها حتى تنجذب إليها، فصارتا صديقتين. آنذاك، كان التطريز شائعاً وقد أنجزتا الكثير منه، وتمشيّتا معًا ودخلتا السينما، وحين رجعت

مارينا إلى ليننجراد للعيش مرّة أخرى مع أمّها وزوج أمّها، وجدت لاريسّا كرباً فى الافتراق.

ثمّ عادت مارينا من جديد بزيارة صيفية عام ١٩٥٧ وقد صارت عمليّة أكثر، نضجت فى حين كانت لاريسّا لا تزال حالمة، لكن مارينا وقد بلغت السادسة عشرة الآن، كانت قد عرفت شيئاً أو اثنين عن الحياة الحقيقية. كانت أمّها ميتة وكانت لاريسّا تستطيع رؤية، من خلال التعبير المُطِل من عينى مارينا، أنّ الحوادث قد تركت أثراً آخر.

ثمّ فى عام ١٩٥٩ جاءت مارينا للحياة بصفة دائمة مع فاليا و إيليا. ها قد عادت من جديد، فى الطابق نفسه، وصارت الفتاتان كلتاهما متحمستين للأوبرا ولم تفوتا عرضاً أول قطّ فى منسك، قالت لاريسّا، " كان مستوى معيشتنا مختلفاً آنذاك". ما مررنا به لم يكن الأسوأ: كُنّا نقدر على شراء السلمون المدخن وكل أنواع السمك، وملابس من بعض التشكيلات كانت مُتاحة فى المتاجر. فى تلك الفترة كانت لدينا أحذيّة مستوردة جذّابة وملابس رائعة، وكان لدينا حِرفيون.

"بالنسبة للثقافة الجنسية ـ لا شىء البتّة آنذاك، لا شىء على الإطلاق، فالآباء لم يتكلموا أبداً مع أحد، والمرء لا يتعلّم شيئاً قطّ فى المدرسة ـ أبداً، لا سمح الله! ومع أنّ لودميلا كانت طبيبة إلا أنّها لم تشرح للاريسّا أكثر من أنّ ثمّة تغيرات جسمانية فى المرأة تقريباً فى المراهقة المبكرة. ما من كلام عن الحياة

الجنسية، وحسب العرف، كانت الفتيات تُربّى على الإيمان بأنّ الزواج ليس جنساً ولكنه أمان، لذا فقد كُن ينشئن بطريقة غاية فى الرومانسية:" السقوط فى هوى رجل، وتقبيله، لكنك لن تعرفى أبداً ما سيجرى تحديداً ـ ثمّ يأتى طفل. هذا هو كل شىء قالت لاريسّا.

كانت مارينا تعرف أكثر، لكن مع كل شىء كانت من لينينجراد. حتى مع ذلك، لم تتناقشا أبداً بشأن الجنس، وإذا حدث و تكلمتا عن صديق كان الكلام يدور عمّا إذا كان جيداً فى التقبيل، كانتا أيضاً تفصلان بمسائل تتعلق بالسلوك ـ هل جَلَب زهوراً؟ هل نهض على أطراف أصابعه حين دخلت الحجرة؟ لو كانت الإجابة بالنفى، ما كانت لاريسّا لتولى انتباهاً للشاب، ولا يهم مدى ما قد يكون له من بهاء الطلعة. تعتقد أنّ السبب وراء انجذاب مارينا لمجموعة ميشا سمولسكى كان تمتعهم جميعاً بتلك الأخلاق. وكونها جاءت من لينينجراد، كانت مارينا أكثر حِنكة ثقافياً من فتيات مخزن الأدوية ممن عملت معهن، وهكذا يحتمل كانت الحياة مشوّقة أكثر بالنسبة إليها بين لاريسّا وأصدقائها. مع ذلك، كانت رغبتهن فى لقاء رجال راجحى العقل مقترنة أيضاً بكيفية لبس هذا الشخص الذكى: هل كان يرتدى قميصاً أبيض أنيقًا؟ هل كان حذاءاه لامعين و يبرقان؟.

فى عشيّة رأس السنة، راحت لاريسّا برفقة مارينا للترحيب بعام ١٩٦٠فى بيت ميشا سمولسكى

الـريـفى، وطوال الـطـريق فى شـارع كـريـزوفـكـا، وأثـنـاء مشيهمـا، كانت مارينا تقول،" يا شباب، لا نِكات بذيئة أرجوكم! فهى فتاة شديدة الخجل" كانت مارينا تعاملها وكـأنـهـا المصـدر الوحـيـد لـلـمـاء الـصـافى الـبـارد، على الأقل تبدو بهذه الطريقة للاريسّا الآن. كانت ساذجة، ويجوز رأت مارينا كيف حين أحبّت لاريسّا شاباً، كان حُبّها صادقاً. كل ما تستطيع قـولـه إنّ حـفل السنّة الجديدة هذا كان عامراً بالحياة مليئاً بناس مثقفة واسعة المعرفة. ستتذكّر لاريسّا هـذا الحفل طوال حياتها.

جاء ميشا لبيت عائلته الريفى مبكّراً ورتّب المكان باهتمام ـ هيأ شجرة عيد ميلاد صغيرة، وبسط مائدة طعام. كل شىء كان رائعاً. كانت دعاباتهم ظريفة، وأسطواناتهم الفونغرافيّة روسيّة وغربيّة، ولأنهم جميعاً كانوا راقصين بارعين فقد رقصوا الفوكستروت والتانجو و الفالس وحتى الشّارلِستون.

كان ثمّة ستِ فتيات وربما عدد أكبر قليلاً من الفتيان، وكان كلَ منهم يتبادل الرقص مع الآخر. بدا وكأن لا أحباء مخصوصين تلك الليلة، وأحسّت لاريسّا أنّها جماعيّة أكثر. غفوا جميعاً ـ باحتشام طبعاً ـ الفتيات مع الفتيات، والأولاد مع الأولاد، لكن فى الليلة التالية، الأول من يناير، حين رجعت هى ومارينا فى القطار من بيت عائلة ميشا الريفى، تكلّمت مارينا قليلاً عن شاب يهودى راق لها، ليونيد جيلفانت، كان

فى الحفل وكان عمره ثلاثة وعشرين عاماً، ومع ذلك، بدا أنّها تروق له، وفكّرت لاريسّا أنّه كان بعمر مرعب بالنسبة لعمرهن.

تذكر لاريسّا أنّ فاليا أحسّت نفسها مسئولة عن مارينا وبلا ريب كانت لا ترغب أن تختلط مع رفقة سوء، لذا، متى كانت مارينا تخطط للذهاب بمكان ما كانت دائماً زوجة خالها فاليا تسأل،" هل لاريسّا ذاهبة معك ؟" لأنّه لو أنّ لاريسّا كانت معها، فهذا يعنى أنّ الأمور ستكون على ما يرام. تتشكك لاريسّا فى قدرتها على قول ذلك بالضبط، لكنها كانت تفتقر خبرة بالرجال ولم تكن تتطلع لأية خبرة، فبالنسبة إليها، كانت الفضيلة مهمة وكل ما سواها بغيض، يفترض بالمرأة أن تكون عفيفة حين تتزوج، عذراء.

ـ ٤ ـ

ميــشا

فى روايته عن نفسه، يرغب ميشا سمولسكى، الّذى كان أنيقاً فى شبابه لكنه الآن مُنهك سيئ الأسنان، فى التصريح بأنّه ينتمى فى الوقت الحاضر باقتناع شديد إلى أقليته فى بيلاروسيا ممن يطلق عليهم تتار ليتوانيا. ترجع جذور سمولسكى، والتى نذرها للدراسة، لأسرة شديدة القِدم بالقرن الخامس عشر، جذور تضرب فى عمق الماضى، وكان أجداده ناس نبلاء و لهم أبهة.

فى أيام زهوه، كان ميشا مُتحضّراً كباقى الشعب السوفيتى، ما كان يعنى كونه مطيعاً، لا يسأل كثيراً. فى الواقع، كان هو وأصدقاؤه يمضون وقتهم بالتفكير فى البنات، كان من الخطير جداً الخوض فى السياسة أثناء السنوات الأخيرة من الخمسينيات

وفترة الستينيات، وحين كانوا فى العشرين من عمرهم، كان كل ما يتكلّمون بشأنه هو أين يشربون ومن يواعدون.

وفى حين جاء هو من عائلة ضخمة، كان أبوه يعمل فى مجال التشييد ويتمتع بوضع مادى جيد، لذا دائماً ما كان المال متوفراً لميشا لشراء الملابس اللائقة، وكان مزاجه السلافى قوياً، يستطيع القول إنّ أواخر الخمسينيات وباكورة الستينيات كانت فترة أحبّ فيها الجميع و بادله الجميع الحبّ.

تعرّف على مارينا من خلال صديقه فلاديمير كروجلوف فى وقت كانت فيه مارينا تحبّ هذا الشاب بعض الشىء، ومرّة، ذهبوا حتى إلى لينينجراد معًا ـ كروجلوف ومارينا وهو، وكانت ترجع إلى بيت زوج أمّها بعد عطلتها الصيفية ويستطيع ميشا القول بصفة شخصيّة، إنّه كان مأخوذاً بلينينجراد: " هل تتصور ذلك ؟ أينما مشيت ثمّة عمائر، عمائر، عمائر عالقاً فى غابة حجرية. ثمّ تعبر قوساً لترى نفسك بغتة بمواجهة هذا الفضاء، فضاء لا يمكن تخيله ـ شديد الاتساع درجة تعجز عن التفكير عقب رؤية كثير من الحوارى الضيقة. إنّ الذين قاموا ببناء هذا شديدو العظمة "

فى تلك الفترة، لا يمكنه تصوير مارينا بوصفها فتاة ذات شعبية. لا شكّ كانت جذّابة بما يكفى وبعض الشباب كانوا منجذبين إليها، لكن هذا لم يكن يعنى أنّ كان لديها طابور طويل ممن يتوددون إليها.أكثر ما كان

أخاذاً فيها هو أنّها جاءت من لينينجراد، فآنذاك كانت منسك محض مزحة.

تعوّد ميشا على ارتياد السينما معها وقد خرجا فى رحلات بالقوارب النهريّة حيث رقصوا وسمعوا باخ وبركوفايف وإلفيس بريسلى. آنذاك كان ميشا يلبس بنطلونات ضيقة وأحذية لها نِعال عالية - مثل مناهض، يجوز، وكان مُريداً قوياً لموسيقى الجاز الجديّة - لأرمسترونج وسيدنى بيخيت وجودمان وبنج كروسبى وفرانك سيناترا.

لا يمكنه القول إنّ مجموعته كانت تتسم بأسمى الأخلاق، لكنه ومارينا كانا صديقين عظيمين ولم يثرثرا عن بعضهما، كانا أسمى من أن يثرثرا عن بعضهما. صديقان حقيقيان، رفقة لطيفة شديدة الظرف.مع ذلك، وبسبب تلك العلاقة الصعبة التى ربطتها بزوج أمّها فى لينينجراد، كان يفكر أنّها كانت أكثر امرأة تعيسة.

ـ ٥ ـ

ليــونيد

كان ليونيد جيلفانت فى السادسة عشرة فحسب حـين أنـهى دراسـته الـثانـويّـة، وبـدأ العـمل فى وظـائـف معماريّة فى منسك. فى الواقع، قضى حتى الآن ثلاثة وثلاثين عـاماً فى مـهنـته، وشـغله فـى كل مـكـان ـ لـكن دائماً كجزء من مجموعته بمنسك.

فى الـسـادسـة عـشـرة، لم يـكن مـنـفـتـحـاً عـلى الإطلاق، بل مـنـغـلـقًـا، وشـديـد الخـجل، مع أنّه كـان واضح الغـاية وعـرف مـا سـتكون مـهنته. لم يـهتم أبداً بـالألـعـاب ولا الـسيـاحـة، ونشـأ فى أسـرة محـافظة من الأطـبـاء، لم يـحـبّ لا الأدب ولا الأوبـرا، وفـى حـين لم تكن أسرته متدينة ولا تتبع تقاليد يهودية باستثناء تلك العـطلات المرتبـطة بأنـواع بعـينـها من الطـعام، إلا أنّ والـده قد تـخرّج فى مدرسـة عبـريّة ويسـتطيع الـكلام

ببعض العبرية و اليديشيّة، ورغم أنّه فى هذه الفترة، لم يكن يُربى أبناء المتحضرين لاكتساب ديانة، هنأته أسرته لبلوغه سِنّ الثالثة عشرة لكن دون إجراء البار متسفاه(*)

كان صديقاً لميشا سمولسكى الّذى كان دائماً مفعمًا بالطاقة، وأثناء حفل رأس السنة عام ١٩٦٠ قابل مارينا فى بيت ميشا سمولسكى الريفى. كان فى الثالثة والعشرين ولا يفكّر فى الزواج ولا حتى واعد كثيراً من الفتيات، كان لا يزال على خجله، ومن هذا الحفل يتذكّر فحسب قليلاً من التفاصيل.

يرى حجرة بمدفأة. الجو بارد فى الخارج، لكن بالداخل دافئ لأنّ هناك نارًا فى تلك المدفأة. تالياً، يتذكّر رؤية المدفأة ذاتها لكن الآن وصلت فتاة. إنّها مارينا، فتاة نحيلة بعينين واسعتين متألقتين، تقف بالقرب من تلك المدفأة. هذا كل ما يتذكّره. يجوز كان ثمّة خمسة عشر نفساً فى هذه الحفلة.

كانت لمارينا طريقة فى النظر للمرء، كانت بسيطة ومع ذلك ساحرة. شىء فيها كان لا يقاوم، تسرِّب إحساساً مميزاً بالفتنة. كانت لها شفتان مرتعشتان، وبالنسبة لتلك المسألة، كان أنفها مزرقاً قليلاً؛ لأنّها كانت تشعر دائماً بالبرد ـ كانت شخصاً دائم الإحساس بالبرودة ـ ورائحة بعينها تفوح منها، الأمر

(*) طبقًا للشريعة اليهودية حين يبلغ الصبى سن الثالثة عشرة والفتاة الثانية عشرة يصبحان مسئولين عن الوصايا وتُعقد شعائر لهما بتلك المناسبة (المترجم).

الّذى كانت تراه مُحرِجاً، فحين يقوم المرء بأعمال تتعلق بالأدوية تحتفظ ملابسه وشعره ببعض من رائحة الدواء التى تتشبث به، وكانت تكره ذلك. لكن جيلفانت، بصفة شخصيّة، لم يعر ذلك بالاً، فبطريقة ما، بدا ذلك شيئاً خيّراً فيها، وقد جذبه إليها. يجوز انجذب إليها أيضاً لأنّها لا كان لديها لا بيت ولا أبّ ولا أمّ.

جيلفانت، بالمقارنة، كانت لديه أسرة حميمة، وكان والده مُخلصاً بشكل كامل لحياته الأسرية وأطفاله، رجل جذّاب شديد السحر، ملؤه ذوق. بدوره، يعتبر جيلفانت نفسه هو الآخر رجلاً مُخلصاً، يودّ الحياة، ربما مثل أبيه. وهكذا، كانا هو ومارينا فى بيئتين ووضعين عاطفيين مغايرين، ولديهما غايتان مختلفتان، وعندما تقابلا كانت مفاجأة مقبولة، لكنها أبداً ما مثّلت لها مستقبلاً. سمٌها مغامرة رأس السنة، ففى عشية رأس السنة، دائماً يتوقع المرء مُعجزة. ولأنّها ولّدت داخله انطباعاً بأنّها فتاة تحتاج حماية، فقد استحثّت رغبته فى مساعدتها، أن يكون رفيقاً معها.

دامت علاقتهما ـ التى لم يطلق عليها أبداً علاقة غرامية ـ حوالى ستة أشهر، لكنها لم تكن مستمرة، كانت ثمّة فترة لم يريا فيها بعضهما شهرين، ويجوز فى خمس مناسبات اقتربا من بعض بشكل حميمى ـ لا أكثر من ذلك.فى الواقع، ما كان يرغب فى تطوير أى شىء بسرعة أكبر، كانت علاقة معتدلة إذًا .

ـ ٦ ـ

إنيسـّا

فى مستهل عام ١٩٥٩ كانت إنيسّا تعمل بالفعل، كانت قد أنهت دراستها الثانوية الفنيّة المعماريّة، وكانت تعيش مع والديها وشقيقها وشقيقتها. كان أبوها مهندساً فى وزارة الإنشاء فى بيلاروسيا وأمّها غالباً مقيمة فى البيت، ربّة منزل، لكن إنيسّا تقول إنّ أسرتها كانت مُحاطة بدائرة من الأصدقاء المثقفين ودون شكّ عاشوا بمستوى فكرى عال.

لا تتذكّر كيف رأت مارينا أول مرّة، لكن يجوز جرى هذا فى كافيتريا، ربما عام ١٩٦٠ . تذكر على أية حال، انطباعها الأول: شفتان متوهجتان دون تبرج ـ محض شفتين متوهجتين، فوجدت فيها إنيسّا فتاة جذّابة. لا يمكن للمرء أن يصير صديقاً خلال فترة شديدة القِصر كسنتين، فى حين فى العادة

يستغرق الأمر فترة أطول بكثير لتتقاسم معه كل مشاكلك، لكن مع ذلك، أحسّت إنيسّا بالقرب منها. كانت مارينا بمثابة شقيقة لها، وتبادلتا الزيارة فى بيت كل منهما، وخرجتا للتسوق معاً، وأحياناً كانت تُدعى مارينا للعشاء، أو إلى حفلات والديها والتى صارت واحدة من تقاليد أسرة إنيسّا آنذاك، فى تلك الليالى لطالما كانوا يناقشون قضايا الفن والسياسة أيضاً، وكانت مارينا تبذل جهدها للتكيف معهم. لكن الحقيقة أنّ شعور مارينا بكونها غريبة على المكان جعل إنيسّا تشعر بالقرب منها فحسب، وبعيداً عن ذلك التدانى، شرعت مارينا فى الإفصاح لإنيسّا عن بعض مما يطلق عليه" الأسرار القاتمة فى حياتها". روت مارينا حاجات بعينها لم تكن إنيسّا لتحكيها الآن، وإجمالاً، يمكنها القول إنّ حكايتها كانت بمثابة صرخة الروح. تجربة شديدة السلبية والسوء

بسبب مثل هذا التقاسم للأسرار الحميمة، يمكن لإنيسّا القول إنّ مارينا ظلّت مميزة بالنسبة إليها.

ـ ٧ ـ

كوستا

رجل نحيل بأنف أنيق ملاكم مُحطّم، بهيئة ممتازة ويبدو أكثر شبهاً بمدرّب أكثر من طبيب، لكن ها هو فى مكتبه بعيادة، مستعداً بحذر، د. قنسطنطين بوندارين و مندوبونا حاضرون لأنّ حفل عشية رأس السنة للترحيب بعام ١٩٦١ فى الليلة ذاتها التى كان فيها أوزوالد بشقّة إيللا جرى فى الشقّة التى عاش بها بوندارين فى عمر السابعة عشرة برفقة جدته. كان ساشا بيسكاليف حاضراً هو الآخر فى هذا الحفل ومعه جاءت مارينا. آنذاك، كانت جدة كوستا فى مستشفى فكانت فرصة أتاحت نفسها للاحتفال برأس سنة جديدة مع مجموعة حميمة. شبانكو، فتاة لأجل شبانكو، وأخرى لأجل قنسطنطين نفسه، واثنان آخران لم يعد يذكر اسميهما، لكنهما

كانا صديقين لأناتولى شبانكو، وهو طالب طبّ زميل. بالنسبة للموسيقى، أداروا شرائط، غالباً إلفيس بريسلى، وأوائل تلك الليلة، استمر الكثير من الرقص والشرب حتى الثانية صباحاً، حين اختفى كوستيا ومارينا داخل غرفة نوم، وقبل أن يروحا بعيداً فى أى شىء، بدأ ساشا بالقرع فوق الباب، درجة أن اضطر قنسطنطين للخروج وتهدئته. كان خشناً بما يكفى لذلك ـ أراد أن يتلاكما ـ لكن بعدها، لم يكن ثمّ داع للدخول فى عِراك. لم يكن ساشا من ذات النوعيّة، ومع ذلك، نظراً لتلك المقاطعة، لم تعد مارينا بمزاج يسمح لها بالمتابعة، فتواعدا بالتالى للقاء مرّة أخرى غداً، فى بداية العام الجديد، عند جسر بالقرب من محطّة القطار.

ولأنّ ساشا ظلّ مكانه ومستيقظًا بآثار من الشرب، فقد تكلّم هو وقنسطنطين فى الصباح التالى بخصوص مارينا. كانت امرأة جميلة، قال ساشا، وكان مُخلصاً لها، لكن بوسع كوستا رؤية أنّ ساشا كانت لديه مشاعر متقلقلة بشأن الليلة الفائتة، وكان مجروحاً أن كان كوستيا بمفرده معها. لقد حاول ساشا أن يسأل عمّا جرى، لكن كوستا قال، لا شىء، شربنا كثيراً، وتخيلنا أموراً شتى

تلك الليلة، حاملاً زجاجة شمبانيا، قابل مارينا عند الجسر، وأخذها إلى شقّة صديق. عجز عن استعمال شقّته بسبب أناتولى شبانكو الذى اقتسم حجرة معه، كان لا يزال موجوداً برفقة ضيوفه،

فاستخدم قنسطنطين مقرّ صديقه، وكان كل ما عرفه هذا الصديق هو أنّه كان فى حاجة إليها ثلاث ساعات.

عموماً، كان واضحاً أنّ مارينا جهزت للقائهما الّذى بدأ حتى بقُبَل خفيفة وأحضان حين قابلها بالسابعة تلك الليلة جنب المحطّة. فى شقّة صديقه، أدارا موسيقى وشربا شمبانيا، كان قد عرف أثناء رقصه معها الليلة الفائتة أنّ ما من عقبة تعيقه، و كان جاهزاً، مع ذلك طبعاً، لم يكن من ثمّة داع للذهاب مباشرة من الباب للسرير. فى روسيا، لا تفعل النساء ذلك، بل يحتجن تهيئة نفسية، لذا كان ثمّة نوع من تبادل الحديث، حيث يتكلّم المرء بشأن كثير من الأمور فى آن واحد ـ كلام هيّن. الآن، صعب عليه تذكر شىء محدد عدا غزله لها. كان يمتدحها ويقارنها بأمثلة مقبولة، وبقدر ما يتذكّر، لم يحاول التطرّق لحياتها الخاصة، بل مالا على ساشا وقد قالت إنّها لم تشعر بالكثير تجاهه، لكن مع ذلك، كانت لا ترغب حقّاً أن يعلم بشأن تلك العلاقة. استطاع أن يدرك أنّها كانت لا تزال مهتمة بساشا بقدر ما، كمرشح للزواج، على أيّة حال. برهن موقفها هذا عن نفسه بعد ذلك، حين بدأت بالخروج مع أناتولى شبانكو، ثمّ ربما مع يورى ميريزينسكى. عند هذه النقطة، تراءى لكوستيا، أنّها كانت تكافح كى تتزوج.

لم يحدث لكوستا قطّ أنّ كان ثمّة احتمال بالنسبة إليه أن يقع فى هوى مارينا، لا بحلول الغدّ،

دون شكّ، فالوقوع فى الحُبّ يحدث فحسب نتيجة لعلاقة طويلة، وعندئذٍ ثمّة حقيقة أخرى : كانت حبيبة ساشا، لذا كان لا يعلم حقّاً كم ستطول فترة لقائه بها.

لقد أمضى، عموماً، وقتاً طويلاً فى إغوائها هذه الليلة، ربما ساعة وعشرين دقيقة، وربّما أكثر. علما كيف يفترض أن ينتهى الأمر، فلم يتعجلا، ولم يول انتباهاً للوقت. كان على يقين أنّ محاولاته ستنتهى بصورة إيجابيّة.

كان كوستا فى السابعة عشرة فحسب، وكان مرعوباً بعض الشىء. راوده شعور أنّها كانت امرأة ذات خبرة، لذا كان يجهل ما إذا كان سيروق لها وبالتالى، بدرجة ما، أحس ببعض الخوف. الآن، بعد ثلاثين عاماً، يضحك،" حين يكون لديك شاب صغير جداً شديد الاستثارة ومرتبك بعض الشىء، فهو يشبه أرنباً، ما قد يجعل المرأة تتصرف بصورة سلبية". حاولت تهدئته، أن توضح له أن كل شىء سيكون على ما يُرام فلا داعِ إذًا لعصبيته، وربما هذا هو سبب أن مقدمتهما دامت طويلاً. كان يريد النوم معها مباشرة، سوى أن افتقاره الثقة بالنفس سحبه للوراء. ساعدت الشمبانيا على أيّة حال فى التقليل من خوفه، وإجمالاً كان لا يزال واثقاً أنّ الأمور ستنتهى كما يرجو. أخيراً، أطفأ كل الأنوار وانتظرت أن يخلع لها ملابسها، وهو ما حدث بسرعة نسبياً، وفى الحال، تبعثروا فى كل مكان، كما سقطت ملابسه هى الأخرى سريعاً.

لِماذا قد يضاجع رجل كثيراً من النساء المختلفات إن لم يكن لاكتساب خبرة جديدة لحياته؟، بهذا المعنى، ولأنّ قنسطنطين كانت لديه خبرة ضئيلة، فقد منحته مارينا الكثير ليتذكّره، من تطرف سلوكها وتعبيرها فى الفراش. تضاجعا مرّة ثانية، دون أن يحتاج عوناً لأجل ذلك. لم تقم بالجنس الفموى لكنها كانت تحبّ حقّاً أن تُقبَّل، وحين تُقبِّل امرأة شابة بشرتها ناعمة، ناعمة جداً فعلاً، تُستثار، وعبر تقبيل جسمها، محض تقبيلها بكل مكان، تأخذها لحالة من النشوة. هكذا كانت عامرة بالشهوانية ـ أو هكذا حسب. كان قد نام مع قليل من النساء قبلاً، لكن هذه كانت مرّته المثيرة الأولى، المرّة الحقيقية الأولى، المرّة الأولى مع امرأة شابة. عادة، كان يضاجع نساء يفقنه عمراً. كان مبهوراً بسبب اهتياجها الواضح حين شرع بتقبيلها فى كل أجزائها.

مع ذلك، تراءى أنّها تدرك أنّه حين يجىء أوان تلك المسائل، أنّه لا يزال صبياً. لم تكن سعيدة تماماً معه، رغم كل ما اعتراها أثناء قيامهما بالأمر، بدا له (ودون شكّ تبين أنّ تلك هى الحقيقة) أنّه لم يُرضها بالقدر الكافى، كانت نائية أكثر عنه حين افترقا أكثر مما كان حين شرعا بالتضاجع.

آنذاك، لم تكن لديه حتى فكرة أنّ النساء لهنّ هزّة جماع. لم تكن خجولة وقد ارتدت ملابسها أمامه، والآن دون شكّ يكون سعيداً لمواصلة علاقتهما، لكن عندما بلغها وحاول ملاطفتها، قالت، " كلا. لا. لا. إياك

وتعجّل الأمور وأدرك أنّ شيئاً ما ليس على ما يرام بها، لا يجب معه التمادى أكثر. هذا التهوّر مع استعدادها للعودة للبيت حطّه فى وضعيته الدفاعيّة، وقد سمحت له فحسب برؤيتها عند الجسر حيث التقيا فى تلك الليلة الأولى من العام الجديد.

ـ ٨ ـ

يوري ميريزينسكى

"ستكون قصّتى شديدة الملل"يقول يورى،" ليست مشوّقة

رجل وسيم فى حوالى الخمسين من عمره، وربّما لوهلة كان بهى الطلعة كنجم سينمائى، لكن الآن، خَرَّبه المرض وتحدّب كتفاه، ولأجل لقاء الصحفيين، جاء من مستشفى تبعد مئات الكيلومترات، وكان يشرب النهار بطوله، وفى الليل، واصل الشراب بالكبرياء الخشن لروسى يقيس براعته بدفقات الفودكا التى يمكنه مواصلة خلطها بابتهاج قوى.

يواصل سرده، متكلماً الروسية الممزوجة بالإنجليزية، متغطرساً، عدوانياً، مُحتقراً أية حقيقة بعينها عليه أن يرويها.

"ستكون قصتى شديدة الملل، ليست مشوّقة. عشت أنا وأبواى فى عمارة اسمها منزل العلماء بالقرب من محطة سكك حديد منسك، ويسعنى القول لكم إن هذه الرواية لابد أن يطلق عليها "قِصّة الأطفال الّذين أتوا من كريمة المجتمع كان أبى عالماً عظيماً، وقد صار جزءًا من تاريخنا العلمى السوفيتى. فور إطلاق جاجارين للفضاء فى سبوتنيك، أجرت أمى لقاءات صحفية، وأبى وأنا.

"سأخبرك قِصّة طويلة عن نفسى. حين كُنت صغيراً، كنت ألعب كرة القدم فى شقّة. كانت شقّة السكرتير الأول للحزب الشيوعى فى بيلاروسيا، وكانت كرة القدم ممكنة لأنّ حجراتهم كانت فسيحة جداً. وكانت أمّى عضواً فى بعثة حكومية للأمم المتحدة، جنباً إلى جنب مع خروشوف.

"بالنسبة إلىَّ، أحببت إلفيس بريسلى. لا يهم "قال يورى،" سواء أكان روك أو جاز. المهم أنّ شيئاً ورد لنا من الدول الغربيّة بصفة شخصيّة، أحبّ إيللا فيتزجيرالد ولويس أرمسترونج ـ لكن إلفيس بريسلى كان يحظى بالنصيب الأكبر. أغلب ما سمعوه كان مُسجلاً على شرائط، رغم أنّه وأصدقاءه كانوا يستمعون للراديو، وأيضاً ـ هيئة الإذاعة البريطانية، وصوت أمريكا. كان مهووساً جداً بالملابس حينئذٍ، ودائماً ما كان أنيقاً.

"أثناء تلك الفترة، كنتُ طالباً فى معهدنا الطبّى وكان ثمّة عُرف للبارزين أن يلقوا محاضرة عقب

زيارتهم لدولة أخرى. لذا جهّزت أمى واحدة لأجل قصر اتحاد التجارة، وكان كل شىء مصحوباً بشرائح عرض. كانت ردهة واسعة، ربّما كانت تسع خمسمائة فرد، وحينها جاء لى واحد ـ لى أوزوالد. قدّم نفسه بوصفه أليك أوزوالد فحسب، قال إنّه جاء من أمريكا وراح يتكلّم بالإنجليزيّة، وكانت إنجليزيتى آنذاك جيدة".

بعد محاضرة والدة يورى، صعدوا للطابق العلوى حيث قاعة الرقص، حيث كانت رقصة قد بدأت، وكان أوزوالد معنياً بمارينا." كانت شديدة الفتنة، امرأة ذات تأثير، قوية الحضور. كانت ـ ما التعبير المناسب؟- تفتن الحاضرين. بدت بصحّة جيدة، ليست شاحبة. بدت ـ الكلمة التى نستعملها – effektnaya ذات تأثير قوى على الناس. هذه الليلة كان عليها أن تظهر بأفضل حالاتها، كما لم تظهر من قبل. كنت قد سبق أن عرفتها، واستمرت معرفتى بها بعدها، لكنها لم تبد أبداً بمثل هذه الجاذبية الشديدة كما بتلك الليلة. كانت و وكأنها هبة من السماء ـ كانت سامقة، سامقة جدا"

صحفى: هل كانت تضع أحمر شفاه ؟.

يورى ميريزينسكى: كانت تطلى شفتيها دائماً.

صحفى: دائماً ؟.

ى.م: بلى.

الصحفى: هذا مثير للاهتمام، لأنّ ما لدينا أنّها لم تستعمل قطّ طلاءً للشفاه.

ى.م: كانت جذّابة جداً، مؤثرة.

الصحفى: كم طالت معرفتك بها آنذاك ؟.

ی. م: لا یهم ـ یوم، یومان، سنة ـ لقد عرفتها بما یکفی کی أعی من کانت. کانت امرأة، لا بنتاً، ولا امرأة شابة. کانت امرأة ناضجة، وقد أنهکتنا مضاجعتها.

الصحفی: أنهکتکم مضاجعتها ؟ نحن ؟ لنکن محددین هنا.

ی. م: أجهل ما یخصّ الآخرین. أستطیع الکلام عن نفسی. لم أذهب معها للفراش. لکننی أستطیع النوم معها ولو فی بئر السلم.

الصحفی: تقول إنّك حصلت علیها حیثما شئت؟.

ی. م: بلی. یقیناً.

الصحفی: وأصدقاؤك حصلوا علیها ؟.

ی .م: أکید.

الصحفی: یقیناً ؟.

ی .م: أکید.

الصحفی: أنا أسأل لأنّ، فی سیرتها الّذاتیة، أخبرت الکاتبة، بریسیلا جونسون ماکملان، أنّها کانت عذراء حین تزوجّت.

ی .م: لقد أخبرتك للتوّ أنّ مارینا لم تکن تتحری الدِّقة فی سیرتها الذاتیّة.

الصحفی: أردت التأکّد.

ی. م: لقد طُرِدت من لیننجراد فی أربع

وعشرين ساعة لممارستها الفاحشة
مع أجنبى، وقد أتت إلى منسك.
بسبب الفاحشة ؟ حرفياً ؟.

الصحفى: مع أجنبى. ثمّ جاءت إلى منسك،

ى. م: لأنّ لها خالاً هنا، كانت محظوظة.
كانت فى مثل ذلك المأزق ؟.

الصحفى: نسميها ١٠١ كيلومتر ـ ما يعنى

ى. م: الإقصاء بعيداً جداً. من لينتجراد.
هذه مسألة نود أن نستوضحها.

الصحفى: النظام الآن مختلف.

ى. م: من قال لك إنّها كانت عاهرة فى

الصحفى: لينتجراد ؟.
أنت تسأل سؤالاً أعتبره شديد الحميمية.

ى. م: دعنى أسأله بطريقة مختلفة.

الصحفى: كلا. كان سؤالاً صائباً. جاءت هنا

ى. م: برفقة أربعة آخرين تمّ إقصاؤهم
معاً من لينتجراد. كانت ضمن
مجموعة. شابان، وامرأتان، وكان
خالها يعمل فى وزارة الشئون
الداخليّة MVD وهذا هو سبب
تمتعها بميزة المجىء إلى منسك
لا ١٠١ كيلومتر، ما يعنى، ١٠١
كيلومتر، أن تضطر لقطع
الأشجار فى الغابة.

الصحفى: معسكر عمل ؟.

ى.م.: شغل العاهرات والعاطلين. كان

يجرى إرسالهم خارج المدن الكُبرى للعمل، عمل مضنٍ. آنذاك، أى فرد يُمكن اتهامه بأى نوع من ممارسة الفسق، وكانت قد شوهدت بصفة منتظمة فى فندق لينِنجراد حيث أخبروها بأنّ عليها المغادرة فوراً بسبب الأجانب. لقد شوهدت برفقة أجانب وطُلِبَ منها الرحيل.

واحد من أصحابها كان فى منسك أيضاً. رجل أطْوَلُ مِنى وأضخم مِنّى. كانت لديه كُنْيَة، Gon-don-chick من العازل الطِبّى، العازل الطِبّى العريض. كان يشترى عوازل طبيّة رخيصة ـ الواحد أربعة كوبيكات ـ كان يشترى معها فرشات من التى تنظَف بها ملابسك، ثمّ يصنع أربعة ثقوب فى كل عازل ويأخذ شعر الفرشاة ويحطّ هذا الشعر داخل الثقوب بكل عازل طِبّى، ثمّ يضع عازلاً آخر فوق هذا المشعر، وكان يبيعها للمومسات و كانت كثيرات يشترينه نظير مبلغ ضخم، لهذا أطلقوا عليه عازل المومسات الطِبّى، لأنّه كان يُبهج النساء، بلى. آنذاك، كان المرء يحوز حتى عازلاً طبيّاً بشوارب، وهكذا كانت تلك كُنْيَته. عازل المومسات الطِبّى، .Gon-don-chick ربح ضخم، طبعاً. كان ذا شعبية كبيرة بين النساء.

الآن، قال يورى، ثمّة مشكلة ـ هو ومجموعته، ليقول، شجعتهم مارينا، وكانوا يجهلون كيف يتخلّصون منها. كانت بارعة فى الجنس، لكن حين تكون المرأة دائماً بساقين منفرجتين، أحياناً تسأمها، وكانت لاتقلق أبداً حيال أى شىء مثل السمعة.

سُئل كيف تستطيع إخفاء سمعتها، بعد أن قابلت لى فى هذا الحفل، كيف كانت تتدبّر ذلك ؟.

يورى:" تعرف، نحن الآن ثلاثة رجال فى هذه الغرفة، تمام ؟ ثم تجىء امرأة، ثمّ يأتى رفيق رابع تجذبه هذه المرأة. هنا أنت لا تقول لهذا الرجل الجديد، يا رجل، تعرف، لقد ضاجعتها فى أوضاع مُختلفة مرّات كثيرة... أنت لا تمرر هذه المعلومة. كان ساشا هو الوحيد الّذى لم يكن عشيقها، وكان مستعداً للزواج منها، كان غارقاً فى الحُبّ حتى أذنيه. الجميع ضاجعوها عدا ساشا"

كانت مارينا، كما أخبرهم، قد حصلت على وسيلة للوصول فى مخزن أدويتها إلى الكحول التجارى. لم يكن يورى يرغب فى المباهاة، لكنه يستطيع القول إنّه، بوصفه رجلا، كان يُرضى كل النساء، وقد أحضرت له مارينا زجاجات، زجاجات ضخمة من الكحول، من مخزن الأدوية.

بالسؤال عن لى، قال يورى إنّه أراد أن يشرح أنّ:" نحن فريق واحد، عشرة، وعندنا امرأة، اثنتان، ثلاث، عشر نساء، وجميعهن جميلات جداً. ودائماً نتبادلهن بيننا فحسب، متعلقات بنا. وكل واحد فى فريقنا يضاجع هؤلاء النسوة. الواحدة تضاجع واحداً، ثمّ آخر ـ جميعنا يعرف ذلك. ليس سِرّاً، وجميعنا تعب منهن، سأمنا منهن

إذاً لِماذا صار لى جاداً بشأنها ؟.

أجاب يورى:"لكل امرأة حلاوتها

أخبر كوستيا بوندارين، أناتولى شبانكو، بشأن تجربته مع مارينا. يجهل متى هى وأناتولى تواعدا أول مرّة، سوى أنّها لم تتجاوز أكثر من بضعة أسابيع لاحقة، بعدها، يعرّفها كوستيا على يورى ميريزينسكى.

يعلم أنّ يورى يقول إنّه نام معها، لكن كوستا ليس واثقاً من ذلك. الحقيقة أنّ أناتولى شبانكو كان له احتكاك حميمى معها، هذا أكثر ما يعرفه كوستا على وجه اليقين، فتوليا كان رجلاً جاداً، بخلاف يورى، وما كان ليتكلّم قطّ مع الآخرين عن علاقة غراميّة، ويورى، عموماً، كان فى عمر كوستا ذاته، السابعة عشرة، لذا فمن الأرجح أنّه كان يودّ القول:"حسناً، لقد ضاجعت امرأة، حقّاً ضاجعت امرأة "لكن فى هذا الموقف، كان كوستا لا يصدّقه. كان توليا ومارينا يحصران هذا الأمر فيما بينهما، وهو لا يصدّق أنّها كانت لتدع يوركا يُقحم نفسه وسطهما.

بعدها، سمع كوستا أنّ السلطات رحّلت مارينا بالقوة من ليننجراد بزعم إقامتها علاقة مع أحد الجورجيين(*)حادث بغيض فى فندق. الآن، يعجز عن تذكّر إذا كان سمع ذلك من ساشا أم يورى، لكنه سمع هذه القصة فى ذلك الوقت، يذكر ذلك جيداً. كان الأمر شديد البساطة آنذاك ـ تهجم عليك السلطات وتعطيك مهلة أربع وعشرين ساعة لتجمع أغراضك،

(*) نسبة إلى جورجيا (المترجم).

ثمّ تُرحّل. طبعاً، كان خال مارينا يعمل فى وزارة الشئون الداخليّة فى منسك وقد ساعدها على تهدئة الأمور. على الأقل، ذلك ما كان الناس يقولونه، يمكن أن تكون مبالغة رخيصة. بلا جدال، يجوز كانت مبالغة.

ـ ٩ ـ

أنــاتولى

أناتولى شبانكو رجل متثاقل ضخم الجثّة بملامح هـائلـة، يـلـوحُ دائـخـاً ـ أو هـو انـشـغـال الـبـال؟ ـ بمسئوليات عمله. يعمل طبيباً فى جنوب روسيا البيضاء بالقرب من الحدود الأوكرانيّة، ويعالج ضحايا تشرنوبل ـ إثر عبور سُحب من الإشعاع المنطقة الحدوديّة لروسيا البيضاء عقب تلك الكارثة. لهذا السبب، أو لأسباب أخرى، يشرب فى العاشرة صباحاً ويردد أغانى روسيّة أمام الصحفيين بصوت فاتر قليلاً و مجهد، وابتسامة مرتبكة على وجهه.

كانت طفولته أسعد من حوادث تلك الأيام، كان فخوراً جداً بوالده الّذى كان يقود قطارات فى سيبيريا وفيما بعد فى بيلاروسيا، وحين كان أناتولى لا يزال طفلاً، كان والده يصطحبه معه فى كابينة

القاطرة ويدعه يجذب صفارة القطار ويواصل وضع يديه فوق ذراع المحرّك.

بعدها بسنوات، عقب المدرسة الثانويّة، أراد أناتولى وصديقان له أن يصبحوا طُلاب طبّ ويعيشون فى منسك، لذا تقدموا للامتحانات هناك، وقد قرروا سلفاً أنّه حتى لو فشل واحد منهم فى اجتياز الامتحانات، فسيعودون جميعاً إلى جوميل، وهذا بالضبط ما جرى: واحد حصل على درجة منخفضة، وكلّهم رجعوا إلى البيت. كان أناتولى قد أنجز درجة عالية لكن كان عندهم اتفاق، فأذعن له، وكونه خارج المدرسة العُليا فقد ضُمّ للجيش الرّوسى وخدم فيه ثلاث سنوات ـ سنوات ٥٧ و٥٨و ٥٩ فى شهوره الأخيرة تمّ تركيزه فى موقع ليس بعيداً عن منسك وصُرِحَ له باجتياز امتحاناته مرّة أخرى لدخول معهد منسك الطبِّى، وإذ ذاك حصل على علامة خمسة فى الامتحانات الثلاثة، علامات ممتازة، أفضل علامات.

أول ذكرياته عن مارينا أنّها امرأة مبهجة جداً جداً، ولا يزال يذكرها هكذا، ليودّ القول إنّها لم تؤذه أبداً ولا هو آذاها قطّ. فى العادة، يعامل النساء باحترام كبير، لكن متى تكون المرأة وقحة ـ وبعضهن يكنّ صريحات جداً ـ يكتفى بالنظر إليها ويغادر، دون تعليق. يمكنه القول إنّه يحبّ النساء العطوفات والفتيات المتواضعات.

كان جاداً فى دراساته ـ فائق الجديّة، يمكنه القول ـ ونادراً جداً ما ارتدى رابطة عنق. كان يعيش

آنذاك فى حجرة صغيرة وبوسعه إخبارك أنّه خلال أسبوع بطوله كان يسمح لنفسه بالسيرة لمدة ساعتين فحسب، فى حين كان كُلّ وقت فراغه الآخر يقضيه فى الدّرس. كان يسيرًا آنذاك أن تستأجر حجرة ـ لا شقّة، سوى أن أُسراً كثيرة حينذاك كانت توفّر حجرة واحدة ـ فعاش مع زوجين لم ينجبا أطفالاً. فى عامه الثانى، على أيّة حال، عاش فى منزل خاص قرب معهد الطبّ ـ بيت قنسطنطين فى الحقيقة ـ وصار وقته أكثر استرخاءً، وصار بوسعه ممارسة الأمور الاجتماعيّة أكثر.

لم يواعد فتاة واحدة بل كُثّر.آنذاك، لم تكن النساء محافظات ـ لو خرجت مع امرأة، لن تقول لك "إياك و الذهاب للسينما مع أية امرأة أخرى لكن حينئذٍ، كانت علاقاته بالنساء فرديّة، لا بنفس المنوال حيث عليه أن يكون الرجل نفسه مع كل امرأة، بل قد يذهب للسينما مع واحدة ويكون مفهوماً أنّه لا قُبل، ثمّ يخرج للسينما مع امرأة أخرى وينهالان على بعضهما تقبيلاً. قد تلقاه بأى مكان بين الملاطفة والتفريط، دون أن يلتزم بنظام ثابت.

فى معهد الطِبّ كانت الفتيات أكثر من الفتيان، فعادة ما كان لدى الطلبة الذكور مجال واسع للاختيار، لكن كان عُرفاً أن يصادف الطلاب فى العادة زيجاتهم داخل جدران المعهد. عموماً، كان مستبعداً فعلياً أن تنام مع زميلة وتعيشا معاً فى حين لا تزالان طالبين، خصوصاً بالنسبة إليه. كان ضابطاً

فى الكومسومول، ومن الممكن أن تؤاخذ فى لقاءات الكومسومول إذا كنت تعيش بطريقة كتلك. كان لم يعد لديهم هوس بستالين، لكن دون شكّ كان لديهم هوسهم بما يتعلق بالكومسومول، وأناتولى كان كومسورج أى أنّه كان مسئولاً عن نصف تنظيمه بالكومسومول. كان سكرتير البوتوك. لو كان لديك ألف طالب، يؤلّف البوتوك من خمسمائة، ولو كنت قائدهم فذلك معناه أنّه يمكنك توقّع تلقى بعض الوظائف المحددة فيما بعد. بُعيد التخرّج، عادة ما كان يُكلّف الطلاب بالعمل فى أماكن بائسة بعيداً فى أقاصى الاتحاد السوفيتى، لكن من كان منهم بمنزلة رفيعة فى الكومسومول لديه القدرة على الاختيار أولاً، حتى أنّه قد تُسأل،" أين تريد أن تعمل؟" وحين جاءوا إليه على أية حال، قال، أين الحاجة إلى طبيب ؟"

فيما يتعلق بالنساء، يودّ القول إنّه لو عشت بصورة مكشوفة مع امرأة، يُمكن أن تُناقش بصفة متصلة، لذا فأنت تقوم بتلك الحاجات خفية، تُرى من يرغب أن يصير موضوعاً رئيسياً للمناقشة بلقاء للكومسومول ينتقد سلوكك الجنسى غير اللائق؟ كان على حاجة المرء البيولوجيّة لممارسة الجنس أن تُشبع، لكنك تقضيها بعيداً عن العيون، ولا حاجة كى يعرف أى أحد من كنت تراها لهذا الغرض.

الآن، كانت مارينا واحدة من أوائل الفتيات اللائى قابلهن، كان عامه الأول فى مدرسة الطِبّ قاسيّاً جداً بالنسبة له درجة أنّه نادراً ما واعد أنثى خلال عام

١٩٥٩ لكن فى السنة التالية، كانت مارينا واحدة من الأُولَيَات، بلى.

بالكلام عن مارينا، لا يمكنه قول أى شىء سيئ: كانت محض فتاة بسيطة، شديدة البساطة، عادية وإيجابيّة، وقد عاملها فحسب بوصفها امرأة، وكل ما يستطيع تذكّره أنّه ما من ثمّة سوء بدر من جانبه تجاهها و لا منها تجاهه.

سلّط كتاب بريسسلا جونسون ماكملان، مارينا ولى، الضوء على هذه الرواية المبتسرة من وجهة نظر مارينا :

... قبلت أنّ تكون رفيقة ساشا فى حفل رأس السنة، لكنها تعهدت لنفسها أن ترقص مع أى واحد يحضر... تلك الليلة وجدت نفسها بين ذراعى أناتولى شبانكو، شاب طويل هزيل لكنه جامح، شعره أشقر داكن وابتسامته واسعة جذّابة. توليا، كما سرعان ما أطلقت عليه، كان طالب طِبّ فى السادسة والعشرين أدى خدمته العسكرية فى الجيش. كان مُتقلباً، مع ذلك راعى مشاعر مارينا ومن لحظة تبادل قبلتهما الأولى ـ كانا يقفان فى فناء معتم الإضاءة، والثلج يلفّ حولهما كدوامة، وفانوس يصدر صريراً فى المدخل ـ كانت قد صارت محمومة بعشقه." كان رجلاً نادراً تتذكّر مارينا،" كان نبيلاً فى كل أفعاله

كان ثمّة عائق واحد. لم تكن مارينا تعتقد وهى على حال افتتانها بأناتولى، أنّه وسيم، ولا أحبّت طريقة لبسه، ببساطة لم يطابق الصورة التى رسمتها

لنفسها بوصفها الفتاة التى تواعد فحسب الوسيمين، ودون رغبة أن تصير أضحوكة، ملؤها خوف أنّ يقلل ذلك من شأنها أمام أصدقائها، كانت تقود أناتولى لشوارع خلفيّة حين يكونان مع بعضهما، خِلسة وكأنهما متورطان فى علاقة سريّة، لكنها نسيت حساباتها حين قبّلها، كانت قبلاته تجعل رأس مارينا تدور. أخيراً، عرض عليها الزواج، لكن كانت ثمّة عقبات، فأناتولى لديه سنتان أو ثلاث زيادة فى معهد الطبّ، مفلس، والأكثر أهمية، بلا شقّة، فاستشارت مارينا فاليا وإيليا الّذى قال،" كلا يا عزيزتى، دعيه يُنهى المعهد أولاً، بعدها يمكنه الكلام عن الزواج

يذكر أناتولى تقبيلها فى فناء معتم الإضاءة، لكن ما من ثمّة ثلج كان يتساقط. كان الثلج بالفعل موجوداً، ولا يذكر شيئاً مميزاً ـ كلام مكرور، لا شيء مميز. المرء يتذكّر تفاصيل عند وقوع ما ليس معتاداً.

عند إخباره أنّ مارينا تذكّرت قبلاته، قال، لقد أعجبتها، أعتقد، ها،ها،ها" ثمّ أردف،" أحاول أن أكون أميناً، لا أريد الاختلاق. اعذرنى لو كنت أعجز عن أن أكون مفيداً"

لدى سؤاله لِما خصتّه بأنّه:"رجل نادر... نبيل فى كل أفعاله" أجابَ:" أظنّها ربما حصلت على هذه المعلومات من بعض أصدقائى، لم تستشفها من تصرّفاتى، لكن شيئاً سمعته من شخص آخر وأضاف، ذلك هو سبب رغبة الجميع أن أكون سكرتير الكومسومول، لأنّ كثيراً منهم كانوا أصغر سناً

ولم ينخرطوا بالجيش السوفيتى لذا متى يقول، "هذا عادل غالباً ليقبل الآخرين. ولدى سؤاله إذا كان أغلب الناس يعتبرونه نبيلاً، أجاب، " حتى اليوم"، سئل كيف كان يلبس فى تلك الأيام، قال، " لم أشغل بالى بالملابس أبداً، وإنّ قال أحد:"لا تروق لى طريقة ملبسك" أردّ: طيب، اشتر ما تريد أن أرتديه وسأرتديه "ما كان ليتأنق كى يرضى امرأة فحسب، ورأيه: على المرأة أن تحبّ روح الرجل، لا بعض الملابس التى يرتديها. لدينا مقولة هنا أنّك ترحّب بشخص بناءً على ما يلبسه، لكن عندما يحين توديعه، أنت تحترم الشخص وفقما كانت روحه

حسبما يتذكّر، لم يقل أحد له نقيصة بشأن مارينا، ولا قال له أحد قطّ إنّه كان لدى مارينا تاريخ فى لينينجراد. معارفى، يشبهوننى، لا يروجون إشاعات، لن تتقرّب إلى بهذه الطريقة"، ليخبرهم:"تريدون الكلام عن هذا الشخص ؟ أحضروه هنا و قولوا ما تشاءون، لكن لا تتكلموا معى وحدى دون هذا الشخص كان هذا مبدئى .

فضلاً عن أنهما لم يتضاجعا. ليقول إنّهما لم يشبعا رغبة كتلك، ولا يتذكّر أنّه تقدّم للزواج منها، ولو أنّها دفعت بأنّه لم يكن يمتلك شقّة كسبب لرفضه، ليقول إنّ ذلك ليس حقيقياً بالضبط، لأنّه كانت عنده عمّة فى منسك لديها بيت وأرض وفى قطعة الأرض هذه بيت آخر صغير خال. لذا، لو كان قد أراد حقاً الزواج، كان بإمكانه العيش مع زوجته فى هذا البيت

الصغير، مع أنّه كان لا يزال يواعد نساءً إلا أنّه ما كان ليجلَبَ امرأة هناك، لأنّه ما كان ليفعل شيئاً كهذا أبداً بعمّته، فهى إهانة.

لدى سؤاله لو كان أخلاقياً أكثر من الآخرين، قال،" فى تلك الأيام ـ عهد خروشوف ـ كان ثمّة شباب مثلى، لكن ليسوا كثيرين، ليسوا كثيرين". بالنسبة لزوجة، أراد امرأة بسيطة متوسطة عامرة بالإنسانيّة. لتلائم مارينا فكرته عمن يرغب بالزواج منها، ولو كان قد عرض عليها الزواج مرّة ورُفِض، يعتقد أنّه كان سيضحك على هذا لاحقاً.

يجد صعوبة فى تصديق أنّه فى ليلة بشهر مارس عام ١٩٦١ فى رقصة منسية جداً، رقصة ما باتحاد التجارة، قالت له مارينا أن يقابلها فى العاشرة مساءً خارج قصر اتحاد التجارة. لا يمكنه رؤية إمكانيّة لذلك، ما كان لينتظر امرأة أكثر من خمس دقائق، يجوز يمنحها خمساً أخرى، لكن دون زيادة أبداً، وحين كان كل هذا الوقت يمر كان يغادر ـ هكذا. محتمل رحل مبكراً وعاد ليبحث عنها فى العاشرة، لكن بالنسبة إليه لا يبدو ذلك معقولاً. آنذاك، كان يحسب أنّ كثيرات كُنّ يروق لهنّ، كما لم تكن الأنا لديه عالية أيضاً ؛ فمعهد منسك الطِبّى كان مرموقاً جداً، كلية تعليمية متميزة، فكانت النساء تنجذب للطلبة به.

لدى إخباره أنّهم، بحسب مارينا، قد تشاجروا تلك الليلة وأنّه قال،" يجب أنّ أتكلّم معك" وأنّها قالت،"لا أستطيع الكلام الآن، ألا ترى ؟ اغرب عنّى

ليقول فحسب إنّه لا يتذكّر أنّها تكلّمت معه بقلّة احترام، لكن ربّما حقيقى أنّها خرجت من حياته ودخلت حياة أخرى ـ حياة هذا الرجل الّذى تتزوجه، لذا لتكون إجابته الآن:" آه، لقد كانت محظوظة" فقد تزوجت رجلها وهى سعيدة الآن، لم تكن تنتظرنى، فقد عثرت على رجل آخر، وهذا أمر طيب لها

طبعاً، هو مذهول أنّ حُبّاً بسيطاً كهذا يمكنه اختلاق اهتمام واسع. حتى الآن، هو مندهش، مصدوم حتى أنّ صحفيين من أمريكا قد حضروا لسؤاله عن امرأة لم تتزوجه، ورداً على تلميح يفسّر الأمر، يسأل:"هل زوجها متهم بقتل أحد؟" ثم يُردف،" لا تنس أن تخبرنى لأنّ أعصابى مشدودة. أعصابى مشدودة بشأن من قُتِل

طمأنه الصحفيون أنّه لن يؤثر على حياته الحاضرة وأنّهم سيصارحونه فيما بعد، وبموافقته كانوا يستطيبون مواصلة لقائهم.

ذكّروه أنّه هاتف مارينا وطلب أن يراها، لكنها أخبرته أنّها الآن بصدد علاقة جديّة. تذكّر أنّهما تكلّما مرّة واحدة فحسب وكانت حين تقابلا فى الشّارع وقد قالت إنّها قد تسافر إلى أمريكا، فقال مداعباً، مرحى، خُذينى معك" وقد أضاف للصحفيين، أستطيع الممازحة على هذا النحو، بشخصيتى أستطيع القول: طيب، لديك حياة رائعة. خذنى معك.

قال ساشا: "تعرف، حتّى الآن، أنا مُعجب بها. لو لاحظت أنا أحترم النساء عموماً، ومبدئى دائماً أنّك ينبغى أن تلاطف امرأة على طول الفراء لا ضده، وينبغى أن تُحبّ امرأة

مع ذلك، كيف يشعر حيال كيفية انتهاء الأمر برمته ؟،" الآن، أستطيع أن أرى أنّها نظرت لى بوصفى صبياً صغيراً فحسب، أحسبُ أنّها لو انتظرتنى وكانت صبورة بما يكفى، لكانت حياتها أكثر بهجة مما كانت عليه بعد رحيلها إلى أمريكا، لأنّ كل حاجة أردت نذرها لها، نذرتها بعد ذلك لأسرتى. أظن الآن، فى أغوار قلبها، أنّها امرأة شديدة التعاسة، لكن إذا رأيتها أبلغها أفضل تحيات من ساشا، وقُلْ لها إنّى غير متضايق و لا أشعر بالإهانة، مع أنّى مررت ببعض اللحظات الكريهة

"أدرك بعضاً مما أحسّت به حين كنتُ أواعدها، لكن الآن ثَبُتَ أنّها لم تشاركنى المشاعر ذاتها أبداً، وهذا هو أصعب جزء، لكن آنذاك كنتُ صغيراً. أحسبُ أنّ أفضل حاجة لها كانت الزواج من أجنبى، والسفر إلى بلد آخر

بعد فراقهما، كان شديد الاكتئاب، ولم يدرس جيداً، كانت فترة عصيبة، لكن شيئاً فشيئاً ـ وقد استغرق عاماً ونصف ـ خرج من تلك الحال، ثمّ تعرّف على زوجته، وقضى حياته كلها سعيداً معها، وهكذا شكر الصحفيين لوجودهم من أجل رؤيته، فقد أدخلوا بعض البهجة على حياته الريفية، حسب كلامه.

القسم الخامس

تــوددٌ

وزواج

ـ ١ ـ

أليــك

١٧ مارس

رحتُ أنا وإيريك إلى حفل راقص باتحاد التجارة، مُضجر، لكن فى الساعة الأخيرة تعرّفت إلى امرأة بتسريحة شعر فرنسيّة و فستان أحمر وحذاء أبيض خفيف. أرقص معها و أطلب أن أرى بيتها. شىء أعمله، مع خمسة معجبين آخرين... نروق لبعض على الفور. تعطينى رقم تليفونها وتغادر للبيت برفقة صديقة قديمة نسبياً فى سيارة أجرة. أمشى للبيت.

السيد رانكن: أين قابلتيه ؟...

مارينا أوزوالد: فى قصر اتحاد التجارة.

السيد رانكن: ما نوع هذا المكان ؟.

مارينا أوزوالد: أحياناً يعقدون بعض اللقاءات

هناك. أحياناً أخرى تستأجره بعض المعاهد... من أجل الحفلات ... لقد ذهبت إلى هناك مع بعض الأصدقاء من معهد الطِبّ وواحد منهم عرّفنى على لى.

السيد رانكن: ماذا كان اسمه ؟.

مارينا أوزوالد: يورى ميريزينسكى...

السيد رانكن: هل كنتِ تعلمين أنّ لى أوزوالد كان أمريكياً (و) هل شكّل ذلك فارقاً ؟.

مارينا أوزوالد: كان أمراً مشوّقاً أكثر، طبعاً فأنت لا تقابل أمريكياً كل يوم.

من سرد لحياتها كتبته مارينا للمباحث الفيدرالية الأمريكية :

كان أناتولى قبيحاً بدرجة ما (وفى هذا أظن أنّ لديه شيئاً مشتركاً مع ميل فيرير)(*) لكننى كنتُ مرتبكة من الظهور معه علناً ـ فتاة سخيفة. كنتُ أخشى أن تقول صديقاتى:" يا له من حبيب قبيح الّذى ترافقه مارينا لذلك السبب كُنّا نتكلّم فى الهاتف ساعتين أو ثلاثة فى المرّة الواحدة وكان الكلام معه مشوّقاً جداً ... كان يُحبّ أمّه بشِدّة وكان يتكلّم عنها بحنان كبير، وقد أحببت ذلك، فلم يعد لى أمّ وكان مقبولاً جداً رؤية كيف كان هذا الرجل الناضج الضخم يتصّرف مثل طفل صغير برىء تجاه أمّه. ما من كثيرين يمكنهم عمل هذا بشكل صريح...

(*) ممثل ومنتج أفلام ومخرج أمريكى توفى عام ٢٠٠٨ (المترجم).

أراد أناتولى الزواج بى سوى أنّى رفضت، لأنّه كان لا يزال طالباً و...أن أنتظر خمس سنوات حتى يُنهى دراسته تراءت فترة طويلة جداً بالنسبة لفتاة شابة...

فى يوم دعانى ساشا لمناسبة اجتماعيّة فى المعهد الطبّى، وقد علمت أنّ أناتولى سيكون موجوداً هو الآخر. ترى كم كُنتُ فتاةً طائشة. أجبرنى ساشا على التعهد أن أكون موجودة وأعطانى بطاقة دعوة، وأخبرنى أناتولى أننى لو جئت مع ساشا فلن يرغب فى رؤيتى مجدداً، وأننا لن نستمر أصدقاء زيادة عن ذلك، لكننى فكّرت أننى أستطيع تدبر الأمور بطريقةٍ ما كى لا أتسبب بمضايقة أى منهما...

أعاقنى شىء ما فى العمل، ورجعت للبيت متأخرة قليلاً، ثمّ استغرقت ساعتين كى ألبس وجلست وقتاً طويلاً أمام المرآة، ثمّ فقدت شجاعتى كُليّةً وكُنتُ متعبة من الثوب فلبست فستاناً بيتياً عادياً، لكن خالى... شرع فى الضحك علىّ، هل كان الأمر يستحق الجلوس كل تلك الفترة أمام المرآة ؟" وأخيراً جرجرنى شىء ما لتلك الأمسية، ضد حتى إرادتى. أستطيع قول هذا بإخلاص شديد ـ شعرت بشىء غير معتاد تماماً تلك الليلة سوى أنّى لم أعره كبير اهتمام. ولدهشتى كان ساشا فى انتظارى. كان يقف بالخارج فى البرد دون معطف. كان يهرع للخارج كل عشر دقائق لينظر إن كنتُ ربما حضرت... أثناء الرقص حاولت العثور على أناتولى سوى أنّه قيل لى إنّه رآنى مع ساشا و غادر ـ ما ضايقنى جداً.

كان ساشا مع أصدقائه من المعهد، وواحد منهم عرّفنى على لى، مطلقاً عليه أليك... وحين دعانى لى للرقص، وبدأنا نتكلّم، قررت أنّه من إحدى من دول البلطيق، لأنّه كان يتكلّم بلكنة، لكن بعدها فى الليلة ذاتها اكتشفت أنّ لى كان أمريكياً...

أحببت لى على الفور. كان مهذباً جداً ومجاملاً، وشعرت أنّى رُقت له أيضاً... بعدها، عندما تزوجنا، أخبرنى لى أنّه لاحظنى بمجرّد دخولى ردهة الرقص. لا تحسب أنّ لى رأياً سامياً استثنائياً بشأن نفسى أو أنّى حاجة فريدة من نوعها، لكن يمكننى القول إنّ... كنتُ قد دخلتُ للتو من البرد (و) حينئذٍ كانت الفتيات (الأخريات) قد تعبن فعلاً، فى حين خلعت معطفى بالكاد منذ لحظات ـ وهكذا كانت لدى إطلالة مفعمة بالنشاط... أذكر أنّى كنت ألبس فستانى الأثير المصنوع من القماش الصينى المُطرّز (أحبّ لى هذا الفستان فيما بعد) وكان شعرى مُصففاً حسب تسريحة برجيت باردو. لقد أحببتّ نفسى حتى تلك الليلة. ترى كم أتبجّح، سوى أنّى أكتب ما شعرت به...

بعدها... مضينا جميعاً إلى بيت يورى الّذى كانت أمّه بالولايات المتحدة... أذكر أنّها تشاجرت قليلاً مع أليك، لأنّ أليك... أطرى بشدّة على بلاده فى كلامه عنها وبصورة مشوّقة جداً. كنتُ سعيدة جداً أنّه كان يحاول إظهار أفضل جانب فى بلاده، وبعدها، حين سألته إذا كان قد أحبّ أمريكا، قال إنّه أحبّها، لكن ليس كل ما فيها، مثلاً، البطالة والتمييز. الحقيقة أنّه

صعب ومُكلّف جداً أن يتعلّم المرء، والكلفة العالية للأطباء حين يمرض الواحد، لكنه قال بفخر كبير إنّه فى أمريكا الشقق أجمل وليست مزدحمة جداً، وأنّ المتاجر بها ما يُرضى كل أذواق من لديهم نقود. قال أيضاً إنّه فى أمريكا مزيد من الديمقراطيّة وأن أى واحد يمكنه قول ما يشاء فى الصحافة أو الراديو أو التلفاز...

فى تلك الليلة أوصلنى ساشا وأليك للبيت. كُنّا بمفردنا فى الشارع بضع دقائق، حين سألنى أليك متى و أين يستطيع رؤيتى، وأخبرته أنّه محتمل أنّى أعود ثانيةً للرقص فى المكان الّذى تقابلنا فيه دون أن أعطيه وعداً بعينه، لكن بعدئذٍ بأسبوع، رُحتُ مرّة أخرى مع صديقة للرقص ـ وكان لى هناك. فى تلك الليلة جاء إلى البيت معى، وعرّفته على زوجة خالى التى أحبّت تواضعه و تهذيبه، وحقيقة أنّه كان مهندماً أيضاً. قالت لى ضاحكة إنّ أمريكياً وحده ما كانت تفتقر إليه مجموعتى.

فى تلك الشهور قبل أن تقابل أليك، وحين كانت لديها عدة علاقات رومانسية فى آن واحد، كانت تشعر بالرعب، مع ذلك كانت قادرة على الإحساس بالسطوة على الرجال. طبعاً، كان يسيراً أن تسقط فى الحُبّ، وكانت تبحث عن حُبّ. تُحبُّ الحُبّ. حين تكون البنت فى الثامنة عشرة، تقود الهرمونات تفكيرها.أنتِ غزالة شابة مبتهجة، تقابلين وتقعين فى هوى آخرين لأنّكِ تُطلِين عليهم. يفتنك واحد؛ لأنّه يعرف كيف يفتح

الباب، شهم. آخر لأنّه يُحبك بوله. كانت تريد رجلاً يكون رومانسياً عامر الجيب، من الطِراز الأول، لطيف، ويحبّها. لكن حينئذٍ كان دائماً هناك أناتولى الّذى جعل رأسها تلفّ بقبلةٍ واحدة فقط. ما تتعلمه أنّه ما من أحد على وجه البسيطة يمنحك كل ماتحتاجه.

لم ترغب فى الكلام عن تجربتها. كان لدى الإمبراطورة كاثرين الأولى كثير من العُشاق و عُدّ أمراً لا بأس به، وإنّ كان هذا لا يعنى أنّ مارينا كان لديها كثيرون ـ لم تكن تقول ذلك. هى فقط لم ترغب بالكلام عن الجنس. كان الجميع يبحثون عن السيئ ثمّ يحطمونك. لم يكن الأمر أنّها اقترفت ما تخجل منه، لا شىء خاطئ بصورة كريهة، إلا أنّها عرفت حين جاءت إلى منسك أنّها ربما كانت فى حاجة إلى نصيحة، لأنّها لم تكن بتلك التجربة. ربما اعتقد الرجال أنّها كانت شيئاً آخر بخلاف ما كانت عليه.

تكلّمت مع صديقها ميشا سمولسكى الّذى لم يلوّح أبداً بأصبع لها. كانا صديقين، صديقين فحسب. قال:" هونى عليك، لن ألمسك فأنتِ لست أنيتا إيكبيرج(*)" هذا كُل ما قاله. أخبرها:" مارينا، ثمّة رجل ينشر شائعات أنّك تنامين معه. هل هذا صحيح أم لا ؟" فقالت له،" ميشا، أنا أسألك أنت، تُرى ماذا

(*) موديل سويدية وممثلة وأيقونة جنسية، أشهر أدوارها كان فى فيلم المخرج الإيطالى فيدريكو فيللينى La Dolce Vita أو الحياة الحلوة (المترجم).

أفعل إن لم يكن لدىّ ما أُخفيه؟ لا أستطيع الدفاع عن نفسى من باب لباب إذا تربص بى واحد بالكذب"

فقال ميشا: " لا أستطيع أن ألكمه فى أنفه، لأنّ هذا ليس شأنى - يقصد أنّها ليست امرأته - سوى أنّى سأقول له إنّ ما يفعله هراء

كانت تجهل لماذا كان ميريزينسكى - لو كان هو الرجل، يورى ميريزينسكى - يتكلّم عنها بتلك الطريقة، ربّما لأنّه كان سكيراً دائماً وكان يحب إثارة الجلبة. ربما الرفض. هل كان هذا هو الشخص الّذى كان ميشا يتكلّم عنه ؟ وأحسّت بالذُلّ أمام العالم كُلّه.

الآن تهاوت سُمعتها مثل ملابس قذرة، كريهة الرائحة، ذلك أنّها كانت مدانة بملابسها. لى هارفى أوزوالد، على سبيل المثال. أليك هذا كان قد حاول أنّ يكون حميماً معها حين رآته مرّة أخرى فى قصر اتحاد التجارة بعدها بثمانية أيام، فى ليلة سبت، تلك الليلة رجعت به وحده للقاء فاليا لأنّ إيليا كان فى الخارج.

شاء أنّ ترتب له فراشاً كى يستطيع النوم. تظاهر أنّ الوقت كان مُتأخراً جداً على الحافلات، لذا فقد يتمكن من النوم بمكان ما هناك ؟ لابد وأنّه حسبها امرأة فاسقة، لكنها أرسلته للبيت. يقدر على العودة للبيت، صارحته بذلك، لكنها لم تكن غاضبة حقّاً. على كل حال، فى تلك الليلة الأولى، حين كانت تلبس فستانها الأحمر، أصرّت على أن يذهب الجميع للبار

لاحتساء الشمبانيا. محتمل أن لى حسبها من نوعية من عليها الشرب، لكن كل ما كان يشغلها كان رؤية أناتولى وأن تثبت له أنّه كان سيتكلّم معها سواء جاءت مع ساشا أم لا. لكن أناتولى، على أيّة حال، تجاهلها، فقط كما أخبرها أنّه سيفعل. وهكذا عادت مجموعتها لقصر اتحاد التجارة، وقضت ليلة الجمعة تلك ترقص مع لى. كانت مهمة عسيرة، بدرجةٍ ما. "فى أمريكا" يقول،" يرقصون بهذه الطريقة ويشدّها أقرب إليه. ثمّ يغطس.تستطيع أنّ تعى أنّها طريقته للاقتراب منها. لكن لا بالقبض عليها. كلا، بل شيئاً فشيئاً.

طوال تلك الفترة، كانت تفكّر،" كيف تُرانى أبرهن لأناتولى أنّه لا يستطيع التخلّص منى فحسب كأنى نكرة ؟" علاوة على ذلك، كانت تشعر بالإشفاق على ساشا. كان ضحية استراتيجيتها. و هكذا، حين تصرّف أناتولى وكأنّه لم يسبق له أن رآها فى حياته قطّ، حررها ذلك من هوسها به، لهذه الليلة، كيفما اتفق.

راحت تعابث الجميع بما فيهم لى. لابد أنّه حسبها امرأة فاسقة ! وربما ذلك سبب توقعه أكثر مما حصل عليه بعدها بثمانية أيام، حين اصطحبته للقاء فاليا، لقد قال حتى، لديك رفاق كثيرون، لقد ظننت أنّك... تعرفين... وآنذاك كانت تلبس فستانها الأحمر. يجوز صمدت.

الآن، عند الإطلال على كل ما مضى، لتقول إنّ لى قد خدعها. بدا أكثر عمقاً فى الحياة. لو كان

محض فانيا(*) غبى آخر، محض عامل نفاية آخر، ما كانت لتخرج معه بمواعدة أبداً. لتقول إنّها تحترم عُمّال المصنع جداً ـ لكنك لن تواعد فانيا، فتُرى ماذا تنوى أن تتكلّم بشأنه مع رجال كهؤلاء ؟ إنّهم يقرصون النساء علانيّة ـ لا شىء إلا سوقيّة، لذا تبق بعيداً.لا عُمّال مصنع، شكراً. تحاول مصادقة طبقة تفوقك، حتى لو كنت قد جئت من الطبقة المتوسطة أو من لا شىء . لم تكن لديها رغبة أن تتقهقر. كان لى يعمل فى مصنع، لكن أيضاً بدا أكثر استغراقاً فى الحياة. دون شكّ لا يتعلق هذا باهتمامه بالمسائل السياسيّة، فقد قالت جدّتها لها عن السياسة : إياكِ والاقتراب منها ـ وإلا ساءت حياتك. مع ذلك، متى كبرت، وإن لم تنشأ بالانتماء لمجموعات سياسيّة، تصير معنيّاً بمعرفة كيف تسير الأمور، وكان لى جزءًا من مجموعة أصدقائها ممن كانوا معنيين بكيف كان يعمل هذا العالم.

عقب الليلة التى دفعته فيها للعودة إلى بيته، حدد موعداً بعدها بأسبوع، لكن بعدها بأيام قالت زوجة خالها فاليا،" خمنى؟ لقد اتصل صديقك الأمريكى . لن يتمكن من الحضور، كان مريضاً، وهو عالق بمستشفى ما بعيدة على أطراف منسك. لم تشغل مارينا بالها كثيراً، حتى حين اتصل ليخبر فاليا أنّه

(*) إشارة لشخصية الخال فانيا فى مسرحية أنطون تشيكوف التى نشرت فى عام ١٨٩٧، وتسلط الضوء على الحياة البائسة والضائعة للخال "فانيا» الذى يعيش فى قرية مملة وراكدة (المترجم).

كان مريضاً، كانت فى الخارج مع أناتولى. لقد راق لها لى، سوى أنّها دون ريب لم تعتبره مواعدة جادة. كان شيئاً يجوز لليلة واحدة مجانيّة.

الآن، كانت أذنه مُتأذيّة على نحو خطير كفاية له كى يقيم فى مستشفى.كانت لديه أذنان متأذيتان منذ الطفولة، حسب كلامه لها لاحقاً، وقد أجرى جراحة بالعظام الناتئة وراء أذنه حين كان صبيّاً.

قالت فاليا لِماذا لا تزورينه ؟، ليس لديه أحد هنا من بلاده وهذا عيد الفصح الروسى قالت فاليا، أعرف على وجه اليقين أنّهم فى أمريكا يحتفلون بعيد الفصح. سيكون أمراً لطيفاً ومؤثراً ، وحطّت فاليا بعض الكعك فى طبق و قالت لمارينا، أظهرى له أنّ الروس لديهم قلب

لكن حين بلغت فى النهاية هذه المستشفى ـ بعد رحلة طويلة بالترام ـ كان مبتهجاً لرؤيتها. لم يتوقّع زيارتها، يا له من رأى وضيع لابد وأنّه كان قد كوّنه فيها ! سوى أنّه كان شديد الابتهاج أنّها أحضرت له مشمشاً مُعلّباً، وأفصح لها أنّه كان تحليته الأثيرة.لابد وأنّ حدسها أنبأها.

كان مشهداً مُحزناً، على العموم. بدا مريضاً وكانت ابتسامته شاحبة. بدنيّاً ، تعجز عن القول إنّه قد راق لها، عقب تلك الزيارة بقليل قبلها (بعد طلب الإذن)، ولم تلق بالاً لهذه القبلة الأولى، أيضاً.كانت ثمّة مشاعر سلبيّة، مثل تحذير كى تكفّ، توقفى هنا،

وقد سألت نفسها، " هل أرغب لهذه العلاقة أن تستمر؟" لم يسبق لها أن فكّرت أبداً فى ذلك، لكن تلك القبلة الأولى يمكنها أن تخبرك الكثير. هل أرادت أن تعرفه أكثر ؟ربما لا. مع ذلك، ظلّ عقلها على حال فضوله. وكان دمثاً جداً، تذكر أنّ قُبلته لم تكن محض نقرة، شكراً لمجيئك ـ كلا، بل كشفت عن توقّعات، سوى أنّ رائحته لم تبد مثل الروس، حتى لم تكن مثلما كان فى المستشفى. كان لجلده رائحة غريبة. يجوز ثمّة روائح كثيرة فوق، لكن تحت بعض الروائح الأساسية، منحها تقبيله هذه الاستجابة السلبية. لم تكن رائحته كالهواء الطازج والشمس المشرقة.

فيما بعد، كان عليها أن تتقبّل رائحة جسده هذه، مع أنّها كانت موجودة، إلا أنّها قبلت بها. إذا أحبّت امرأة رجلاً، تتقبّله.

كان أمراً غريباً، بعد العمل كل يوم، تمضى لزيارته. كانت تدخل إليه حين يفشل الآخرون. كانت أيام الزيارة الآحاد فحسب، لكنها كانت تلبس زيّها الأبيض من مخزن الأدويّة فى الإكلينيكى الثالث، وهكذا، لا مشكلة.

لم تكن أحبّته حتى الآن، لكن يقيناً أحسّت بالأسف تجاهه. كان شديد الوحدة. استطاعت فهم ذلك. الوحدة هى الرفيقة اليومية لكثير من الناس، لكن دون شكّ ليست أفضل رفيقاتك. وكانت فاليا ترثى له جداً.

أثناء وجوده لا يزال فى المستشفى، قال لمارينا إنّه رغب فى خطبتها وأنّها لا يجب الا ترى أحداً سواه. وعدّته. لكن لم آخذ ذلك الكلام على محمل الجدّ لم تُحبّ لى ـ ليس حتى الآن، كانت ترثى له فحسب.مع ذلك كان أمريكياً، لن تقولى لا إن قال أمريكى إنّه يريد خطبتك، ليس مباشرة، على أيّة حال.

يوم خروجه من المستشفى الإكلينيكى الرابع، أخذته فاليا للغداء مع إيليا.

راق لها كيف تعامل أليك مع خالها، باعتداد شديد. قال لإيليا إنّه أتى كى يعيش للأبد فى روسيا، وأنّه نوى على أن يعمل بكدّ. قال إيليا، طيب، طالما الأمر كذلك، إذًا فهو، إيليا، سيكون مستعداً لمساعدته بترتيب حياته، وكانت مارينا قادرة على رؤية أنّ فاليا كانت تفكّر، بلى، يمكنهما أنّ يرشداه قليلاً، لأنّ أليك ليس له أحد فى منسك، و كانا سيعاملانه جيداً.

فَتَنَ فاليا. كان شديد الرِقّة، وقد قبّلها فوق خدّها السليم بعد العشاء وقال،" شكراً لكِ، كانت هذه الوجبة رائعة" حسناً، كانت حقّاً كذلك، لكنه أيضاً قال كلامه بطريقة لطيفة.

بعد العشاء، قال إيليا،" اعتن بهذه الفتاة، فلديها وفرة من النزوات فى رأسها ألم يكن ذلك بغيضاً؟ كانت شخصاً جاداً. كانت تحبّ لو كانت لديها نزوات فى رأسها ـ بلا ريب أرادت المرح ـ سوى أنّها كانت تشعر دائماً بالمسئوليّة، أو اختبار ضميرها. لا يمكنها

قطّ أن تقول:" ارم وراء ظهرك!" ـ لم تفعل قطّ. يجوز، من وجهة نظر إيليا، لأنّ شاباً راق لها هذا الأسبوع، وسيتبعه آخر الأسبوع القادم، لكن مارينا صارحته،" مازلت أفتّش. أقابل واحداً ويتبيّن أنّه أبله، يصطحبنى للغداء بالخارج ويريد أنّ أدفع الحساب، أو دائماً يُنقّى حنجرته لأنّه مغنّى أوبرا، الليلة بطولها، هذا كل مافعله مغنى الأوبرا خاصتى بلى، عرفت واحداً، وخرجت بمواعدة برفقته. ارتدى معطفاً من الصّوف الناعم ووشاحًا" وحين راحا إلى مطعم هو من اختاره، قالت لنفسها،" حسناً، يجوز سيُرينى بعض الثقافة هنا "لكنه أكل غداءه وقال لقد نسيت محفظتى ثمّ تابع،" ادفعى الحساب وسأعطيكِ بعض التذاكر لحفل الأوبرا خاصتى وحين بلغت تلك النقطة، تبيّن أنّه جندى ٢٩ بالوراء بمكان ما فى الجوقة ـ إنريكو كاروزو(*)حقيقى ! وطبعاً كان عليه أن تُسقطه.

كلا، لم تشأ أنّ تتكلّم بشأن مغازلة أليك لها. لم تكن حاجة فريدة، فكل المغازلات متشابهة: أُخط خير خطواتك للأمام. المزعج فى التودّد أنّك لا تعرف أبداً الطرف الآخر إلا بعد أن تتزوجه وتعيش أول أربع وعشرين ساعة معه.

(*) انريكو كاروزو (٢٥ فبراير ١٨٧٣ ـ ٢ أغسطس ١٩٢١) مغنى أوبرا إيطالى لقى إشادة كبيرة فى دور الأوبرا الكبرى فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية، سجل كاروزو أيضًا ما يقرب من ٢٩٠ تسجيلا تجاريًا لصوته، حيث بدأ فى بداية ١٩٠٢ فى إيطاليا واستمر من ١٩٠٤ حتى ١٩٢٠ فى الولايات المتحدة.

مع هذا، كانت مستعدّة للكلام مع الآخرين بشأن مغازلات أليك هذه، وقد شجّعتها صديقاتها، خصوصاً لاريسّا. حسبما رأت لاريسّا، سيميزّها هذا الحبيب الأمريكى عن الفتيات الأخريات. فضلاً عن أنّه كان يمتلك شقّة، فحين دعا أليك مارينا لزيارة شقّته بالليلة التالية لغدائه فى شقّة إيليا وفاليا، حضرت مارينا مع ساشا ويورى ولاريسّا.أمان فى العدد. لكن لاريسّا تكلّمت عنه بإيجابيّة بعد ذلك. كم كان يتمتع بأخلاق طيبة.

ـ ٢ ـ

قليلاً من الغزو

يتذكّر ساشا تلك الليلة فى شقّة أليك. كان الأمريكى يعيش فى عمارة مهيبة، لكن شقّته لم تبد مُريحة. كانت ما يطلقون عليه kazyono بلى، بيروقراطيّة، تفتقر الجو البيتى.

كان أليك يتكلّم روسيّة جيدة. لكنته ونطقه كانا منحرفين، لكنّه يستطيع الكلام. أدار سيمفونيّة تشايكوفسكى الأولى، وأصغوا لأليك يروى قصّة حياته. كان فى قوات بلاده المُسلّحة، خدم فى آسيا، يكره الحرب، لم يشأ أن يكون جزءاً من الحرب، فقرر المجيء للاتحاد السوفيتى من أجل الإقامة، وأرسلته موسكو إلى ينسك، وكان الآن يعمل فى مصنع راديو أفق،"بوصفه مهندساً". كان بحوزتهم قنينة شمبانيا. راق لساشا ـ فكّر أنّه ابن بلد، متزن جداً، دون

انفعالات لا حاجة لها. لم يكن أوزوالد يُدخن، سوى أنّه كان يستمتع بكون الآخرون يدخنون سجائرهم ـ أو هكذا بدا لساشا. عموماً، لاحت شقّته بائسة،" تراب حديدى" كما أطلقوا عليها، وكانت طاولته neobtyosoniy ليست مصقولة كما ينبغى، وكانت كراسيه عادية، خزانة كُتبه وكُل شىء صُنع من بضعة ألواح.

كانت لديه تسجيلات كثيرة، على أيّة حال، تسجيلات مديدة العزف، جميعها كلاسيكيات. ربما أمضوا ساعة ونصف هناك، ولابد أنّها كانت العاشرة حين غادروا، وقد قال ساشا لمارينا،" هيا نُعيدك للبيت لأنّ صباح غد باكراً، علىّ الذهاب لشغلى وأنتِ أيضاً عليك الاستيقاظ مبكراً"

عند هذه النقطة، أشار ساشا إلى رغبته أن يطفئ الصحفيون شريط التسجيل. بعدئذٍ روى لهم هذه القِصّة: حين عاد لبيته، كانت ثمّة سيارة تنتظر بالخارج أقلّته إلى مكاتب الكى. جى. بى. وهناك أداروا له تسجيلا لِما دار بينه وبين الآخرين فى حفل لى. لم يفسّروا لِماذا كانوا يفعلون هذا، ولا خاضوا بتفاصيل أخرى، بل قالوا له فحسب إنّهم كانوا يريدونه أن يوافيهم بتقارير متى طلبوا هذا منه.

كل هذا جرى فى قبو مبنى الاستخبارات السوفيتيّة، فى شارع لينين، وقد نُقل إلى هناك فى سيارة. سمحوا له بالمشى للبيت، بضعة كيلومترات معقولة.حين وصل وبّخته أمّه على تسكّعه مع صنف

أصدقائه، أبناء الطبقة العُليا كذلك، الرّاسخون جداً، أبناء الإنتلجنتسيا ـ يورى، على وجه الخصوص، وكوستيا بوندارين. قالت له،" انظر، أنت منحدّر من قوم ريفيين بسطاء. لا ينبغى أن تكون برفقة مثل هؤلاء، ستورِّط نفسك فى مأزق

بالنسبة للصحفيين، قال إنّه توقّف الآن عن رؤية مارينا؛ لأنّها كانت تواعد لى، كذلك توقّف عن رؤية يورى وكوستيا بوندارين اللذين، حسب افتراضه، استُدعيا أيضاً. لاح وأنّ لا أحد منهم شاء رؤية الآخر كى لا يضطروا لكتابة تقارير عن بعضهم. يمكنك القول إنّهم تقاسموا لغةً جديدة لا حاجة بهم عبرها للكلام.

لا إيجور ولا ستيبان أذنا بأكثر من بعض الاهتمام المُبكّر بشأن لى ومارينا، وحين نمت تلك العلاقة الرومانسيّة سريعاً إلى زواج، يُمكن القول، كما أقرّ إيجور، أنّ النوم جافاهما قليلاً، وأحسّا بطريقةٍ ما بالذنب لأنّه لم تُتخذ خطوات من شأنّها إعاقة ازدهار هذه المغازلات بين أوزوالد ومارينا بروساكوفا.

لدى سؤاله عن نوعية الخطوات التى كانت لازمة، كانت إجابة إيجور استشاريّة، ورقيقة حتى. كانت ثمّة نساء، حسب اقتراحه، بعضهن فاتنات، بلا شكّ، بلا شكّ، اللائى كان يمكن استدعاؤهن عند بعض المراحل بواسطة الأورجانز. ربما كانت واحدة منهن ألهت أوزوالد. كذلك، كان بإمكانهم اجتذاب مارينا ربما لشخص آخر، رجل ما جذّاب جداً ومؤهل

لنشاط كهذا. لكنهم لم يفعلوا ذلك، على أيّة حال. كانت نقلة كبيرة رغم ذلك، وكان عليهم منح لى ومارينا إمكانية البدء، ثمّ جاء الزفاف، دونما تحذير تقريباً. مزيد من المشاكل عليهم التعامل معها. هل ثمّة الآن أى تسرّب للمعلومات إلى أوزوالد من خلال مارينا؟ كان ذلك احتمالاً يمكن وقوعه بطريق خالها، اللفتنانت كولونيل بروساكوف من وزارة الشئون الداخليّة. ولكى يؤمّنوا أنفسهم من نتيجة مشابهة، كان لزاماً عليهم بطريقةٍ ما، فيما بعد، أن يقيموا اتصالاً شخصيّاً بإيليا بروساكوف.

لقد قدّمت تلك الفترة، إذًا، ضغوطات جديرة بالاعتبار، و كان أمراً حقيقيّاً أنّ ـ ستيبان لطالما عجز عن النوم جيداً، وكذلك إيجور.

بعد ثلاث سنوات تقريباً، كتبت مارينا روايتها لتلك الأيام الأولى مع لى :

لدى لى كلاسيكيات كثيرة، وقد أحبّ سماعها حين نكون معاً. كره الرفقة الصاخبة وبالأحرى فضّل أنّ يكون بمفرده معى. أذكر واحدة من تلك الليالى حين شربنا شاياً مع فطيرة وقُبلات. حينئذٍ (أرجوكم أعذروا سوقيتى، الناشئة عن صِغر السِنّ) هذا الشاى كان لذيذ المذاق. لم أشرب مرّة أخرى شاياً ولا أكلت فطيرة تشبه ما تناولناه ـ ها ها ! أخبرنى لى أنّه كان يريدنا أن نتزوج ونقيم هنا للأبد. لديه شقّة ساحرة صغيرة... بمدخل مستقل ـ كافية لاثنين، خصوصاً لو كانا شابين. أخبره أنّى أودّ لو أصبحت زوجته (لأنّى

بالفعل أحببته) لكن علينا أن نتمهّل بضعة أشهر؛ لأنّه وضعٌ مُحرج قليلاً أمام أصدقائنا أنّ نتزوج بهذه السرعة، لكن لى وافق على التمهّل فحسب حتى الأول من مايو (و) غَرَس بعض الزهور فى الشرفة على شرف موافقتى على الزواج منه !

١٨ ـ ٣١ مارس

نمشى. اتكلّم قليلاً عن نفسى. تتكلّم كثيراً عن نفسها. اسمها مارينا ن.بروساكوفا.

١ ـ ٣٠ إبريل

نواصل بثبات و اقرر انّه لابد من امتلاكها. ترجئنى ولذا فى ١٥ إبريل أعرض عليها الزواج. تقبل.

تمام، متى خرج لى من المستشفى، شرعا فى التواعد، لتخبر الصحفيين بعد ثلاثين عاماً. لم تكن تراه كل ليلة، ودون شكّ راحت تواصل رؤية أناتولى لحين قبلت فى النهاية عرض لى للزواج. حينئذٍ، وداعاً أناتولى.

لم يكن الأمر فحسب أنّ لى كان مهندماً ومهذباً. كانت تنجذب بشدة لمن يتأنقون. كان يروق لها من يتحممون ومن لديهم القدرة على التفكير بنظافة. لتعترف بذلك: راقت لها التنشية التى رأتها فى قمصان لى وجعلها هذا تشعر بالحريّة: تستطيع الكفّ عن رؤيته أى وقت شاءت، هكذا دار بخلدها، وهكذا، واصلت رؤية أناتولى، برغم أنّ تلك الرؤية لم تصل حدّ العلاقة.

"آه، حسناً   قالت للصحفيين،" نمرة واحد، فى روسيا ليست لديك تلك الوفرة من الفُرَص كى تكون فى دخيلة أحد. كان الشتاء قد حلّ حين قابلت أناتولى، لذا ففى الغالب كان محض تبادل للقبل، وقد كان جيداً فى التقبيل. ضع الأمور هكذا ".لم تشعر قطّ أنّها كانت ما يُطلق عليه" شخصاً جنسياً .حِسيّة بالأحرى. التمادى لحافة العلاقة الجنسيّة لم يكن هدفها، لم تكن تبتغى ذروة." ما يعنينى هو الجزء الّذى يسبق الجنس . لكن مع أناتولى، لأول مرّة، أرادت التمادى أكثر، لولا أنّه لم يحدث.

من جانب آخر، أراد لى دون ريب النوم معها. أحياناً، يودّان الذهاب إلى شقّته، وستجرى الأمور إلى نقطة اللاعودة. مرّة، عاجلها قائلاً:" لا بأس! إمّا أن تبقى أو تنصرفى!   وانصرفت، لكنه لم يكن خشناً. كان الأمر الّذى راق لها فى لى وكذلك أناتولى هو التوطئة، الكلام. لا الوطء فحسب ـ جذب وتقبيل، ثمّ إيلاج. بل نتكلّم وتدريجياً تسخن للأمر. أحسبُ أنّ هذا ما راق لى بشأن لى قبل الزواج. قليلٌ من الغزو

وهكذا، قد يكون دمثاً، لكن كانت به بعض العدوانيّة كذلك حين يأتى أوان الجنس. لِماذا تظن أننا تزوجنا؟" لتسأل. هزّت رأسها. حسَناً" قالت لمحدّثها،" عزيزى الرئيس فورد قال للجميع إنّ لى كان عنيناً وهذا الأمر لم يكن حقيقيّاً... رجل مثله صار رئيساً. آسفة. لا أُكِنُّ احتراماً للسيد فورد"

من تقرير للمباحث الفيدراليّة الأمريكيّة عن لقاء مع مارينا أوزوالد فى الأول من ديسمبر عام ١٩٦٣

أوصت مارينا (بألا) يرفض خالها ولا زوجة خالها أوزوالد، وفى الحقيقة، كانت سعيدة أنّها قلّصت عدد أحبابها ـ تقريباً ـ إلى واحد. لم يبديا رفضاً لأوزوالد وصارحاها أنّه قرارها لـ... مُنح لهما تصريح الزواج (من أمين السجِل) فى سبعة أيام. كان ثمّة ضرورة بعد ذلك للانتظار ثلاثة أيام فحسب للوفاء بمهلة العشرة أيام المطلوبة.صدّق أمين السِّجِل على زواجهما فى الثلاثين من إبريل عام ١٩٦٠ (و) رتب خالها وزوجة خالها حفلاً لهما فى شقتّهما دُعى إليه أصدقاؤهما المشتركون.

أوصت بألا يجرى معها أى موظف مقابلة وأنّ التوثيق الضرورى الوحيد المطلوب لهذه الزيجة كان تسجيل الغرض وأنّ شهادة الزواج تصدر بعد عشرة أيام...

من رواية مارينا:... كان واحداً من أسعد أيام حياتى. أليك، أيضاً، كان شديد السعادة أنّ أُذِنَ لنا بالزواج. لقد هدأ فحسب فى أيام زواجنا، قبلها كان يذهب كل يوم إلى ZAGS مكتب الزواج لرؤية ما إذا كُنّا قد حصلنا على الإذن. فقط بعد زفافنا فحسب صدّق أخيراً أنّ ما كُنّا نريده قد تحقق... أذكر أنّه (فى يوم زفافنا) اشترى لى من أجلى بعض زهور

النرجس الحميمة، وذهبنا إلى مكتب الزواج برفقة أصدقائنا. رجعنا مشياً على الأقدام، وكانت الشمس مُشرقة، كان يوم أحد دافئ، وكل حاجة كانت حلوة .

ـ ٣ ـ

ليلة الزفـاف

في يوم، بعد حوالى سنة من انتقال لى من فندق منسك إلى شقّته، سمعت ستالينا أنّه قد تزوّج. قالت عاملة طابق فى الفندق:" هل عرفت؟ أنّ الأمريكى تزوّج امرأة روسيّة؟ واحدة مننا لكنها أردفت،" امرأة ممن يسلبن البضائع. عاهرة من أرصفة لينينجراد .انتشرت تلك الشائعة بكل أنحاء منسك. تذكّرت ستالينا أنّه كان قد قال لها إنّ المرأة قالت:" أطفئ النور و قبّلنى أرجوك". إنّ سيدة شابة مُحتشمة جديرة بالاحترام ما كانت لتتكلّم هكذا. إنّ سيدات شابات جديرات بالاحترام، لو كُن يعرفن أية إنجليزيّة، ليعرفن أكثر بكثير من عبارة كتلك. كانت البنات الروسيات يتربين، قالت ستالينا، على ألا يتخذن أية مبادرة تجاه الرجال. كان الجنسُ مودّة واعتناء، جزءاً من علاقة

كبيرة، والكثير من النساء لم يُقل لهن حتى شيئاً عن نشوة الأنثى. لِماذا؟.

"أطفئ النور وقبّلني أرجوك" كانت عبارة غير مسموعة. يكفي! لم تشأ أن تقابل هذه المرأة الشابة.

***

في البدء، ظنّت زوجة خالها وخالها أنّها كانت تخرج برفقة الكثير جداً من الرجال، الآن وقد قلّصتهم إلى اثنين وشاءت أن تتزوج، كان على إيليا القول:" لا تتعجّلي. هل تعين ما تودين إقحام نفسك فيه؟ عليك أن تعرفي هذا الرجل أفضل. كم هي فترة قصيرة من الوقت

في يوم زواجهما، عموماً، كان إيليا لطيفاً، وقد قال لمارينا:" ربما تكونين مستعدّة، أحبّا بعضكما. الآن، وقد تزوجت، يجب أن تعيشي حياة هادئة. إياكِ وإلحاق الخزي بنفسك، بل مارسي حياتك كي يرى الناس أنّ لديك حياة رائعة"

في مخزن الأدويّة، كانت سونيا أول من سمع بشأن أوزوالد حين راحت مارينا تردد:" لقد تعرّفت على هذا الأمريكي أليك ـ ألكا، حسبما أدعوه". ثمّ سمعت سونيا بعدها بقليل أنّهما شرعا برؤية بعضهما، لذا حين جاءت مارينا إليهن وقالت إنّ ألكا قد عرض عليها الزواج، كان ما دار بخلد الفتيات، حسناً، فخال مارينا في مركز مرموق وما نحنُ إلا فتيات لا حول لهن ولا قوّة، وإن كان هو، بمنصبه

الرفيع، قد سمح لهما بالزواج، فمن يقرر العكس؟ وعندما علّقن على كونه أجنبياً، قالت مارينا، " لا يعتزم العودة إلى أمريكا

ما من أحد من فتيات مخزن الأدوية دُعيت إلى زفاف مارينا، لكن حينئذٍ، لم يكن حفلاً كبيراً، فقط خالها وزوجته ـ ليس حفل زفاف مألوف في مطعم حيث يُدعى الناس للحضور. بل الأقارب والأصدقاء المقرّبون.

أثناء فترة التودد بين يورى ميريزينسكى ولى، لاحظ قنسطنطين بوندارين أنّه متى كان عائداً للبيت من أمسيّة كان لى حاضراً بها، دائماً كان رجلا يتبعه. لذا، كفّ عن الاحتكاك بالأمريكى.

لهذا السبب بالضبط لم يشارك كوستا فى زفاف مارينا. لقد تكلّمت أنا ويورى بهذا الشأن .قُلتُ ليورى "نحن مراقبان". كان ثمّة كلمة مخصوصة، pasut تُستعمل حين يكون المرء تحت المراقبة بصورة واضحة. كأنّك خروف و لديك راع يراقبك.

بالنسبة لمارينا، ليقول كوستا أنّه كان لديها هدف واضح فى رأسها وأنّ لى كان الضحيّة نمرة واحد.

الضّحيّة، على العموم، هو من يُستغل كوسيلة. مسألة أنّ مارينا كانت ترغب فى الزواج كانت واضحة لكل رجل احتكّ بها، لكن توليا شبانكو كان أكثر المناسبين لها.

***

لا تذكر إنيسّا متى سمعت اسم أليك أول مرّة، لكن كانت ثمّة فترة بدا فيها أنّ مارينا تختفى حيناً دون أن تراها إنيسّا. لذا، اندهشت إنيسّا عندما اكتشفت أنّها كانت تتزوج من أمريكى.

لم يحدث أبداً أن أخبرت مارينا إنيسّا شيئاً بتفاصيله كلها، إلا من تقاسم بعض المشاعر، سرّب هذا لإنيسّا شعوراً بأنّ مارينا لديها ما يسوؤها وتخفيه، شيئاً كان يزحف، ربما، صوب روحها، سوى أنّه لم يلطخها بعد.

"قد تلوّث من خارجك، ذلك شعورى، لكن تظلّ روحك نبيلة وتظلّ محتشماً. كلا، تلك الكلمات خطأ. ترى كيف يمكننى قول ذلك؟ طيب، إنّها عزيزة علىّ، وقد رأيت شيئاً بها" قالت إنيسّا.

"كانت تعترف، لقد كانت تتكلّم بألم كبير، بألم هائل، صدّقنى. أخشى أن أبدو بمظهر الواثقة من نفسها، لكنه يتراءى لى أنّها احتاجتنى. كانت تباشر الموضوع تدريجياً، لتتكلّم وتتكلّم ثمّ بعدها كانت تصير أكثر تحديداً. لقد كان ذلك قبل أن تتزوج حين صارحتنى، أنّها تشعر بالوحدة تماماً، كأنّ لا أحد بحاجة إليها

لقد علمت إنيسّا، قبل زواجها مباشرة، أنّ مارينا كانت مشغولة البال أن يكتشف لى ماضيها فى ليلة زفافهما. وكما قالت لإنيسّا، إنّها كانت تعلم ما عليه عمله بنفسها كى لا يكتشف لى هذا الماضى. كان

صعباً الخوض فى موضوع كهذا لأنّه كان يتضمن مسائل طبيّة و جسديّة، لكن بعدها، قالت مارينا إنّ الأمور مرّت بسلام وأنّ لى ظنّها كانت بِكراً. لقد قامت بحاجة طبيّة ـ بلى، لقد فعلت شيئاً.

قالت إنيسّا:" طبعاً، صدمتنى، سوى أنّى لم أقاضيها" لم تعلم إنيسّا كيف تدبّرت شيئاً كهذا، سوى أنّ مارينا أخبرتها أنّها كانت فى مخزن أدويّة، على أيّة حال، وثمّة مادة أو مادتان ـ حين تأخذهما المرأة تسبب لنفسها إجهاداً وتوتراً فى منطقة الحوض، وكانت العروس متى دُخِلَ بها أول ليلة، توجّب أن تشعر بالألم. ليس عليكِ أخذ دروس فى كيفيّة التصرّف، ونزول دمّ ليس ضرورياً، لكنها الخبرة وحدها ما لا يُقنع أى زوج جديد. هذا ما أتذكّر أنّ مارينا قالته له"

بعد زفافها. أفصحت مارينا لإنيسّا أنّ كل شىء سار كما ينبغى وأنّها كانت سعيدة، لا لأنّه كان ذلك الفحل الضارى فى الفراش، لكن لأنّها نجحت فى إقناعه أنّها كانت بِكراً.

بعد الزواج، صارت مارينا امرأة صالحة ومحتشمة، قالت إنيسّا.لطالما كانت ترغب فى امتلاك بيتها الخاص والآن أنجزت تلك الرغبة. وبطريقةٍ ما، عاشت مارينا حياة زوجيّة مُستقرة.

صحفى: لقد أجاب أحدهم على سؤال بالقول : أنت على حقّ، فلم تكن بِكراً ليلة زفافها. كانت

مشغولة البال أن يكتشف لى ذلك، وقد راحت إلى مخزن الأدويّة و أخذت حاجة. كانت تحمى زواجها.

مارينا: لا بأس.

الصحفى: هذا بالضبط ما قاله.

مارينا: لا بأس، هذا صحيح. إذا ؟ إذا فأنت منحرف جنسى لتقضى خمسة أيام كى تحصل على من يتكلّم عن شىء مشابه...أعنى، أليس هذا كافياً؟.

الصحفى: أنا أنقل لكِ ما جرى فى حلقة اللقاء. لقد حكى بافل لنا عن حادثة وقعت فى مصنع الراديو، حين التفّ الشباب حول لى ليمازحوه قائلين:" حسناً، هل كانت زوجتك بِكراً أم لا ؟ كم نزفت من دماء فوق الشرشف ؟ " لم نتمكن أبداً من معرفة إجابة لى.

مارينا: لا أدرى.

الصحفى: لا يبدو أنّ أحداً يذكر كيف أجاب ذلك السؤال. لذا، فنحن نجهل ما إذا كان ذلك الأمر قد ضايقه. من المفيد أن نعرف إذا كان فى كُل مرّة يقع خلاف فى الرأى بينكما، هل كنتما تتشاجران ...

مارينا: تخمينك صائب مثل تخمينى.

الصحفى: لسنا معنيين بالجنس فى ذاته بل بقدر ما عرفه عن ماضيك. كيف أثّر ذلك فيه ؟ لقد قالت صديقتك إنّك كنت قلقة بشأن زيجتك. قالت ذلك بكثير من العواطف والمشاعر، أنّك كنتِ تفعلين ذلك لحماية زواجك.

مارينا: على الأقل كنت جادة.

الصحفى: صحيح تماماً. لقد ساعدنا ذلك على فهم أنّك كنت جادة بشأن زواجك.

مارينا: أردت أن تكون لدىّ عائلة.لقد كنت جادة جداً بهذا الشأن.

الصحفى: لنستوضح هذا الأمر، كى لا يكون علينا أن يخامرنا إحساس بأنّ ثمّة من يُخفى شيئاً. لقد قالت لنا إنيسّا فى هذه المقابلة الصحفيّة ذاتها، بحنان، وحُبّ كبير و تعلّق كبير بك، أنّك، مارينا، كنتِ تحملين عبئاً ضخماً من لينينجراد، وعن مدى صعوبة حياتك فى لينينجراد مع زوج أمّك، وأنّك كنتِ مضطرة لعيش حياة ما كنتِ لتفخرى بها.

مارينا: لم يكن ذلك خياراً.

الصحفى: لقد شرحت إنيسّا لأى مدى كانت مشاعرك سلبية كذلك مدى همّك أنّك مررت بهذه الحياة فى لينينجراد، وأنّه كان عليك اللجوء لعمل حاجات كى تبقى على قيد الحياة، كى تأكلى، كى تجدى مكاناً تنامى فيه...

مارينا: لم أتقاض يوماً أجراً فى حياتى.

الصحفى: أنا واثق من ذلك.

مارينا: كنتُ أبحث عن الحُبّ فى بعض الأماكن الخطأ و أحياناً كان على الدفع مقابل ذلك. فى الحقيقة، لقد تعرضت للاغتصاب على يدّ أجنبى.

الصحفى: ماذا ؟.

مارينا: أعنى أنّى كنتُ محتجزة فى حجرة. أغلق الباب، و أنت تعلم كيف أنّ لديهم هؤلاء dezhurnayas اللائى يقفن بعيداً فى ردهات الفنادق ممسكات بالمفاتيح لمن يكونون بالخارج؟ لقد عجزت عن الصراخ. فكّرت، تُرى ماذا لتظن هذه المرأة بى ؟ لذا قاتلت هذا الرجل. لكنه أخيراً طرحنى قبالته. قال، حسناً، لو كنت أعرف أنّك كنت عذراء، ما كنت لمستك ...لم يسألنى لى، لكن ليلة زفافى، تظاهرت بالألم. كنت مرعوبة، وقلت لنفسى، حين تأتى الليلة، ماذا سأفعل؟ أعنى، ماذا؟ إنّها حياة نظيفة الجُرح من الآن فصاعداً. أريد أن أكون جادة، وكنتُ مرعوبة. لكن لى لم يسألنى.

الصحفى: لم يسألك قطّ إذا كنتِ بِكراً ؟.

مارينا: لقد شكرنى على عُذريتى. ففكرت،" آه، ربّاه. لقد تجاوزت ذلك المأزق...الآن أنا تقيّة مجدداً

الصحفى: تمام.

مارينا: طوال حياتى وهذا كل ما كنت أريده... وبعدئذٍ جاء لى من المصنع وأخبرنى عمّا كان الشباب يرددونه، وقد ضحك لى و قال يا للبربريّة والبغضاء، فقلت،" إياك والكلام عنّا.لا أريد أن أكون نقاشاً تلوكه الألسن ومرّة، أذكر الآن، وقع خلاف بيننا وقد غمغم خفيفاً:" هيه، عذراء على خفيف وقلت،" بلى، أنا عذراء" وتابعت،" أثبت العكس فأسقط الموضوع.

٣ إبريل

بعد تأجيل سبعة أيام فى مكتب الزواج بسبب جواز سفرى غير المُعتاد، سمحوا لنا بالتسجيل زوجاً وزوجة. اثنتان من صديقات مارينا تمثلان دور وصيفتا العروس. نتزوج فى بيت زوجة خالها. لدينا حفل عشاء لحوالى عشرين صديقاً وجاراً، تمنوا لنا السعادة (رغم أصلى)، الذى كان إجمالاً مُقلقاً إلى حدٍ ما لأى روسى؛ لأنَ الأجانب كانوا نادرين جداً فى الاتحاد السوفيتى، حتى بوصفهم سائحين. بعد أمسية من الأكل والشراب راح فيها العمّ ووزر يتعارك وانفجر صمام بإحدى الدوائر الكهربائيّة نتيجة حمولة زائدة.نأخذ ورقتنا ونمشى خمس عشرة دقيقة إلى بيتنا. كُنّا نعيش بالقرب من بعضنا. عند منتصف الليل كُنّا فى بيتنا.

ـ ٤ ـ

زوجــان فى شهر العسل

لتقول مارينا الآن إنّ سببها الرئيس للزواج كان العثور على رجل تسكن إليه، وأن تكون لديها عائلة. كان الزواج مقدّساً، وكان المرء يدخله من أجل أن يعيش. لذا، طبعاً، شاءت أن تبلغ زواجها بطهارة، وطبعاً، كان عُرفاً فى روسيا أن يتزوج رجل امرأة بِكرًا، لكن مع الأمريكيين كانت تجهل كيف تتطلع على مشاعرهم. كان الأمريكيون شيئاً جديداً، ويجوز لم يكونوا يعيرون الأمر درجة كبيرة من الأهميّة.

لتكرر هذا مرّة أخرى: راق للى أن يضحك بشأن مدى البربريّة فى القرى الريفيّة. نشر الشراشف الملوثة بالدمّ !.

تذكر أنّه فى لينينجراد، حين بلغت الرابعة عشرة، كانت تحلم بالزواج. أمير ما أبيض يجىء.

لا قذارة، لا شىء.لذا حين صارت ـ تُرى ماذا نطلق عليها؟- شاهدة على واقعيّة الحياة، كانت غير جاهزة. محتمل قالت، إنّه طريق كل البنات الصغيرة.

عقب زواجهما رسمياً فى مكتب تصاريح الزواج، ولصق طابع على جواز سفرها، حدث أن لاحظت تاريخ مولد أليك. كان عام ١٩٣٩ .أدركت حينئذٍ أنّه كان يكذب حين أخبرها أنّه كان فى الرابعة والعشرين. كان فى الواحدة والعشرين فحسب، فقالت،" لو علمت، ما كنتُ تزوجتك".كانت محض مزحة، لكنه قال لها إنّه قلق ما إذا كانت ستعامله على محمل الجدّ. عموماً، قالت إنّ ساشا كان بالعشرين فحسب وأنّها ما كانت لتتزوج عيالاً.

بالنسبة لزفافهما، وضّبت فاليا وليمة :سلطة التفاح البرّى، بطارخ سوداء وأخرى حمراء، وفطائر لحم. وبعدئذ، حشت سمكة بلحمها المطهو تاركة جلدها سليماً ووضعت كل لحم السمكة مرّة أخرى داخلها، لكن الآن، دون عظام. لا واحدة. كانت تشبه سمكة حقيقة مجدداً، ومع ذلك يمكنك تقطيعها شرائح. يا له من مسعى مخصوص .

كانت مارينا الآن قد استجدت زوجة خالها ألا تقوم بأى تقليد روسى بقول،" . Gor'ko ,gor'ko(*) لكن وفيما جلسوا متحلّقين حول مائدة يأكلون، زعم واحد أنّه يختنق من فرط الفلفل، وهكذا راح الجميع يهتفون

(*) بالروسية فى الأصل، تعنى مُرٌ مُرٌ، يصيحون بها فى حفلات الزفافَ لكى يقبل العريس عروسه.

Gor'ko التى تعنى مرير ـ وتحولّت مارينا للون الأحمر، وامتثالاً لتلك العادة، جعلوها الآن تُقبّل لى بكل مرّة كان هناك من يقول، " Gor'ko . بعدها، رقصت مع كل واحد ثمّ مع إيريك تيتوفيتس وبافل وغنى لى "شاتانوجا شوشو . فى الصباح التالى، راحت فاليا إلى شقّتهما وأسقطت طبقاً على الأرضيّة بضجّة كافيّة لإيقاظ العفاريت، ثمّ قالت لأليك،" عادة روسيّة "

فى زفافها، كانت مارينا مُحرجة من زوج خالتها ميسيا، فانيا، الّذى شرب حدّ السُكر (سماه لى ووزر) وكالعادة عجز عن القبض على الشراب. محضُ فانيا! واندفع إلى الأمام كديك مغرور، صارخاً بحفل الزفاف، وكانت مارينا مرتبكة." فكّرتُ، سيسأل زوجى الجديد نفسه: أية عائلة هذه التى زججت بنفسك فيها ؟" وكان أمراً غير مُريح للغاية".

تلك الليلة، حين عادا إلى شقّته، اكتشفا أنّ فاليا ولاريسّا قد وزّعا الزهور بكل ركن حول فراشهما، وكانت منامتها فوق وسادة.

لم يكن عندهما شهر عسل، بل أمضيا يومين فى الفراش يتآلفان على بعضهما ـ تُرى ماذا تودّ أنت أن تحكى لك؟ كانا جديدين، وقد عجزا عن تحليل كل شيء. كلام قليل، وملاحظة قليلة ـ شيئاً فشيئاً يواصل المرء، دون أن تخوض بمسائل مهمة. خطوة خطوة. قراءة الكُتب الرومانسيّة ليست كافيّة، ترغب

بالمزيد، سوى أنّ الجنس لم يكن رومانسياً، أشبه أكثر بملابس ملوّثة.

حاجة واحدة: لم يكن لى خجولاً. كان بمقدوره الحركة بأرجاء الشقّة عارياً، وكأن لا أحد موجود معه، الأمر الّذى أذهلها ـ ذلك رجل يمكن أن يكون مريحاً جداً قبل أن يرتدى ملابسه سوى أنّها لم تعلّق أبداً. بالنسبة لمنسك، عموماً، كان ذا نزعة استعراضيّة ما، وكانت فحسب لم تُجرّب قطّ هذا الأسلوب الأمريكى. لم يكن لى حتى يخجل من النهوض والذهاب للحمام تاركاً الباب مفتوحاً. كان هذا أمراً غير مألوف. وكانت مارينا تحاول التعرّف على ما كان متوقعاً منها، كانت تجهل ما أراده رجلها، فكان عليها أن تتعلّم.

كان الشباب فى مصنع لى، كما سرعان ما اكتشفت، دائماً ما يتكلّمون عن الجنس. مسألة مهمة جداً هناك، وذلك هو سبب امتناع مارينا عن مواعدة عمّال المصنع ـ عقليتهم، وحين كان أليك يودّ الضحك على ما قالوه، تقول،" إياك والكلام معهم عن مغازلاتنا.إياك أن تجرؤ"

لم تكن أولى تجارب لى الجنسيّة مع امرأة يابانيّة فحسب، بل قال أيضاً إنّه لم يضاجع امرأة أمريكية أبداً. فقط فتيات يابانيات وروسيات. يجوز كان عليه النوم مع واحدة من بنات بلاده أولاً؟ لا، كانت مارينا تجهل ما عليها توقّعه أثناء أيام الزواج الأولى تلك. يمكنها القول إنّها عاشت نوعاً من بهجة البدن. أخيراً

تزوجت، تعرف ! وقد تزوجت أمريكياً، وصار لديها تلك الشقّة الغبيّة التى طالما حلمت بها. كان الربّ يبتسم فى وجهها. أخيراً! من سنة أو اثنتين، كانت مع لاريسّا وكانت تتمشيّان بمحاذاة هذه العمارة السكنيّة بعينها. كانت مكاناً جميلاً من الخارج بشرفاتها العالية بين العمدان البيضاء الشاهقة، يومها أشارت مارينا لواحدة من الشقق وقالت :" أودٌ لو كانت لى تلك" نطقت بهذا قبل أن تلقى لى على الإطلاق، بل قالت حتى للاريسّا،" هل تعرفين أحداً يعيشُ هنا ؟" وأجابت لاريسّا بالنفى.

٦مايو ١٩٦١

وجدتنا نُفكّر بشأن مستقبلنا. برغم حقيقة أنى تزوجت مارينا لإيذاء إيللا، أجد نفسى أقع فى هوى مارينا.

يجوز بعد أسبوع من الزواج، قالت زوجة خالها فاليا،" لنرى يدك المصبوغة المدللة " وكان كل ما وسع مارينا أن تكشف عنه أصابع مصقولة: كانت أظافرها متكسّرة من تنظيف الجدران الحجريّة فى شرفتها وغسيل أرضيّة الشقّة. حينئذٍ قالت لنفسها،" هل تلك هى الحياة الزوجيّة ؟ أظافر مكسورة ؟ آه، ربّاه ! "

لكن بالنسبة لأول يومين زواج، ولأنّهما كل ما تمكنا من الحصول عليه كإجازة من شغلهما دون أن يتمكنا من الحصول على شهر عسل، فقد مكثا فى فراشهما دون أن يستيقظا قبل العصر. كان شهر

عسل حميمى، كما ترى. أحسّت مارينا وكأنّها الآن حُرّة فى عمل ما شاءت، كما لم تفكّر بشأن مشاكلهما فى الجنس، ولم تشأ الكلام فى ذلك، حقيقةً. توقع المرء ألعاباً ناريّة و لم تحدث، ودار بخلدك أنّه يجوز من المفترض أن تجىء لاحقاً. سوى أنّها لم تحدث أبداً.كان هذا أمراً لا بأس به، لكنها كانت تجهل إذا كان القليل الّذى يحدث بها هو كُل ما يُفترض أن يحدث، لذا فى الفراش كان كل شىء مُشكلة. كانت تجهل ما عليها أن تفعل، وكان لى دائماً سمّوراً تواقًا. بعدها، كانت مارينا متى كانت مُتعبة أو بمزاج سيئ، تعجز عن تجنّبه، كانت تخبره فحسب،: لا، لا أرغب أن تطأنى، لأنّى أشعر أنّى مستعملة مرّة زيادة. لِماذا ؟ ثمّة شىء يتعلّق بك، لا بى وحتى مع ما كان يمثله هذا الكلام من إهانة له، كان يحاول الإمساك بها.

هيا ليقول، تعلمين أنّى أحبّك ".كان يلعب دور الصبى الغيور ويلقى دعابات، وأحياناً كانت تُذعن. تظن أنّه كان يحبّ المواقعة فعلاً، سوى أنّها تستاء من الكلام بهذا الشأن. "ما من أحد سأل جاكلين كيندى عن حال جاك كيندى فى الفراش وهنا عليها مناقشة تلك الأمور الحميمة كأنّ ثمّة رجلاً داخلها. ما من شىء يُخزى بالوطء عدا أن تدع الناس تشهده ـ ثمّ أنّها تفسده. لكنها تقول إنّه لا يهم ماذا كانت مشاكلهما، يسأل الناس لو كان لى ثنائى الجنس ولتقول إنّه أبداً لم يخامرها إحساس مع لى أنّ لديه وَلعاً برجل ما، أبداً، يجوز يمكنه أن يكون مثليّاً بمكان ما آخر، لكن ليس فى جوارها.

أحبّ لى الوقوف أمام المرآة مُعجباً بنفسه، كان ذلك أمراً حقيقياً. " كم كان رجلاً مكشوف الوجه" قالت مارينا. ليُعجب بنفسه. لم يكن طويلاً، سوى أنّه كان متناسق البنيّة، وكانت له ساقان جميلتان، وقد علم أنّهما كانتا تروقان لى، فكان يعابثنى: "ألا تعتقدين أنّ لى ساقان بهيتان؟ ليقول، مستجدياً الإطراءات فحسب.علاقة مازحة نوعاً. حميميّة، عدا صنف الناس الذين يمارسونها . فهمها: أنّ النساء حقّاً يرقن له. ذلك كان تأويلها.

لدى إخبارها كيف أمضى لى خمسة أشهر دون أن يحاول إغواء إيللا، أو إجبارها أبداً، سألت مارينا إذا كان من الممكن أنّ إيللا كانت مُحرجة من الكلام. تعرف، أنا أكثر تقوى الآن مما كنت حينئذ، تعرف ماأقصده ؟" ثمّ فكّرت بعدها، ربما راقت له كذلكٍ لو كانت لم ترغبه بذات الدرجة، ما كان ليستحثّها

صارحها لى، وبكثير من الإعجاب، عن تلك اليابانيّة الجميلة التى كانت أول امرأة عرفها، مُخلفاً مارينا وفى خيالها صورة زهرة شرقيّة ممتعة لامرأة لايزال لى متشوّقاً لها. دفعها ذلك للغيرة، طبعاً. ثمّة فى عقله طيف امرأة حسناء. هل كان ذلك ليؤثر فيها؟ كى تُعير مزيداً من الانتباه لكل أنواع الوطء ؟ وتتعلّم أساليب جديدة ؟ أرادت المنافسة متى وصف لى ـ دائماً بإعجاب كبير ـ كل الأمور الحميمة التى تقوم بها المرأة اليابانيّة من أجله، هذه الجميلة المجهولة.

\- ٥ -

أيام الزواج الأولى

كانت فاليا تُفكّر بمارينا الآن بوصفها سيدة، لابنتاً بل امرأة شابة. حين تنالين موقعك في المجتمع في روسيا، فأنت سيدة. مرّة، بعد أن تزوجت، قالت مارينا لفاليا، ربما يقوم زوجي بأشغال صناعيّة، لكني لم أره قط متسخاً. إنّه يجيء من عمله و كأنّه مهندس

كانت فاليا تريد أن تكون شقّة مارينا ولي أنيقة مثلما يبدو، فكانت كثيراً ما تحضر للمساعدة. مرّة، تمادت فاليا حتى درجة أن راحت تغسل شرفتهما، مهمة صعبة وملؤها أوساخ، مهمة طويلة، وقد قضت بها ثلاث ساعات حين رجع أليك للبيت من المصنع ليتناول الغداء. كانت مارينا تطبخ، وضعت الأكل فوق المائدة من أجله، دون أن تدعو فاليا للقعود. بعدها، قالت لمارينا،" لستُ جائعة ولا فقيرة، لكنه عُرف حين

ينظِّف امرؤ شيئاً لأحد فيجب أن يُقدّم له شيئاً. مع ذلك ثمّة من يقعد ويأكل دون أن يُقدِّمَ شيئاً، لا بأس، من فضلك! ولابد أن مارينا أخبرت أليك؛ لأنّه فيما بعد، متى زارتهما فاليا، كان أليك يواصل القول لها: "فاليا، هل ترغبين بهذا؟ هل تحبين ذاك ؟"ربما كانا يتطلعان لساعة يقضيانها بمفردهما ذلك اليوم، لكن مع ذلك، بعد أن تغسل شرفتهما، لا ينبغى أن تُعامل كخادم.

من رواية مارينا: كان مايو شهر عسلنا. .طبعاً، كلانا كان يعمل لكن كانت لدينا الأمسيات بعد الخامسة مساءً وأيام الآحاد بكاملها لنا. كُنّا نأكل فى مطاعم، فى المقام الأول؛ لأنّه لم يكن لدىّ وقت لطهى العشاء... ويليه لأنّى كنت أجهل كيف أطهو بشكل مناسب...

أنا وهو كُنّا نحب الموسيقى الكلاسيكيّة. كانت لدينا تسجيلات كثيرة لتشايكوفسكى، لأنّه كان موسيقى لى الأثير، وكذلك جريج، وليست، وريمسكى كورساكوف وشومانّ. كانت الأوبرا الأثيرة لدى لى "ملكة البستونى . فى روسيا، أُخِذَ فيلم عن هذه الأوبرا، فيلم رائع. ذهب لى لأجله أربع أو خمس مرات للسينما وفى البيت حدث أن كنتُ أغار من هذه الأوبرا، فبعد العمل، ليشرع بإدارتها على الفور، لا مرّة بل مرّات. (أيضا) غالباً ما كُنّا نقصد الأوبرا والمسرح ومعهد الموسيقى أو السيرك... وقد حسد كثير من

أصدقائنا أسلوب حياتنا. كان لى شديد التلهّف لإنجاب طفل وحزن جداً حين انتهى شهر العسل دون إشارة على وجود حمل !.

أرادوا أن تحبل على الفور. لم يحدث الحمل فى الشهر الأول، وتساوى الإحباط لدى لى وفاليا على السواء، بل حتى قالت فاليا،" كُنّا نأمل أن ترزقى بطفل، لكن يبدو أنّك ستكونين مثل خالك، عاجزة عن الإنجاب" قالت ذلك بعد شهر واحد! وكان لى يرغب فى ولد، وكان سيسميه دافيد. ابنهما، أكّد لمارينا، سيكون يوماً ما رئيساً للولايات المتحدة. حينئذٍ، متى شاءت مارينا الذهاب للحمام، أقلّه حين كان طمثها يقترب، لم يكن يسمح لها بإغلاق الباب. كان يريد أن يعرف يقيناً ما إذا كان قد جاءها الطمث، و حين سألته لِماذا لم يثق بها، قال أليك،" حسناً، أنت تعملين فى مستشفى، لو أنّك لا ترغبين فى الأطفال، يمكنك أن تجهضى نفسك. فأردت المعرفة . لم يؤذ ذلك مشاعرها، فقد كانت تريد طفلاً هى الأخرى: وقد دار بخلدها أنّه كان غبيّاً، سوى أنّها نحت هذا الأمر جانباً، بل قالت حتى،" طيب، دع الباب مفتوحاً" ـ معتبرة الأمر مزحة، قالت، لى، أنا أرغب فى طفل بقدر ما تريد، ولن أرتكب حماقة". وهكذا، لم يكن شيئاً ذا بال، لم يكن، وكأنه كان يقف هناك و يقول، لابد وأن تتغوطى أمامى ـ كلا، كان أمراً أكثر تهذيباً. عموماً، جاء آخر الربيع، وكان مزاجها، سأُرزقُ بطفل وستكون لى عائلة هنا وقد أرادت لهما أن يكونا شابين و سعيدين بقدر ما يستطيعان.

مايو

كان التحوّل من اجل تبديل كُل الحبّ لإيللا ونقله لمارينا عمليّة شديدة الإيلام، خصوصاً وأنا أرى إيللا تقريباً كل يوم فى المصنع، لكن مع مرور الأيام والأسابيع، كنتُ أتكيّف أكثر و أكثر مع زوجتى روحياً... تحبّنى حدّ الجنون من البداية الأولى ـ ركوب قوارب فى بحيرة منسك، تمشيّات فى الحديقة، أمسيّة فى البيت أو فى بيت زوجة خالها فاليا.

أثناء الأسابيع الأولى من زواجهما، كان لى يقابلها عند مدخل مخزن الأدويّة ويمشى معها حتى البيت، وحين يحلّ المساء كان لى يخرج لشرفتهما ويحدّق بالمشاهد البعيدة عبر مجهره المُقرِّب. فى الليل، يغسل أطباق الفطور وفى أيام توافر الماء الساخن كان يقوم بغسيل الملابس. وكانت مارينا حين تتسلّق مدخلهما من ناحية شارع كلينينا تسمعه يغنى نوتيّة نهر الفولجا" قبل أن تصل بأربع درجات على السلّم.ما كان ليكون واحداً فى جوقة بل كان يستطيع الغناء بنكهة سائغة، صوت صاف، وكان يغسل ملابس شغله، فقد كان لايرغب بوجودها بالقرب من ملابسه المتسخة.

فى يوم، كان يدقّ قطعة من الأساس معاً وضرب أصبعه. عرفت أنّه يؤلم ـ هل تصدّق ذلك؟ـ تأذت بدنياً لأجله، لقد عبرت الطريق كُلّه حقّاً. كانت تحسّ أنّ روحيهما تتلامسان فى جُرحه، وطبعاً أحبّ هو الآخر أن يُدلل. كان يُشبه صبياً صغيراً حين وضعت تلك الضمادة فوق أصبعه.

سرعان ما علمت أنّه لا يستمتع بوظيفته، ادعى أنهم مستاءون منه ومن امتيازاته، لكنها كانت تجهل مدى صِحّة هذا الكلام. كان لى يتلاعب بالناس، ذلك ما علمته مبكراً، ويجوز تلاعب حتى بها هى الأخرى.

بعد أسابيع قليلة من زواجهما، جاءت بعض الرسائل من أمريكا وفى واحدة منهم صورة لمارجريت أوزوالد، كانت تلبس ثوب التمريض الأبيض، جالسة فحسب على كرسى. تلك أمّى قال لمارينا، ثمّ تفحّص الصورة وقال، لقد زاد وزنها قليلاً. حسبما أذكر، لم تكن سمينة هكذا وحسب. قالت مارينا، لقد قلت لى إنّ أمّك ماتت فقال، حسناً، لا أريد الكلام عن أمّى

لم تعرف كيف تتقبّل ذلك. كان قد قال إنّه يتيم، والآن، قالت لنفسها، يا لغبائى! وأنا التى كنتُ قد آمنت سابقاً فى الليل أنّها كانت إشارة، وأنّ الله قد أرسل لى يتيماً يشبهنى .

من رواية مارينا: يوماً ما فى منتصف يونيو رُحنا إلى بحيرة منسك. رقدنا فى الشمس وسبحنا. كان يوماً رائعاً (و) أخبرنى لى أنّه كان واثقاً أنّنا... سنرزقُ بطفل. لم أصدق هذا الكلام، لكن بعدها بأسبوع كُنّا نأكل فى كافيه وأصبتُ بإغماءة. أظنّها كانت الإشارة الأولى... كانت بهجة كبيرة لنا ولزوجة خالى.. لكن الأطبّاء أخبرونى أنّه محتمل أن أفقد الطفل، لأنّ لدىّ عامل ريسس سلبى فى دمّى. كان لى حزيناً جداً لسماع هذا الكلام، لكنه حين خضع لفحص دمه، تبيّن

أنّه هو الآخر لديه عامل ريسس سلبى. محض نسبة بالغة الصِغر هم من يحملون دماً به عامل ريسس سلبى، وهذه مصادفة بالغة التفرّد ـ أن يكون الزوج والزوجة كلاهما بعامل ريسس سلبى ـ أبهجتنا جداً.

الإشارات الطبية شديدة الأهميّة. يمكنونك من الغفران، يمكن أن تسميها قاعدة عامل ريسس السلبى. يجوز أنّ الله اصطفى لى لفتاة بعينها من ليننجراد.

يونيو

تتمّة لمايو عدا أننا انجذبنا لبعضنا أقرب فأقرب الآن، ونادراً ما أفكّر الآن فى إيللا...

ـ ٦ ـ

العـودة إلى أمريكا

بعد أن صارت حُبلى، عرض لى عليها كتاب د. سبوك ذات ليلة. كانت تجهل ما إذا كان لديه كل هذه الفترة أم أنّه طلب من أمّه أن ترسله إليه، لكنه كان يترجم فقرات منه لها كل يوم، حتى كان لى، مجاملة من د. سبوك، يبلغ مارينا كيف أن جنينهما سيكتمل. كان شديد الفخر، كان يُمثّل دور الطبيب معها وأحسّت به يدنو منها أكثر، لقد تحسّنت حتى لغته الروسيّة. كان يُحرزُ تقدماً.

كانت لديه عادة راقت لها. كان بإمكانه دائماً أن ينحى جانباً أى شىء آخر، لا أحد يستطيع زحزحته إن كان يقرأ. كانت تهجئته للحروف مُريعة، لكنه كان أمراً يمكن غُفرانه. الروسيّة ـ يا لها من لغة صعبة، حتى أكثر الروس لا يتهجونها كما يجب، وكان يجهل

نحوها، لكن بالنسبة للكلام، لا بأس. كان يستعملها مع نفسه، وكان يتعثر فى بعض الأحيان فقط. لم تكن مفرداته كثيرة لكن نطقه كان جيداً.

عموماً، كانت حُبلى ـ لغة مُغايرة تماماً" أحياناً كانت تشعر أنّها بعيدة عنه، ثمّ، مع كل أسبوع حمل، تنأى أكثر فأكثر. ربما كانت هذه الحالة طبيعيّة." لاتزالين تحبيننى يقول."إنّه محض اختلال توازن كيميائى . لكنها أحسّت بالنفور قليلاً منه. والآن، وقد كان عليها التعرّف على زوجها أفضل، خلصت مارينا إلى أنّه كان بخيلاً. كانت لديهما شقّة أرادت إصلاحها، وكان يواصل منعها من ذلك." كلا" ليقول، لدينا كل ما نحتاجه".حسناً، مؤكّد، لكنها كانت تريد بعض اللمسات الأنثويّة، وكان هو مسئولاً عن كل نقودهما.

لم يرق لها ذلك، كانت تعطيه ما تكسبه فى العمل والآن ليس لديها مالها الخاص. لم يكن الحال أنّ لكل منهما دُرجه الصغير الخاص، بل كل شىء تحت يده.

قبل أن يتزوجا، أحسّت أنّه لا حاجة لأى منهما كى يتحكّم بالآخر، لكن بعدئذٍ، كانت تجهل الكثير. فكّرت، أنّه بإمكانها أن يكون لديها شخصيتها المُستقلة وهكذا لم يكن لديها فكرة أنّه كان سيملى عليها ما يجب عمله. الآن، لتتخذ موقفاً عدوانياً حين يتصرّف بصورة استبداديّة. أثناء فترة الغزل، كانت موضع سيطرة، لكن منذ الزواج، كانت القواعد تتبدّل. مع

ذلك، كانت لا تزال ثمّة مرّات كثيرة كانت تصاب فيها بالدهشة بشكل مُبهج. ليصغيا ساعة كاملة لموسيقى كلاسيكية فى مذياعهما، وكان يعرف الموسيقى الّذى كان يعزف. كانا كثيراً جداً ما يبدءان لعبة: لتطرح اسم موسيقى، ويطرح هو اسماً آخر، وكثيراً ما يكون صائباً. كان ذلك عظيماً. كان بإمكانه تمييز ما إذا كانت المقطوعة لباخ أو شوبان أو فاجنر.

كذلك، علّمها لى لعب شرك الرّومى. ما كانت جدّتها لتسمح بلعب الورق فى بيتهما فى أرخانجيلسك. كان لعب الورق موجوداً لإبهاج الشيطان، لذا لم تكن مارينا متشوّقة جداً، لكنها الآن كانت تلعب الرّومى مع لى. يهزمها عادة، يستمتع بالفوز: " أترين، لقد فُزت مرّة أخرى!" ـ كان أمراً مهماً بالنسبة إليه، لكن لا شىء بالنسبة إليها، فعلى أحدهما أن يخسر.

أحياناً كانت تلقى نظرة ـ ولو لوهلة قصيرة فحسب ـ على مكنونه، ثمّ كان يعاود رفع ترسه. كان يخجل من الكشف عن قابليته للجرح، فقط فى اللحظات الحميمة يمكنه أن يصير نفسه، هذا الصبى الصغير الّذى يرغب فى الرعاية، ثمّ كان يتظاهر أنّه لم يكن فى حاجة لأى شىء. يعزل ذاته" قالت مارينا،" ويمارس ألعاباً مع الناس، معاملاً إياهم وكأنّهم ليسوا بشراً"

مرّة، فى يوم كان من المفترض بالجميع التصويت على لجنة ما تنفيذيّة أو شىء من هذا القبيل، راح

عُمّال الانتخابات يقرعون بابهما فى السابعة صباحاً، فقال لهم لى أن ينصرفوا ـ فالوقت مبكّر جداً. لكنهم عاودوا المجىء، دون أن يفتح لى الباب، بل ظلّ يهتف:" هذه دولة حُرّة وألقى عليهم محاضرات فيما وقفوا بالخارج. لا تذكر إن كانت قد مضت للتصويت، لكن لى واصل القول إن الدستور السوفيتى قال إنّها دولة حُرّة. لم يكن من المفترض أن يجرجروك للخارج لتضع صوتك، وهكذا تلقّت خُطبة فى السياسة صباح ذلك اليوم. طبعاً، لم يسبق لها أن درست قطّ ذلك الدستور السوفيتى الغبى. صحيح أنها درسته كى تجتاز امتحانها، لكنها الآن تعجز عن تذكّر أى من بنوده. وهكذا، كان عليه أن يُدرِس لها نظام بلادها، وأن يخبرها كيف أنّهم لم يكونوا يطبّقون دستورهم كما ينبغى.

كان كذلك يحب أن تكون بالبيت حين يعود، ولو تبعته حتى بعشر دقائق، كان يتضايق. أين كنتِ؟" كان يسألها." كيف عساكِ تتأخرين؟" تعتقد أنّها يجوز بداية كيفية سيطرته عليها. كانت ساعات عمل لى فى المصنع دائماً ثابتة، وكذلك ساعات عملها هى الأخرى، لكنها أحياناً كانت تتوقف عند متجر، لذا كيف تعرف من سيجىء للبيت أولاً ؟.

حُبلى، كانت الآن شديدة الحساسيّة للروائح. ولاحت جدرانهم وكأنّها تبثّ رائحة، حتى شرفتها بدت فاسدة حين كانت تفتح بابها. كانت دائماً تستنشق روائح طبخ الآخرين، ولا تأكل، ثمّ كان ثمّة لى، لو

سلقته فى ماء، كان ليظلّ برائحة جسده المميزة. وهكذا، مع الشهر الثانى من حملها، حين بدأ يصير ليس لطيفاً جداً، بدأت تتطلّع للعراك، وراودتها الأفكار ثانيةً ـ تُرى هل ارتكبت خطأ؟ جائز أنّها لم تحبّ هذا الرجل.

سرعان ما علمت ليس أنّ لى لديه أمّ، بل شقيق له زوجة وأطفال. حدث كل شىء بغتة، صار لى جزءًا من عائلة ـ وراحت المراسلات تتزايد. ولأنّها كانت لاتقرأ اللغة الإنجليزيّة، فقد عجزت عن معرفة ما تدور حوله تلك الرسائل. لكن بعدها، صباح يوم أحد، اكتشفت الموضوع. استيقظ لى وقال،" لو أنّ لدىّ فرصة للذهاب إلى أمريكا، هل تذهبين معى ؟"

"أنت تمزح" قالت.

قال:" كلا، ذلك احتمال قائم. لا أدرى على وجه اليقين، لكن هل تذهبين معى؟"

منحها هذا شعوراً أنّه حقّاً أحبّها، وقالت،" لاأدرى، أنا خائفة بعض الشىء وأخذت نفساً وأضافت، لا بأس، سأذهب

لم يكن ذلك الحديث القصير ـ ربما استغرق ساعة، وربما ثلاثة أيام ـ لكن فى نهايته، قالت لابأس. قال، أخبرتهم فى السفارة الأمريكيّة أننى مستعد للتخلى عن جواز سفرى. لذا فمن المُحتمل ألا يسمحوا لى بالعودة، ربما كان ثمّة تعقيدات، سيكون علىّ أن أكتب الكثير من الرسائل، وستساعدنى أمى. هل

ستذهبين ؟" وحين قالت فى النهاية نعم، قال، لا أريد أن تخبرى زوجة خالك فاليا أو أى أحد آخر من أقاربك، ولا فى العمل، ليس الآن، لأنّه جائز ألا ينجح الأمر .

لم تكن مارينا تصدّق أن يحدث ذلك. بعدها، حين كان عليها ملء استماراتها الخاصة، كانت لا تزال غيرُ مصدِّقة. كان حلمها الزواج من أجنبى لا يشمل مغادرة بلادها، بل كان العثور فقط على رجلٍ لديه شقّة، كانت لا ترغب أن يُلقى بها بإهمال فى ركن أحدٍ آخر. كان ذلك أكبر شىء بشأن الزواج : شقّتك الخاصة. أن تقابل وتتزوج أجنبياً كان، زيادة على ذلك، تملقاً لها ومخاطرة. أحياناً كانت تحلم، بصبى، لا يكون كثيراً عليه العمل فى تشيكوسلوفاكيا عامين ؟ أو ألمانيا الشرقيّة ؟ تشترى معطفاً رياضياً، وتبدو بمظهر لطيف. بزواجها من أمريكى، صار بوسعها أن تقول للبنات فى الشُغل،" أترين ما حصلت عليه ؟ أنتن تحصلن فحسب على نكراتكن من الرجال الروس وقد أجبن،" أليس زوجك عاملاً؟" فأخبرتهن،" لا يهم، لا يزال أجنبيّاً. إنّه أوزوالد، لا فانيا

لكن الآن صار الأمر مفزعاً. الذهاب إلى أمريكا! يصير الوضع مفزعاً أكثر إن هى أخفته عن أقاربها واحتفظت به لنفسها فى العمل. ثمّ فى يوليو، قال أليك إنّه قد يقوم برحلة غير قانونيّة إلى موسكو كى يزور السفارة الأمريكيّة. تساءلت حينئذٍ إن كانت الكى. جى. بى. ستأتى لأجلها، أم سيستدعونها من العمل؟ ـ

كانت تجهل كيف كانت الاستخبارات السوفيتيّة تتواصل مع المرء.

ما كانت مارينا تجهله كذلك كان أنّ زوجها قد قضى نصف الشتاء يراسل الموظفين الأمريكيين فى موسكو، ومنذ أكثر من شهر قبل حتى أن يقابلها، من أوائل فبراير عام ١٩٦١ كان قد أرسل خطاباً للسفارة، يطلب فيه استرجاع جواز السفر ذاته الّذى كان قد تركه على مكتب ريتشارد سنيدر أواخر أكتوبر عام ١٩٥٩ كان سنيدر قد بعث ردّاً إلى منسك، يقترح فيه قيام أوزوالد برحلة إلى موسكو كى يتمكنوا من مناقشة المسألة. كان لديهم اتصال مُذ ذاك. كان أوزوالد قد كذب على زوجته كثيراً خلال سنواتهما معاً، لكن ولا كذبة منهم كانت بضخامة قراره ألا يُبلغ مارينا أو فاليا أو إيليا قبل الزواج أنّه قد عقد النيّة فعلاً على العودة إلى أمريكا.

القسم السادس

استهلال الرحلة الطويلة

إلى الوطن

ـ ١ ـ

ملاحظات من المؤلف

حتى هنا، كان كل معارف أوزوالد تقريباً روساً، لكن فيما تنتقل بؤرة اهتمامه من أصدقاء سوفييت، حبيبات، وعُمّال إلى موظفى الحكومة الأمريكية، بالتالى راحت البيروقراطيّة الأمريكيّة والسوفيتيّة تستنفد جزءًا هائلاً من انتباهه.

ليكن. هذا، على العموم، كتاب يعتمد على البوح المتواضع لعدد من وجهات النظر المنفصلةو نحن، فى الواقع، ندرس هدفاً (كى نستعمل مُفردة الاستخبارات السوفيتيّة لوصف شخص يخضع للفحص) أثناء سقوطه خلال الأشكال المنشوريّة لمِشكّال(*) وكأننا

(*) Kaleidoscope أو المشكال: أداة تحتوى على قطع متحركة من الزجاج الملون ما إن تتغير أوضاعها حتى تعكس مجموعة غير منتهية من الأشكال المختلفة الألوان (المورد).

نأمل عبر هذه الوسائل أن ننفذ داخل سيكولوجيّة لى هارفى أوزوالد.

ونظراً لتنوع التأويلات التى أحاطت به، فقد واصل وجوده بيننا كبطل روائى مرئى بِشقّ الأنفس فى مجموعة من السيناريوهات المتعارضة التى تتراوح بين سيناريو مارك لين ـ مستعد لفتح القضيّة ـ إلى جيرالد بوزنر ـ توّاق لغلقها. نحنُ عاجزون حتى عن البدء بوضع قائمة للعدد اللانهائى تقريباً من مهنيى فن كتابة التحقيقات ممن قولبوا أوزوالد داخل واحدة أو أخرى من الحبكات.

يجوز أنّه من الأنسب السؤال: أى نوع من الرجال كان أوزوالد؟ هل يسعنا الشعور بالإشفاق حيال متاعبه، أم سنخلص إلى رؤيته كتقيؤ لأخطاء الكون، وحش ؟.

فى هذا الشأن، ربما كما قد تقرر هنا كذلك أنّه سعياً لاكتشاف نواة حقيقته البشريّة، فقد أخذت فى الاعتبار بعض الخيارات. تماماً كما يصبغ المرء شريحة كى يفصل معالم محتوياتها و يجعلها أكثر وضوحاً، فقد صُححت رسائل أوزوالد وكتاباته هنا هجاءً وترقيماً. كان أوزوالد يعانى عُسراً بالتعبير، وإملاؤه شديد السوء من حين لآخر حدّ أنّ الرجل لا ينكشف بل يختفى ـ فى أسوأ رسائله يلوح غبيّاً وأميّاً. وعلى اعتبار أنّه كان لا يزال فى باكورة عقده الثالث، فليس من الخطأ، على أيّة حال، الكلام عنه كمفكّر شاب،

وفى هذا الشأن، قد يستحق الأمر إلقاء نظرة على الملحق فى آخر الكتاب(*) ومسألة أنّه لم يكن لديه فهم عقلى فريد كمفكّر هو أيضاً أمرٌ جَلى، حتى مع الإملاء المُصحَّح، لكن لأنّنا نمنحه كل المساعدات فى هذا الاتجاه من أجل استجلاء أفضل لأفكاره، لنتعرّف كذلك على مدى ضخامة عِلّة عُسر التكلّم بالنسبة لرجل لديه أسلوب جدلى جيد. فى الحقيقة، إنّها عِلّة حميمة تشبه أصابع تعانى التهاب المفاصل بالنسبة لعازف كمان. (يحتوى ملحق هذا الكتاب أيضاً على مقال قصير عن جوانب العجز المصاحبة لُعسر الكلام كتبه د. هاورد روم من مايو كلينيك للجنة وارين).

يجوز أنّه من المستحسن استخدام الصفحات التالية للفصل، مع ذلك، فيما إذا كان منهج المقاربة ذلك ـ التنقيب بطبيعة الرجل قبل أن نفصل فى الحبكة ـ نافع لاكتشاف كيف قُتِلَ كيندى ولماذا. وحتى ذلك الحين، سنواصل التساؤل من كان وراء ذلك وأية مؤامرة كانت فعّالة. إنّ عقلنا لا يمكنه الاستيعاب بصورة عمليّة أنّ رجلاً ضئيلاً بمفرده قتل عملاقاً وسط سياراته الليموزين وفيالقه وحشوده وأمنه. لو أن نكره قد قضى على زعيم أكثر الأمم نفوذاً على وجه الأرض، إذًا ليبتلعنا عالمٌ من التفاوت، ولنعش فى كون هو محضُ سُخف. وهكذا، فإنّ السؤال يُقلّص نفسه بدرجة ما: لو أنّ علينا الفصل بمسألة أن أوزوالد قتل كيندى بنفسه، فلنحاول على الأقل

(*) موجهة بالأساس للقارئ الأمريكى (المترجم).

استيعاب ما إذا كان قاتلاً مستأجراً له رؤيّة أم قاتلاً بلا بصيرة. لابد ألا ننظر فحسب إلى أوزوالد من عدة زوايا ـ في البدء من زاوية روسيّة وعاجلاً أمريكيّة ـ بل وحتى فهمه من خلال عدسات بيروقراطيّة. عموماً، ذلك كُل ما سيكون لدينا. لندرك، على أيّة حال، أنّه يضفى بعضاً من الاختلاف بمصلحتنا العامة، بكل مرّة، سواء أكان اقتراف جريمة هو أمر عديم البصيرة وغبى أو صرخة حنق تتصاعد من قلب منحرف أصابته رؤيته للظلم بالجنون.

لقد بلغنا على الأقل إلى النقطة الفلسفيّة المُحيرة بتحقيقنا: إنّها لتقرر أنّ كانت الميتة المباغتة لرجل بضخامة إمكانات جون فيتزجيرالد كيندى أكثر قبولاً لو تمكنّا من فهم قاتله بوصفه تراجيديا أكثر منها سُخفاً.

ذلك لأنّ السخافة تتلف نوعنا البشرى.إنّ القذارة المتراكمة لاندفاع ميديا ما بعد الحداثة (حيث كل شىء مساو لأى شىء آخر) هو كل الأرضية التى نحتاجها من أجل توكيد كهذا.

ـ ٢ ـ

رسـائل مُتبادلة

يوم ١٣ فبراير، تلقّت السفارة الأمريكيّة رسالة من لى هارفى أوزوالد يمثّل ما جاء بها أمراً مروعاً لـكل من مـوظـفى وزارة الخـارجـيّـة الأمـريـكـيّـة والاستخبارات السوفيتيّة. مختومة بختم بريد منسك فى الخامس من فبراير ١٩٦١ .لقد استغرقت ثمانيّة أيام كى تصل إلى ريتشارد سنيدر فى موسكو.

فى حـين أنّه من المسـتـحـيل ألا يـكـون إيـجـور وستيبان قد اعترضا رسالة كهذه من غنيمتهما المرتدّة فى منسك، إلا أنّهما لم يتطوعا بـأية معلومات بشأن ما كانته ردة فعلهما. ونظراً، على أيّة حال، لما أفشياه بشأن موقفيهما للسيطرة على هذه القضيّة، فيقيناً لابد أنّهما قد قررا التمهّل ودراسة تطورات أكثر.

لكن هنا رسالة أوزوالد:

السّادة الأعزّاء:

... أطلبَ... أن تأخذوا بعين الاعتبار مطلبى بشأن استعادة جواز سفرى الأمريكى.

أتمنى العودة إلى الولايات المُتحدة، هذا إن استطعنا الوصول لاتفاق ما بشأن إسقاط أية إجراءات قانونيّة ضدى. إن حدث، آنئذٍ سيكون لى مُطلق الحُريّة أن أطلب من السلطات السوفيتيّة السماح لى بالمغادرة. وإذا تمكنت من الإظهار لهم جواز سفرى الأمريكى، فأنا إلى جانب الرأى الّذى مفاده أنّهم سيعطوننى تأشيرة خروج.

لم يُصِروا بأى وقت على أن أحصل على الجنسيّة الروسيّة، وأنا أعيشُ هنا بأوراق واجبة التجديد بالنسبة لأجنبى.

لا أستطيع مغادرة منسك دون تصريح، وبالتالى أنا أكتب مُفضّلاً ذلك على الاتصال الهاتفى بصورة شخصيّة.

أرجو أنّه وأنا أتذكّر المسئولية المُلقاة على عاتقى تجاه أمريكا أن تتذكّروا مسئولياتكم فى عمل كل ما يمكنكم لمساعدتى بما أنّى مواطن أمريكى.

المُخلِص،

لى هارفى أوزوالد

استجابة للرسالة، تمهّلت السفارة الأمريكيّة فى موسكو حتى الثامن والعشرين من فبراير، وحينئذٍ،

عبر الحقيبة الجويّة، طلبت تعليمات من وزارة الخارجيّة

..ربّما تُيسِّر دعوة من السفارة سفره إلى موسكو.إنّ السفارة بوصفها ملجأً أخيراً، إذا رأت الإدارة أنّه ما من اعتراض أو شروط وكانت السفارة على يقين بصورة معقولة أنّ أوزوالد لم يرتكب فعل المنفى، تطلب إعادة جواز سفره الأمريكى إليه عبر البريد لما قد يقدم له هذا من عون فى تيسير طلبه تأشيرة خروج سوفيتيّة.

وتودُّ السفارة أن تُبَلّغ هل أوزوالد موضع مقاضاة على أى مستوى ينبغى معها دخوله نطاق سلطة الولايات المتحدة و، إذا كان الأمر كذلك، هل ثمّة ما يعيق إرسال هذا له.

للسفير

إدوارد ل. فريرز

مستشار الوزير

أتبع ريتشارد سنيدر هذا بردّ إلى أوزوالد فى اليوم ذاته، ٢٨ فبراير:

عزيزى السيد أوزوالد

تلقينا رسالتكم الأخيرة بشأن رغبتكم العودة للولايات المتحدة...

بقدر ما يمكن الفصل أخيراً فى مسألة الوضع القانونى لجنسيتكم الأمريكيّة فى الوقت الراهن فقط

بناءً على مقابلة شخصيّة، نقترح أن ترتّب للمثول بالسفارة فى الوقت الّذى يناسبك.القسم القنصلى بالسفارة مفتوح من التاسعة صباحاً حتى السادسة مساءً...

يستحق الأمر عند هذه النقطة تضمين حوار متبادل بين جيرالد فورد، من لجنة وارين، وريتشارد سنيدر

النائب فورد: لقد استغرقت (إجابتكم) خمسة عشر يوماً كى تصدر عن السّفارة الأمريكيّة.

السيد سنيدر: لابد أن تتذكّر أنّه من وجهة نظرى، بوصفى ضابط الاستطلاع، لم يكن لمطلب السيد أوزوالد أى نظير لتصرّف سابق بين الحالات الأخرى بالسفارة. ورغم أنّ ضابط القنصليّة يحاول أن يكون موضوعياً بقدر ما يستطيع حيال تلك الأمور، إلا إنّه فى الواقع أمر شديد الصعوبة أن تكون موضوعياً تماماً.

إنّ السيد أوزوالد لم يزعم لنفسه أية مجاملة غير معتادة من جانبى، لابد أن أقول.

بدوره، لم يبد أن أوزوالد متعجلاً. يوم ١٢ مارس، قبل خمسة أيام فحسب من لقائه مارينا أول مرّة فى حفل قصر اتحاد التجارة الراقص، ردّ على رسالة سنيدر المؤرخة فى ٢٨ فبراير، ونستطيع الافتراض من لهجة ردّه أنّه يتوقع أنّ الكى.جى. بى. هى الأخرى تقرأ ما يكتبه ولذا يختار لغة ستغضبهم قليلاً قدر ما يمكن حسب الظروف.

سادتى الأعزّاء

ردّاً على رسالتكم الأخيرة، أجد أنّه من المناسب أن أحضر إلى موسكو من أجل الهدف المنفرد بإجراء مقابلة شخصيّة.

فى رسالتى الأخيرة، أعتقد أننى أفصحت عن عجزى مغادرة مدينة منسك دون تصريح.

وأعتقد أنّه يوجد فى الولايات المتحدة هى الأخرى قانون يتعلّق بالأجانب المقيمين من دول اشتراكيّة بشأن السفر بين المدن.

لا أعتقد أنّه من الملائم لى طلب مغادرة منسك كى أزور السفارة الأمريكيّة. على أيّة حال، فإنّ منح التصريح مسألة طويلة الأمد، وأجد أنّ ثمّة ترددًا من جانب الموظفين المحليين فى البدء حتى فى الإجراءات.

ليست لدىّ أية نيّة فى الإساءة لموقفى هنا، وأنا واثق أنّكم ما كنتم لترغبون فى هذا.

لا أرى مبرراً لأى استفسارات تمهيديّة لن توضع فى نموذج استبيان ولن ترسل لى. أدركُ أنّ المقابلات الشخصيّة يقيناً تجعل عمل موظفى السفارة أخفّ من كتابة المراسلات، لكن عموماً، فى بعض الحالات، لابد من استعمال الوسائل الأخرى.

المُخلص

لى اوزوالد

إذا كانت الفقرة الأخيرة من خطاب أوزوالد، على الأقل، تهكميّة، فردّ سنيدر فى ٢٤مارس كان جافاً.

عزيزى السيد أوزوالد

.. كما جاء فى رسالتنا السابقة، فإنّ تحديداً نهائيّاً فى الوضع القانونى لجنسيتكم الأمريكيّة بالوقت الراهن سيجرى حسمه فحسب بناءً على مقابلة شخصيّة...

نقترح أن تبلغنا مسبقاً بأى نوايا لزيارة السفارة لضمان تحديد موعد دون تأجيل. على العموم، تستطيع المثول بأى وقت أثناء ساعات عمل المكتب المعتادة، كما قد ترغب بتقديم هذه الرسالة للسلطات فى منسك فيما يتعلّق باستمارة طلب تصريح السفر إلى موسكو...

ـ ٣ ـ

استطلاعات رأى بيروقراطيّة

الآن، على وزارة الخارجيّة الأمريكيّة أن تكافح مع قضايا فنيّة. مجرّد ماهية وضع أوزوالد القانونى؟ لو أنّه لم يتخلّ عن جنسيته، إذًا ما الظروف التى تحتها يُعاد إليه جوازه؟ هل يمكن إرساله إليه عبر البريد إلى منسك؟ مسألة خطيرة. قد يجرى اعتراض سبيل الوثيقة وتستبدل بجواز سفر مُزيف، فبلا شكّ، مُختبرات الكى.جى. بى. مُجهزة هى الأخرى تماماً لهذا الأمر شأنّها شأن مُختبرات المباحث الفيدراليّة والاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة.

على أيّة حال، أرسلت الخارجيّة تعليمات يوم ٢٧ مارس للسفارة الأمريكيّة فى موسكو

... لو أنّكم مقتنعون تماماً أنّ (أوزوالد) لم ينف نفسه بأية طريقة، فلديكم السلطة لتنقيح جواز سفره

الأمريكى ليصير سارى المفعول لعودته مباشرة إلى الولايات المتحدة وإنجاز تسليمه له بالبريد عبر الإجراءات الوقائيّة المناسبة.

إنّ الخارجية ليست فى موقف الناصح للسيد أوزوالد إذا كان بناءً على عودته المرتجاة إلى الولايات المتحدة سيكون عُرضة للمقاضاة على أية جرائم ممكنة ارتكبها منتهكاً قوانين الولايات المتحدة أو قوانين أى من ولاياتها...

بعد أربعة أيام، يوم ٣١ مارس، أُجبرت التدابير البيروقراطيّة التى ليست فى موقف الناصح للسيد أوزوالد لمواجهة مبرر مقنع للدافع وراء السماح له بالعودة للولايات المتحدة. مذكرة داخلية سريّة أُرسلت من أحد موظفى وزارة الخارجيّة اسمه هايكى لآخر اسمه وايت :

..يُعتَقَد أنّه مهما كانت المخاطرة التى قد ينطوى عليها إرسال جواز السفر عبر البريد..فستعوّضها بصورة أكبر الفرصة المتاحة للولايات المتحدة للحصول على معلومات من السيد أوزوالد بشأن أنشطته فى الاتحاد السوفيتى. من أجل أفضل صالح للولايات المتحدة، بالتالى، ولأنّ تملّك جواز سفر من شأنه تيسير حصوله على تأشيرة خروج فإنّه يُعْتَقَد أنّه علينا بذل كل ما فى طاقتنا لتيسير دخول أوزوالد الأراضى الأمريكيّة.

ستصير هذه المُذكرة حاشية فى كثير من المراسلات المتبادلة. ولأنّ كل جانب كان مطموراً

إيديولوجياً تحت عملية تحريف حقائق واسعة للجانب الآخر، فإنّ كلا الجانبين كانا يتضوران جوعاً لقليل من المعرفة الحقيقيّة بشأن أوضاع الحياة اليوميّة بالجانب المناوئ. ستنتهي وزارة الخارجيّة إلى ملف ضخم من التوضيحات والحالات المماثلة السابقة والمنافذ والتوجيهات والتنازلات والعقوبات لكن تحت هذا كله موضوع آخر: أوزوالد مفيد. إنّ ما توشك الاستخبارات على استخلاصه منه حول الحياة السوفيتيّة هو عامل فعّال كفاية للمضي به عبر بعض الأقفال والبوابات البيروقراطيّة. لكن، في غضون ذلك، يا لها من أقفال، ويا لها من بوابات!

رسالة من أوزوالد مؤرخة بمايو ١٩٦١ فحسب تصل إلى السفارة يوم ٢٥ مايو. لو أنّها استغرقت أكثر من شهر بالنسبة إليه كي يردّ على سنيدر، يمكننا تذكير أنفسنا أنّ هذه الفترة كلها مجرّد الشهر الأول بعد زواجه من مارينا.

سادتي الأعزّاء

بشأن رسالتكم يوم ٢٤ مارس. أعي المبررات لضرورة المقابلة الشخصيّة في السفارة، على أيّة حال، أرجو التوضيح أنني أطلب لا حقّ العودة للولايات المتحدة فحسب، بل الضمانات الكاملة أنني لن، تحت أي ظروف، أخضع للمقاضاة عن أي شيء يخصّ هذه القضيّة. لقد أوضحت ذلك في خطابي الأول، مع ذلك لم يُقل شيئًا، ولا حتى بشكل مبهم، بشأن هذا في الرسائل المتبادلة بيني وبين السفارة. وما لم تكن تعتقد صدقاً أن هذا الشرط يمكن تلبيته، فأنا لا أرى

مبرراً باستمرار تلك المراسلات. بدلاً منذ ذلك، سأسعى لاستخدام أقاربى فى الولايات المتحدة لرؤية ما يمكن عمله فى واشنطن.

بالنسبة للمجىء إلى موسكو، سيكون هذا وفقاً لمبادرتى الخاصة ولا يعنينى تحمّل مخاطرة الخوض بموقف أخرق ما لم أؤمن أنّها تستحق .أيضاً، منذ خطابى الأخير وأنا متزوّج.

زوجتى روسيّة، مولودة فى لينينجراد، ليس لديها أبوان على قيد الحياة وترغب تماماً فى مغادرة الاتحاد السوفيتى برفقتى والحياة فى الولايات المتحدة.

ما كنتُ لأغادر المكان هنا دون زوجتى، لذا يتحتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لها كى ترحل فى ذات وقت رحيلى...

وهكذا، نظراً للتعقيدات الإضافيّة أقترح أن تقوموا ببعض المراجعات قبل إسداء النصح لى بصورة أكبر.

أعتقد أنّى تكلّمت بصراحة فى هذا الخطاب، وأرجو أن تفعلوا الشىء ذاته فى رسالتكم التالية.

المُخلص لكم

لى هارفى أوزوالد

لا نعلم شيئاً تحديداً بخصوص ردّ فعل الخارجيّة الأمريكيّة على هذه"التعقيدات الإضافيّة". لكننا دون شكّ نستطيع تخمين أنّهم يشعرون بحضور أوزوالد.لفّة أخرى للبراغى.

ـ ٤ ـ

عودة إلى موسكو

صار من الواضح، نظراً لبطء التقدّم فى مراسلاته مع سنيدر و عدم ظهور جواز سفره عبر البريد، أنّه من المحتمل عليه المجازفة برحلة غير مخوّل بها إلى موسكو كى يزور السفارة الأمريكيّة، لكن يا لها من مقامرة!

فى استجواب أرسله جى.لى رانكن من لجنة وارين إلى إبرام شايس من الخارجيّة الأمريكيّة فى مايو ١٩٦٤؟ جرى تقدير الموقف عقب فترة طويلة من القيام بالمخاطرة

السؤال الأول

يعكس ملف أوراقك حقيقة ما كان مُعتقداً أنّ لى هارفى أوزوالد كان عاجزاً عن السفر من منسك إلى

موسكو بهدف مناقشة رجوعه إلى الولايات المتحدة مع الموظفين الأمريكيين دون الحصول أولاً على تصريح الموظفين السوفييت فى منسك.. هل لديك أية معلومات أو ملاحظات بشأن الجانب العملى لرحلة كتلك قد يقوم بها مواطنون سوفييت أو أشخاص فى وضع أوزوالد ؟.

الإجابة

من المستحيل التعميم بتلك المنطقة. نُدرك من استجواباتنا لمقيمين سابقين فى الاتحاد السوفيتى ممن جرى اعتبارهم غير مُعترف به كمواطنين" من جانب السلطات السوفيتيّة أنّه لم يكن مسموحاً لهم مغادرة البلدة التى يقيمون بها دون تصريح من الشرطة، حيث كان يُفترض بهم طلباً لذلك التصريح ملء استبيان بالداعى للسفر ومدّة الإقامة وعناوين الأفراد المُزمع زيارتهم، إلخ.

لكن دون الوقوف عند هذه المتطلبات، نعرف واحدة على الأقل من "غير المُعترف بهم كمواطنين" غالباً ما كانت تسافر دون تصريح من السلطات وقد قررت أنّ الشرطة كانت تتمركز عند محطات القطار وعادة ما كانت تتحقق كيفما اتفق من أوراق الهويّة كل عشرة مسافرين، لكنها كانت مسألة هينة تجنب تلك المراجعات. فى النهاية، قالت إنّ الأشخاص الذين يُقبض عليهم متهربون من تسجيل الأوراق كانوا يُعادون إلى بلداتهم مخفورين ويعاقبون بفترة سجن

قصيرة وغرامة، و تُشدد هذه العقوبات فى حالة تكرار الانتهاكات.

إنّها أنواع من الروليت الروسى. لو أنّ مسافراً من عشرة خضع للفحص، إذًا فالنسبة تسعة إلى واحد لصالح أوزوالد. ولأنّه يجب أن يعود إلى منسك أيضاً، فتلك النسبة تتقلّص إلى تسعة إلى اثنين. طبعاً، لو أنّ ثمّة ستة تجاويف فى مسدس ورصاصة واحدة محشوة فى الخزانة، فالنسبة هى خمسة إلى واحد أن تجذب الزناد وتظل على قيد الحياة، سوى أنّه حدس عادل لو أنّ على امرئ القيام بتصرف مشابه، أن تكون فرصة الموت المفاجئ، على الأقل حسبما تُقاس بمخاوف المرء، مساوية تماماً للنجاة.

قُل هذا بالنسبة لرحلة موسكو. طوال فترة حمل مارينا الأولى فى يونيو و بداية الصيف، وأوزوالد يعيش قلق اضطراره التجرؤ لعمل هذه الرحلة. ولايمكن أن يُحسّن لا مزاجه ولا ثقته أنّ الرجل الذى سيكون عليه مواجهته فى السفارة تحدد أن يكون ريتشارد سنيدر.

يوليو

أقرر أخذ أسبوعى الإجازة والسفر إلى موسكو (دون تصريح الشرطة) للسفارة الأمريكيّة للعمل على استرجاع جواز سفرى الأمريكى وعمل الترتيبات اللازمة لزوجتى كى تدخل الولايات المتحدة معى .

قبلها، فى شتاء ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ أراد أوزوالد زيارة موسكو فى حافلة مع باقى عمّال المصنع الآخرين لكن طلبهم رُفِض تماماً. وهكذا، غادره زملاؤه العمّال دون مناقشة خططهم معه. لقد كان رأينا آنذاك قال إيجور،" لأنّه لا يجب أن يكون واحداً من مجموعة مصنع أفق للراديو . ويستطيع إيجور وضع قائمة لتحفظّاته: لأى شىء، عموماً، خطط أوزوالد لعمله فى موسكو؟ ربما كان لديه مكان آمن يزوره حيث يمكنه تلقى التجهيزات والتعليمات أو إرسال معلومات عبر الراديو. قد يزور شخصاً أسقط بالباراشوت ويترك شيئاً، ولأن الاستخبارات السوفيتيّة فى منسك تستطيع بالكاد تحمّل النفقات الضروريّة لإرسال من يناسبون إلى موسكو لإخضاع أوزوالد للمراقبة ويجوز أنّ المركز فى موسكو لن يسعده تلك الغارة على ميزانيته، فقد قررت الكى.جى.بى. فى منسك قطع الطريق عليه.

عندما ذهب أوزوالد إلى موسكو أثناء إجازته فى يوليو عام ١٩٦١ وزار السفارة الأمريكيّة لمناقشة عودته إلى أمريكا، لم يثر ذلك أية شبهات. فعلى العموم، كانوا قد علموا الآن، حسبما يشير إيجور، أنّ المكان هنا لم يرق له، لذا فمن وجهة نظر سياسيّة، لم يكن من ثمّة داع للإبقاء عليه. فبرغم كل تلك الأوضاع المواتية التى وفّرتها لها المؤسسات السوفيتيّة، كان لايزال نافراً من الجنسيّة السوفيتيّة. لا بأس، ليذهب إلى أمريكا.لن تدخل الكى.جى.بى. فى رحلته غير

القانونيّة إلى موسكو، لأنّهم عرفوا نواياه من مراسلاته. لو أنّهم كانوا يجهلون وجهته أو هدفه، لكانوا اتخذوا إجراءاتهم، لكن غاية أوزوالد كانت جليّة.

في موسكو في يوليو، كان، كما تبيّن، تحت المراقبة عموماً، لكن يمكن القول إنّه لم يفعل شيئاً يثير الشبهات، حسبما قال إيجور.

٨ يوليو

أسافر بالطائرة من منسك في الحادية عشرة والثلث. بعد ساعتين وعشرين دقيقة، بعد وداع دامع قَلِق من زوجتي، أصل إلى موسكو..من المطار أصل إلى مركز المدينة، أشقّ طريقي عبر المواصلات المزدحمة. لا تدخل السفارة مجال رؤيتي حتى الثالثة ظهراً. يوم السبت ـ ماذا لو كانوا مغلقين؟ عند دخولي، أجد المكاتب فارغة لكنني أتدبّر الاتصال بسنيدر عبر الهاتف (لأنّ كل طاقم موظفي السفارة يعيشون في المبنى نفسه). ينزل لتحيتي، ويصافحني. بعد المقابلة الشخصيّة، ينصحني أن أجيء في المقام الأول يوم الإثنين .

ـ ٥ ـ

شمبانيا فرنسيّة

كان لى خائفاً جداً من تعرضه للتوقيف لمحاولته السفر إلى موسكو ما جعله يواصل تحليل موقفه، قالت مارينا. كان قد تعوّد كتابة كل موضوع فكّر بشأنه كى يتمكّن من تغطية كل الاحتمالات.

فى يوليو، و قد حسم قراره النهائى، كان لا يزال يجهل حتى إنّ كان بإمكانه دخول السفارة الأمريكيّة دون أن يستوقفه الحراس الروس. لتسأل نفسها فيما بعد هل كان أكثر قلقاً بشأن السوفييت من ألا يدعوه يغادر أم بشأن الأمريكان من أن يقفلوا عليه الطريق لإفشائه أسرارهم. كانت مارينا مذعورة هى الأخرى، وقد توقعت الإيقاع به لسفره دون تصريح.

مع ذلك، ما من شىء يمكنه إيقافه. كان قد قال لها، شتاء واحد زيادة فى روسيا وأموت".

كان ثمّة الكثير يحدث فى آن واحد. فى اليوم ذاته، الثامن من يوليو، يوم غادر إلى موسكو، جاءت مكالمة لها فى مخزن الأدويّة. قال صوت، مارينا، معك ليونيا "صوت من ماضيها، ماذا تفعلين الليلة ؟" سأل الصوت. كان يخصّ ليونيد جيلفانت، صديقها الأنيق، المعمارى الشاب الذّى سبق ورأته إجمالاً ست مرّات قبل أن تقابل لى. سألت، لِماذا تتصل؟ أنت تعرف أنّى متزوجة قال، اليوم السبت، وفكّرت أن أتصل فقالت، يتصادف أن زوجى خارج البيت، وليس لدىّ ما أفعله. أنا أعتزم العودة للبيت من الشغل، آخذ حماماً، والبقاء فى البيت" قال، هل تتناولين العشاء معى؟ لدى بعض الشمبانيا الفرنسيّة ثمّ أردف أنّه كان موجوداً أياماً قلائل فى شقّة لطيفة لصديق أثناء وجود الصديق بالخارج وأنّه سيكون لطيفاً أن يراها فى محيط كهذا.

أصلحت من هيئتها، وشاهدا فيلماً، بعدها راحا إلى شقّة صديقه، قررت أنّها بصدد اختبار العلاقة. يجوز لم تحبّ لى، احتمال مبرر واحد لرؤية ليونيد جيلفانت هو خوفها من الذهاب إلى أمريكا. لذا، ربما كانت تتساءل إن كان هذا الحبيب القديم كان لا يزال احتمالاً قائماً: كان ليونيد يروق لها، وكان يهودياً، ولديه أخلاق رائعة. ربما لو كان أحبّها كفاية، لتطلّق لى. مع نهاية الأمسيّة، على أيّة حال، كان عليها مصارحة الرجل أنّه كان لا يزال مبكراً جداً بالنسبة إليه أن يتزوج .

شعرت بالاشمئزاز، ملؤها خزى. ركضت للبيت. كيف، راحت تواصل سؤال نفسها، استطعت خيانة لى؟ وعندما بلغت شقّتها، تقريباً رمت نفسها. هناك جثت على ركبتيها فى حمامهما، وحتى الآن لا تحب تذكّر ذلك اليوم، رغم أنّ الزمن، الدواء المُرّ، هو أفضل دواء قالت لمحاوريهما.

يستطيع ليونيد الاعتراف بذلك، لم يكن مشغولاً بحقّ بمسألة زواج مارينا، كان الأمر الأكثر أهمية هو أنّها كانت فاتنة فى تلك المناسبة، دافئة ورقيقة، ولم يكن بينهما ما يسوء، ولا يحتفظان بذكريات رديئة، وبلا شكّ لم يتكلّما بشأن متابعة هذا الموقف. فى الحقيقة، فكّر أنّه قد يؤذيها، وإجمالاً كان، بصورة شخصيّة، ليس متشوّقاً لمواصلة علاقته بها، ولذا لم يسأل أسئلة شخصيّة، ولم يعرف أنّها كانت حُبلى، وحين ساء مزاجها ـ كما هى دائماً ـ كانت هى مارينا التى تعوّد عليها. لم يشعر ليونيد أنّها فكّرت أنّها قد ارتكبت خطأً.

عند تذكيره بتعليقها عند فراقهما أنّه قد يكون من المبكر جداً عليه أن يتزوج، ردّ أنّه بسبب كونها الآن لديها علاقة جسديّة مع لى، فإنّه من الجائز الآن أنّها أكثر تجربة منه، وعلى العموم، لم تقل شيئاً فيه إهانة. فى الحقيقة، لم يشعر أنّها كانت تعامله بفظاظة. كان عوده أخضر جداً فى تلك الأيام وقد بدأ لتوّه حياته الجنسية الخاصة، وكانت مصدر عون كبير.

لم يسبق له أن تعجّل وطء امرأة. كان يروق له لقاؤهن بعاطفيّة، إذا جاز التعبير. كان حتى يذهب مع امرأة إلى القوقاز دون أن ينام معها. ظلّ رومانسياً وكان يفتّش عن أميرته، تلك المرأة التى تستطيع إشباع وجهة نظره الفكريّة والعاطفيّة. مدام رايت للسيد رايت. ذلك كان السبب وراء عدم قدرة مارينا على البقاء فى حياته.

ـ ٦ ـ

شكوك مسافر

حقيبة جوية للاستخدام الرسمى فقط

خدمة الرسائل الأجنبيّة ١١يوليو ١٩٦١

من: السفارة الأمريكيّة بموسكو. قسم نمرة ٢٩.

إلى: وزارة الخارجيّة الأمريكيّة، واشنطن.

الموضوع:جنسيّة وجوازات سفر: لى هارفى أوزوالد.

مثل لى هارفى أوزوالد بالسفارة فى ٨ يوليو بمبادرته الخاصة بشأن رغبته الرجوع إلى الولايات المتحدة برفقة زوجته.

جرى استجواب...أوزوالد بتفصيل تام بخصوص نشاطاته منذ دخوله الاتحاد السوفيتى. لم يظهر دليل لأى تصرّف من جانبه قد يكون قد تسبب فى فقد

الجنسيّة الأمريكيّة، وقد أظهر جواز السفر السوفيتى الداخلى "غير مُعترف به كمواطن"... نمرة ٣١١٤٧٩... وهو الدليل القاطع أنّ السلطات السوفيتيّة قد اعتبرته لا يحوز المواطنة السوفيتيّة. وأقرّ أوزوالد أنّه وعلى الرغم من صياغة البيان الّذى سلّمه للسفارة فى ٣١ أكتوبر ١٩٥٩...إلا أنّه فى الحقيقة لم يتقدّم أبداً للحصول على المواطنة السوفيتيّة...

أقرّ أوزوالد أنّه لم يستدع قطّ لإلقاء أية بيانات بالراديو أو الصحافة أو لمخاطبة جماعات من المستمعين منذ وصوله إلى الاتحاد السوفيتى، و أنّه لم يصدر بيانات بأى وقت ذات طبيعة يمكن استغلالها بخصوص قرازه الأصلى بالإقامة فى الاتحاد السوفيتى... وعند سؤاله بشأن بيان أعدّه لموظّف المقابلة الشخصيّة يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٩الّذى فحواه أنّه عن طيب خاطر ليتيح للاتحاد السوفيتى المعلومات التى اكتسبها بوصفه مُشغّل رادار فى القوات البحريّة، أقرّ أوزوالد أنّه فى الواقع لم يخضع لأى استجواب أو استخلاص معلومات من السلطات السوفيتيّة بشأن حياته أو تجربته قبل دخوله الاتحاد السوفيتى، وأنّه لم يقدّم تلك المعلومات لأية جهة سوفيتيّة، وأقرّ بشكّه فى الواقع أنّه كان يعطى معلومات كتلك لو طُلِبت رغم بيانه الّذى قدّمه للسفارة.

أشار أوزوالد إلى بعض مخاوفه مما إذا كان عليه عند عودته للولايات المتحدة، أن يواجه سجناً مطولاً ممكناً عن تصرّفه بالبقاء فى الاتحاد السوفيتى. وقد

قيل لأوزوالد بشكل غير رسمى أنّ السفارة ليس لديها معرفة، على أى أساس قد يخضع لإدانة من شأنها أن تقود لعقوبة قاسية تشبه ما يتضح أنّه كان يتصورها. كان جليّاً التصريح له، عموماً، أنّ السفارة لا يمكنها منحه تعهداً (كاملاً)... وقال أوزوالد إنّه كان يُدرك هذا، وأنّه ببساطة أحسّ أنّه من مصلحته الشخصيّة ألا يعود للولايات المتحدة إذا كان هذا يعنى العودة لعدد من السنوات بالسجن، وأنّه قد أجّلَ مباشرة السلطات السوفيتيّة..حتى ينتهى من تسويّة هذه المسألة"

تزوّج أوزوالد يوم ٣٠ إبريل ١٩٦١من مارينا نيكولايفنا بروساكوفا، فنيّة أسنان، وهو يحاول عمل الترتيبات اللازمة كى تنضم إليه زوجته فى موسكو كى تتمكّن من المثول بالسفارة لإجراء مقابلة الحصول على التأشيرة خلال اليوم أو اليومين التاليين.

يعتزم أوزوالد البدء بتدشين استمارة تأشيرة خروج فور عودته إلى منسك خلال الأيام القليلة القادمة، وقد أُعيد له جواز سفره الأمريكى لهذا الغرض بعد تنقيحه كى يصير سارى المفعول للعودة المباشرة للولايات المتحدة فقط.. لقد خامرنا شعور أنّه ثمّة إمكانيّة ألا يتمكّن أوزوالد من إنجاز أى شىء مع الموظفين السوفيت المعنيين ما لم يكشف عن جواز سفره الأمريكى...

عشرون شهراً من حقائق الحياة فى الاتحاد السوفيتى تركت تأثيراً جليّاً ناضجاً على أوزوالد. لقد

أقرّ بصراحة أنّه قد تعلّم درساً قاسياً بالطريقة الصعبة تحرر معها بشكل كامل من أوهامه المتعلقة بالاتحاد السوفيتى وأنّه فى الوقت ذاته اكتسب فهماً وتقديراً جديداً للولايات المتحدة ومعنى الحُريّة. يلوح أن كثيراً من الغطرسة والتبجّح اللذين ميزاه بزيارته الأولى للسفارة قد فارقاه...

٩ يوليو

تسلّم جواز السفر، استدعاء مارينا إلى موسكو هى الأخرى.

١٤ يوليو

أنا ومارينا نعود إلى منسك.

١٥ يوليو

مارينا، فى العمل، مصدومة عند اكتشافها (أنّ) الجميع يعرف أنّها دخلت سفارة الولايات المتحدة. مسئول (سوفيتى) ما فى موسكو اتصل بهم فى مكان عملها.عقد رؤساؤها اجتماعاً أخضعوها به لترهيب قوى، هو الأول من تلقينات حزبيّة كثيرة.

إلى: السفارة الأمريكيّة، موسكو.

١٥يوليو ١٩٦١

سادتى الأعزّاء

وفق تعليماتكم أكتب كى أبلغكم بعمليّة وتقدّم تأشيرتنا.

تقدّمنا إلى مكتب" OVIR المحلّى والنتائج غير مُشجّعة. عموماً، ثمّة بعض المحاولات غير البارعة وغير المعتادة التى تُمارس على زوجتى فى مكان عملها. أثناء وجودنا لا نزال فى موسكو، أُبلِغ المشرفون فى مكان عملها أنّها وأنا دخلنا السفارة بهدف الحصول على تأشيرات، ثمّ تبع ذلك اجتماع "عدو الشعب" المُعتاد، وفيه، فى غيابها، أُدينت وحُذِّر أصدقاؤها بالعمل من الكلام معها. على أيّة حال، هذا التكتيك عديم الجدوى تماماً، وزوجتى صامدة كما ينبغى، دون الانزلاق بمتاعب.

نواصل العملية وسنتابع إبلاغكم بالصورة كاملة.

المُخلص لكم،

لى هـ.أوزوالد

من نُسَخِ الكى.جى.بى.

عن الهدف: أ. ل.هـ. ٢٦٥٨

عن الفترة : ١٧يوليو ١٩٦١

فى هذه النُسخ طبق الأصل أستبدل أ.ل.هـ (أوزوالد، لى هارفى) إلى ل.هـ.أ. أُشير إلى مارينا دائماً بالزوجة. رسم ستيبان خطوطاً تحت العبارات التى اعتبرها وثيقة الصلة باحتياجاته، فى حين أى تعليقات تظهر بحرف طباعى مائل بوصفها إرشادات مسرحيّة هى من وضع ناسخ الاستخبارات السوفيتيّة. كان ذلك الشخص البارز يرصد مشاهداته (أو

مشاهداتها) عبر ثقب باب فى حجرة مستأجرة ملاصقة لشقّة أوزوالد.

ل. هـ. ا: لا أستطيع إخبارك ما عليك عمله. افعلى ما تشائين.إذا أردت، يمكنك المجىء معى.

الزوجة: لا أرغب بذلك.

ل. هـ. ا: لماذا؟

الزوجة: ببساطة أنا خائفة.

ل. هـ. ا: طبعاً أنت خائفة.

الزوجة: أنا أجهل أمريكا.أعرفُ روسيا فقط... يمكنك العودة إلى أهلك... أجهل كيف ستكون الأحوال هناك. أين ستجدُ عملاً ؟.

ل. هـ.ا: سأجد كل شىء.كل شىءسأعمل كل حاجة. تلك وظيفتى.

الزوجة: كيف سيعاملوننى هناك ؟.

(يحجب صوت راديو النقاش، من المستحيل سماعه كاملاً)

من نُسَخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف: أ. ل. هـ - ٢٦٥٨

عن الفترة : ١٩ يوليو ١٩٦١

الزوجة: كل ما تعرف عمله هو التعذيب...

(يخرج ل. هـ. أ .، يهتف بشىء ما من المطبخ)

الزوجة: اذهب واعثر لنفسك على امرأة تعرف

كيف تطبخ لك... أنا أشتغل، ليس لدىّ وقت لتوضيب شرائح اللحم من أجلك. أنت لا تريد حساءً، ولا كاشا(*)فقط الأطعمة الشهيّة، أرجوك!

ل. هـ. أ: أستطيع الذهاب والأكل فى مطعم.

الزوجة: اذهب إلى الجحيم! متى تعتزم الرحيل عنى للأبد وتركى وحدى؟ ربما لن أعيش قطّ لأرى اليوم الّذى تتركنى فيه وحدى.

ل. هـ. أ: لكنك تجهلين كيف تعملين أى شىء.

الزوجة: ارحل عنى!.

مرّة ارتطمت عفواً بميشا سمولسكى فى الشّارع، و سألها عن أحوالها مع زوجها، فأجابت،" شديدة الصعوبة فقال ميشا، لو أنّها صعبة، لِماذا كان وثوبك إلى داخلها؟" فقالت،" كلا، إنّه ليس رجلاً سيئاً، لكنه الطعام هو الشديد الصعوبة . فى ذلك الوقت، كان ثمّة الكثير فى المتاجر يمكن شراؤه، لكن ماذا يأكل الناس فى منسك مع ذلك ؟ ـ بطاطا، دهن خنزير، خيار مخلل، كرنب مخلل، لحم بقر، خنزير، لحم ضأن، ديك رومى، أوز. كانت عاجزة عن شراء ما يحبه. مثلاً، ليقول أليك أريد تناول ذرة "وكان أى ذرة مزروع فى الجوار هناك لأجل الدواجن، وهكذا قالت لميشا سمولسكى،" لنقل إنّ لدينا صعوبات ثقافيّة

(*) أكلة من الحبوب شائعة فى دول شرق أوروبا وتشير كلمة Kasha فى الدول السلافية خصوصًا لأكلة تشبه العصيدة (المترجم).

من نُسخ الكى.جى.بى.

عن الهدف: أ. ل. هـ ـ ٢٦٥٨.

عن الفترة : ٢١يوليو ١٩٦١

ل. هـ. أ: طيب، لماذا تبكين ؟ (وقفة) سبق و أن قلت لك إنّ البكاء لا يجدى نفعاً.

(تبكى الزوجة)

لعلمك، لم يسبق لى أن قلت إننى كنتُ رجلاً صالحاً جداً.

(تبكى الزوجة و يهدئ ل. هـ. أ من روعها)

الزوجة: (من خلال دموعها) لِماذا تزوجتُ ؟ لقد خدعتنى.

ل. هـ. أ: لا يجدُرُ بك البكاء. أفهم، أنت لا تفهمين نفسك .

الزوجة: (من خلال دموعها) صديقاتى لايتعرفن علىّ.

ل. هـ. أ: حسناً؟ لقد فقدتُ أنا الآخر بعض الوزن، صحيح ؟

الزوجة: (باكيةً) لِماذا تزوجتُ ؟.

ل. هـ. أ: حسناً، ماذا يُفترض بى أن أفعل ؟ هل هذا خطئى أنّ لديك الكثير من العمل؟ أعنى، أنّك لاتطبخين أبداً، لكن النساء الأخريات يطبخن، وأنا لاأقول شيئاً فى هذا الشأن. لا أصرخ. أنت لا تفعلين شيئاً البتّة ولا تريدين الغسيل. ماذا تفعلين؟ الشىء

الوحيد التى تتكلّمين عنه هو لأى مدى تنهكين فى العمل.

الزوجة: أنا لا أحصل على أية راحة.

ل. هـ. أ: حسناً، وماذا يمكننى عمله ؟

(وقفة)

الزوجة: كل حاجة كانت على ما يُرام، لكن مؤخراً ساء كل شىء، لا شىء صحيح. إنّ امرأة تعجز عن إدخال السرور على رجلٍ مثلك.

(يسكتان)

بعدها فى الليلة ذاتها

ل. هـ. أ: حسناً، هذا سخيف !

الزوجة: أريد النوم، لا تضايقنى !...أنت غير مهذّب! أنا مُتعبة، أقسم لك إنّى مُتعبة.

ل. هـ.أ: وماذا عملت كى تكونى مُنهكة هكذا ؟ أنت لم تفعلى شيئاً، ولا طبخت حاجة.

الزوجة: أكل الكافتيريا لذيذ كفاية.

ل. هـ.أ: ومن سيغسل القمصان و الجوارب ؟.

الزوجة : كل حاجة مغسولة فعلاً، اذهب وألق نظرة. سأرحل وآنئذٍ ستكون تعيساً بمفردك، سترى. لذا دع ظهرى، ماذا تريد منّى على أيّة حال، ماذا ؟ حُبّاً لله، لا تعذبنى فحسب. قريباً جداً لن تملكنى، هذا كُل ما فى الأمر.

(وقفة)

الزوجة: أنت تضحك الآن، لكنك ستبكى فيما بعد...(وقفة) ليست بى رغبة الآن.أنا مُنهكة.

ل. هـ.أ: ماذا عملت لتكونى مُنهكة هكذا ؟.

الزوجة: لا ترم بالكلمات كيفما اتفق...

ل. هـ.أ: ماذا أستطيع أن أعمل ؟ (يقلّد الزوجة) "ليست بى رغبة!" ماذا أستطيع القول ! سنكون هنا أربعة أو خمسة أشهر على أيّة حال.

الزوجة: سأكون أنا هنا. دع الطفل يبقى لحاله.

ل. هـ.أ: هل جُننت!؟ (يصرخ) يجب أن تخجلى من نفسك ! طفل دون أبّ ! يجب أن تخجلى من نفسك ! (يضحك) لا تزالين زوجتى و ستظلّين! ولو رحلت، سأرسل لك دعوة.

الزوجة: سترحل لحالك.

ل. هـ.أ: يجب أن تخجلى من نفسك ! إنك لاتصدقين نفسك فيما تقولين...

الزوجة: لن أعدك. إن لم أذهب معك فحينئذٍ سأبقى.

ل. هـ. أ: أنتِ زوجتى، و ستأتين معى.

الزوجة: كلا.

ل. هـ. أ: لِماذا ؟.

الزوجة: أعلم السبب.

ل. هـ. أ: طيب، لِماذا ؟ أنت لا تعرفين نفسك. هناك، لعلمك، هل تعرفين كم عدد الأجانب الّذين يعيشون هناك ؟.

الزوجة: لن يتقبلّونى هناك، ولن يوفروا الأوضاع المناسبة لى، لن يوفروها.لن تعتنى بى السفارة الأمريكيّة.

ل. هـ. أ: لِماذا تظنين ذلك؟ أقصد، لقد كتبتُ أنّى مُلتزم (ملاحظة بالهامش الأيسر: واضح أنّه يلزم نفسه بتوفير كل ما تحتاجه فى الولايات المتحدة") تدركين أنّك زوجتى و أنّك ستأتين معى. عندما وصلت إلى هنا كان الأمر صعباً بالنسبة لى أنا الآخر.

الزوجة: تلك مسألة أخرى تختلف تماماً.

ل. هـ. أ : لكننى ألزم نفسى ! سأفعل أى شىء.

(وقفة)

الزوجة: لن تقنعنى.

(وقفة)

ل. هـ.أ: أنت عنيدة.

الزوجة: وأنت دائم الصراخ.

(يحجب صوت راديو النقاش).

حين قابلت إنيسّا لى أوزوالد، لم يبد فاتراً بالضبط، بل شديد الارتياب حيال أمور. تبادلا كلمات قليلة ثمّ جلس على كرسى وانشغل تماماً ببعض كتب الكوميكس التى أرسلها لها شقيقه من أمريكا، وأنفقت إنيسّا وقتها فى الدردشة مع مارينا.

بعد عدة زيارات زيادة، على أيّة حال، بدأ تشكك أليك فى التلاشى، وقبل أن يمضى وقت طويل، كانت إنيسًا تأكل معهما فى مطبخهما. فى الحقيقة، راق لها حتى أنّه لم يصبح على راحته معها مباشرة بل تمهّل وراح يراقب. تعتقد أنّها محتمل ما كانت لتصدقه لو أنّه، على الفور، كان ودوداً جداً. فى الواقع، راق لها بوصفه زوجاً لمارينا. كان يقوم بكل أعمال الرجل فى أرجاء شقتهما دون حاجة لمن يُذكّره، وهو السِمة التى لا تتكرر كثيراً فى الرجال الروس.

ما لم تكن مرتاحة جداً له كان أنّه فجأة يعلن عمّا راق له بالاتحاد السوفيتى وعمّا لم يرق له، وكان يُعلن ذلك على الملأ ـ لا همساً قطّ. و كانت ثمّة أمور أخرى قلائل، تعجز حقّاً عن القول أنّها استحسنتها فيها تماماً، حتى و إن كانت محض حاجات صغيرة. كان ليهتاج إذا لم يُطبخ العشاء فى وقته، وفى رأيها، لم تكن مارينا لتلائم مقاييسه الأمريكيّة لِم يجب أن تكون عليه الزوجة، وحين كانا يتعاركان، كانت إنيسًا تراهما طفلين، أحدهما أكثر عناداً من الآخر. كانت تحبهما الاثنين وترتاح معهما كلاهما، و ـ يجوز كانت محظوظة فحسب ـ فى حضورها، لم يتورطا فى خلاف حقيقى كبير أبداً. تتذكّر أنّ مارينا كانت تغضب حين يقرأ أليك كُتب الكوميكس الأمريكيّة و يبدأ فى الضحك بصوت عالٍ. من جانب آخر، كانت مارينا تحسبه متحذلقاً و قد صارحت إنيسًا أنّ تفكيره كان يصيبها بالاستياء.

كانت لديه عادات سيئة أيضاً. مثل عامل أو جندى خشن، كان يفسد الهواء بريحه. كان ذلك صادماً، وكان يفعله بصورة طبيعية مثل شرب الماء.

مع ذلك، لطالما أحسّت إنيسّا أنّ أليك كان أكثر هدوءاً من مارينا. بعيداً عن هذا الريح، كان مُرتباً جداً، وقد أحبّ الكمال بكل شىء، وتعودت مارينا الشكوى بخصوص هذه العادة. إجمالاً، لم تعتقد إنيسّا أبداً أنّ مارينا كانت تحبّه بعمق حقّاً، بل تعتقد أنّ أليك أحبّها أكثر.

من نُسخ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ ٢٦٥٨

عن الفترة : ٢٤ يوليو ١٩٦١

التاسعة وعشرون دقيقة.

الزوجة: أليك! انظر، لقد نسيت كى شراشف السرير ـ ثمّة واحدة مفروشة هناك. أليك! انظر كم أذناى دافئتان.

(يتمازحان، يضحكان)

ل. هـ. أ: ليست أغانى سيئة التى يرددونها.

الزوجة: ثمّة مهرجان مُقام الآن. الجميع يقصدون موسكو والناس تقدر على قول ما شاءت. من قبل، كنت تعجز عن قول شىء : لا فى الشارع، ولا فى الترام، ولا فى الترولّلى. حين كان ستالين حيّاً كان ثمّة

ميكروفون فى كل بيت وكنت تعجز عن قول شىء. هذه الأيام، المسألة مختلفة.

ل. هـ.أ: نعم، نعم يا أختاه.

من نُسخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ - ٢٦٥٨

عن الفترة : ٢٦ يوليو ١٩٦١

ل. هـ. أ: إذًا، فثمّة اجتماع ؟

الزوجة: بلى. كان ثمّة اجتماع.

ل.هـ.أ: أين ؟.

الزوجة: فى عيادتنا.

(وقفة)

كما ترى، كان ليرضيهم إن قُلت، كلا، لن أرحل، لن أغادر (وطنى). لا تقل لهم الحقيقة أبداً. فى الواقع، لا ينبغى لك أن تقول أى شىء البتّة. يجب أن أقول إنّ موقفى كان أنّنى أجهل ما يجب علىّ عمله.

ل. هـ. أ: وماذا قالوا ؟.

الزوجة: قالوا إنّ ذلك كان وقاحة..فقلتُ إنّنى لستُ فى حاجة لمرجع جيد، وأنّنى لا أهتم... وأننى سأمضى بمرجع سيئ لو لزم الأمر وقلتُ لهم إنّنى لستُ تلك المجرمة. قلتُ لهم أنّنى أحبّ بنات مخزن الأدويّة كثيراً كصديقات وإننى لستُ بالصديقة الرديئة وأننى لأمنح كل شىء للبنات لأنّهن بنات طيبات

وبسيطات.(وقفة) قلت ذلك مباشرة. لو أنّك لاتحبّنى، فأنا لا أحبّك ـ دون مواربة.

ل. هـ. ا: وأنت..(لم يُنه جملته).

الزوجة:.. سيطردوننى..قالوا إنّ ناساً مثلى لاينتمون للكومسومول، ينبغى أن يُطردوا. قلت إنّ ذلك شىء رائع، وأننى جدّ سعيدة... لِماذا لا ترغبين أن (تكونى عضوة فى الكومسومول؟) سألونى مليون مرّة. حسناً، لأنّنى لا أحبّه، لأنّه مثير للسأم. و لِماذا لم تقولى ذلك مسبقا؟ لأنّنى كنت لا أريد أن يظن الناس أنّنى مُختلفة... قلتُ أشياء كثيرة جائز أنّه ما كان لينبغى لى قولها، سوى أنّى عجزت عن كبح نفسى. (سألونى) ماذا تحسبين الكومسومول ؟ وإجابتى أنّ الكومسومول هو الكومسومول. (وقفة) فى الواقع، أنا عنصر مضاد للسوفيتيّة. لنجعل الأمر أيسر بالنسبة لهم.

(وقفة)

ومن ثمّ، تعرف، يسألنى ما هى علاقتك بهذا الرجل الّذى ذهبت معه إلى موسكو ؟ ويقول واحد آخر أنّه زوجها.

ل. هـ. ا: (يضحك).

الزوجة: ومن هو زوجك، أى نوع من الرجال هو ؟ أقول أفضل إن تسألوا وزارة الشئون الداخليّة. ولماذا الشئون الداخليّة إذا كان بوسعنا سؤالك ؟ وأقول لأنّى قد لا أردّ عليكم...

ل. هـ.ا: يعلمون أنّ الشيء الأكثر أهميّة هو رغبتي بالرحيل.

الزوجة: إنّه يشتاق لبلاده، قلتُ لهم، كل واحد يشتاق لبلاده. لكن ألم تحاولي إقناعه بالبقاء هنا ؟ كلا، أقول، ثمّ... أقول، لا أظن أنّ الأحوال ستكون أحسن هناك، لا لأنّني أبحث عن أحوال أفضل، بل أنا ذاهبة مع زوجي. من الممكن أن تكون الأحوال أسوأ هناك...أقول، تعرف، لم يسبق لي أن كنت هناك وكذلك أنت، فكيف نكوّن رأياً ؟...

(وقفة)

قلتُ إنّني ما كنتُ لأترك زوجي، فهو رجل طيب وأنا راضية معه... إنّه أغلى عندي من رأيهم ... لقد تصرّفت بوقاحة، وقاحة شديدة. قلتُ، تُرى ماذا ستفعلون، تجابهون من منحوني أسانيد طيبة وتصرخون فيهم؟... أطلب منكم ألا تضطهدوهم...أحرى بكم لو وبختموني أنا...

"نحن نحترمك ونحبّك" قالوا. لن يكون لديك أصدقاء مثلنا هناك "قالوا وقلت، لا أريدُ أنّ يكون لدي أصدقاء مثل ذلك. أنا أرى كم تحبونني

ل. هـ. ا: لا تقلقي. سيكون كل شيء على ما يرام...

(وقفة)

الزوجة: أهم شيء الآن هو الرحيل.

ل. هـ. أ: أعلم ذلك ـ نحن راحلان. لا حاجة بنا للفضائح...

(وقفة)

الزوجة: لا تبحثِي عن الحقيقة، فلن تجديها على أيّة حال. قالت أمّى ذلك...

ل. هـ. أ: سيكون كل شىء على ما يُرام.

الزوجة: تعتقد ذلك ؟.

(وقفة)

الزوجة: لِماذا أشعر بالحزن ؟ فزوجى لا يرمى بى من البيت.

ل. هـ. أ: أحبّك.

الزوجة: ذلك ما تقوله الآن، لكن بعدها ستقول إنّك لا تحبّنى.

ل. هـ.أ: زوجك يحبّك.

كانت سونيا صديقة مارينا، طبعاً، عضوًا فى الكومسومول، كان ذلك بصورة آلية تقريباً. يمكنك تجاهله. لو كانت مارينا قد بدّلت رأيها وقررت البقاء فى الاتحاد السوفيتى، ما كانت لتصير علامة سوداء فى حياتها. لم تكن لتشبه الاستبعاد من الحزب الشيوعى ـ فذلك أمر خطير. لكن الكومسومول ـ أنت شاب صغير. يعتقد الجميع أنّك يجوز ارتكبت خطأ، انزلقت قليلاً. كان قلق مارينا الأساسى، تعتقد سونيا، هل كانت تأخذ القرار الصائب أم الخطأ بشأن

الذهاب إلى أمريكا. لم يكن الكومسومول بهذه الأهمية الكبيرة، فعموماً، كانت لدى الكومسومول قاعدة إنّك متى تذهب لدولة أجنبية تفقد عضويتك به على الفور. تتخلى عنها. هذه المنظمة لم تكن ترغب بأعضاء في دولة أخرى، فهذا من شأنه التسبب بمتاعب دوليّة.

من نُسَخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ ـ ٢٦٥٨

عن الفترة : ٢٩ يوليو ١٩٦١

(يُقبّلها ل. هـ.أ)

ل. هـ. أ: تعالى. نامى.

(هدوء)

الثامنة إلا الثُلث

الزوجة: ربّاه، بنطلونك مكرمش جداً.

ل. هـ. أ: مرّت فترة منذ كويتيه.

الزوجة: منذ أربعة أيام.

ل. هـ. أ: أسبوع.

الزوجة : إذًا ؟ يمكنك لبسه أسبوعاً (لكنك) لكنك تضطجع بهم...

ل. هـ.أ: هونى عليك...

الزوجة: أنت شرير جداً ! (صرخات حادة) حقيقى ما يرددونه عن الرجال أنّهم مجانين حتى

يبلغوا الثلاثين (تضحك) آى !... (تضحك) ماذا فعلت؟.

(يذهبان للفراش)

ل. هـ. أ: لا تلمسينى. تبّاً لك.

الزوجة: كلا. تبّاً لك أنت. خلال دقيقة، سأقطع مكاناً بعينه. أوى، يا ماما.

(يضحكان)

(يتكلّمان عن الحمل، تتكلّم الزوجة عن حوار بينها و بين طبيبها)

الزوجة: حين يبدأ الطفل بالحركة أول مرّة، سيكون قد مرّ نصف الوقت. هات أو خُذ يوماً أو يومين. لماذا يلوح لى أن لكل شىء رائحة ـ ملابسى، الوسادة، البطانيّة ؟ أبدو رهيبة جداً. كُلنا نبدو رهيبات فى الشهور الأخيرة (من الحمل) ولو أنا أحتضر، من سينقذنى ؟ لدىّ عظام حرقفيّة ضيقة.

ل. هـ. أ: أنا.

الزوجة: مهنة الطبّ لن تساعد، لكنك أنت من سيساعدنى.

ل. هـ. أ: كونى سيدة هادئة. أنت سيدة. أول يوم تصبحين فيه سيدة. تصبحين على خير. ذلك كل شىء.

(يسكتان)

الحادية عشرة.

كانت تامارا ألكسندروفنا، الصدر الحنون لبنات مخزن الأدويّة والتى تعلم كل شىء عن الحياة الشخصيّة لهن، على دراية بالأمر: سألتها مارينا. تامارا، هل كنت تذهبين مع زوجك إلى أمريكا أم لا ؟" هى و يانينا وأخريات ناقشن الأمر. كثيرات منهن كُن متزوجات حديثاً ـ فكانت مارينا تسمع نصائح من هذا النوع "اسمعى، أنا أعرف زوجى لتقول واحدة، ومع زوجى سأذهب إلى أمريكا. هل تعرفين زوجك كفاية للذهاب إلى هناك ؟ تلك هى مسألتك قالوا لها: عليك تحليل موقفك. أنت تعملين فى بلد اشتراكى، وستذهبين إلى آخر رأسمالى. لديهم ثقافتهم وعاداتهم. هل لديك القدرة أن تكونى نداً لذلك ؟ لو أن لديك يقينًا أنّك تقدرين، فلا بأس، لكنه قرارك. كانت يانينا تعلم أنّها لم تكن ترغب بالاضطلاع بمسئوليّة إسداء مزيد من النصح أكثر من ذلك، لكن يجوز مارينا كانت قد اتخذت قرارها.

حين استبعدها الكومسومول، لم يشغل أحد تفكيره بذلك فترة طويلة. ماذا يمكن للكومسومول أن يفعله زيادة ؟ ومن كان يهتم؟ ليس أمراً خطيراً أن يُطرد المرء منه، فالسبب الوحيد للانتماء إليه كان أنّ المرء لا يستطيع إلا أن ينتمى إليه.

كانت فاليا القريبة الوحيدة، قالت إنيسّا، التى زارت مارينا متى أقرّت بأنّها كانت تحاول الذهاب إلى أمريكا مع لى. لم تزرها أى من شقيقات إيليا أبداً، ولا إيليا. كانت فاليا الشخص الوحيد الّذى زارها.

بالنسبة لموقفها في العمل، هناك، كانت ثمّة مشاكل أيضاً، كما تذكر إنيسّا. بعد أن حاول الكومسومول تسويّة الأمور معها، كان ثمّة كلام عمّا إذا كان يجوز أنّ لي كان جاسوساً أمريكياً، وكان ردّها أن يهتموا بأشغالهم فحسب. يجوز خلفت أيامها الصعبة في لينينجراد أثراً، لكنها كانت تستطيع الاستحواذ لنفسها على حقّ ما، وما كانت لتدع أحداً يثبط من تقديرها لنفسها.

مع ذلك، عرقلها الكومسومول عن النهوض. لم يساندها أحد وكانت مشاعرها قطعاً مجروحة.

لو كانت مكان مارينا، تعتقد إنيسّا أنّها ما كانت لترغب بالبقاء في روسيا أكثر، هي الأخرى، فالنظام لم يكن عادلاً معها.

ـ ٧ ـ

لدى مراقبة لحظات حميمة

لطالما أحسّ بافل أنّ ثمّة حاجة فى وجه مارينا كانت تشبه سيماء إيريك ـ المكر. لكن بافل يقول بالأحرى إنّه لم يكن مُجهزاً لمارينا، وهو لم يقابلها حتى الزفاف، وحينها لم يكن البادئ بالكلام.

قد يكون بافل قد رآها عشرين مرّة إجمالاً، وقد نظر إليها بوصفها زوجة صديق، لا شىء أكثر. مهما كانت بوصفها امرأة فإنّها لم تثر انتباهه. لا يحمل لها كراهيةً قطّ، بل كان ينظر إليها فحسب على أنّها شرشف لفراش صديقه. كان ذلك تعبيراً تعلّمه فى أفق. مصنعه، جائز لأنّ كان ثمّة عدد غفير من اليهود هناك، كان يُعدّ المصنع الأكثر ظرفاً فى منسك. يقيناً، كانت مصانع الجرّارات والمصانع العسكريّة لا تقارن

بمصنعهم، لكن آنذاك، أيما يهودى أراد العمل فى أماكن كتلك كان يعجز عن دخولها.

لم ير بافل أبداً لى يستشيط غضباً مع مارينا، لكن أوزوالد لم يكن يحبّ قطّ رؤية زوجته تشعل سيجارة، لذا متى كان بافل ومارينا معاً بالخارج فى الشرفة، تعوّد بافل أن يمسك بسيجارة فى يده لأجلها، كى يبدو المشهد وكأن بافل من كان يدخّن، لا هى. ليقول إنّها كانت تدخن خفيفاً وبرقّة كأنّها تمارس تمارين اليوجا.

بعدها بقليل، تزوج لى ومارينا، وكان بافل يستعد لزيارة أهله فى خاباروفسك، وقابله ستيبان ."قُل لأوزوالد "قال ستيبان، إنّ أباك يعمل بمنصب كبير بوصفه جنرالاً فى القوات الجويّة، وراقب إن كان سيهتم

فى المرّة التالية، حين سأل ستيبان عن رد فعل أوزوالد، قال بافل،" لم يلح عليه اهتمام يُذكر

فى الواقع، تجاهل أوزوالد تعليق بافل، لكن مارينا قالت،" آه، لِماذا تقول له ذلك؟" وعلم بافل بعد ذلك أنّها أدركت أن لعبة كانت تُمارس، وأنّ بافل كان شخصاً ثانوياً. كان يجهل إن كانت سريعة جداً أم أن هذه الأنباء عن والده كانت أكثر تشويقاً بالنسبة إليها أكثر من لى.

مع ذلك، يقول بافل إنّه لم يكن راوية فعّالاً للأورجانز، لم يقدّم أبداً تقريراً مكتوباً، و لا وقّع على

شىء، وقد بذل قصارى جهده ليكون الأدنى مع رؤسائه بالأورجانز حين كان يتوجب عليه تقديم تقرير، بل وحتى نصح بافل أوزوالد ألا يتكلّم أكثر من اللازم مع أى أحد، ثمّ أضاف،" أنصحك بهذا، لكن آخرين قد ينصحونك الشىء نفسه وقد عجز عن أن يصير أكثر تحديداً من ذلك.

فى غضون كل هذا العام وأكثر، كان على بافل أن يجتمع كثيراً بستيبان، عادة فى الشّارع أو فى حديقة. الآن، يعتقد بافل أنّه كان من الأفضل لو كان صارح أباه بموقفه، لأنّه كان يعلم إن عاجلاً أم آجلاً لتقترب الكى. جى. بى. من أبيه. لقد تمكّن بافل من سماع ضابط ما متواضع من الكى.جى.بى. ملازم ما أو نقيب، يقول، إذًا يا جنرال، ماذا تعتقد بشأن ابنك؟"

لم يكن لدى بافل أية وطنيّة، بل كان لديه حِسّ أشبه بالفُحش، ما كان السبب وراء تحذيره أوزوالد. كان يعلم أنّ ثمّة آخر، مصدر آخر للمعلومات، أقرب وأكثر ثقة، كانت الكى.جى.بى. تستخدمه للتجسس على أوزوالد، لكن هذا المصدر ما كان ليعترف بذلك إلى لى.

فشل الصحفيون فى اكتشاف متى طوّقت شقّة لى أول مرّة. أول النُسخ التى تلقوها من الكى. جى. بى. كانت مؤرخة بمنتصف يوليو، التاريخ الّذى تلا عودة أوزوالد من رحلته إلى السفارة الأمريكيّة. ظلّت المسألة، على أيّة حال، عالقة. هل وضعت أجهزة التنصّت أوائل مارس عام ١٩٦٠ قبل انتقاله إليها، أم

بفترة ما فى يوليو ١٩٦١ جائز أيضاً، لأنّ العمل اليومى المبنى على التنصّت كان بنداً مُكلفاً فى ميزانيتهم، أنّ مكتب الاستخبارات السوفيتية المحلى، وقد أنهى عمل المصادر البشريّة فى المكان، لم ينصّب التجهيزات حتى تلك الأيام الأربعة من شهر يوليو حين كان أوزوالد وزوجته فى موسكو.

فى مداولات مع الصحفيين، ذكر إيجور أنّه عقب زواج ليخوى، صار من العصيب معرفة كل ما يمكنهم عن شخصية مارينا. هل كانت من النوعيّة التى تحصل على الأسرار من خالها وتمررها إلى أوزوالد ؟.

متى يتم تنصيب جهاز تنصّت، كانت الأورجانز تستأجر غالباً غرفة فى شقّة تعلو أو تجاور هدفهم. عادة لا يكون أمراً عسيراً؛ لأنّ الناس عادة كانت لديهم حجرات للإيجار فى الشقق الأكبر. فى حالة أوزوالد، كانت الحوارات تُنسخ من حجرة تعلو شقّته، وفيما بعد، نُقلت تلك التجهيزات إلى غرفة مجاورة. لو كانت الأورجانز قادرة على استئجار شقّة كاملة فوق لى لاحجرة واحدة، كانوا زرعوا أجهزة التنصّت فى الحمام والمطبخ و الشرفة ـ الثلاثة، سوى أنّه لم يكن لديهم هذا النوع من حريّة الوصول.

بالنسبة لمسألة القدرة على مراقبة الناس بصريّاً، كان هذا لم يعد صعباً بحلول عام ١٩٦١ . ثُقب أقل من جزء من مائتين و خمسين جزءًا من البوصة، أقل من عُشر ملليمتر، يُصنع و تُقحم عدسة خاصة، أكثر

أداة نافعة منذ ثلاثين عاماً ـ استعمال مبكّر للألياف البصريّة. فى ذلك الحين، كانت سلاحهم الأعظم لأنّه كان يوفّر قدراً هائلاً من المعلومات.

مثلاً، بدأت المعرفة تنساب على إيجور و ستيبان بأنّ مارينا لديها رأى متواضع فى لى بوصفه شريكاً. مع ذلك، كانت علاقتهما مشوّقة، كانا قد تزوجا والآن بسبيلهما لإنجاب طفل. هل كان سببها الحبّ أم رغبة أوزوالد فى غطاء أفضل؟ كانت هذه مسألة على الاستخبارات المضادة حسمها. لو، فى غضون رجوعه لبلده الأمّ، طلّق أوزوالد بغتة أسرته ورحل دونها، فسيضع هذا الأورجانز فى حالة تأهب. هل أنهى عمله وهو الآن يفرّ؟ لكن لا ـ هذا الرجل أراد زوجته أن ترحل معه، ما جعل كل الشكوك تتداعى. لقد قلصت دراسة شخصية زواج أوزوالد المخاوف عند إيجور وستيبان.

من نُسخ الكى. جى. بى.

عن الفترة : ٢٦ يوليو ١٩٦١

العاشرة إلا عشر دقائق : (ل.هـ.أ. يدخل المطبخ، يعود).

العاشرة و عشر دقائق: (يدلفان للفراش)

العاشرة والربع: (كلام حميمى)

العاشرة و النصف: (هدوء، ينامان)

الحادية عشرة: (تنتهى المراقبة)

سُئل ستيبان إن كانت سياسة الكى. جى. بى. التوقّف عن التنصّت عند الحادية عشرة، لأنّ الناس عادة يدلفون للفراش عندئذ، فأجاب أنّ هذا النوع من الإجراءات يُمكن مواصلته ساعةً أو لعدة ساعات فحسب.مسألة ملائمة تشغيليّة.

ولا كان ثمّة مجموعة سياسات بشأن تسجيل اللحظات الحميمة. عادة، ليقرر ناسخ الكى.جى.بى. أنّ مثل ذلك التصرّف كان يحدث، لكن دون إعطاء تفاصيل. يمضى الأمر دون القول أنّ كل ضابط كاشف كان يتحمّل المسئولية الكبرى عن مثل هذه القرارات، فهى تعتمد على ماهية ما كان يفتّش عنه كى يحلله. ستيبان، مثلاً، كان يُفضّل تجنب هذا النوع من التسجيلات. لكن أفترض أننى ضابط استخبارات أمريكيّة أو مباحث فيدراليّة وأحاول تجنيد مهندس سوفيتى. سيكون علىّ البحث عن مواد مشبوهة تتعلّق به، أولاً وبالأساس مسائل جنسيّة.كونى أعمل كمحلل فى هذه القضيّة، أعطيتُ هذا الأمر: سجّلوا أى شىء بأدق التفاصيل الممكنة. كل العمليات الجنسيّة. التقطوا صوراً. وهكذا"كل شىء يعتمد على نوعية الغاية المستهدفة"

فى قضيّة لى هارفى أوزوالد، لم تكن التفاصيل الجنسية ضروريّة، لو أنّه ومارينا قالا شيئاً مهماً، كان ناسخنا يدونه، لكن لو أنّ أوزوالد ومارينا يمارسان الحبّ فحسب، كان الشخص الّذى يصغى أو يشهد عبر أداتنا لا يكتب أكثر من "لحظات رقيقة، حميمة" فى الواقع، لم يتلذذ ستيبان بتلك المناسبات

الشخصيّة. لماذا تزعج الرؤساء ممن عليهم قراءة ذلك؟ لكن لو قيل شيء ذو مغزى، حسناً، ما كان ناسخوه ليفوتوه - يُسجل دونما قول. لو، مثلاً، انفتحت مواضيع أثناء ممارسة الحبّ، كلام بشأن مسائل مهمة، كانت لتدون. لا يذكّر ستيبان شيئاً مميزاً، على أيّة حال، جرت ملاحظته أثناء النظر بقضيّة أوزوالد.

مع ذلك، كان عليهم تسجيل بعض الملاحظات. ينبغى لعملية المراقبة أن تأخذ هدفنا بعين الاعتبار من كل الجوانب. بعدها، يمكننا الفصل فى مسألة عدم أهميّة الجوانب الجنسية لهذا الشخص. لكن أولاً، علينا تلقّى مجلد كامل من المعلومات كى نتمكّن من اختيار ما نحتاجه". تمارس المباحث الفيدراليّة الأمريكيّة و الاستخبارات السوفيتيّة كلاهما هذا العمل بالطريقة ذاتها، حسب إشارة ستيبان. فى قضية أوزوالد، الجزء الجنسى يمكن أن يمثّل عاملاً." مهم أن نعرف ما إذا كان هذا الشخص قد تزوج لأنّه وقع فى الحبّ أم أنّه يستغله كغطاء. يمكن لعلاقاته الجنسيّة أيضاً أن تشير لِما إذا كان عميلاً يبحث عن معلومات. يجب وضع كل الاحتمالات بالاعتبار

كان أليك ومارينا واثقين أن الأورجانز تتنصت عليهما. بلى تقول مارينا الآن، عند تفكيرها بالأمر. "صرنا كطفلين، ما من شيء أو أحد ليوقفنا. كُنتُ حليفته الطريق بطوله.لأجل المبدأ اللعين فقط".مرّة، حين انطفأت كل الأضواء فى شقّتهما، جربا عدّادهما الكهربى ذا الوميض. كانت الإبرة لا تزال تتحرّك، كان

ذلك حين قال أوزوالد، إنّهم يتنصتون على شقّتنا ربما كان يمارس فحسب لعبة ما معها، وأراد إضفاء بعض الدراما عليها، لكنّهما كانا متى أرادا الكلام، كانا يخرجان إلى شرفتهما أو يديران مذياعهما، خصوصاً، وأنّهما ما كانا يودّان المخاطرة بالزج بأى شخص كانا يتكلّمان عنه ـ بافل، أو آل زيجر أو أيّا كان، فاليا أو إيليا، أيّاً كان. مع ذلك، لم يصر ذلك جزءًا من حياتها، لو شاءت الكلام مع لى، لم تكن دائماً تخرج لتلك الشرفة، لأنّه، حقّاً، ما من شىء تخفيه. الشىء المفزع أكثر، لتتوقعه، كان أنّه جائز ثمّة من يسجّل لهما فى الفراش. مع ذلك، و يبدو ذلك غباءً، ما كانا ليشغلا بالهما كثيراً بذلك ـ ألا يبدو ذلك ظريفاً ؟ لكنهما لو أرادا مناقشة حاجة تتعلّق برحلتهما المنتظرة إلى أمريكا، يخرجان إلى الشرفة. ربما كانت تسدّ كل شىء مُتعلق بهذا "الجزء الحميم ، لكن حسبما تذكر، لم تكن تمانع لتلك الدرجة لو أنّ ثمّة من يتنصّت. جائز لأنّهما لم يكونا يمارسان الحبّ بصفة متكررة فى تلك الشهور من الحمل.

كان بافل يعلم أنّ شقة لى كانت مطوّقة بالأسلاك. لا يمكنه الإفصاح بالضبط كيف عرف: ربما تأسست معرفته مدعومة بتجربته، فستيبان، عموماً، كان يعرف أموراً بعينها عن لى ما كان ليعرفها إلا بهذه الطُرق، وقد بدرت عنه تلميحات بهذه المعرفة حين قابل بافل ليعطيه تعليمات بخصوص ما سيسأله حوله فى المرّة التالية. وهكذا، كانت شقّة أوزوالد لابد مزروعة بأجهزة تنصّت.

ليست شرفته، عموماً، أمعن بافل التفكير، فمن العسير إخفاء ميكروفون فى بلكونة خالية من الأثاث. علاوة على ذلك، تمرّ السيارات، ورياح وتشويش من الطيور. من قصص المخبرين السريين، ليؤمن المرء أنّ الأورجانز كانت لديهم تقنيّة كافية لوضع ميكروفون متناهى الصغر فى زِر قميص، لكنّه كان أمراً شديد الكُلفة.

مع ذلك، لطالما كانوا موجودين، أو هكذا ساد الشعور. لم يكن بافل، عندما يتكلّم مع لى، ليسمح لنفسه بالفضول. لم يشأ أن يكسب أية معلومات يكون عليه إفشاؤها وإلا لا يكون فى خدمة وطنه الأم.

ـ ٨ ـ

مسح الأرضيات

عند الكلام مع الصحفيين، كان ستيبان دائماً يشدد على الجوانب الأكثر فعالية فى الأنشطة الأمنيّة. لم يسهب بالكلام عن الهفوات. أيّاً كانت الموانع التى قد تعيق تسجيلاً جيداً، فإنّه ما كان ليخوض فى مناقشتها. لدى مراجعة هذه النُسخ التى وفرتها الكى.جى. بى.، يجد المرء صعوبة، على أيّة حال، فى الافتراض أنّنا فى حضرة تقنية مُتقدمة، وكما كان يُشار عبر ناسخهم، كان الصوت ضعيفاً، وعادة كان مذياع أوزوالد مُداراً. فى الحقيقة، كان عليه غالباً الصراخ أعلى من صوت الراديو كى تسمعه مارينا. ولأنّنا كُنا فى الصيف، فقد كانت ثمّة زيارات متكررة لشرفتهما، ومن هناك لا شىء يمكن سماعه، فى حين أصوات الماء الجارى هى أكثر ما يُلتقط من المطبخ.

أضف إلى هذا أنّه من الجائز أنّ ثمّة إجهادًا منافيًا لأخلاق المهنة كان يحلّ بمستمع الكى.جى.بى. فى الحجرة المجاورة، فترات حتى يمكن تصورها من الإغفاءات : مخلفاً المرء فى الأعم الأغلب مع بورتريه لزوجين شابين يتجادلان مع بعضهما بضراوة شديدة وكل ما نتبينه ـ بتفاهة جداً أنّ نبضة تبزغ لتؤلف مسرحيّة من فصل واحد ـ زوجان حديثان.

الصحفى: هل سبق و تشاجرت أبداً حول مسح الأرضيات؟.

مارينا: كلا.

الصحفى: هل سبق و شكى قطّ بشأن الأرضيات؟

مارينا: لا أذكر..لكن لا أظن ذلك.

الصحفى: هل سبق و تجادلتما بشأن تنظيف البيت ؟.

مارينا: من المحتمل أننا تجادلنا حتى بشأن القطط التى تخربش السقف.

من نُسخِ الكى.جى.بى.

عن الهدف : أ. ل.هـ ـ ٢٦٥٨

عن الفترة : ٣ أغسطس ١٩٦١

السادسة وأربع و عشرون دقيقة (يدخلان حجرة)

الزوجة: (تصرخ) لقد سئمتُ كل شىء! وماذا عنك ؟ ألا يمكنك الغسيل؟ أحسبُ أنّك تريدنى أن أغسل الأرضيات كل يوم ؟.

ل. هـ. أ: بلى، اغسلى تلك الأرضيات كل يوم !

الزوجة: أنت لا تفعل شيئاً ويُفترض بى أن أقضى اليوم بطوله أنظّف. إنّ رجلاً مهذباً ليقدّم العون. تذكّر أنّك تعودت القول: سأساعدك! لقد غسلت مرّة، وها أنت الآن تتكلّم عنها بشكل متّصل، وأنا أغسل ملابسنا كل مرّة دون أن تُحسب...

ل. هـ.أ: عليك أن تطبخى شيئاً نأكله !

الزوجة: (تصرخ) لا أستطيع. لن أطبخ.

ل.هـ. أ: يمكنك طبخ قطع اللحم، وضعى الماء لعمل الشاى. أعنى، لقد اشتريتُ كل شىء، كل شىء.

الزوجة: لن أفعل شيئاً.

ل. هـ. أ: إنّك لم تفعلى شيئاً.

الزوجة: طيب، ماذا فعلت أنت لأجلى ؟.

ل. هـ. أ: صه !.

الزوجة: لن أعيش معك.

ل. هـ. أ: حمداً لله !.

الزوجة: انظر لنفسك! رجل مُرتّب ! أنت أقذر منى عشرين مرّة. انظر لوسادتك، لقد نمت فوقها مرّة وها هى متسخة.

ل. هـ.أ: أنت لا تفعلين شيئاً البتّة !.

الزوجة: صحيح، أنا أصخب فحسب. أسرف فى شرب الخمر على حساب صحّتى.

ل. هـ. ا: أنت لا تفعلين شيئاً.

الزوجة: هل سبق لك أن شاركت فى تنظيف هذه الشقّة ـ ولو مرّة ؟ لقد نظّفتها واحداً وعشرين مرّة. قُمْ بذلك ثمّ نتكلّم اليوم بطوله.

ل. هـ. ا: هذا البيت يجب أن يكون نظيفاً دائماً. ثمّة قذارة فى مطبخنا، قذارة فى كل مكان. ما نفع ذلك؟ أنت تنامين حتى العاشرة صباحاً ولا تفعلين شيئاً. يمكنك التنظيف أثناء ذلك الوقت.

الزوجة: أحتاج للنوم. لو أنّك تكره ذلك، عُد لبلدك أمريكا.

ل. هـ. ا: (بهدوء) من فضلك، شكراً لك.

الزوجة: لطالما ترى الخطأ. لا شىء كافٍ، كل شىء غلط.

ل. هـ. ا: أنت سخيفة، كسولة ووقحة.

الزوجة: أريد لو تشعر بى ولو ليوم واحد (بعد سُكات، تبدأ فى البكاء)

ل. هـ. ا حسناً، ما المشكلة ؟.

الزوجة: اغرب عنى ! لست خادمتك. وفر لى أوضاع مناسبة...

ل . هـ. ا: لا تبكِ.أقول فحسب أنّك لا ترغبين بعمل شىء.

الزوجة: إذا ؟ لم أغسل أبداً الأرضيات ؟.

ل. هـ. أ: لست ربّة منزل جيدة. كلا، لست ربّة منزل جيدة.

الزوجة: كان عليك أن تتزوج واحدة مناسبة...

(يسكتان)

الزوجة:. .. لو أنّك تكره الحياة هنا، عُد لبلدك أمريكا.

ل. هـ. أ: سبق و قلت لك منذ وقت بعيد إنّك لاتفعلين شيئاً.

الزوجة : أنا أغسل الأرضيات كل يوم.

ل. هـ. أ : إنّها متسخة.

الزوجة: القذارة بالنسبة إليك نظافة بالنسبة لى. لقد مسحت الأرضيات أمس، لكنك مشيت عليها بحذائك.

ل.هـ. أ: ثمّة وساخة و تراب لأنّك فتحت أبواب الشرفة.

الزوجة: (تصرخ) كانت موصدة اليوم بطوله. أنت لا تفهم شيئاً.

ل. هـ. أ: لا تصرخى.

الزوجة: ألا ترى أنّى أنفض الغبار كل صباح ؟

ل. هـ. أ: أنت لا تنفضيه هناك فوق طاولتنا.

الزوجة: بلى، بلى، أنا أوسّخها. لقد غسلتها مرتين و أنت حتى لم تغسلها مرّة.

ل. هـ. أ: هدئ من روعك.

الزوجة: تقول فحسب، مارينا، يجب أن يُقضى هذا الأمر لا تصرخ، إنّه جارح..أليكا، هل تكرهنى حين تصرخ بى ؟.

ل. هـ. أ : بلى.

الزوجة : بلى ؟.

ل. هـ. أ : بلى.

الزوجة: ...لِماذا تخشى الناس ؟ ماذا يفزعك ؟.

ل. هـ. أ: (يصرخ بغضب) صه، صه...أنت تقفين هناك وتثرثرين.

الزوجة: أنت تخشى كل الناس !...

ل. هـ. أ: صه !.

الزوجة: هل تخشى أن يسرقوا كل شىء منك، قدر الذهب الّذى لديك؟ (ضاحكة) فى أوقات كهذه يمكنك قتلى.عليك أن تمتلك بعضاً من الإرادة القويّة.

ل. هـ. أ: ما رأيك فى بعض البطاطا ؟.

الزوجة: ليست جاهزة بعد، ماذا بوسعى أن أفعل؟.

٣٧ : ٢٢ (يدخلان المطبخ)

٤٠ ـ ٢٢ تجعل الزوجة ل.هـ.أ يغسل قدميه

.. : ٢٣ هدوء فى الحجرة، لا حوار

كان من المؤلم ليورى ميريزينسكى أن يرى هذه الزيجة. كانت لدى أليك شقّة لائقة، مقبولة إلى حد

ما لو كنت رجلاً أعزب.لا يهم إن كانت إنجليزيّة يورى جيدة أم سيئة، كان بصدد مصارحة الصحفيين بكل شىء بالإنجليزيّة. كانت لديه موهبة بالإنجليزيّة ويمكنه القول إنّه كان موجوداً فى هذه الشقّة من قبل، ومن بعد. قبل الزواج كانت مُشرقة، وبعده، كئيبة.

يذكر مارينا فى حجرة معيشتها، وهى تنحنى، مثل سرطان البحر، تمسح الأرضيّات. عجيزتها أعلى من كتفيها، مثل سرطان البحر.

يورى سكران، لكنه ليس فاقداً لصوابه جراء الشرب، سيستمر بالشرب، سيواصل إخبارهم ما يمكنه عمله. لم يعد سلس اللسان فى الإنجليزيّة، سيقول، كان ذات يوم.

حاول الصحفيون الكلام معه عن لى وزفاف مارينا. قال،" لم يدع لزفاف مارينا أى واحد نام معها. لو كان أليك يعلم أنّها كانت تضاجع طوب الأرض، ما كان تزوجها أبداً، لكن آنذاك، فى كل أسرة، الرجل مساو للرأس والمرأة مساوية للعنق ـ العنق تدير الرأس بأى اتجاه تشاء يستطيع، يورى، القول إنّه كان يضاجع مارينا.

قبل الزواج؟.

قبل الزواج، وبعده. لا أسئلة. الجميع يعلم.

فى الوطء، حين يكونان معًا، هو ومارينا ـ ما من مشكلة، ليقول يورى . ليس عندهما أى ـ كيف تقولها؟ ـ إجحاف، لم يكن عندهما حياء. كل واحد كان يحاول إرضاء الآخر ـ هذا كل شىء.

لا يتذكّر حواراته مع مارينا." كنّا نقول كلاماً فارغاً. كانت سعيدة معى، وإلا لماذا تزورنى؟ لم تكن مهتمّة بالعلاقة، جنس فحسب

كيف كان حال أليك فى الفراش، لم يكن يدرى. تلك مسألة يمكن للمرأة فحسب أن تصفها. لكن من الظاهر، لم يكن أليك قطّ عدوانيّاً. ليعطى يورى أمثلة، مرّة، فى أيام عزوبية أوزوالد، جذب واحد أليك من قميصه، هناك، فى الشّارع، أنقذه يورى، عجز أليك عن الدفاع عن نفسه، عجز حتى عن ضرب أحد. ليدافع يورى عنه مرّات عديدة. فى الشارع، جاء واحد إليهما وقال،" أعطنى شيئاً أشربه. ضع قنينة فوق طاولتى " كانوا يعرفون أنّ لى معه نقود، وفى تلك الأيام، كنت تستطيع شراء الكحول حتى منتصف الليل، فكانوا يجيئون ويقولون،" أليك، اشتر لنا شراباً، ضع شيئاً فوق طاولتنا   وما كان أليك ليقول نعم ولا لا. ليجيب يورى، كان أليك يعجز حتى عن رفع يده للدفاع عن نفسه، لكن يورى ضرب هذا الرجل الّذى كان يطلب. مباشرة فى وجهه. آنذاك، يستطيع يورى القول، كان مقاتلاً جيداً. الكلمة الروسية المقابلة للشخص الرخو هى sleeznyak(١) طرى. ليس حقيقيّاً بالنسبة لأوزوالد، قال يورى. لم يكن لى المرء الّذى يزنق خصمه فى ركن ضيق، لكنه أيضاً لم يكن sleeznyak.(٢) كان الوضع فحسب أنّ يورى كان سيد

(١) بالروسية فى الأصل.

(٢) بالروسية فى الأصل.

موقف كهذا. حتى الآن لم يكن خائفاً من اللقاء والكلام مع الصحفيين. آنذاك، كان أقوى، لأنّه كان شاباً. قوياً، لكن هذا لا يهم. لو أنك بلا عقل، فلا يهم مدى قوتك اعتبر نفسك لاغيًا. لكنه كان يملك عقلاً وكان قوياً. وراء كتفيه، وظهره كانت أمّه وكان أبوه. الكى. جى. بى. ووزارة الشئون الداخلية بمكان ما بعيد عنه. لا أحد يمكن أن يفزعه آنذاك.يستطيع ضرب من يشاء فى وجهه، لكن أليك ما كان ليتحمّل ذلك، الموقف مختلف بالنسبة له.

يمكنه القول إنّ أبويه كانا ضد هذه الصداقة مع لى. قالا، إنّه أجنبى. نفضّل ألا تلتقى به" قالا إنّ ذلك قد يسبب ضرراً لمهنتيهما، وأنّهما كانا قلقين بشأن مستقبل يورى هو الآخر. ربما كانت أمّه صديقة لخروشوف، لكنها لم تعتبر نفسها محصّنة.لا يوافق يورى.أمّه وأبوه كانا قلقين جداً، لكنهما كانا رفيعى المنزلة إلى درجة أنّهما، فى الحقيقة، كانا مُحصنين. قد يؤذى سلوكه حياته الشخصية، لا حياتيهما.

بعد زواج أليك، كانت التغيرات فى هذا الأمريكى مثل الاختلاف بين الأرض والسماء. بعد الزواج، كان أوزوالد zabitiy التى تعنى واحداً يضربك، يضربك، يضربك، حتى تسقط من طولك. .zabitiy ثمّة مارينا فى وسط شقّتها تمسح الأرضيّات، تغسلها بعجيزتها عالية مثل فلاحة شديدة التواضع. هكذا يذكرها يورى بعد الزواج. تلتفت إلى أليك وتقول،" انصرف من هنا، أنت تشوش غسيلى

لكن يورى، سئل، إن كان كلاهما قد تغيرا كثيراً، فماذا أبقاهما معاً؟ من ؟" أجاب يورى. من بقى ومن أبقى ؟ هذا سؤالك. والإجابة أنّ هذه العلاقة استمرّت لأنّها أرادت الذهاب إلى أمريكا، لكن أى نوع من الزواج ؟ كان لديهما سرير واحد يمكن طيّه. من يمكنه المضاجعة فوق سرير يمكن طيّه ؟ لا حياة أسرية بالداخل، ولا حبّ. الأمر كله يعتمد على امرأتك، لو أنّ بها رغبة، ما كانت لتقتنى سريراً كهذا.لتبدّله. تلك الأمور تعتمد على زوجتك. قبل الزواج، كانت شقّة أليك برّاقة، بعده صارت كئيبة. ماذا أيضاً يمكن أن يُقال ؟" قال يورى.

من نُسخ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ ٢٦٥٨.

عن الفترة: ١١ أغسطس ١٩٦١

ل. هـ. أ: لو أنّك لا تحبيننى، إذًا كيف تعيشين معى؟ أعطيك وسأعطيك أية فرصة... ماذا تريدين؟ مرّة تقولى إنّك تريدين الرحيل، وبعدها لا تريدين الرحيل.

الزوجة: أحياناً أكون خائفة فحسب من الذهاب معك... لا أريد أن أحاول الإثبات لك أنّ كل شىء رائع، وكل شىء هناك سيئ... لو أننى هنا لا أملك شيئاً ولن أملك شيئاً، فهذا هو وطنى.

ل . هـ . أ : لن يكون لك شىء هنا، لكن هناك، سيكون عندك زوجك و كل شىء.

الزوجة: ... ماذا سأعمل هناك ؟ سأجلس بالبيت اليوم بطوله وحسب.

ل .هـ.أ: ...لكنك ستعيشين معى هناك، سيكون عندك كل شىء.

الزوجة: لا أبحث عن ميزات ماديّة. المال لايعنينى. ليس مهماً. الأكثر أهمية هو كيف تعاملنى.

ل. هـ. ا: آه، حسناً، إذًا فكل شىء تمام.

الزوجة: ليس عندى ضمانة أنّك لن تهجرنى هناك . حينئذٍ، ماذا أفعل ؟.

ل. هـ. ا: لو أنّك لا تحبينى، إذن لا تأت.

الزوجة: كلا. أخاف أن تهجرنى..أنت راحل، على أيّة حال.

ل. هـ. ا: راحل ؟!.

الزوجة: أترى، ها أنت تصرخ بالفعل، ماذا سيكون الحال فيما بعد ؟...

ل .هـ. ا: ... ماذا لديك هنا ؟ حجرة واحدة. هل هذا كثير ؟ حجرة واحدة، و حتى تلك ليست ملكنا .

الزوجة: نعيش هنا، فهى لنا.

ل. هـ. ا: هل تعتقدين أنّها ملكى ؟ لا أرى أنّها تخصنى..لا أشعر أنّها ملكى.

(وقفة)

الزوجة: أنت تعذبنى...

ل. هـ. ا: أكره الحال الّذى أنت عليه الآن. أقول شيئاً وتقولين شيئاً آخر.

(وقفة)

الزوجة: نم مطمئناً.

ل .هـ . أ: كيف أنام مطمئناً إذا كنت لا أدرى ماذا تفكّرين ؟ معك، كل شىء يعتمد على مزاجك.عليك أن تقررى طريقاً أو آخر و للأبد...

الزوجة: أبله، أنت لا تفهم شيئاً.(تقلّده). الملكية. الملكية.

ل. هـ.أ: أنت لا تفهمين هذا المفهوم من الملكيّة. أنت نفسك تجهلين ماذا تريدين. أريد الحياة هناك؛ لأنّ مستوى المعيشة مرتفع.

الزوجة : وهل كنت تظنّ أنّك لتجىء هنا دون أن تضطر للعمل و تعيش فحسب؟ لِماذا لم تدرس؟ تستطيع الدراسة، لكنك محض كسول.

ل. هـ. أ: أنت لا تفهمين شيئاً. الناس يهجرون هذه البلاد بالملايين. هنا بشر وقحون...

الزوجة: أنت تنظر إلينا من خلال نظارة غامقة.

ل. هـ. أ: أية نظارة غامقة ؟ ذلك ليس حقيقيّاً.

الزوجة: أنا، مثلاً، لا أقول أشياء رديئة عن أمريكا. فذلك ليس من الأدب... لابد أن تكون خنزيراً حقيقيّاً لتقول أشياء سيئة عن بلد لا تعرفها. وأنا لاأفعل ذلك.

ل. هـ. أ: جائز، لكن هناك ستعيشين مع زوجك. مستوى المعيشة هناك مرتفع.

الزوجة: أنت لا تعى الموقف. هناك ليس وطنى. لن أسمع صوت بشر روس يتكلّمون...

ل. هـ. أ: ... لو لديك رغبة فى الذهاب، إذا اذهبى. لو لا، إذًا لا تذهبى ...

الزوجة: لن أذهب ... أنا خائفة...حتى الآن حين يجىء إيريك و تتكلّم الإنجليزيّة، لا أستطيع تحمّلها...

ل. هـ.أ : أنت تتكلّمين مثل امرأة قروية عجوز...

الزوجة: ...لن نفهم بعضنا أبداً...

ل. هـ. أ : لو أنّك ترغبين، ستأتين !

الزوجة : لا تصرخ.

ل. هـ.أ: أنت من يدفعنى للصراخ.لستُ فظّاً معك. لقد أصبحت بذيئة و سيئة.

الزوجة : بل أنت من...

ل. هـ .أ : كلا، كنتُ مهذباً وصالحاً حين قابلتك، لكن كانت ثمّة أمور كثيرة فيك بذيئة.

الزوجة: لا أرى الأمور على هذا النحو. لم أقبّل ساشا. ما من أحد دعانى بذيئة. لم أتصرّف كالأخريات. لم يكن لدىّ أمّ لتضعنى على المسار الصحيح. مرّة فى الأسبوع، كنتُ شريرة جداً.

ل. هـ. أ: أفهم.

الزوجة: عليك فحسب أن تكون معتدلاً فى كل حاجة. لو كنت أعرف فحسب !

ل. هـ. أ: هذا الشهر الأخير تغيّرت تماماً. لا رِقة، لا شىء. لو أنّ ذلك بسبب الحمل... (لم ينه جملته) لا

أستطيع الصراخ بك أمام الآخرين، لكنك تقولين دائماً أشياء عنى بين الآخرين... ثمّ تروين حكايات خرافيّة عن كيف أنّى سأرحل، كيف أتركك، ذلك خطئى.لكن حتى مع هذا أريدك معى. أفهم أنّك على ما أنت عليه وأنّك لا تستطيعين التغير عمّا أنت عليه. (وقفة) لماذا تنئين بنفسك كى تصبحى مظلومة جداً ؟ المرأة الأكثر بؤساً فى العالم! أنت تنطقين هراءً.

الزوجة: اذهب للجحيم !.

ل. هـ. أ: آه، أنت لا تحترميننى.

الزوجة: أليك، لقد تشاجرنا كفاية. وها أنت تعاود الشجار مرّة أخرى.

ل. هـ. أ: لم يكن هذا حالك مسبقاً.

الزوجة : ولا أنت.

٣٥ : ٢٣ (هدوء. نائمان)

لتقول مارينا إنّ أليك أحبّ بصدق زوجة خالها فاليا وأنّها عرفت أنّه سيكون خبراً قاسياً على فاليا وإيليا حين يذهبان لأمريكا، لكنه كان قد قال، إياكِ والقول لأقاربك. ليس بعد

طبعاً، عرف خالها، حيث أبلغته الأورجانز بسبب منصبه.

فى بيت فاليا، قال إيليا أثناء العشاء،" ماذا عن مسألة مغادرة روسيا هذه ؟" وكان إيليا قد تلقّى فى مكتبه مكالمة خمّن؟ ابنة أختك فى طريقها لأمريكا" ويا لها من صفعة على وجهه! لطالما كانت مارينا ممتنّة

لقريبيها الطيبين، وها هى الآن فى موقف اضطرها للكذب على أسرتها. أحسّت بالقذارة. لقد خانتهما.

أحياناً، لتتساءل مارينا إن كان لى قد فكّر أنّه سيكون من الأصعب بالنسبة للأمريكيين القبض عليه إذا رجع للوطن مع زوجة وطفل. يجوز قالت له أمّه أن يُحضر أسرته الروسيّة معه، ولأن أمّه كانت قد كتبت رسائلها له باللغة الإنجليزيّة، فترى كيف يمكن لمارينا أن تعرف؟ لتعتذر للأمريكيين، سوى أنّها بالحقّ كرهت لغتهم. كانت أقل جمالاً بكثير من نظيرتها الروسيّة.

- ٩ -

بنت البستونى

١٥يوليو - ٢٠ أغسطس

عرفنا أى الاستمارات و الشهادات ضرورية من أجل التقدّم للحصول على تأشيرة - حوالى عشرون ورقة، شهادات ميلاد، صور فوتوغرافيّة، إقرارات خطيّة إلخ. فى العشرين من أغسطس، سلّمنا الأوراق، وقالوا إنّنا سننتظر ثلاثة أشهر ونصف قبل أن نعلم ما إذا كانوا سيسمحوا لنا بالرحيل أم لا. فى غضون ذلك، كان على مارينا إجراء أربع مقابلات مختلفة فى مكان عملها تولاها رؤساؤها بتوجيه من "واحد ما" عبر الهاتف. المركز الرئيسى لعُصبة الشباب الشيوعى (كومسومول) هو الآخر اتصل بخصوصها و اضطرّت للذهاب كى تلتقى بهم ساعة و نصف. الهدف (المُعلن) هو إثناؤها عن الذهاب إلى الولايات المتحدة. الأثر

النهائى : جعلتها هذه المقابلات أكثر عناداً بشأن رغبتها فى الرحيل. مارينا حُبلى، نأمل فحسب أن تجىء التأشيرات بأسرع وقت ممكن خلال حملها.

٢١ أغسطس - ٢١ سبتمبر

أقوم برحلات مُنتظرة إلى مكتب الجوازات والتأشيرات، وأيضاً إلى وزارة الشئون الخارجية فى منسك، ووزارة الشئون الداخليَة هى الأخرى، كل من لهم شأن بمنح التأشيرة...

يوم ١٠ سبتمبر، يكتب رسالة لشقيقه الأكبر روبرت، الّذى كان يتبادل معه الرسائل منذ قرر العودة إلى أمريكا.

عزيزى روبرت

حسناً، من الجلى أنّنى كنتُ متفائلاً جداً فى خطابى الأخير...

الروس يعوقوننى ويضعون بعض العراقيل فى سبيل الحصول على التأشيرات، لذا كل ما يسعنى الآن هو الانتظار. عموماً، بالنسبة لشخص روسى عادى، مُحال مغادرة الاتحاد السوفيتى لأنّه ببساطة يريد ذلك. على أيّة حال، أنا وزوجتى لدينا الإمكانيّة بسبب حقيقة أنّى ما زلت مواطناً أمريكيّاً ولدىّ جواز السفر الأمريكى...

يبدو أنّ روبرت لى يكبُر ليصير صبيّاً رائعاً وكاثى... عندها أربع سنوات فعلاً. بالكاد يبدو الأمر ممكناً. أذكر حين هاتفتنى أمّى لتقول لى إنّها ولدت،

يوم ٢١ أو ٢٢ أغسطس. (كانت جماعتى) تستعد للرحيل إلى اليابان..لقد تغيرت أمور كثيرة مُذ ذاك!...

واصل الكتابة.

شقيقك

لى

طيّه بعض مناظر منسك.

إلى: السفارة الأمريكيّة. موسكو. الاتحاد السوفيتى.

٤ أكتوبر ١٩٦١

سادتى الأعزاء

بموجب رجائى من دوائر عمل السفارة الأمريكيّة وسفير الولايات المتحدة السيد طومبسون، التصرّف بناءً على حالتى بشأن طلبى تأشيرة خروج من السلطات السوفيتيّة.

لقد تقدمت بهذا الطلب فى ٢٠ يوليو ١٩٦١ وعلى الرغم من انقضاء ثلاثة أشهر حتى الآن، إلا أننى لم أستلم هذه التأشيرة...

أعتقد أنّ ثمّة مبررًا لاستعلام رسمى، يوجّه إلى شُعبة الشئون الداخليّة، ١٥ بروسبكت ستالين، منسك ومكاتب "العناوين والجوازات" يولتسا موسكوفا، كولونيل بتراكوف، مديراً.

أيضاً، أعتقد أنّه ثمّة أهمية مضاعفة للاستعلام الرسمى، بسبب المحاولات النظاميّة المتفق عليها لبث

الذُّعر بزوجتى كى تسحب استمارة طلبها تأشيرة.لقد أبلغت السفارة بشأن تلك الحوادث التى قامت بها السلطات المحليّة بخصوص زوجتى، وقد أسفرت تلك الأحداث عن دخول زوجتى المستشفى... يوم ٢٢ أغسطس ١٩٦١ نتيجة إصابتها بالإنهاك الشديد...

أعتقد أنّه من ضمن الحقّ القانونى، ومن دور، حكومة الولايات المتحدة، والسفارة الأمريكيّة فى موسكو، أن تنظر فى هذه القضية نيابة عنى.

المُخلص جداً لكم

لى هـ. أوزوالد

لديه غريزة فى كيفية وضع موظف إدارى فوق الآخر. ولأنّه يستطيع التيقّن أنّ رسالته إلى السفارة الأمريكيّة ستقرؤها أولاً السلطات المحليّة ، فهو يتيح لهم التأمل فى عواقب شكوى رسميّة تتقدّم بها الخارجية الأمريكيّة. طبعاً، لو أنّه مشارك فى حرب أعصاب، فيمكن القول إنّ مارينا هى أول من سيعانى، و سرعان ما تقرر زيارة خالة فى خارخوف أثناء إجازة الأسابيع الثلاثة من مخزن الأدويّة.

عزيزتى مارينا

كنتُ سعيداً جداً عند استلامى رسالتك اليوم. سررت أيضاً لمعرفة أنّ كل شىء على ما يُرام معك فى بيت خالتك بولينا.

أرجو أن تلبسى جيداً لأنّ الجو شديدة البرودة هنا.

أثناء وجودك فى خارخوف، طبعاً أشعر بوحدة شديدة، لكننى أرى إيريك كثيراً وكذلك أذهب للسينما...

الطقس هنا بارد و الرياح باردة هى الأخرى.

آكل فى الكافيه الآلى بعد العمل أو فى صالة الطعام فى العمل.

حسناً، يكفى بالوقت الحاضر! أرجوكِ اكتبى! (تلقيت برقيتك أيضاً يوم الثلاثاء) .

قبلاتى لكِ

أليك

قد لا تكون رسالته فى ١٤ أكتوبر بمثل برودة الطقس لكنها يقيناً فاترة. يوم ١٨ أكتوبر، على أيّة حال، يرى مسرحيته الأوبراليّة الأثيرة بنت البستونى، وينجح بوشكين وتشايكوفسكى فى إعادته للحبّ. إنّه يدوّن حتى بعض الشذرات الروسيّة من أحد الألحان. فى الترجمة التى قدّمتها لجنة وارين، تتوالى الكلمات فى دفقات مشبوبة العاطفة.

الفصل الثانى بنت البستونى

أحبّك، أحبّك بلا حدود. لا أستطيع الحياة بدونك. أنا مستعد الآن حالاً للوفاء بعمل بطولى بشجاعة غير مسبوقة من أجل خاطرك... مستعد لإخفاء مشاعرى كى أدخل السرور لقلبك. ..مستعد لعمل أى شىء لأجل خاطرك. ..لا فقط أن أصير زوجاً بل وخادماً... أودُّ أن أصبح صديقك ونظل واحداً على

الدوام...لكن ما علّتى، كم هى متدنية ثقتك بى... أنا حزين لحزنك وأذرف الدمع لدمعك. آه، كم أنا مُعذّب لأجل هذا ـ مُتقداً بك وبكل روحى أكرر : آه يا حبيبتى ! أحبّك.

١٨ أكتوبر، ١٩٦١

عزيزتى مارينا

اليوم تلقيت هداياكِ. شكراً جزيلاً. إنّها لطيفة جداً جداً وسأتذكّر دائماً هذا اليوم.

حسناً، هل ستعودين قريباً ؟ سيسعدنى أن أراك مرّة أخرى ـ سأحبّك جداً !!

حسناً، مرّة أخرى، أشكرك لهداياك.لقد أحسنت اختيار التسجيلات والكُتب و الإطارات التى سأحتفظ بها للأبد.

أشواقى الشديدة

زوجك

أليك

تعتقد لاريسّا أنّه بغضّ النظر عن أى أحد عرفه، كانت من المحتمل الشخص الّذى ارتبط به بصورة أفضل. فى الواقع، حين غادرت مارينا لزيارة خالتها فى خارخوف، طلبت من لاريسّا أن تطل على أليك وتأخذ بالها منه.

تتذكّر أيضاً أنّ مارينا لطالما قالت إنّها تودّ الزواج من يهودى أو أجنبى. يعجز المرء عن التخلص من ماضيه، لكن ربّما كانت متاعب ماض كهذا أقل صعوبة

فى التعايش معه حين يتزوج من أجنبى. لا يهم ما سبق وجرى، لقد أحبّت مارينا، أحبّتها جداً درجة تجد معها صعوبة فى التخلّص منه. كانت مارينا امرأة صالحة جداً، لطيفة جداً، وكان لديها معرفة بارزة بالأدب. قرءا الكثير من الكُتب معاً فى شبابهما، وكانت مارينا مهتمة حرفياً بكل شىء. أدركت لاريسّا كذلك السبب وراء حبّ مارينا لليهود ورغبتها الزواج بواحد منهم، رأت كيف، بين اليهود، كانت المرأة دائماً تلقى الاحترام. لو، فى عدد قليل من الأُسر الروسيّة، تمكّنت أنت الآخر من العثور على مثل هذه المعاملة المقبولة للنساء، فذلك فحسب بين المستويات العُليا من الإنتلجنتسيا، كشقيقتها لودميلا وميشا. اليوم قالت لاريسّا، جائز مستوانا من الثقافة والتحسين فى منسك قد جرى إيقاظه بدرجة ما بين طبقتنا العاملة، لكن مارينا عاشت هنا منذ ثلاثين عاماً تقريباً، ويجوز احتكاكها بالأجانب فى ليننجراد منحها منظوراً جديداً لكيفية التعامل مع المرأة"

حين قابلت لاريسّا أليك أول مرّة على أيّة حال، كانت مرتبكة بشأن سبب اختيار مارينا له. بدا ممتقعاً، ثمّ، قضت معه بعض الوقت وأدركت أنّه يستطيع تلوين شخصيته حسب من يتعامل معه، فلو كنت مثقفاً، كان سيشعر بذلك على الفور، ولو كنت عاملاً، كان يصير أكثر تبسّطاً.

طبعاً، كان لى شخصاً مبهماً. مرّة، قالت لاريسّا لمارينا مازحة، هل هو جاسوس أمريكى؟" واكتفت

مارينا بالابتسام، لكن حين سافرت مارينا إلى خارخوف وقالت للاريسّا أنّ تتأكد من زيارته أثناء غيابها، كانت لاريسّا تذهب أحياناً وترن جرس بابه وكانت ثمّة مناسبات لم يكن لى يردّ وقتاً طويلاً، مع ذلك كانت تعرف أنّه موجود، فمن الشّارع كانت ترى نوراً من النوافذ، بعدئذٍ، كان يجىء إلى بابه ويسأل عن هوية الطارق، وفقط حين تعيّن لاريسّا هويتها كان يفتح. لطالما مازحته بسبب ذلك،" هل تخفى شيئاً بالداخل ؟ هل تبث شيئاً بالراديو ؟" و كان يبتسم.

راق لها كفاية، لكنه كان غريباً. كانت رفقتها بهما فى شقّة مارينا ولى قد تمتد حتى المساء، مع ذلك كان يقول فى العاشرة مساءً، أشعر بالتعب. يغلبنى النعاس "كان ذلك سلوكاً غير مقبول فى منسك. لينهض ولينهض الآخرون، لكنه يقول، ليليا، ابق معنا أكثر قليلاً وبعد مغادرة الآخرين، كانت تظل هى ومارينا تتابعان الكلام. حينئذٍ، يقول،" الآن، سنصطحبك للبيت ويلبس هو ومارينا معطفيهما ويمشيان مع لاريسّا إلى بيتها. لكنها مضطرة للقول إنّه فى وجود رفقة، لطالما أظهر الاحترام لمارينا، كان مُخلصاً، ولو كان لى ضايقها لتنظّف شقّتهما أكثر، فهى لم تسمع ذلك أبداً. فضلاً عن أنّ شقّتهما كانت نظيفة. كل شىء كان نظيفاً، وكانت مارينا دائبة الحركة تمسح بخرقة طيلة الوقت. كانت أمّاً استثنائيّة وزوجة رائعة. كان لى يريدها أن تستعمل فُرشة بدلاً من الخرقة أثناء غسيل الصحون، لكن تلك كانت نقطة خلافهما الوحيدة الأخرى.

تعتقد أنّه كان يغار من زوجته؛ لأنّها كانت تبتزه جسدياً وكانت عامرة بالحياة ومثيرة للاهتمام. طبعاً، كان مهووساً بالتملّك، وكان يضايقه حتى إن خرجت مارينا للتمشيّة بمفردها.

٢٢ أكتوبر ١٩٦١

فتاتى الحبيبة !

تلقيت اليوم بطاقتك البريديّة، شكراً لك يا عزيزتى، أنا أكره فحسب كلامك أنّ تشعرى أنك ستفقديننى.. لن تفقدينى أبداً و هذا كل شىء !

اليوم أيضاً تلقيت رسالة من أمّى التى أرسلت لى كُتباً عديدة، وهى تخبرنى أيضاً ضرورة تعلّمك اللغة الإنجليزيّة..

كتبت لها رداً قلت لها فيه أنّك لا ترغبين فى تعلّمها،... وأرسلت لها تحياتك..

ألن يمكنك إخبارى متى ستعودين.. أخبرينى مبكراً قدر استطاعتك.. الطقس هنا بارد وماطر..

وبخصوص شئوننا الشخصيّة: رّحتُ لكنهم يقولون، ما من ردّ بعد

لكن الأمور على ما يرام، ستعودين للبيت قريباً.. سيكون أمراً طيباً أن أكون معك.. يسرنى أن الطفل نشيط جداً، ذلك أمرٌ طيب..

حسناً، أشواقى الشديدة، واصلى الكتابة

زوجك

أليك

في غضون ذلك في خارخوف، فشلت مارينا في الكفّ عن التفكير بفاليا وإيليا،. كانا يحاولان إقناعها، لم يكونا راغبين في سفرها إلى أمريكا، بل أخبرتها فاليا حتى أنّه سيكون أمراً سيئاً جداً بالنسبة لإيليا، لم تكن مارينا على أيّة حال واثقة من هذا الأمر،. كانت الأوقات تتغيّر، وكانت فحسب ابنة أخت إيليا،. الآن، مع نيكيتا خروشوف، كان الشباب يؤمنون بالحريّة،. ليست سنة ١٩٤٥ ليس عهد ستالين،. ما كانوا يمضون إلى مقاضاة إيليا؛ لأنّ ابنة أخته سافرت إلى أمريكا فحسب،. طبعاً، قد لا يرقونه في وظيفته، أخبرتها فاليا أنّ إيليا كان يشتغل بإخلاص كل حياته من أجل معاش تقاعده. قد ينكرون عليه ذلك، قالت فاليا،" لا سمح الله، ماذا لو أرسلونا إلى سيبيريا؟"

كانت شقيقة إيليا الخالة لايوبا منزعجة هي الأخرى، فعموماً، كانت تشتغل في وزارة الشئون الداخليّة بوصفها كاتبة حسابات، قد تتعرّض وظيفتها للخطر كذلك،. ومع أنّ فاليا لم توبّخ مارينا قطّ ـ بل فتحت كروتها فحسب ونشرتهم،" لعلمك" قالت،" أنت تمسكين بأرواحنا في يديك، قد يكون الذهاب إلى أمريكا وهماً "،. لقد خرجت مارينا من هذا الحوار بعبء ثقيل،. ماذا عليها أن تفعل؟ لم تكن لا فظّة ولاعاقة، لكنهم كانوا يضعون قراراً ثقيلاً فوق كاهلها،. لم يكن وهماً، قررت،. لم تكن خاضعة للنزوات،.

هكذا، إذًا، عند التفكير بشأن ذلك الآن في خارخوف، لتنتهز الفرصة،. ستكون فاليا وإيليا على ما

يرام، لن تدمر أسرتها.. مع ذلك كانت حتى خالتها بولينا، فى خارخوف، تنصحها بألا تذهب إلى أمريكا.. قالت بولينا،" ابق فى روسيا لنفع الجميع ومتى خرجت مارينا للتمشيّة مع ابن بولينا، لتكون شديدة الحزن فى حركاتها إلى درجة أن صار مشغولاً بأنّها ربما تقع من طولها.. كان صبياً صغيراً محبباً للنفس، وقد أحبّها، وقال،" مارينا، لا تلق بالاً لأمّى،. افعلى ما تجدينه صواباً فى قلبك".

عادت للعمل عقب تلك الأسابيع الثلاثة فى خارخوف، لكن الأوضاع ساءت،.

٢ نوفمبر

تعود مارينا مُشعَة بالبهجة، تحمل مرطبانات عديدة من المحفوظات لأجلى من خالتها فى خارخوف،.

القسم السابع

أبوّة وأمومة

ـ ١ ـ

قسوة لكن حكيمة

فى الشهور الأخيرة من حمل مارينا، صار لى حَذِراً. لقد قال كتاب د. سبوك: إياك و ممارسة الحُبّ متى بلغ الحمل شهراً مُعيناً ـ الآن، تعجز عن تذكّر أى شهر. كان لى حمائيّاً، شديد الحمائيّة لطفلهما الّذى لم يولد بعد، وحنوناً، شديد الحنان، درجة كان يقيس بطنها و يدللها.

لم تكن قد أبانت شيئاً فترة طويلة، محض انتفاخ خفيف، وسألها يوماً، هل أنت واثقة أنّك حُبلى ؟" كان خائفاً أن يكون طفلهما ضئيلاً جداً، سوى أنّه كان مُثاراً حين سمع نبضة قلبه أول مرّة ـ لحظة هادئة رائعة، ولقد أحبّ وضع أذنه فوق بطنها و الإصغاء.

طوال فترة زواجهما، تقول، شيئاً فشيئاً، يجوز تحسّنت علاقتهما الحميميّة، شىء واحد ما كانت

لتسمح به ـ ماذا تسميها؟- حين يبوس الناس القدم ـ ولع ؟" لم يسبق لها أن سمعت شيئاً شبيهاً أو حتى قرأت عنه، ما كانت لتسمح للرجال بذلك، سوى أنّ لى لم يكن منحرفاً بتلك الطريقة. كان لطيفاً، وحين كانت تتخشّب قدماها فى الشهور الأخيرة من الحمل، كان لى يدلّكهما. وبعدها، كان شديد الودّ بشأن بعض علامات التمدد التى أصابتها بعد ميلاد جون، لينظرَ إلى طفلتيهما ويقول، لقد فعلت أمّك كل هذا لأجلك" وكان يلاطف علامات التمدد هذه ويقبلها، لكن طبعاً، لم تكن تلك العلامات بهذا السوء، ولا بلغت هى درجة كبيرة من السمنة.

الآن، فى الليل، فى شقّتهما الصغيرة، مع مجىء الشتاء، يكتب فى مُفكّرة؛ لأنّهما كانا فى طريقهما للسفر إلى أمريكا، فقد شرع فى كتابة دفتر يوميات، وعلى مدى ليلتين كتب كثيراً جداً درجة أن سألته فى النهاية إن كان جاسوساً. حتى ذلك الحين، كانت قد حاولت احترام خصوصيته، لم تظن الزواج مكاناً يخنق فيه الواحد الآخر، فالناس ضرورى يكون لها حياتها الخاصة، لكنها كانت فضوليّة، فسألته عمّا كان يكتب، وأخبرها أنّها كانت مذكّراته عن الحياة الروسيّة، فقالت،" هل أنت واثق أنّك لست جاسوساً؟" وقال، ماذا إن كُنت؟" محدِّقاً بها، وأردف، ماذا تفعلين لو أنّنى جاسوس؟" كانت حقّاً تجهل، وقد شرعت تفكّر، وحين رأى كم بدت قلقة، قال، لا تقلقى. كنت أمزح. لستُ جاسوساً" فوثقت به. مع ذلك، يمكنها رؤية كم

هـو من المـمكن أن يـكون جـاسـوسـاً. من يمـكنه مـحبّـة الاتحـاد السـوفيـتى؟ كانت تـكرهه.ما من إعـجاب على الإطلاق. لِـماذا، كـانت حـتـى تـدّخن سـجـائـر بيـلامـور، احـتـجـاجـهـا الخـاص.يمـكـنـهـا أن تـشـرح: كـانت قـنـاة بيلامورسكى قد شُـقّها السـجـنـاء السيـاسـيون، الـذين دُفِنت عظـامهم على ضفتى القناة، وفيما بعد، أطلقوا اسم بيلامور على أحد السجائر، وقد رأى فيها الناس تذكاراً رمزيّاً لكل العظام التى دُفِنت أثناء عهد ستالين. إنجاز اقتصادى هائل ـ عظام كثيرة دُفنت هناك. كان نظـامـنـا يـسـتوجب قـراءة مـا بـين الـسـطـور، وقـد عـرف الـنـاس مـا كـان يـجـرى حـتـى وإن عـجـزوا عن الـكلام. شعرنا بالتكافل مع من دُفِنوا قرب قناة بيلامورسكى. وحتى الآن، لن يتحوّل الناس، حتى الآن، بيلامور ليست محض سـجـائـر، وإذا اشـتـريتها فـكـأنّك تـقول،" شـكـراً ياأخى. لـقد مُتّ، لـكننى أسـاندك" لـذا يـضحك الـروس حـين يدخنون بـيلامـور، يقـولون، ربّـاه، كل شـىء أنـشـئ فى روسيا فوق جثث الموتى، أنت تعلم ذلك؟"

واصل لى الكتابة فى دفاتره، أحياناً ليسألها عن معنى كلمة روسيّة، لا أنّه كان يكتب صفحات كثيرة، حسبما تذكر، بل كان دفتراً صغيراً وربما كان يكتب فيه مرّتين أسبوعيّاً، وأحيـانـاً ثلاثـة أيام متـتـاليـة، وأحيـانـاً ينقطع عن الكتابة ثلاثة أسابيع. عقب شهور عديدة، لابد أنّها بلغت حوالى خمسين صفحة.

أحسّت بـالنـبـذ فى الـعمل، عـلـى أيّة حـال، فـكـانت حـين تـدخـل حـجـرة، تـسـكت الأخـريـات، وكـأنـهـنّ كُن

يتكلّمن عنها. ولم تكن مدعوة لتناول الغداء معهم على الإطلاق.

١ نوفمبر ١٩٦١

سادتى الأعزّاء

... فيما يتعلّق بطلبى أنا وزوجتى تأشيرتى خروج، لم نمنح إياها حتى الآن ولم نتلق ردّاً على طلبنا، رغم تكرار ذهابى للمسئولين فى منسك... لقد أخفقوا فى الحصول على أيّة نتائج ويتابعون محاولة إعاقة زوجتى بخصوص طلبها.

فى المستقبل، سأواصل إبلاغ السفارة بكل ما يستجد...

ويواصل إصابة الكى. جى. بى بالهياج عبر رسائله إلى شقيقه

١ نوفمبر ١٩٦١

عزيزى روبرت

... سمعنا عبر الراديو اليوم أنّ الحكومة الروسيّة الحالية قد قررت نقل جثمان ستالين من ساحة الميدان الأحمر. هذه أنباء كبرى هنا و هو أمر طريف جداً بالنسبة إلىَّ... حين أصغى للراديو أو بعض المفوضين السياسيين لدينا هنا، أفكّر دائماً فى رواية جورج أورويل ١٩٨٤ التى فيها "الإيمان بفكرتين متناقضتين" هو طريقة حياة أيضاً.

على أيّة حال، كل شىء هنا مشوّق جداً، والناس عموماً بسطاء ولطفاء.

حسناً، هذه تقريباً كل الأنباء من منسك.

شقيقك

لى

نوفمبر - ديسمبر

الآن، صرنا منزعجين بشأن التأخير. مارينا تشرع بالاضطراب فيما يتعلّق بالسفر للولايات المتحدة. ربما بسبب التوتر كونها حُبلى. مع ذلك، نتشاجر ولاتبدو الأحوال مبهجة جداً، خصوصاً، مع اقتراب الشتاء الروسى القارس.

لم تشأ الزواج من شاب روسى؛ لأنّه كان مقبولاً بنسبة ٩٩ بالمائة منهم، أن تنتهى المرأة بالضرب من رجلها ـ صفعاً أو ضرباً على أيّة حال. الآن، بغتة، هنا كانت متزوجة من أجنبى كان يشرع فى التحكم بها جسدياً.

فى روسيا، لتخبرك النساء، بعد شهر العسل، لاتدعى زوجك يسود. ما يجرى فى البدايات يستمر حتى النهاية . لذا هى ولى كلاهما صمد فى مكانه، ليتجادلا ويصفقا الأبواب، لكن أتى يوم ضربها فيه، وأصابها خجل كبير. هجرت لى وراحت إلى زوجة خالها.لا تذكر سبب الشجار، لكنها فكّرت، لن أتقبّل ذلك". مشيت.كان لى قد صفعها بكفٍّ مفتوحة على خدّها، وقد مضت ودقّت باب فاليا ـ كان الوقت متأخراً ليلاً.سألت زوجة خالها،" من بالباب ؟" وحين قالت مارينا، هل يمكننى الدخول ؟" قالت فاليا،" هل

أنت بمفردك؟" حينئذٍ سمعت مارينا خالها إيليا يقول، أخبرى مارينا أن ترجع لبيتها". ساعتها قاومت زوجة خالها إيليا، وسمحت لمارينا بالدخول. قال خالها، "هذه أول و آخر مرّة تأتين إلى هنا بعد أن تتشاجرى مع زوجك. تعاليا معًا بعد أن تسويّا أموركما، لكن لاتأتِ إلى هنا بمفردك. لو تريدان زواجاً، حُلا مشاكلكما. إياكِ وزيارة هذا المكان بكل مرّة تواجهين فيها مشكلة". طوال الوقت، كانت تحسبه عديم الشعور، لكن الآن تقول إنّه كان محقّاً. كان إيليا قاسياً لكن حكيماً.

حين رجعت للبيت فى اليوم التالى، قال لى إنّ ماسبق وجرى لن يتكرر أبداً، وأنّه آسف، لكنها تذكّرت كيف قبل أن يصير عنيفاً فحسب، شحب لونه وخلت عيناهُ من التعبير وكأنّه يحدّق بها من مسافة سحيقة.

فى منسك، ضربها ثلاث أو أربع مرّات فحسب، وهو ما لم تجده مهيناً فى روسيا، بل دوام تنصّت الكى. جى. بى. على أى شىء يفعلانه، ثمّ تدخّل المباحث الفيدرالية الأمريكيّة فى تصرفاتهما بأمريكا.الآن، كان عليها شرح حياتها للصحفيين مرّة أخرى. وهكذا، من كان يستحق ذلك. ولِماذا؟ لماذا تضطر لشرح نفسها لأى أحد؟ لم تكن تشأ الكلام عن ضرب أليك لها، لأنّه يضعه بموضع سيئ. كيف يمكنه الدفاع عن نفسه فى جريمة لا تعتقد أنّه ارتكبها إذا كان لدى الناس تصوّر له وهو يضربها ؟.

من تقرير الاستخبارات السوفيتيّة

أثناء مقابلة فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦١ أوضح السيد بروساكوف، إ.ف.، أنّه قد تكلّم مرّتين فى غضون هذه الفترة مؤخراً مع ابنة أخته مارينا و زوجها أوزوالد، ل.هـ.

بوصفه قريباً لزوجة أوزوالد، عبّر بروساكوف عن رأيه أنّ قرار أوزوالد العودة إلى أمريكا قد يتبين خطؤه. تكلّم معه بروساكوف عن تعقيدات الموقف الدولى، كذلك عن إمكانيّة تجنيده بالجيش الأمريكى، ومتاعب العثور على عمل فى أمريكا، تماماً كإمكانيّة القبض عليه هناك. وقد شرح أوزوالد لبروساكوف أنّه نادراً ما يُفكّر بأنّه سيجرى استدعاؤه للخدمة العسكريّة لأنّه بالفعل أدى خدمته... وفيما يتعلق باحتمال القبض عليه ـ فإنّه لا يظن أن موظفى السفارة يكذبون عليه. ومع ذلك، وعد أوزوالد بالتفكير مليّاً بكل تلك العقبات المتعلقة برجوعه إلى أمريكا.

مع مواصلة بروساكوف الشرح أكثر، حاول أيضاً إقناع ابنة أخته مارينا أنّه من غير الملائم السفر إلى أمريكا.تأثير مُشابه على مارينا اضطلعت به خالتها بولينا التى تعيش فى خارخوف. ونتيجة لهذه المحادثات، قرر بروساكوف أنّ مارينا لا يبدو أنّها ستسافر. على أيّة حال، كانت مشغولة البال جداً بكيفية متابعة حياتها ولديها طفل من أوزوالد.

وعد بروساكوف بمواصلة العمل على إقناع أوزوالد وزوجته لتبديل رأيهما بشأن السفر إلى أمريكا، ولم يتذكّر بروساكوف أية لحظات مثيرة للشكّ فى سلوك أوزوالد.

٢٣ نوفمبر

الأمّ العزيزة

تلقيتُ اليوم هديتك الرائعة، كم أنا مندهشة لتخمينك ذوقى فى اللون والخامة.

الجو هنا الآن بارد لذا فدثارك الصوف سيكون مفيداً جداً.

من اللطيف جداً الإحساس أنّك مجاملة معى، أكثر حتى مما مع لى، سأذكر دائماً هديتك كعلامة على صداقتك.

آمل ألا تقلقى بشأننا. يجب ألا تنزعجى بخصوصنا جداً.

لم يسبق لى أن رأيتك أبداً (عدا بصورة فوتوغرافيّة) سوى أنّ لدىّ عاطفة كبيرة تجاهك بالفعل.

آمل أن تكونى دائماً بصحّة جيدة، وأشكرك مرّة أخرى على الهدية اللطيفة.

مارينا

(كتبته لها لكن بكلماتها ـ لى)

ـ ٢ ـ

ذعر أسفرت عنه قنبلة

في الكرونولوجيا التي احتفظت بها الكي. جي. بي. استغاث أوزوالد في ٦ ديسمبر بالسيناتور الأمريكي جون تاور ليساعده في العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة" ما يلي ترجمة عن الترجمة الروسيّة لخطاب أوزوالد سنة ١٩٦١.

من المراقبة البريديّة للكي. جي. بي.

سيناتور جون ج. تاور

مبنى مجلس الشيوخ. واشنطن دي.سي.

لي أوزوالد

منسك

شارع كالينيا ٤ ـ ٢٤

عزيزي السيناتور تاور!

اسمى أوزوالد. حين جئتُ للاتحاد السوفيتى، قدّمت وثائق أنّنى كنتُ مواطناً بالولايات المتحدة، وأنّنى جئت للاتحاد السوفيتى بصفة مؤقتة. و السفارة الأمريكيّة فى موسكو على دراية بحالتى.

منذ يوليو ١٩٦٠وأنا أحاول دون نجاح الحصول على تأشيرة خروج للسفر إلى الولايات المتحدة لكن السلطات السوفيتيّة ترفض السماح لى ولزوجتى الروسيّة بالخروج...

أنا مواطن أمريكى (جواز سفر نمرة ن. ١٧٣٣٢٤٢، ١٩٥٩وأطلب منكم مساعدتى، لأنّ السلطات السوفيتيّة تحتجزنى ضد إرادتى.

وافر الاحترام

لى أوزوالد

ربّما آن الوقت لاستخبارات الكى. جى. بى. المضادة كى تجرّد نفسها من شخص يمكنه بسهولة اختلاق حدث دولى وإسهامه ضئيل جداً فى العمل، أو هكذا قال تقرير فى ١١ ديسمبر ١٩٦١، أرسل إلى شُعبة ميليشيا مدينة منسك من مدير المصنع ورئيس قسم دائرة الموظفين.

لى هارفى أوزوالد...أُستأجر كمنظِّم فى الورشة التجريبيّة بهذا المصنع فى ١٣ يناير ١٩٦٠

أثناء عمله كمنظّم كان أداؤه غير مُرض. ولا يكشف عن مبادرة لتحسين مهاراته كمنظِّم.

يتصرّف المواطن لى هارفى أوزوالد بحساسية مفرطة حيال ملاحظات كبير العمّال، وهو لا مبال فى

عمله. لا يشارك المواطن ل. هـ. أوزوالد فى الحياة الاجتماعيّة بورشتنا ويحتفظ بالكثير لنفسه.

فى مصنع أفق، كانت كاتيا التى تعمل بآخر الممشى من أليك، قد لاحظت أنّه كان يتدنى أقل فأقل كعامل. وأكثر وأكثر زيادة، كان يقعد وقدمه ممدودة فوق الطاولة، وفى غياب وجود طاولة كان يضع قدمه فوق كرسى، وقد قرر زملاؤه العمّال أنّها ثقافة أمريكيّة.

يقولون له، أليك، لماذا تجىء هنا وتنام ؟ لا نزال صباحاً وليجيب، لقد مارست الحبّ بكثرة، لذا أنعس الآن

"قد يكون يقول ذلك على سبيل المزاح قالت كاتيا، لكنه لم يكن يُمثّل أهميةً لى

خطوة بخطوة، كفّ المحيطون عن الفضول بشأنه. مرّة أو اثنتان، بعد استدعاء أليك للمكتب للتوبيخ، كان يرجع إلى طاولة العمل خاصته ويقول، " سأكتب مذكّراتى كيف أذكر الاتحاد السوفيتى

ما من أحد استجاب، وقد فكّر الجميع، تُرى ماذا سيكتب إن كان يعجز عن الكلام كما ينبغى ؟"كان من الأفضل الإبقاء على مسافة تفصلهم عنه، فتُرى كيف يمكنك معرفة ما يدور برأسه ؟.

١٤ديسمبر١٩٦١

عزيزى روبرت

تلقيتُ اليوم خطابك المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر.

قبل أى شىء، أستطيع التأكيد (أنّنى) لم أتلق أيّة رسائل تضم أسئلة معينة . من المحتمل أن يكونوا قد دمرّوها...

آمل أن تتلقى طردنا المتواضع بحلول الكريسماس، فقد عملت مارينا بمناديل المائدة تلك على مدى أسبوعين كاملين...

أسطح المنازل مُغطّاة بالثلج، لكن أشجار الصنوبر تقف صامدة مخضرّة. النهر القريب من عمارتنا السكنيّة متجمّد الآن. عندنا منظر بالغ الروعة من نوافذ طابقنا الرابع.

حسناً، هذا تقريباً كل شىء الآن. مارينا ترسل لكم مودّتها. واصل الكتابة.

لى

بعد أن ملأت كل ورقة، كل استمارة من الاستمارات الكثيرة المطلوبة لسفرها إلى أمريكا، وبعد كل تلك الأسابيع التى مضت، ومن ثمّ كل تلك الشهور من أغسطس إلى ديسمبر، جاءت مكالمة تليفونيّة لها أخيراً حين كانت فى العمل. قيل لمارينا أن تتجه إلى مبنى الحكومة الرئيسى فى شارع لينين، حيث تقبع وزارة الشئون الداخليّة والكى. جى. بى.

ذهبت من شارع جانبى ونزلت للطابق السفلى. هناك كان رجل واحد فى الغرفة، كان "رمادى الرأس، كان ذا سلطة . طويل، سوى أنّها لا تذكر وجهه. محض أنّه كان بالزى الرسمى، كما لا تتذكّر ما إذا كان

ناداها مارينا أم مدام أوزوالد، لكنه قال،" أنا هنا كى أتكلّم معك بخصوص أوراقك. أنت متقدمة للسفر للولايات المتحدة" . قالت له إنّ ذلك صحيح، فأردف،" لا يجب أن تخافى. هذا ليس استجواباً. أنا أريدُ فحسب الكلام معك للتعرّف على دافعك لمغادرة هذه البلاد. أريد أن أسأل بعض الأسئلة. كما تعرفين" قال،" لن يُقبض عليك أو أى شىء. إنّها فقط إجراءات طبيعية ثمّ سألها، هل ثمّة أى سبب سياسى ؟ هل لديك أى شىء ضد هذه البلاد ؟ هل تخالفين الرأى حيال شىء ما ؟"

قالت،" كلا. سببى هو أنّنى متزوجة من أمريكى وهو سيعود لوطنه وأنا زوجته. ذلك هو دافعى الوحيد للسفر. هذا كل ما هنالك

قال،" هل ثمّة طريقة أستطيع بها حثّك على عدم المغادرة ؟لأنّ مثل هذا التصرّف سيعرض سُمعة من تعملين معهم وأقاربك للخطر

نهضت من عثرتها هنا، وقالت،" ليس لدى خالى ما يفعله حيال هذا الأمر، فهو لم يكن يوافق على تلك الزيجة. لقد وافق فحسب؛ لأنّ زوجى أخبره أنّه لايستطيع العودة إلى أمريكا. هكذا فهم خالى أنّنى لن أرحل. الآن، زوجى لديه فرصة للرجوع، و"أضافت، لست مسافرة لأى سبب سياسى

قلّب الأمر على وجهيه ثمّ، أغلق ملفه على كل أوراقه وقال، لو أنّ هذا ما تظنين، فذلك ما عليك عمله"

وأثناء فتحه الباب لها، قال ـ وتذكر هنا أنّه ناداها باسمها الأول ـ أنا لا أتكلّم معك الآن كموظّف يا مارينا. أنظرى لشعرى ـ لقد حضرت الحرب. أنت شابّة، قد تكونين بمقام حفيدتى. أنا أتكلّم معك بصرامة بوصفى رجلاً، تُرى كيف تعرفين أنّ أحسن أحوالك ليست هنا؟ لا تستطيعين ضمان استمرار زواجك على ما يُرام. أنت تقومين بوثبة ضخمة، لو أنّ زواجك لم ينجح، فالعودة ليست سهلة. ستكونين بمفردك تماماً. فكّرى بهذا الشأن حين تعودين للبيت الآن. أنا أتكلّم معك بوصفى جِداً، والقرار يرجع لك"

وقد فكّرت.أثناء عودتها للبيت أدارت الأمر كثيراً برأسها. كان رجلاً لطيفاً، ولم ينقلب إلى وجهه الشرير، بل تكلّم معها بوصفه إنسانًا آخر. حين أخبرت لى، كلمة كلمة، بما جرى، قال "لا أعتقد أننا سنواجه أية متاعب. تبدو الأضواء خضراء

كانا قد قطعا شوطاً طويلاً. حتى حين عرض لى عليها الزواج لم يدر بخلدها أنّهم سيسمحون لهما بالزواج، لقد جرت مياه كثيرة بالنهر سريعاً.

٢٥ ديسمبر

يوم رأس السنة، الثُّلاثاء.

استدعيت مارينا إلى مكتب الجوازات والتأشيرات. قيل لها أنّنا سنمنح تأشيرات الخروج السوفيتيَة... عظيم (أعتقد)! نقضى ليلة عشيّة رأس السنة عند آل زيجر ويحضر حفل عشاء عند منتصف الليل ستة أشخاص آخرون.

الآن وصل إيجور وستيبان لتقييمهما لأوزوالد: كان شخصاً يمكن أن تدعوه عاطفياً. تجلّى ذلك فى المشاجرات التى نشأت بينه وبين زوجته، مع أنّ تلك المشاجرات كانت تفضى إلى جولات قصيرة. من جانب آخر، لم يتورّط أوزوالد أبداً فى تصرّفات عنف مشهود. فى الواقع، حرر مدير ميليشيا الشئون الداخليّة وثيقة رسميّة للكى. جى. بى. تقول إنّ أوزوالد لم يلاحظ أبداً فى أى شكل من أشكال قاطعى الطُرق. تباعاً، حين استبعدت مارينا من الكومسومول، فذلك لأنّها أُعتبرت حصوة: فقد دخلت مُكرهة دون رغبة شخصيّة، ولم تضطلع بأية مشاركة فى الحياة التنظيميّة.

بالإضافة إلى أنّ رحلات صيد أوزوالد لم تسبب متاعب للاستخبارات المضادة. كان قد خرج فى مناسبات عديدة، وحسب مصادرهم، كان صياداً ضعيفاً وقد عاد دون صيد. لم يحاول البتّة عزل نفسه عن مجموعته، ولا حاول أبداً الاقتراب من مواقع صناعيّة فى الغابة، ولا ارتكب أفعالاً مثيرة للشكّ. كانت تساؤلات الكى. جى. بى. بهذا الصدد، بالتالى، قد هدأت، فأوزوالد ذهب حتى دون كاميرته. لو كان اصطحبها معه، لكانوا قد ألقوا نظرة لحسم ما إذا كان اقترب من تلك المعسكرات كى يلتقط صوراً، لكنه لم يحضرها حتّى. أخيراً، كان قد باع بندقيته فى الثانى من يناير عام ١٩٦٢ تقريباً بعد عام ونصف من شرائها، تحمل البندقية رقماً مسلسلاً ٦٤٦٢١

هكذا، استنتجت الأورجانز أنّهم قد يسمحون هم أيضاً لأوزوالد بالعودة إلى أمريكا.حمل ثقيل سينزاح عن كاهلهم، فعموماً، قد يحاول أوزوالد على الدوام الانتحار مرّة أخرى، وقد ينجح بالمرّة التالية، وحينها ستنشأ دعاية من النوع الأكثر ترويعاً.

لذا، عند نهاية العام، اتخذ قرار أنّه قد تمّ تكديس كمّ كاف من المادة لاستنتاج أنّ أوزوالد لم يكن عميل استخبارات أجنبى. طبعاً، ليبقوه، لا يزال، تحت المراقبة، فلا يمكن التأكّد تماماً، بعضُ الجواسيس شديدى الحذر درجة أنّك قد تراقبهم سنوات دون أن يرتكبوا أخطاء، وأخيراً، يقترفون خطأً واحداً. فليس من المهنيّة، بالتالى، بلوغ نتائج سريعة. الآن وقد قرر أوزوالد مغادرة الاتحاد السوفيتى، على أيّة حال، فقد قرروا بعد تحليل كل ما لديهم مرّة أخرى، أنّه خلال العام ونصف التى قضاها فى منسك، ما من دليل أنّه كان عميلاً ناشطاً بأية خدمة استخباراتيّة.

كان لديهم، على أيّة حال، ذُعر وحيد.فزع متطرّف. كان مراقبهم، أثناء نظره عبر ثقبهم بالشقة المجاورة لأوزوالد، قد رأى نشاطاً ما مثيراً للشبهات. هل كان أوزوالد يصنع قنبلة ؟ بدا وكأنه يضع باروداً وشظايا معدنيّة فى صندوق صغير، قد يُقال إنّه كان حدث آخر الليل بالنسبة إليهم: فخروشوف كان سيزور منسك فى يناير !.

تساءل الصحفيون ما إذا كانت شقّة أوزوالد قد أُقتحمت أثناء غيابهما هو ومارينا فى العمل، سوى أنّ

الردود لم تكن حاسمة.ليكتفى ستيبان بالقول إنّ حيلة أوزوالد تبين أنّها كانت دمية ما.شكل من المفرقعات الناريّة، جائز؟. هزّ كتفيه. كانت لا شىء، كلام فارغ. لقد رمى أوزوالد هذه الدمية بعدها بيوم أو يومين. كانوا قادرين، حسب كلام ستيبان، على اختبارها فى سلّة نفايات العمارة السكنيّة. بعدئذٍ، فى يناير، قبل زيارة خروشوف، باع أوزوالد حتى بندقيته نظير ١٨ روبلاً، فى المتجر ذاته الّذى اشتراها منه. عموماً، كان قد تسبب بصدمة للمراقبة حين ركب حافلة ممسكاً ببندقيته، لكنهم لاحظوا بعدها أنّه كان فحسب فى طريقه لبيع السلاح. ضجّة ضخمة على لا شىء.

لو أنّ أوزوالد كان قد اختار البقاء فى منسك خمس سنوات، أو ربما عشر، لكان بقى تحت المراقبة العرضيّة، التى تتم دون كلام، فالمرء لا يتخلى عن كل أسلحته مرّة واحدة، لكن دميّة القنبلة هذه لم تحمل لهم دِلالة كبيرة. فى حين فى أواخر يوليو، حين اتجه لسفارته فى موسكو للحصول على تصريح للعودة إلى أمريكا ـ لِماذا، حينئذٍ واصلوا من غير ريب مراقبة حركاته. فلو أنّه اختارَ ألا يتابع مواصلة إجراءات عودته للوطن، لكان عليهم افتراض أنّها كانت ذريعة لتمكينه من زيارة سفارته لتلقى التعليمات.

الآن، ما من خيار مناسب لديهم إلا السماح له بالمغادرة. أن يبقوا عليه داخل الاتحاد السوفيتى قد يستلزم منهم الإثبات للرأى العالمى أنّ لديهم أسباباً قويّة. لو أنّ بين أيديهم دليلاً على التجسس، لكانوا

قرروا وضعه فى السجن وإدارة استجواب رسمى، لكن ما من دليل كهذا موجود.

رجوعاً للصيف الأخير، حين طلب أوزوالد أول مرّة تصريح تأشيرة خروج، بالتالى، لم يكن ستيبان مضطراً لاستغراق وقت طويل فى التفكير. كان ملفاً عرفه كأصابع يده الخمسة، إلى درجة أنّه يمكنك إيقاظه بعد منتصف الليل بثلاث ساعات وسؤاله ما تشاء ـ وسيخبرك ستيبان كل ما تريد بخصوصه. لذا، كان ردّه بالإيجاب. يمكن لأوزوالد الرحيل. لااعتراضات. صار ليخوى عاملاً سلبيّاً ـ لا مبادئ شيوعيّة، ولا شاء العمل ولا الدراسة. لفترة، دار بخلدهم أنّه كان يُكيّف نفسه، درجة أنّ تسامحوا معه ببعض الأمور، ليس الآن، دعه يعود للديار. خلاص مناسب.

طبعاً، يقول ستيبان إنّ الكى. جى. بى. ليست الجهة المخولة بمنح تصريح رسمى بالمغادرة، يمكنهم القول فحسب، لا اعتراضات، وإرسال تلك الورقة إلى OVIR فرع وزارة الشئون الداخليّة الّذى يتمتع ببروتوكول خاص لمنح التأشيرات. و OVIR ليرسل تلك الأوراق إلى موسكو، حيث يجىء القرار النهائى. ذلك هو سبب استغراق الأمر كل تلك الشهور.

ستكون ثمّة مراقبة بالشارع مع ذلك لأوزوالد من حين لآخر، ونُسخ دوريّة لمشاجراته مع مارينا، لكن ستيبان لن يعود كثيراً ليكون راوينا، ليس قبل نوفمبر ١٩٦٣ حين ستقع حوادث لا تُصدّق فى دالاس

واستدعاء ستيبان إلى مركز موسكو. سيكون هذا يوماً مشهوداً فى حياته. حتى ذلك الحين، سيعمل بقضايا أخرى، وقبل أن نتركه مؤقتّاً، على أيّة حال، سيكون من المهم إيلاء بعض الانتباه للشئون اليومية فى حياته، فقد كان لديه، على العموم، نوع من الحياة المقيدة التى لكان فولبير يستمتع بتصويرها.

ـ ٣ ـ

الصبى الصالح، الرجل الصالح

كان والدا ستيبان فلاحين فقيرين اشتغلا فى مزرعة جماعيّة صغيرة فى منطقة الجوميل فى بيلاروسيا، لكن ستيبان الّذى بدأ المدرسة فى سن السابعة، كان دائماً طالباً ممتازاً.

ولأنّه فكّر بدرجة عالية فى مدرسيه، فقد شرع يحلم فى سِن مبكرة أن يصير هو نفسه مُعلماً. كان جيداً جداً فى الرياضيات، ومجتهداً فى دراسته. فى الغالب، كان يجىء إلى المدرسة قبل بدء الحصص، ولو عجز أى عدد من الطلاب عن أداء فروضهم المدرسية، كانوا يجيئون ركضاً إليه.

استمرت تلك الرغبات إلى فترة المراهقة، فقد وجد مدرسيه من بين أكثر الناس عرفهم احتراماً، كانوا يعاملون الأطفال بطريقة جيدة ـ على الأقل من

يدرسون، وقد أثّر ذلك على قراره، فحين تخرّج فى المدرسة الثانويّة، أراد الالتحاق بمعهد التعليم فى منسك. مع ذلك، فشل بالاستمرار هناك دون مساعدة مالية من أبويه اللذين كانا دون تلك القدرة المالية، فكان عليه العثور على هدف من هذا المعهد يمكن من خلاله الحصول على راتب كبير يكون كافياً للحياة دون الاعتماد على الأهل، وبالتالى، قرر العمل بالصحافة، وكان الراتب محترماً، لكن بعدئذٍ، اندلعت الحرب.

كان فى السابعة عشرة. فى بيلاروسيا، لم يكن المراهقون من مواليد عام١٩٢٣ و١٩٢٤بعد خاضعين للتجنيد الإلزامى. عوضاً عن ذلك، مُنِحوا بنادق من العيار الصغير للاستعمال فى حال حاول المظلّيون الألمان الهبوط بينهم، وقد نُظِّموا لحثّ الماشية للاتجاه شرقاً إلى نهر سورث، حيث يكثر العشب الأخضر والمراعى النديّة. فى تلك المسيرات، عاشوا وتعلّموا كيف يحلبون البقر، ولا يزال ستيبان يذكر أول ألمانى رآه، طيّار فى طائرة فوق رأسه مباشرة، وكان عليه وعلى المراهقين الآخرين الاختباء؛ لأنّه فى تلك الأيام الأولى للحرب لم يكن الألمان يطاردون الجنود فحسب، بل المدنيين أيضاً، وكانوا يطلقون الرصاص حتى على الماشية. يذكر ستيبان الرصاص و هو يضرب الأرض ـ رصاص متفجّر.كانت الأرض تتطاير من حولهم، وأنت أولى تجاربه مع فظاعة الحرب.

استدعى والده فى البداية، وسرعان ما اختفى. ما من أنباء حتى تلقّت أمّ ستيبان خطاباً من أبيه الّذى

كان الآن فى مستشفى عسكرى سوفيتى، بسبب إصابة خطيرة من بندقيّة آلية. كانت ذراعه مسحوقة. فقط بعد تحرير بيلاروسيا تمكّن من العودة للديار، حيث ظلّ حتى مماته عام ١٩٦٠.

بالنسبة لستيبان، أُجيز له، متى صار من الواضح أنّ الألمان سيحتلّون كل أراضيهم، بمغادرة المسيرة والعودة إلى قريته، حيثُ عاش مثل الآخرين يعانون كل أنواع المشاق حتى تحررت بيلاروسيا، فى نوفمبر ١٩٤٣ بعدها بقليل، جاءت عليه القرعة للخدمة العسكريّة. كانت الحرب فى ذروتها وما من وقت للتدريب، وكُلِّف هو الآخر بحمل بندقية آليّة، رقم واحد فى فريق من أربعة رجال، وعلّموه فى حظيرة باردة كيفية استخدامه وأرسلوه مباشرة للقتال على الجبهة. متى قبعت فى نوبتك، وسمعت صوتاً، كنتَ تجذب زنادك دون أن تعلم إن كنت قد قتلت ألمانياً أم لا، ثم تواصل نوبتك، وسمعت طنيناً ، وقذيفة تتطاير بجانبك ـ هل تنفجر فوق رأسك مباشرة ؟ متى علمت أنّها كانت ستنفجر فى شخص آخر، شعرت بالارتياح. هكذا كان حال خطّ دفاعه.

جُرِح وقضى ثلاثة أشهر فى مستشفى عسكرى، ثمّ نهض مجدداً للمشاركة فى عدة معارك، ولم يُسرّح من الجيش حتى أوائل عام ١٩٤٧ وحينما عاد إلى قرية والديه، كان عليه طبعاً أن يقرر أين سيكمل. قرأ أنّ مجلس الإحصاء المركزى كان يرتب حلقات دراسيّة، لذا حمل ستيبان معه بعض الوثائق الضروريّة وأدرِج

اسـمه فى الـبـرنـامج، حـيث سـاعـدته درايـته بالـرياضيات.

ولأنّ حلمه كان لا يزال أن يصير مدرساً، فإنّه لم يأمل المتابعة فى مجال الإحصاء، لكن لم يكن بوسعه الكثير حيال ذلك، وسرعان ما حصل على أولى وظائفه الرسميّة. كانت فى منطقة جوميل، مُفتّش مقاطعة للإحصاء العمومى، وعلى الفور، نظراً للعجز فى عدد الموظفين، صار واحداً من أكبر ثلاثة رجال، وهو ليس بالمنصب السيئ.مع ذلك، لنقل بصراحة، لم تكن الوظيفة التى تمنى المواصلة بها طوال حياته. عقب عامين، على أيّة حال، من العمل هناك، جرت دعوته للمكتب الرئيسى لأمن الدولة، حيث قدّم له مدير الشُعبة عرضاً رسمياً : هل يودّ ستيبان العمل معهم ؟ وقد أجاب أنّه كان يجهل ما إذا كان مؤهلاً، وجاءت الإجابة،" لا ينبغى أن تفكّر أننا سنستخدمك الآن، بل سنرسلك لتلقى التدريب جرى ذلك عام ١٩٤٩ وقد أُرسِلَ إلى مدرسة فى بيلاروسيا.

حتى هذه النقطة، كان كل ما لدى ستيبان فاسيليفيتش هو فكرة غائمة عن أنشطة أمن الدولة، لكن أثناء فصول عمله الدراسيّة، والتى قامت على تحليل حالات الاستخبارات السوفيتيّة الموثقة بالفعل، صار شديد الاهتمام، ما أن وطأها حتى، بدأ عالم دنيوى آخر فى الانفتاح له"، بعض منه كان معادلاً لمسائل الرياضيات العُليا.باشر تلك الدراسات باستمتاع، ولم يخطر بباله مجدداً أن يكون معلماً.

عوضاً عن ذلك، انهمك طوال العامين التاليين فى امتصاص كل تفصيلة من التعليمات التى يستطيع توظيفها فى شغله العملى. كان لديه رأى نبيل فى أغلب مدرسيه، ثمّ دخل الميدان العملى.

فى وقت مجىء قضية أوزوالد، كان قد أمضى بالفعل عشر سنوات فى العمل بأمن الدولة بسجل أداء ممتاز بوصفه ضابطاً كاشفاً.

حين سُئل تحليل نفسه، قال إنّه شخص متواضع لم يحاول أبداً تقدّم من سواه لكنه، بطبيعته، جاد ومواظب وميّال للتحليل. ذلك ما يمكنه قوله عن نفسه دون تحفّظ. أثناء فترة عمله فى الكى. جى. بى. كان معروفاً بالالتصاق إلى القضيّة متى شرع بها. لم يتخذ أبداً قرارات متهوّرة، بل كان يدير الأمور فى رأسه، ويحاول بناء استنتاجات بناء على معطيات صلبة، لا تخمينات. فضلاً عن أنّه لم يكن يشرب ولايدخن. كان ـ يقول مبتسماً محل ثقّة أخلاقيّاً"، ثم يضحك. لم يكن لدى اهتمام معين بالنساء مطلقاً، بل كان أغلب انتباهى مُكرّسًا للعمل

تزوّج عام ١٩٥٣ وقد رُزِقَ هو وزوجته بطفلين، ولد وبنت. ابنه، يذكر، لم يتبع خطوات والده، لو كان واصل، فما كان يصير الكلام مباحاً، لكن لأنّه لم يتابع فى حقل الاستخبارات فالكلام ممكن. زوجته هى الأخرى عملت كل تلك السنوات باللجنة المركزيّة بالكومسومول بوصفها مُلقّنة فى ورشة خياطة. وفى حين لا يمكنك الكشف عن طبيعة عملك لأى أحد،

خصوصاً أية امرأة تخرج معها، إنّك تعمل بالاستخبارات المضادة، إلا أنّه حين تزوّج امرأته كان الوضع مُختلفاً. كان قادراً على مصارحتها، لكن هذا لأنّه تعرّف عليها عبر زميل مُشترك فى الكى. جى. بى. تصادف أنّه من قريتها نفسها. فى موقف كهذا، نادراً ما يمكنه كتمان السرّ، وبالنسبة لهذا لم يشأ كتمانه، فعام ١٩٥٣ كانوا يعملون أحياناً حتّى الثانية صباحاً، فترى ماذا تظن امرأة لا تدرى طبيعة وظيفته إن هو عاد للبيت متأخراً لتلك الساعة؟ مع ذلك، لهذا اليوم، لا تعلم زوجته أكثر من كونه مُشغِّل، والأمر ذاته بالنسبة لطفليه. إنّه رجل يستطيع كتمان سرٍ.

عند سؤاله عن طبيعة عمله اليومى المُعتاد، ليقول إنّه فى الشتاء يصحو فى العادة مُبكّراً، عادة اكتسبها منذ الطفولة ـ لا ينهض أبداً بعد السابعة صباحاً، يحلق، يغتسل، يتناول فطوره، ويتجه إلى مكتبه. كونه يعيش على مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً من المركز الرئيسى للاستخبارات السوفيتيّة فى منسك، كان يمشى بشارع هادئ إلى حديقة جوركى، ثمّ يتسلق تلاً ويعبر يانكاكيوبالا إلى لينين بروسبكت. عادة يعود للبيت سيراً أيضاً. كان يمارس المشى بوصفه تمريناً. نظامه. ليصل كذلك فى الثامنة والنصف بدلاً من التاسعة، ثمّ يفرد كل الوثائق الضروريّة كى يرتّب شغل اليوم .

كان مكتب ستيبان بالطابق الثالث مشغولاً فى تلك الأيام به وبضابط آخر. لكل منهما مكتبه الخاص

وخزينته الخاصة. يبدأ يوم عمل معتاد بالوثائق طبعاً، كان دائماً ثمّة ناس يقابلهم واجتماعات مع الرؤساء، وأحياناً لقاءات مع هيئة الموظفين، لكن تلك تحدث فقط عند الضرورة، لأنّهم كانوا يميلون لصرف انتباه الناس. كانوا يُفضّلون لو باشر ستيبان عمله مع رئيسه على انفراد، أو الأفضل، لو حلّها بنفسه. لا يمكنك عرض كُل شيء أثناء اجتماع للموظفين، لأنّ عليك الحفاظ على السريّة. ومسألة أنّ مكتبه كان مشتركاً مع ضابط آخر لم تكن على أيّة حال، تسبب متاعب استثنائيّة، فلو كُنت تدير مركباً مُحكمة، فلن يضيرك المكتب المشترك . بمجرّد أن يفرغ ستيبان من استعمال وثيقة كان يضعها في خزانته. دون أن يكون لديه فضول بشأن ما قد يكون زميله يعمل عليه.ذلك مبدأك، ليس مسموحاً لك بتوجيه أسئلة، وهي ليست محلّ إيذاء نفسي أو إهانة. كل رجل لديه خزانته الخاصة، وكل واحد مسئول عمّا أؤتمن عليه.

بشأن نتيجة مهامه في قضية أوزوالد، يمكنه القول أنّه رُقي.كانت مسألة طبيعيّة، فخلال كل وقته بالخدمة، لم يتخط البتّة مرحلة، وكل ترقية حصل عليها كانت نتيجة عمل جاد وصادق: ضابط تشغيل صغير، فضابط تشغيل كبير، مدير شُعبة مساعد. عند تلك النقطة، مُنح مكتبه، وصار الآن الناس يجيئون إليه كي يحل مشكلة أو أخرى، لكن حتى مع ذلك، كان صديقه الّذي بدأ الوقت نفسه مثله وكان يعمل بالمستوى نفسه، قد رُقي إلى رتبة رائد والتي

كانت الرتبة المناسبة لمدير شُعبة مساعد. على أيّة حال، لم يُرقَّ ستيبان. مرّت ستّة أشهر، ولم يشعر بالراحة حيال مسألة جذب الانتباه إليه، لكنه أخيراً حسم أمره أنّه مضطر. على سبيل المزاح، قال لصديقه إنّه ربّما لم يكن جيداً فى عمله، وقال صديقه، ستيبان فاسيليفيتش. لن أهدر وقتى فى الجدال معك. لم يرقوك لرتبة رائد ـ حسناً، أكتشف السبب، فأنت لم ترتكب خطأً فمضى إلى دائرة الموظفّين بتهذيب، راح يستعلم، وبدأ رئيسه بالاعتذار. لقد سقط سهواً. بيروقراطيّة. طبعاً، لا يستطيع أحد رؤية رتبته، لأنّهم لا يلبسون ملابس رسمية.

فى مكتبه، كانت ثمّة نافذة واحدة واسعة تطل على الفناء وكانت تقريباً تمييزاً لستيبان. بقدر ما كان مشغولاً، كانت تأتى ضجّة هائلة من النوافذ المُطلّة على شارع لينين. فى دقيقة سيارة تصرخ وبالتالية يصيح آخر أو ينفخ رجل مرور فى صفارته ـ كان وضعاً يثير الخبل، وقد أحبّ الهدوء.

بالنسبة لوقت راحته أثناء يوم العمل؟ يمكن إيجازه بسهولة. فى يوم عادى، يأكلون عادة فى الداخل، آنذاك، كان لديهم ما يسميه كافيتريا رائعة.كذلك، كانت ثمّة شرفات للمراقبة فى فناء الكى. جى. بى.. كثير ممن كانوا يعيشون جنب العمل كانوا يذهبون للبيت من أجل الغداء، لكن هؤلاء الّذين كانوا يقيمون بعيداً كانوا يأكلون فى هذه الكافيتريا التى كانت تقدّم شرائح اللحم البقرى، والكستلاتة

وزجاجات عشرون بالمائة كريمة من أجل الشاى، وبعض السلاطة. بعدها، بالنسبة لنصف الساعة المتبقيّة، البعض كان يتسوّق، أو يقعد فى الفناء. فى ذلك الحين، يمكنك الاسترخاء تحت ظِل شجرة، وعند الثانية يحين وقت العودة للعمل.

لم يكن ثمّة روتين ذلك فى ذلك. لم يكن الحال وكأن المرء يقوم بعمل ما قبل الغداء ثم يتلوه بعمل آخر بعده. لم يكن ثمّة معالم ثابتة، قد تظل بعملك حتى العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً، أو تغادر بعد يوم عادى، وقد تطرأ أمور بأى ملف فى أى وقت، لذا فيوم بالعمل قد يتفاوت كيفما اتفق. نادراً ما يكون رتيباً. دائماً ثمّة سؤال أى القضايا تُحل أولاً. قد يعطى رئيسه، على سبيل المثال، تعليمات، لكن بعد أن يمعن ستيبان تفكيره بشأنها لفترة، قد يصل مع ذلك لنتيجة أخرى، وهكذا يرجع وينسّق كى لا يخالف قواعد قائده.

كانت عملية إبداعيّة. قد تُحلّ مسألة فى شهر، أو قد تستغرق عاماً ـ أو أعواماً. لم يكن المرء يتطلّع لإيجاد نتيجة فى مدة محددة ـ لا تجرى الأمور هكذا. عادة ما تنتأ ظروف غير متوقعة. من، مثلاً، كان يتوقع زواج أوزوالد من مارينا؟ أحياناً تستعصى مشكلة على الحل، ولا يهم مدى جديّة محاولتك.

عند سؤاله، إذا كانت واحدة من استطراداته فى العمل لعب الشطرنج، يقول، لعب الشطرنج، أو لعبة الداما أو الدومينو، كلها كانت غير مناسبة ـ فهى

للمتسكّعين فحسب. كان الحال يختلف لو كنت تدخن كى تسترد أنفاسك قليلاً ـ ثمّة مكان مُخصص لهؤلاء الّذين فى حاجة لجرعتهم من النيكوتين كى يقصدوه" لكنه لم يكن ضمن تلك الفئة. متى أحسّ بالتعب ـ مع أنّه عموماً كان عامراً بالطاقة و الصحّة ـ ليزور شريكاً بالعمل، واحد قريب منه، يتكلّمان عشر دقائق أو ربع ساعة، ثمّ يعودان لمكتبيهما، وحين كان يُتاح له بعض الوقت بعد الغداء، كان يروق له لعب الشطرنج، لكنه بالكاد كان من قد تدعوه واحداً من اللاعبين المهرة، فى المرتبة الثالثة فحسب. يلعبه من أجل المتعة، وأثناء الصيف أو استراحة الغداء كان يلعب الكرة الطائرة، ومع أنّه لم يكن طويلاً إلا أنّه كان جيداً فى الدفاع، وكانت رميته الخطافيّة جيدة بدرجة ما. هكذا كان يمضى راحته.

موظفو الكى. جى. بى غالباً يتسكّعون بعد العمل. البعض قد يبقى للعب الشطرنج ثمّ يبررون ذلك لزوجاتهم بالقول إنّها ضرورات العمل، لكنه تقريباً لم يكذب على زوجته أبداً، ولم يتأخر أبداً لساعات بعيدة، لم يسئ لامتيازاته العائليّة، ممارسة لعبة، الضحك، الاغتسال، الرجوع للبيت. عادةً، حينما كانت تعرف أنّه سيتأخر، كانت زوجته تضبط وقت استواء أطباق طعامها على موعد وصوله. فى الواقع، لم تكن لتأكل بمفردها، حتى ولو كان أحياناً يرجع متأخراً جداً. حتى هذا اليوم، لا يزال هذا التقليد قائماً، يأتى للبيت و قول،" لِماذا لم تأكلى ؟". وتردّ،" كنتُ أنتظرك"

ولِماذا أمضيت كل هذا الوقت فى الانتظار؟" . ويأتى ردّها، لا يمكننى الأكل بمفردى

طبعاً، أيّاً كان ما طبخته زوجته، كان يسعد حين يأكله. يرجع إلى البيت ويأكل باستمتاع. كل حاجة لذيذة وكان يتخلص من ضغوط العمل بتلك الطريقة. عند مغادرة العمل، ترى شيئًا مثيرًا فى متجر، تدخل، وهكذا. كانت حياتهم العائليّة أيسر قليلاً؛ لأنّ زوجته كانت تعمل هى الأخرى، لذا، وضعا طفليهما فى حضانة تعمل أربعاً وعشرين ساعة خمسة أيام فى الأسبوع. فقط فى نهاية الأسبوع كانا يريان طفليهما. أيام الإثنين، كانا يحضرانهما للعمل، فثمّة حافلة كانت تنتظر لتقل أبناء موظفى الكى.جى.بى.إلى ضواحى منسك، حيثُ كانت ثمّة حضانة لطيفة ببيت ريفى كان مملوكاً ذات يوم لوزير سابق.فى حين جعلت تلك الأوضاع الأحوال أيسر فى بيتهم، إلا أنّه يمكنك القول إنّه بلغة تربية الأطفال، فتلك ليست أفضل الشروط، مع ذلك كانت الحضانة صارمة، و لم يصبح طفلاه مدللين ـ وذلك أمرٌ جيد أيضاً.

بالنسبة للترفيه، يذهب للسينما أو إلى المسرح. أحبّ الفرقة الروسيّة القوميّة، وأغلب الأحداث الرياضيّة. كان شديد الإعجاب للعبة الهوكى وغالباً ما شاهد كرة القدم، لكن ستيبان لم يتمكن من تحمّل الملاكمة ـ كانت سحقاً للوجوه. أحبّ قراءة الكُتب مادام بصره لا يزال قوياً، كذلك المجلات والصحف اليوميّة ـ تلك تأتى دون كلام، فهى جزء من عمله.

وقد شاهد أفلاماً كثيرة أيضاً : قوزاق الدون، مُربو الخنازير والراعى ـ لقد راقت له الأفلام المتفائلة، دون المضى إلى المواقف الدراميّة التى تؤثر على جهازه العصبى وتجعله حزيناً. كان شغفه، على أيّة حال، هو صيد السمك. يمكنه القول إنّه مستعد للصيد فى أى مكان: بحيرات، أنهار، أى مجرى مائى، شتاءً أو صيفاً، بأى طقس أو فصل.

طلبنا منه الكلام عن عيوبه، فقرر ستيبان أنّه شخصياً،" أشعر أننى كنتُ خشناً جداً فى الحقيقة مع طفلىَّ. لقد فرضت عليهما نظاماً صارماً وأعتقد أنّه ربما يحتاج بعض الأطفال إلى لين أكثر. أنا نافد الصبر جداً مع بعض الناس، أحبُّ أن تكلم الناس أن يقولوا شيئاً معقولاً. متحفظ ومختصر. لكنك تعرف، أنّ الناس مختلفون، بعضهم يرغب فى التعبير عن نفسه بصورة عاطفية وأنا لست صبوراً، وإذا بدأ واحد فى الثرثرة، أقاطعه، وأوجه الحوار إلى ما أراه جوهر المسألة، لكن يجب على المرء أن يكون صبوراً أكثر، فليس كل الناس مثلى.

"من جانب آخر، حين أكرّس كل انتباهى للعمل، لا أنتبه دائماً لأحداث مهمة. قد أغفل عيد ميلاد زميل. بالنسبة لعيد ميلاد زوجتى فأنا لا أنساه. بغرض اللياقة، ينبغى أن تضفى بهجة على الأشياء، لأجل زوجتك والناس من حولك، وزملائك فى العمل، وأسرتك".

لـدى سـؤاله مـرّة أخـرى عن رأيه فى قـضـيّـة أوزوالـد، يـقـول إنّـهـا أثـبـتت أنّـهـا "سـاذجـة" ـ قضـيـة أسـاسـيـة، لأنّها لم تضم أحداً يتمتع بذكاء خارق، ولا كلفت نقوداً كثيرة. لم يكن لدى أوزوالد حلقة واسعة من الأصدقاء ولم يكن غريب الأطوار فى سلوكه. لم تكن الأحوال كأن يكون له فى أسبوع ثلاثة أصدقاء وبالأسبوع التالى راكم عشرين صديقاً لذا اضطروا لزيادة ميزانيتهم على الفور ليراقبوا عشرين نفساً بدلاً من ثلاثة. كلا، كانت هذه القضيّة بسيطة، لأنّها لم تضم متغيرات، ولا تقلّبت، وفى النهاية لم يكن ثمّة الكثير الّذى أثار بالفعل الكثير من التساؤلات"

ـ ٤ ـ

فى مطلع العام

من نُسخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل.هـ ـ ٢٧٢٧.

عن الفترة : ٣١ ديسمبر ١٩٦١

ل. هـ. أ : لن تبدى جميلة فى هذا الفستان.

الزوجة : لِماذا ؟.

ل. هـ. أ : مفتوح جداً.

الزوجة : مفتوح أين ؟ إنّه لطيف.

ل. هـ. أ لا يناسبك.

الزوجة: الآن، حذائى مسألة مُختلفة ! إنّه لايناسب الثوب على الإطلاق...

ل. هـ. أ :أنت فعلاً تجهلين كيف تلبسين، أقسم لك!.

الزوجة: اشتر لى حذاءً آخر.

ل. هـ. أ : هذا حذاء لطيف.

الزوجة: صحيح ، لكنه لا يناسب الشتاء. إنّه أبيض. ثمّة أحذية للصيف وأخرى للشتاء.

(يذهب ل. هـ. أ إلى المطبخ و يعود).

ل. هـ. أ : هل ستلبسين سترة ؟.

الزوجة: أية سترة ؟ ليس لدى أية سترات، هل تعتقد أنّه سيشكّل فارقاً (لآل زيجر) إن رأوا أن فستانى سيئ ؟.

ل. هـ. أ : بلى !.

الزوجة: إنه فستان بسيط.

ل. هـ. أ : كلا ، ليس لطيفاً !.

الزوجة : طيب، لا أستطيع ارتداء هذا. إنّه ممتلئ بالثقوب... لا أدرى ما ألبس.

ل. هـ. أ :كل شىء سيكون على ما يُرام ! كل شىء سيصير رائعاً.

الزوجة : تعلم أنّه لا أحد يحتاجنى.

ل. هـ. أ : ربّاه، ماذا عن أوزوالد؟ (يبوسها) سينظر الناس لنا ويقولون، ها هما زوجان مثل العسل!.

الزوجة : مثل العسل! (تضحك) فى تلك الحالة، سأذهب بتنورة و سترة. سيكون عليك الارتباك فحسب.(وقفة) لو كان ثمّة ما ألبسه، للبست أفضل منك، وأفضل من نسائك الأمريكيات.

(يضحكان)

الـزوجـة : لـو كـنـت ألـبس ذلك الحـذاء أول مـرّة تقابلنا ما كنت رقصت معى.

(يضحكان)

أمور كثيرة جرت لهما فى سنة واحدة. يمكننا التساؤل لو كانوا سيتذكّرون فى حفل آل زيجر للترحيب بمطلع العام الجديد ١٩٦٢ عشية رأس السنة الفائتة، التى قضاها لى مع إيللا وأسرتها ، وقضتها مارينا مع ساشا، ثمّ مع قنسطنطين.

٢يناير

أمّى الغالية

حسناً ، لدى (آمال) جيدة جداً أننا سنستلم تأشيرتينا حوالى منتصف فبراير، ما يعنى أننا قد نصل إلى الولايات المتحدة فى أول مارس تقريباً، بحوالى شهر بعد أو قبل.

أودّ أن تقومى بشىء مهم لنا. كونى على اتصال بالصليب الأحمر فى فيرنون، واطلبى منهم التواصل مع منظمة اسمها لجنة الإنقاذ الدولية " أو أية منظمة تقدم العون للأشخاص من خارج الحدود (كى) يُعاد توطينهم.ثمّة أمور كثير جداً أنتظرها من تلك المنظمات.

نحتاج ثمانمائة دولار ثمن تذكرتين من موسكو إلى نيويورك ومن نيويورك إلى تكساس... يمكنك إخبار الصليب الأحمر... ذلك أنّ كلانا تسلّم الآن

تـأشـيـرة الخـروج من الـسـوفـيـتـيّـة لمغـادرة الاتحـاد السوفيتى...

نحتاج للنقود فحسب الآن لشراء التذاكر.

اطلبى منهم الاتصال بالسفارة الأمريكيّة فى موسكو للحصول على المعلومات...أريد أن تحاولى الحصول على المبلغ من بعض المنظمات ، ولا تحاولى جمعه ، بمفردك.

إياكِ، طبعاً، والاقتراض ، هبات فحسب ، ولا ترسلى بنقودك الخاصة...

تلقينا بطاقة الكريسماس خاصتك مع الصور. كانت جيدة جداً ، كلانا استمتع بهم جداً.

اكتبىِ قريبًا

محبّتى

لى

عقب استلام هذه الرسالة بعدها بأسبوعين، شرعت مارجريت أوزوالد بالتصرف بناءً عليها فوراً، وهى تتذكّر كل التفاصيل حين روت الحدث للجنة وارين بعدها بعامين.

مارجريت أوزوالد: وهكذا حين دخلت الصليب الأحمر بفيرنون..أخبرت السيدة الشابة، كاشفة لها الرسالة والورق...

قالت ،" ماذا يفعل ابنك فى روسيا؟"

قلت، لا أدرى

"أنت أمّه وتجهلين ما يفعل فى روسيا؟"

قلت،" سيدتى الشّابة ، قلتُ إنّى لا أدرى ما يفعل فى روسيا

"طيب، أعتقد أنّ أى أحد يذهب إلى روسيا لايحتاج لمساعدة كى يعود، ينبغى عليه البقاء هناك

فقلت،" لا يعنينى رأيك الشخصى. أحتاج مساعدة. هل تتفضلين بالاتصال، امنحينى عنوان لجنة الإنقاذ الدوليّة كى أتمكّن من مواصلة المحاولة للحصول على النقود كى يرجع ابنى إلى وطنه ؟"

كانت تجهل أى عنوان للجنة الإنقاذ الدوليّة...

الآن هذه السيدة الشّابة (فى الصليب الأحمر بفيرنون) كانت مبتهجة جداً جداً. كانت لا ترغب بمساعدة أى واحد يذهب إلى روسيا. لذا حينما... اتصلت بها فى البيت وقلت لها إننى حصلت على عنوان لجنة الإنقاذ الدوليّة من الخارجية الأمريكيّة، وأنّه سيكون دماثة منها لو جاءت إلى المكتب وكتبت الخطاب لأجلى.

قالت،" حسناً سيدة أوزوالد، لا أملك المفتاح".

هذا صباح يوم سبت، وهى فى حاضرة الإقليم.

قلت، هل تقصدين إخبارى أنّك مسئولة عن الصليب الأحمر ولا تملكين مفتاحاً ؟"

"كلا ، لا أملك مفتاحاً

حسناً يا سيدتى الشّابة ، لقد أخرتنى أربعة أيام ولا يروق لى موقفك. سأطلب منك على وجه

الخصوص تحديد موعد لمجيئى إلى المكتب وإرسال هذا بالبريد من أجلى. الأمر شديد الأهميّة

وهكذا، على مضض ، بعد كثير من الإقناع، جاءت.

وبالتالى كتبت الرسالة للجنة الإنقاذ الدوليّة وسلّمتها لى ، وأنا أرسلتها ـ لقد أرسلت الخطاب.

ـ ٥ ـ

أصدقاء قلم

٤ يناير

استدعيت إلى مكتب الجوازات (السوفيتى) بسبب انقضاء جواز إقامتى اليوم. ولأننى الآن أحوز جواز سفر أمريكى، فقد منحت جواز إقامة جديد كُلياً اسمه جواز للأجانب "... (إنّه) سارٍ حتى الخامس من يوليو ١٩٦٢

ثمّة ثقة شديدة أنّهما سيقدران على المغادرة فى غضون أسابيع، وأنّه سيحصل على جوازه الجديد وهى على تأشيرة خروجها، وأنّ أمه ستقنع منظمة أمريكيّة خيريّة ما بمنحهم المبلغ. جائز أنّهما يتمكنان حتى من السفر قبل مولد طفليهما. حين تدفع جداراً ويبدأ هذا الجدار فى الحركة، طبيعى أن تكون متفائلاً.

كانت الصدمات تنتظرهما. عقبات بيروقراطيّة. تبدأ أسئلة عن ارتداده فى الرواج فى مذكرة داخليّة بوزارة الخارجيّة. تبرز مخاوف فى وزارة العدل. هل يتم الطلب منهم مساعدة شيوعى أمريكى و زوجته السوفيتيّة ؟ ومن سيضمن الدعم لمارينا ؟.

تكثر الرسائل خلال شهر يناير وأوائل فبراير ١٩٦٢ سيرسل أوزوالد ثلاثة للسفارة فى موسكو قبل أن ينصرم الشهر، واثنتين للجنة الإنقاذ الدوليّة. يكتب سبع رسائل لأمّه أثناء الشهرين المقبلين وأربعة لروبرت أوزوالد، ويتلقّى ست رسائل من السفارة الأمريكيّة فى الشهرين ذاتهما. فى واشنطن، عبر العامين السابقين، مُررت كثير من المُذكرات الداخليّة التى تتعلق به جيئة وذهاباً بوزارة الخارجيّة، أكثر من عشرة فى عام ١٩٥٩ وأوائل عام ١٩٦٠ وعشرين أو أكثر خلال العام المنصرم. تطوّر خلاف مؤكد فى الرأى بالخارجيّة بشأن ما إذا كان يجب مساعدة أوزوالد فى مشروع إعادته للوطن هذا. لايمكن القول إنّ الغطرسة التى يكشفها فى رسائله تثبت عشماً فى المسئولين الأمريكان، لكن من يمكنه القول إن طريقته ليست مؤثرة ؟.

٥ يناير ١٩٦٢

سادتى الأعزّاء

... كما سبق و أبلغت السفارة، أنّ تأشيرتى الخروج (السوفيتيّة) لى ولزوجتى قد تمت الموافقة

عليهما بالفعل. يمكنني الحصول عليهما وقتما أشاء، لكنها ستكون سارية لمدة ٤٥ يوم فقط. ولأنني أرجو أن أغادر أنا وزوجتي الاتحاد السوفيتي معاً، سأؤجّل طلب تأشيرتي لحين الانتهاء من توثيق وزارة الشئون الخارجية بالاتحاد السوفيتي و السفارة الأمريكيّة أوراق زوجتي...

أودّ عمل ترتيبات من أجل قرض من السفارة أو منظمة ما للوفاء بثمن تذكرة الطائرة. أرجو العناية بهذا الموضوع و إبلاغي.

المخلص لكم

لي هـ. أوزوالد

يردّ الآن صمويل ج. وايز الّذي حلّ مكان ريتشارد سنيدر، على أوزوالد في ١٥ يناير ١٩٦٢

عزيزي السيد أوزوالد

...العريضة التي ملأتها لتصنيف حالة تأشيرة زوجتك لم يُصدّق عليها بعد من مصلحة الهجرة والتجنيس. علاوة على ذلك، لم يُقدّم دليل مطلوب قانوناً إلى السفارة يبين أن زوجتك لن تصير عبئاً عاماً في الولايات المتحدة. شيء واحد ممكن، فيما يتعلّق بهذا الشأن، بالنسبة لوالدتك أو قريب آخر في الولايات المتحدة أن يملأ شهادة خطيّة بمصادر الدخل نيابة عن زوجتك...

في ظلِ هذه الظروف، قد ترغب بإعادة النظر في قرار تأجيل رحيلك حتى الانتهاء من توثيق أوراق

مدام أوزوالد، خصوصاً لأنّه قد يسبب صعوبات فى توفير دليل الدعم المادى الضرورى فى حين لا تزال موجوداً فى الاتحاد السوفيتى. نرجو إبلاغنا بنواياك بخصوص هذه المسألة.

القضية التى أثرتها بشأن قرض يغطى قسماً من تكاليف رحلتك إلى الولايات المتحدة يمكن مناقشتها حينما تجىء إلى السفارة...

ينبغى على أوزوالد أن يعرف أن طلب قرض من الخارجية الأمريكيّة سيبطئ من تقدّمه. مع ذلك، لو أنّ وزارة الخارجيّة تعتزم إقراضه المبلغ، عندئذٍ يجوز أنّهم لا يتوقعون إقامة دعوى ضده...

١٦ يناير ١٩٦٢

سادتى الأعزّاء

ردّاً على خطابكم المفيد المؤرخ يوم ٥ يناير...آمل أن تبلغونى بأية وثائق أخرى مطلوبة وألا تنتظروا حتى اللحظة الأخيرة...

أنت تقترح ذلك بسبب حصولى بمفردى على التوثيق اللازم للولايات المتحدة.

يقيناً لن أفكّر بالسفر للولايات المتحدة بمفردى تحت أى بند، خصوصاً وقد تبيّن أن جواز سفرى سيُصادر فور وصولى للولايات المتحدة.

أودُّ استكمال كل الوثائق فى أو عبر السفارة فى موسكو.

لم نصدف أوقاتاً يسيرة فى سبيل الحصول على تأشيرتى خروجنا من السلطات السوفيتيّة، كما تعرف السفارة تمام المعرفة، ولا أودّ تكرار هذا الأمر برمته بسبب عدم الاستيفاء من هذا أو ذاك فيما يخصّ أى أحد. أثق تماماً أنّكم تفهموننى.

كذلك، سنرزق بطفل فى مارس، ومع أنّ الإجراء الروسى فى هذه الحالة سيكون تسجيل العمر والجنس ومكان الولادة فى جواز سفر زوجتى (إجراء يستغرق أربعة أيام فى موسكو)، إلا أننى أودّ معرفة ما ستطلبونه فى هذه الحالة.

المخلص

لى هـ. أوزوالد

قد يصدمنا قلق أوزوالد العميق بشأن العودة إلى أمريكا. لتقدير حماسه للعودة برفقة مارينا ـ وليس دونها أبداً ـ لنزوّده بأكثر من دافع. جانبه الجاهز دائماً لحساب موقفه من المحتمل أن يقضى أنّه أكثر أماناً ألا يعود بمفرده، فزوجته وطفلته الوليدة وثبة لإحداث بعض التعاطف معه فى أمريكا.

هذا، طبعاً، ليس اعتباره الوحيد، فلو أنّه ومارينا لديهما متاعبهما، فهو حتى أكثر بؤساً عند التفكير فى الحياة بدونها، ولا ينبغى له التساؤل ما إذا كانت ستحبه كفاية كى تلحق به متى سافر. على أيّة حال، لن يغادر بدونها.

يردّ جوزيف ب.نوربرى، قنصل آخر بالسفارة، فى ٢٤ يناير.

عزيزى السيد أوزوالد

... بشأن عريضة التأشيرة من أجل زوجتك، نحاول الوصول إلى قرار مبكّر من مصلحة الهجرة والتجنيس ... ثِقْ أنّ تلك المسألة سيتم تحريها تماماً. فى أثناء ذلك، لا أستطيع مجادلتك بقوة كافية كى تحاول الحصول على شهادة خطيّة بالدعم من قريب حميم فى الولايات المتحدة، للتأكد من أن زوجتك ستكون قادرة على السفر معك...

ترسل الخارجيّة مذكرة عمليات أخرى فى ٢٦ يناير إلى السفارة.

أُرسِلت العريضة، و شهادة الزواج و التحقق المُقدمة من السيد أوزوالد... للتصديق بمصلحة الهجرة والتجنيس فى مكتب مقاطعة دالاس يوم ٦ أكتوبر ١٩٦١ ولم يتلق ردّ حتى تاريخه. وانتظاراً لاستكمال ذلك التحقيق، لا التصديق على العريضة ولا الإعفاء من عقوبات ٢٤٣ (ج) يمكن منحه..

لدينا الآن بند بيروقراطى جديد للنضال معه الإعفاء من عقوبات ٢٤٣ (ج) سيفسّر ذلك أغلب التأخير طوال الشهور الأربعة التاليّة. لقد صممت عقوبات ٢٤٣ (ج) لتجنّب مغادرة مهاجرين من الاتحاد السوفيتى، وهكذا إن لم تصدر وثيقة الإعفاء، سيضطر آل أوزوالد للسفر من الاتحاد السوفيتى إلى دولة ما لا تنطبق عليها العقوبات، بلجيكا مثلاً، وهناك تستطيع مارينا التقدّم لطلب تأشيرة للولايات المتحدة،

وهو ما يستغرق أسبوعاً إضافيّاً، أو شهراً، وليس لدى آل أوزوالد نقود، بالتالى، تستبق الخارجيّة الأمريكيّة نفقات مضافة، ومتاعب إضافيّة أخرى لأوزوالد. وهكذا، لا يخبرونه أنّ الإعفاء من عقوبات ٢٤٣ (ج) لم يّمنح بعد بل، فى الواقع، أنّه قد لا تُمنح له.كما لاتملك وزارة الخارجيّة سلطة على مصلحة الهجرة والتجنيس، فهى فرع من وزارة العدل، وهكذا ستتواصل الاتصالات بين موظفين من كل قسم، بالتالى، لشهور، دون أن يُبلغ أوزوالد باستمرار عن هذه المسألة. مع ذلك، يتراءى أنّه أحسّ بأنّ شيئاً ما غير مضبوط.

٢٣ يناير ٦٢

أمّى العزيزة

أرجو إسدائى معروفاً كبيراً، اذهبى لأقرب مكان لمكاتب الهجرة والتجنيس واملئى شهادة خطيّة بالدعم نيابة عن زوجتى، هذه مسألة فنيّة بشأن تصريح دخول الولايات المتحدة. لأجل مارينا ولابد أن تملأ فى الولايات المتحدة. ستملئين ببساطة استمارة فارغة (ربما تكلّف بضعة دولارات) وهذا كل شىء.

أرجوك القيام بذلك الآن ؛ لأنّهم فى الحقيقة ينتظرون هذه الاستمارة الآن فى موسكو...

امتنانى

المحبّ لى

ثمّ يطلب من روبرت القيام بمهمة استكشاف:

٣٠ يناير ١٩٦٢

عزيزى روبرت

... سبق و قلت مرّة إنّك تحريت بشأن ما إذا كانت حكومة الولايات المتحدة كان لديها أية اتهامات ضدى أم لا. قلت فى ذلك الحين، لا . قد يكون من الواجب أن تتحرى مرّة أخرى. من الجائز الآن أن الحكومة تعلم أنى آت، و لديهم شىء ما فى انتظارى...

شقيقك

لى

فى ٣١ يناير، يكتب جوزيف نوربرى مرّة أخرى إلى أوزوالد

مع أنّ السفارة تقوم بكل جهد ممكن لاستكمال طلب تأشيرة زوجتك بأسرع وقت ممكن، إلا إنّه يبدو بعيد الاحتمال بدرجة كبيرة أن تصدر التأشيرة فى وقت مناسب للسماح لها بالسفر قبل ولادة طفلك. أغلب شركات الطيران لن تقبل ركّاباً أثناء الشهر التاسع من الحمل، وبالتالى، يبدو أنّه من المستحسن لك التخطيط لولادة طفلك قبل السفر للولايات المتحدة.

بعدها بأسبوع، يرفض جى. و. هولاند من مكتب فحص حركة السفر المركزى فى سان أنطونيو، منح وثيقة الإعفاء من العقوبات.

فى تلك الأثناء، تحاول مارجريت أن تكون خلاقة فى فن زيادة النقود، وتتعرّض هى الأخرى للرفض.

١ فبراير ١٩٦٢

عزيزتى السيدة أوزوالد

... بشأن اقتراحك جعل حكاية ابنك عموميّة وجاذبة للعون، ومع أنّ وزارة (الخارجيّة) ليست فى موقع الناصح لك فى هذه المسألة، إلا أنّه من غير المُعتقد أن يوفر هذا حلاً لهذه المشكلة.

المُخلص لك،

جورج هـ. هاسيلتون

رئيس، قسم الحماية و التمثيل

١ فبراير ١٩٦٢

أمّى العزيزة

... لا أدرى إن كان الدفع بالقصّة للصحف أمرًا جيدًا، قد يكون من الأفضل حجبها لفترة حتى أخبرك متى تدفعين بها...

... أريد أن تدركى أنّه على الرغم من قدرتك على مساعدتنا يقيناً، بطرق صغيرة، فإن هذه المسألة المتعلقة بمجيئنا للولايات المتحدة بسيطة نسبياً، لاتضيفى لها تعقيداً أكثر مما هى...

لى

الآن فى الخارجية يقررون أنّ ثمّة طريقة واحدة لإزالة الحرج عن أنفسهم بمواجهة أكثر ملتمسيهم بروزاً. يكتب نوربرى يوم ٦ فبراير إلى أوزوالد من السفارة.

نستعد لقبول طلبك قرضاً. (على أيّة حال) يجب على المستلم مداومة إبلاغ وزارة الخارجيّة بعنوانه فى الولايات المتحدة لحين سداد دينه. بعد العودة للوطن، لن يزود المستلم بجواز سفر للخارج حتى يعيد ديونه للحكومة...

٩ فبراير ١٩٦٢

أمّى العزيزة

حسناً، لن يطول الوقت الآن حتى يولد الطفل وحتى يحين الوقت لرؤيتك.

كذلك، يمكنك النظر بمسألة إرسال بعض القصاصات أو الأعمدة من صحف فتزجيرالد ورث عن شهر نوفمبر ١٩٥٩ .أريدُ أن أعرفَ ما قاله فحسب عنّى فى صحف فت. ورث كى أتخذ احتياطاتى. لو كنت لا تملكين القصاصات، يمكنك الرجوع للإصدارات القديمة من الصحف... فى مكاتبهم أو بالمكتبة العامة...

كل الحب منّا معًا

لى

- ٦ -

إضافة للأسرة

فجر ١٥ فبراير

توقظني مارينا. آن وقت ولادتها.في التاسعة صباحاً نصل إلى المستشفى. أتركها في رعاية الممرضات و أغادر للعمل. في العاشرة صباحاً تلد مارينا بنتاً.

في الشهر الأخير من الحمل، ليتقوّس جسمها أحياناً، أو ساقاها، وليدلّكهما أليك ويقول،" فتاتي المسكينة جداً. أنت توجعين نفسك لتمنحي طفلنا الحياة   وكانت تشعر في تلك الأوقات وكأنّ أليك قد أحبّها فعلاً.

غالباً ما كانت تفكّر أنّها كانت بصدد فقدان طفلها، كانت تواصل الإصابة بالإغماء، كثيراً جداً. مع ذلك، حوض ضيق أم لا، كانت الولادة سريعة، كانت

محظوظة. حتى بنات مخزن الأدوية هؤلاء اللائى انفضضن من حولها بسبب نيتها السفر إلى أمريكا كُنّ مساندات حين بلغ الأمر مسألة حملها، وكان لديهن إصرار على ولادة الطفل فى المستشفى الإكلينيكى الثالث، وحين قالت مارينا، لا أوافق قُلن، مارينا، هنا فى الإكلينيكى الثالث بالقرب من صيدليتنا ستكونين بأمان تام" كُنّ مُراعيات جداً لها، ولذا وافقت.

بالأمس، كانت هى و أليك فى زيارة لأصدقاء وقضيا أمسيّة لتدعوها عامرة بالبهجة، ثمّ، قُبيل الفجر، جاء الطلق، استيقظت مارينا فى السادسة وقالت للى إنّهما يجب أن يذهبا، كان الحال تقريباً مُضحكًا. كان لى شديد الخوف درجة أنّه كان أمراً ظريفاً رأيته يعانى، وقد تصرّف و كأنه الوحيد ـ واصل استعجالها ـ والآن، طبعاً، ولأنّه ما من شىء شاق تشعر به فى آلام مخاضها الأولى، فإنّها لم تشأ حتى مغادرة شقّتهما ـ وكان على لى إقناعها.

أخيراً، خرجا عند التاسعة صباحاً وحينئذٍ فشلا فى العثور على سيارة أجرة، ولا واحدة، وكان عليهما أن يحشرا نفسيهما داخل حافلة مكتظّة.لم يسبق لها أبداً أن رأت لى يبدو شديد التوتر هكذا. يا لكثرة الثلج الّذى داسته أقدامهما، مع كل خطوة كادا أن ينزلقا، لكن فى النهاية بلغا الإكلينيكى الثالث فى أمان. كان على لى أن يدور حالاً تقريباً كى يذهب لعمله، ما كانوا ليسمحوا له بالبقاء معها. فى روسيا،

الإجراء السائد هو أن تبقى النساء فى المستشفى عشرة أيام بعد ولادة الطفل، بل وقد يستغرق الأمر حتى ثلاثة أيام قبل أن تحمل ممرضاتك على السماح لك بمغادرة الفراش، وطوال ذلك الوقت، ما من أحد إلا العاملين بالمستشفى برفقة طفلك ـ لا أقارب ولا أصدقاء مسموح لهم، لا عدوى من الخارج! حتى الأب لا يُعطى تصريحًا لدخول جناح الولادة. يمكنه فحسب زيارة ردهة المستشفى وترك هدايا هناك لمحبوبته.

فى ذلك الصباح، ولدت جون بالعاشرة صباحاً تقريباً، يوم ١٥ فبراير ١٩٦٢ قبل حتى أن يصل أوزوالد إلى عمله وقبل أن تتصل صديقات مارينا فى مخزن الأدويّة بالمصنع. وهكذا، حين بلغ دِكّة الشغل، وجد كل زملائه من العمّال يهنئونه على الطفلة، ولأنّه كان يتمنى ولداً، فقد أسقط خطاباً لها ذلك المساء.

١٥ فبراير ١٩٦٢

عزيزتى مارينا

لا أنا ولا أنت توقعنا بنتاً البتّة

لكننى سعيد جداً بنفس الطريقة. يا لك من امرأة قويّة! كيف تمكنت من النجاح بالولادة بتلك السرعة ؟...كم أنت امرأة قويّة! وسأكرر قولى مرّة أخرى!

لو أنّك تحتاجين شيئاً، أخبرينى بأى شىء تتمنينه، فأنا وأنت جاهزان تماماً لجون مارينا أوزوالد.

بدورها، كانت رسالتها فى انتظاره

عزيزى أليك!

إذًا فقد صرت أباً الآن. كم هو أمر لطيف جداً أن رُزِقنا بفتاة. كانت الولادة جدّ طيبة وسريعة، وقد ولدت جون بالعاشرة. خاطوا لى أربع غرز صغيرة على الشقّ. أنا نفسى لم أتوقع أن تسير الأمور بتلك السرعة. ستزورك زوجة خالى فاليا هذا المساء، بعد أن أمضت اليوم معى فعلاً.لا تحضر شيئاً اليوم، لكن غداً أحضر "كيفير"(*) وبعض التحليّة. لم أعد قادرة على تناول الشيكولاتة. أنت تعلم الباقى بالفعل.

قبلاتى

مارينا

مضت الملاحظات جيئة وذهاباً. أحياناً على قصاصات ورق . كان مُحاصراً بردهة المستشفى، وكانت هى بالأعلى فى الطابق الثالث.

عزيزتى !

كيف حالك؟ ما من كيفير. ماذا تحتاجين ؟ هل ترضعين الطفلة الآن؟...من كلّمك اليوم ؟.

أحبّك

أليك

اكتشفت أنّها ترغب فى رؤيته. جداً. رتّبت ذلك بالتسلل للدور التحتانى حيث مخزن الأدويّة بالطابق

(*) الكيفير: مشروب فوّار يصنع من اللبن المختمر (المورد).

الأرضى. كانت تكسر قواعد المستشفى. خطيئة واحدة زيادة بروحها. ها،ها.

كان لى سعيداً جداً لإنجاب طفلة، قال، وكأنّه لم يسبق أن حلم أبداً بولد. ثمّ قال إنّ بنتاً، أول مولود، ربما كانت أفضل للأم، لكن المولود الثانى قد، بل عليه، أن يصير ولداً.

١٨فبراير ٦٢

عزيزتى مارينا،

زارتنى زوجة خالك فاليا وخالك إيليا هذا الصباح. ستأتى لزيارتك غداً بالثانية ظهراً. قلت لها ما عليها شراؤه. إيريك وأنا كُنّا عن آل زيجر أمس حتّى منتصف الليل...

ماذا تريدين ؟ هل تستطيعين المشى؟... هل لاتزال جون حمراء؟ حينما تأتى زوجة خالك فاليا غداً، أعط لها الصور.

حسناً، أشواقى

زوجك

أليك

حاشية : لن أجىء غداً. هل من مشكلة ؟.

كانت مارينا غاضبة. كتبت له :" أنت حتى لاتجىء لرؤيتى ليلاً؟" حينئذ، ظهر متأخراً فى الليلة التالية، متسللاً من مخزن الأدويّة، حاملاً هديّة منتقلاً فى سُكات، لكنها كانت تشعر بالإهمال. تتذكّر أنّه رأى

إيريك كثيراً ذلك الأسبوع. طبعاً، الآن، بعد ثلاثين عاماً بالكاد تتذكّر إيريك.

٢٠/ ٢/ ٦٢

مرحباً يا بابا !

... أليك، لم أظن أنّه كان صعباً جداً إرضاع طفلة. تلتهم جون نخاعك، لكن اللبن ينبع قبل كل موعد رضاعة ويجب أن يُمتص. أمرٌ موجع جداً أنّه من المستحسن لو أنجبت طفلاً آخر. عزيزى أليك، حالاً، هذا اليوم، اشترى لى وأرسل لى مضخّة ثدى..كى تكون الحلمة المطاطيّة مشدودة، لا مرتخيّة.

... أليك، صرت بمظهر مريع إلى درجة أنّك لن تتعرّف علىّ.كل هذا؛ لأنّنى قلقة ألا تلتقم جون الثدى. كذلك، لا يدعونك تنام بدرجة كافية هنا ـ من الثانية إلى الخامسة صباحاً فحسب. لا أستطيع تصوّر ما سأعمله بالبيت. أليك، أحتاج بصورة مُلِحَّة روبلاً وعشرين كوبيك. على أيّة حال، لا أستطيع المشى دون سوتيان.اشترى واحداً اثنين لامرأة هنا وقد باعتنى واحداً منهما.لابد أن أسدد ثمنه. هذا كى لا أبدو جميلة، لكن للإبقاء على اللبن من الركود. أنت هناك لا تفكّر حتى فى إحضار ما أحتاج.. آه، طيب، كفاية لهذا الحدّ، أقفل الرسالة.

مارينا

٢١ فبراير ٦٢

عزيزتى مارينا.

تلقينا اليوم هديّة لطيفة لجون من المصنع، أعرف أنّها ستروق لك.

اشتروا لنا: بطانيّة صيفية، ست حفاضات خفيفة، أربع حفاضات شتويّة، قميصين تحتيين، ثلاثة قمصان تحتيّة شتويّة رائعة، أربع (؟) بذلات رائعة وعروستين (٢٧روبل إجمالاً)...

كيف حال أكل جون ؟.

جائز ألا أجىء غداً. تمام؟.

أحبّك

أليك

٢٣ فبراير

تغادر مارينا المستشفى. أرى جون للمرّة الأولى.

قابل مارينا أقاربها وأصدقاءها، عند مدخل المستشفى الإكلينيكى الثالث. زحمة. كان الجو بارداً بالخارج، وكانت هى وأليك مذعورين أن تستنشق جون ولو نفساً واحداً من الهواء البارد، فتتعرض للخطر. بعدها، حين وصلا لشقّتهما، لم يدع زائريهم حتى بدخول حجرة جون حتى يتبخر البرد من ملابسهم، وكان عليهم المكوث فى المطبخ حتى ذلك الحين. كان لى مهتاجاً جداً أن واصل الركض هنا وهناك دون قدرة على الكلام، ولا التنفّس، كان فى خطر أكبر من بنتهما، من الهواء البارد.

فى الليلة الأولى هذه ببيتهما، كانت فاليا تقيم حفل عيد ميلادها فى بيتها، فأرسلت مارينا لى

لتهنئتها، لكنه لم يعد سريعاً كما وعد. و انتظرت مارينا. كانت طفلتهما تبكى وكانت تجهل كيف تبدّل الكافولة. كان الحال تماماً فى الإكلينيكى الثالث، حيث تمارس المرأة هذا الفعل بدميّة، لكن الحال الآن مع طفلتها الحيّة وكانت تخشى أن تقتلها أو تلمسها. لذا كانت تبكى وكانت طفلتها تبكى وزوجها ليس فى البيت. ركضت للجانب الآخر لهذه الجارة التى لديها أطفال وسألتها ماذا تفعل ـ ثمّ صار كل شىء على مايُرام. علّمتها جارتها كيف تضع كافولة نظيفة لجون بالطريقة الروسيّة، قِماط. كانت قد تعلّمت ذلك من قبل، لكنها الآن صارت تتقنه.

كان الوقت متأخراً حين عاد لى للبيت، وكان سكيراً.لم يسبق أن رأته سكيراً لتلك الدرجة. كان صاخباً، يغنى، وقد أراد الرقص. قال،" جعلونى أسكر لأجل ابنتى، للخالة فاليا، ولمارينا . كان يغنى طوال الطريق للبيت. قال،" الآن، لدى فتاتان". بلى، رجلها الأمريكى المسكين لم يعتد الفودكا الروسيّة. كان أمراً مضحكاً بدرجة فظيعة رؤيته على هذا الحال. قال أشياء كثيرة سخيفة لها ولجون. أقسم على حبّه وبحبّه، وكان شديد الابتهاج، دون مشاكسة على الإطلاق ـ بل مطيعًا جداً، فى الواقع، خجولاً. قبل أن يمضى وقت طويل، دخل مباشرة إلى السرير، سقط فوقه.

قد يكون عيد ميلاد فاليا، لكن لدى إيليا أسبابًا أخرى ليتذكره. لقد تكلّم ستيبان معه وكتب مُذكِّرة صُنِّفت على أنّها فائقة السريّة.

قابلت عميلنا فى وزارة الشئون الداخليّة "ب" فى مقابلة يوم ٢٣ فبراير ٦٢ قال إنّه تكلّم مؤخراً بمناسبتين مع ابنة أخته، مارينا، بشأن رحيلها المرتقب من الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة. شرح "ب" لمارينا ضرورة التصرف بطريقة فاضلة وألا تشترك فى أية دعاية مناهضة للسوفيتيّة أو أى نشاط عدائى آخر موجه للاتحاد السوفيتى، حتى لا تتسبب فى أى متاعب لـ "ب" وأقاربها الآخرين الّذين يعيشون فى الاتحاد السوفيتى. وقد تعهدت مارينا لـ"ب" أنّها لن ترتكب أى أفعال فى الولايات المتحدة من شأنها تعريض "ب" أو أقربائها الآخرين للخطر.

سيواصل "ب" حواراته التلقينيّة وسيتكلّم مع "ليخوى" كى يمتنع حال وصوله للولايات المتحدة عن إصدار أى بيانات تشوّه سمعة اتحاد الجمهوريات السوفيتيّة الاشتراكيّة.

أوضح "ب" أنّه فى حوار مع مارينا، تعبيراً عن اهتمامه بصلاحها، أنّه استعلم ما إذا كانت قد لاحظت أى شىء مثير للشبهة فى سلوك ل. هـ. أوزوالد أو تصرّفات من شأنها إظهاره بشخصيّة موضع شكّ. أقرّت مارينا لـ"ب" أنّها لم تلحظ شيئاً من هذا القبيل فى سلوك أوزوالد.

أثناء لقائه معها، سأل أيضاً "ب" مارينا لو أنّها لاتخشى أن يتعرّض أوزوالد للقمع على يدّ السلطات الأمريكيّة؛ لأنّه سبق وفرّ من الولايات المتحدة. مارينا على وعى، و قد سبق أن صارحها أوزوالد، أنّه فى

الولايات المتحدة لا يُعد جريمة تهدده بالاعتقال وأنّه، يُفترض، طبقاً للقوانين الأمريكيّة، ما من أساس لاستجواب أوزوالد بهذا الشأن عقب عودته للولايات المتحدة.

قد يكون ثمّة توتر منظماتى حاضر فى مثل هذا اللقاء بين كولونيل بالداخليّة ونقيب بالاستخبارات السوفيتيّة. فى وقت ما، كان ميشا كوزميخ جار إيليا، كبير أطبّاء فى منسك للكى.جى. بى. ووزارة الشئون الداخلية كليهما. كان طابور من المرضى من كلتا المنظمتين يُشكّل مكتبه الخارجى بوصفهم مرضى ينتظرون دورهم، لكن حينما كان يجىء عقيد من الداخليّة، على أيّة حال، يقترب من ممرضة ميشا كرئيس هائل، وكانت تدعه يدخل. كان عقيداً و يلبس زيّه الرسمى، وعموماً، كان رجال الكى.جى. بى. أكثر تواضعاً. لم يكونوا يلبسون زيّاً رسمياً، وهكذا تفشل فى تعيين رتبهم. ربما كانوا جيدى الملبس وأنيقين، لكن كان عليهم الانتظار فى الصفّ.انزعجت الكى. جى.بى. بالتالى، لكنها فشلت فى عمل شىء حيال هذا الأمر. كانوا شديدى التكتّم بشأن الكشف عن أيهم أعلى رتبة بين ضباطهم. فى الواقع، كانت الكى. جى. بى. شديدة الاستياء درجة أنّهم فى النهاية أنشأوا عيادتهم العامة لهم وحدهم، بل حتى مستشفاهم الخاصة، كوسائل لتجنّب مثل ذلك الإزعاج.

كانت ثمّة اختلافات أخرى، فقد كانت الكى. جى. بى. تقوم بالمراقبة وكذلك وزارة الشئون الداخليّة، لكن

الأخيرة تقوم بها بصورة أكثر بدائيّة، ثمّة قول رائج بها: " إن كنت تملك ما يكفى من القوة، فلا حاجة بك للعقل

طبعاً، إذا تطلبت مهمة تأميناً داخليّاً، كانا يتعاونان. مع ذلك، عادة لتميّز من كان من منظمة ومن كان من أخرى، لأنّ العاملين بالكى. جى. بى. أفضل أخلاقاً وأكثر تهذيباً. ليقول ميشا ببعض الثقة إنّ كثيراً ممن تكلّموا عن إحضارهم عبر الاستخبارات السوفيتيّة كانوا فى الواقع مجلوبين عبر الشئون الداخليّة. فلأن كليهما كان يقع فى المبنى ذاته فى ميدان لينين، كنت لا تميّز بين جهة وأخرى لمجرّد الاستدعاء لذلك المبنى الأصفر الضخم، ذى العمدان البيضاء السامقة فى الواجهة الأماميّة ذات الأبواب الواطئة.

ـ ٧ ـ

" ثمّة ميكروبات فى فمك"

أذهب لتسجيل (حسب نصّ القانون) الطفلة. أريد أن يكون اسمها جون مارينا أوزوالد، لكن هؤلاء الموظفين البيروقراطيين يقولون إنّ اسمها الأوسط يجب أن يكون مطابقاً لاسمى الأول. عُرف روسى مدعوم بقوّة القانون .أرفض كتابة اسمها "جون لى". يعدون بمخاطبة حكومة المدينة (البلديّة) وإيجاد حل لتلك المسألة، بسبب حيازتى لجواز سفر أمريكى.

مداخلته التالية بتاريخ ٢٩ فبراير، رغم أنّ سنة ١٩٦٢ ليست سنة كبيسة

٢٩ فبراير

قيل لى أنّ لا أحد يعلم ما يجب عمله تحديداً لكنهم جميعاً يوافقون، "توكّل على الله و سمّها " Po-Russki حسب الطريقة الروسيّة "الاسم: جون لى .

حين جاءت فاليا للزيارة، كانت مارينا تكوى الحفّاضات، ولأنّها كانت ناشفة جداً، فقد شفطت بعض الماء فى فمها ورشته رذاذا. قال أليك، ماذا تفعلين؟ ثمّة ميكروبات فى فمك" . عنى هذا لفاليا أنّه كان يهتم لأمر الطفلة. فى الواقع، التقط طبقاً ووضع فيه بعض الماء وعلّم مارينا كيف تبلل الحفّاضات بأصابعها، خفيفاً. طبعاً، قد تكون أسرة مارينا أنيقة حين تنظر إليهم، لكن فاليا علمت الآن ـ مخزون ريفى. مخزون ريفى ثرى. تاتيانا مثلاً، لم تكن مُتعلّمة ـ كانت تقرأ بشق الأنفس ـ لكن مع ذلك، أنيقة.

بعدئذٍ، فى يوم أوائل فصل الربيع، وقت أنّ جرت مشاجرة فظيعة بين مارينا وأليك فى بيت فاليا، قال أليك،" ابق فى روسيا لو كنت تشائين، لكن على الأقل دعينى آخذ طفلتى ومن ثمّ انتزعت مارينا جون وقالت، ليس لديك حقّ فى انتزاع طفلة من أمّها وكانت فاليا موزعة بينهما، ثمّ قالت لمارينا إنّ أليك كان يقف شاحباً كشبح عند شباكها. طبعاً، سويّا خلافهما، وكانت فاليا المُصلحة، وكانت تواصل القول، انظرى ماذا فعلتِ به

عقب زواجه، لم تسمع ستالينا شيئاً من أليوشا. لااتصال مباشر. عقب ولادة الطفلة، على أيّة حال، بدأت مشكلة خطيرة، لأنّه اتصل، قال، لعلمك، مارينا تجهل كيف تطبخ، ولا تنظّف البيت وأردف، أنت ياستالينا لديك طفل ومع ذلك تذهبين للعمل . لكننى أرجع للبيت و أحضر لها المال ودون أن تغسل

ملابسنا. البيت وسِخ، والطفلة تبكى. ليس عندها ما آكله...

أخبرته ستالينا أنّ ذلك كان وضعاً غريباً. يجب أن تتكلّم معها، قالت له. أوضح لها ! فى وجود طفلة، على المرأة أن تشتغل. يجب أن تقوم زوجتك بالتنظيف والطهى. يجب أن تساعدها، طبعاً، لكن هذا ما عليها عمله

بعد هذه المناقشة، ما من كلمة قيلت لفترة، ثمّ اتصل مرّة أخرى وقال، ماما، هذا الوضع لا يُحتمل. طفلتنا لا تتم رعايتها. أغادر للعمل جائعاً وأعود للبيت جائعاً. وباستمرار نتعارك وبدأ بالبكاء

أحياناً، ليقابل ستالينا ليلاً. كانت تُدرِّس فى مدرسة ليليّة للعمّال، وفى طريقهما أثناء المشى، كان يبكى، علانيّة فى الشّارع، بلى. ثمّ كان يشرع فى القول إنّه ما من طريقة يستطيع عبرها كسب مزيد من النقود فى مصنعه، وفى النهاية كانت تُصِرُ على الذهاب

لا أحد يمكنه القول إنّه لم يكن يملك جوانب مُختلفة يقدّمها لناس متباينة. يمكننا الوثوق أنّ الخارجيّة الأمريكيّة كانت ترى بشق الأنفس أوزوالد فى الضوء ذاته مثل ستالينا

يوم ٩ مارس، كتب جوزيف نوربرى، القنصل الأمريكى فى السفارة، إلى أوزوالد لإبلاغه أنّ السفارة الأمريكيّة كانت الآن مخوّلة لتسليفه مبلغ

٥٠٠دولار،"لتغطية تكلفة السفر إلى ميناء دخول أمريكى له و لأسرته:

... سيتوقع منك طبعاً استخدام أرخص طرق النقل المتاحة (و) سيُطلب منك توقيع مذكرة تعهّد عن الدين وقت تسلمك المبلغ

لم نتسلم حتى الآن عريضة التأشيرة المصدّق عليها لزوجتك (لكن) بمجرّد التصديق عليها، يمكنك إحالة جواز سفرك لمكتب الجوازات السوفيتى من أجل تأشيرة خروجك

لماذا لم تتسلّم السفارة الأمريكيّة فى موسكو التصديق على تأشيرة مارينا ؟ هل كانت ثمّة عقبة لاتزال لم تُزح ؟، وقال أوزوالد لمارينا، إن لم يسمحوا لك بدخول أمريكا .سأبقى فى روسيا . لن أسافر وحدى فى تلك اللحظة كانت لتسانده لو قال لها إنّهما مضطران للسفر إلى القمر. كانا حقّاً أسرة، قررت. ها هى الأيام الخوالى تعاود المجىء لزواجهما

الآن، حينما كان يجىء لى من الشغل، كانت ترتسم على وجهه ابتسامة مهما كان مدى سوء يومه. قد يخبرها بمتاعبه فى العمل فيما بعد، لكن متى فتح بابهما، كان يقول، بابا رجع للبيت أو، هأنذا" ليعلن عن مجيئه وكأنه كان ممثلاً يثب فوق خشبة المسرح، وكانت تتطلع إلى ذلك. فتاتاى، بابا هنا، كل حاجة تمام. . فتاتاى الصغيرتان(*). أنا فى البيت"

(*) بالروسية فى الأصل.

بمجرّد حضوره، كان يخلع ثيابه المتسخة، ويأخذ دُشّاً سريعاً، ويلبس ثياباً نظيفة. طبعاً، كان الماء الساخن يتوافر ثلاثة أيام بالأسبوع، لذا فثمّة أيام لاتوجد بها مياه ساخنة، وما كان ليتحمّل دُشّاً بارداً بل يكتفى بتنظيف نفسه من الأوساخ. ليست مضطرة لتسخين الماء له، وكان لى ليساعدها بغسيل الملابس أيضاً وأحياناً غسيل الأطباق

فى تلك الأثناء، كان الإعفاء من العقوبات مع ذلك قيد النفاد. المراسلتان التاليتان كانتا تفصحان عن نفسيهما. الأولى من القنصل الأمريكى جوزيف نوربرى فى موسكو إلى الخارجيّة الأمريكيّة فى واشنطن.

١٥ مارس

مطلوب قرار فى أقرب وقت ممكن بخصوص إعادة النظر فى الإعفاء من عقوبات ٢٤٣ (ج) لمارينا أوزوالد. زوجها... يتصل هاتفيّاً ويكتب للسفارة بشكل متكرر لمعرفة سبب التأخير.اعتبرنا أنّه من عدم الحكمة مناقشة مشكلة ٢٤٣(ج) ما دام الإعفاء لايزال ممكناً، إلا أن اكتشاف عدم ملاءمة الأمر بصورة متزايدة أرجأ أوزوالد.

الثانيّة من روبرت أوين، فى مكتب شئون الاتحاد السوفيتى فى الخارجية الأمريكيّة، إلى جون كرمب، الضابط فى مكتب تأشيرات الخارجيّة المختص بقضيّة أوزوالد، وقد تكون أكثر المذكرات الفردية أهميّة فى الملف.

١٦ مارس ١٩٦٢

مكتب التأشيرات السيد جون إ. كرمب

مكتب شئون الاتحاد السوفيتى روبرت آ. أوين

... يعتقد مكتب شئون الاتحاد السوفيتى أنّه من مصلحة الولايات المتحدة إخراج لى هارفى أوزوالد وأسرته من الاتحاد السوفيتى ووضعهم على الطريق لهذه البلاد بأسرع ما يمكن.شخصيّة متقلّبة، تصرفاتها لا يمكن توقعها إطلاقاً، درجة أن قد يرفض أوزوالد مغادرة الاتحاد السوفيتى أو بالتالى محاولة العودة هناك لو جعلنا من المستحيل له أن يكون برفقة زوجته وابنته من موسكو.

مثل هذا التصرّف من جانبنا سيسمح كذلك للحكومة السوفيتيّة محاولة إثبات أنّه رغم إصدار تأشيرة خروج للسيدة أوزوالد منعاً لانفصال أسرة، إلا أنّ حكومة الولايات المتحدة فرضت فصلاً إجبارياً عبر رفضها إصدار تأشيرة للزوجة. (علاوة على ذلك) سيتطلّب انعطافاً لدولة ثالثة مزيداً من الديون الإضافية للولايات المتحدة.

يوصى مكتب شئون الاتحاد السوفيتى بالتقدّم لمصلحة الهجرة و التجنيس بطلب إعادة النظر على أساس عاجل بقراره المتعلق بالإعفاء من ٢٤٣ (ج) للسيدة أوزوالد... بدافع جزئى من حقيقة أنّ أوزوالد يستهلك ديونه أثناء انتظار الوثائق.

كانت مارينا مع ذلك غير واثقة من رغبتها فى السفر. كانت تبحث عن نصيحة، وقد حاولت بنات

مخزن الأدويّة تسويّة هذا الأمر معها، وكانت تقول لهن، تُرى ماذا سأفعل؟ لدىّ طفلة، والطفلة لابد أن يكون لها أبّ سوى أنهن كُنّ يقلن إنّها كانت بصدد السفر لدولة أجنبيّة مع رجل ليس متزناً كما يجب. يريد الحياة هنا، يتزوج، يجعلها تحبل - ثمّ بغتة يريد العودة إلى أمريكا. فيه الكثير من الأمور المجهولة. ربما تحتاج ابنتها لأبّ، لكنه كان ينقل زوجته لبلد جديد دون معرفة - هل تستطيع التكيّف مع هذا الوضع؟ مع ذلك، كان الناس يتربون هنا بطريقة مختلفة. إنّه يدفع بزوجته إلى هناك دون حتى أن يفكر في مسألة شعورها مستقبلاً.

-٨-

أفكار ثانوية

مع كل حاجة أخرى، كان لى يتبادل الرسائل مع قائد لواء فى قوات البحريّة.

٧مارس ١٩٦٢

عزيزى السيد أوزوالد:

... تكشف مراجعة لملفك فى مقر القيادة هذا... عن معلومات موثوقة أشارت إلى أنّك تخليت عن جنسيتك الأمريكيّة بنيّة أن تصبح مواطناً دائماً بجمهوريات الاتحاد السوفيتى الاشتراكيّة. لقد بذل قائد تدريب احتياط البحريّة الجويّة، مساعى مسئولة لإبلاغك بحقك فى المثول أمام مجلس المراجعة شخصيّاً كن فى غياب ردّ منك بشأن حقوقك، التقى (المجلس) يوم ٨ أغسطس ١٩٦٠ فى وقت تقديم

توصية بفصلك من احتياط القوات البحريّة كشخص غير مرغوب فيه...

المخلص،

ر. ماك. طومبكينز.

قائد لواء بالقوات البحرية الأمريكيّة

يستطيع المرء الشعور بضغطة يدّ أوزوالد فوق كل كلمة يختارها للتأكيد فى ردّه يوم ٢٢ مارس.

سادتى الأعزّاء

ردّاً على إشعاركم بتسريحى بوصفى شخصاً غير مرغوب فيه ونقلكم للإجراء الّذى بلغنى.

أودُّ الإشارة فى تعارض مباشر مع معلوماتكم إلى أنّنى لم يسبق لى أبداً أن اتخذت خطوات للتخلى عن جنسيتى الأمريكيّة، وكذلك لا توجه وزارة خارجية الولايات المتحدة أى اتهامات أو شكاوى ضدى البتّة.

أحيلكم للسفارة الأمريكيّة فى موسكو، أو وزارة الخارجيّة الأمريكيّة فى واشنطن العاصمة، للتحقق من هذه المسألة.

كذلك، (لم) أُعلم بنتائج تحقيق مجلس الضبّاط فى ٨ أغسطس ١٩٦٠ بل أبلغتنى أمّى فى ديسمبر ١٩٦١

طلبى لوزير البحريّة، الّذى أحاله إليكم، ورسالتكم لى، لا يقولان شيئاً بشأن مراجعة، والتى كنت أحاول ترتيبها.

تذكرون:" معلومات موثوقة" بوصفها أساس التسريح كشخص غير مرغوب فيه. لا شكّ عندى أنّها تخمينات الصحافة هى التى شكّلت: "معلوماتكم الموثوقة

طبقاً لقانون الولايات المتحدة المنظّم لاستخدام جوازات السفر والتصرّف خارج حدود البلاد، لدى حقّ كامل بالإقامة بأى بلد أشاء... وبالتالى، ليس لكم حقّ قانونى، ولا أخلاقى بإبطال تسريحى المشرفّ... وتحويله إلى تسريح كشخص غير مرغوب فيه.

يمكنكم اعتبار هذا الخطاب طلباً منى لإجراء مراجعة كاملة لقضيتى فى ضوء تلك الحقائق، لأنّه وقت تسلمكم هذا الخطاب سأكون قد عدت للولايات المتحدة الأمريكيّة مع أسرتى، وسأكون مستعداً للمثول شخصياً بوقت ومكان مناسبين فى منطقتى أمام مجلس مراجعة من الضبّاط.

يوم ٢٧مارس نبلغ المداخلة الأخيرة فى دفتر يومياته.

أتلقى رسالة من السيد فليبس (صاحب عمل أمى) يتعهد فيه بدعم زوجتى فى حالة الطلب.

٢٧ مارس ٦٢

أمّى العزيزة.

... يجب أن نكون فى الولايات المتحدة فى شهر مايو على الأكثر. وافقت السفارة على إقراضى ٥٠٠ دولار من أجل الرحلة، وكذلك، قبلوا شهادتى الخطيّة

بالدعم لذا فلن تكون شهادتك ضروريّة عموماً. على أيّة حال، لا تحاولى دفع رجل الأعمال صديقك ذلك لإلغاء شهادته الخطيّة ؛ فربّما نحتاجها يوماً ما. حسبما تقولين، رحلتى هنا من شأنّها صنع حكاية جيدة لى. لقد أمعنت التفكير بالفعل بهذا الخصوص فترة طويلة الآن. فى الحقيقة، فرغت فعلاً من كتابة خمسين صفحة بخطّ اليد فى دفتر عن هذا الأمر.

عميق محبتى

لى

٢٨ مارس

أمّى العزيزة

... سألتنى إن كنت سأمكث فى بيتك أم فى بيت روبرت فى فورت فورث. لا أظنّ أننى سأمكث بأيهما لكننى سأزوركما معًا. على أيّة حال، سأرغب بالحياة بمفردى...

١٢ أبريل ١٩٦٢

عزيزى روبرت

... يبدو وكأنّنا سنغادر البلاد فى إبريل أو مايو، الجانب الأمريكى فحسب هو من يعيقنا الآن. السفارة بطيئة الدرجة نفسها التى كان عليها الروس...

... الآن و قد انتهى الشتاء، لا أرغبُ حقّاً فى المغادرة حتى بداية الخريف؛ لأنّ الربيع والصيف هنا شديدا الروعة.

شقيقك

لى

هل جائز أنّه يفكر فى تسريحه كغير مرغوب فيه وكل المشاكل التى قد يسببها له أثناء بحثه عن وظيفة؟ قد تكون أمريكا فى انتظاره مثل قريب غاضب عيناه تتوهجان احمراراً.

ـ ٩ ـ

" وقاحة لا تعرف حدوداً"

من ١٦ مارس حتى ٤ مايو، لم يحدث تغيير فى المشكلة المتعلقة بالإعفاء.

برقية واردة لوزارة الخارجية

٤ مايو ١٩٦٢

من: موسكو.

إلى: وزير الخارجيّة.

مطلوب قرار فى أقرب وقت ممكن بخصوص إعادة النظر فى الإعفاء من عقوبات٢٤٣ (ج) لمارينا أوزوالد..اعتبرنا أنّه من عدم الحكمة مناقشة مشكلة ٢٤٣ (ج) ما دام الإعفاء لا يزال ممكناً، إلا أن اكتشاف عدم ملاءمة الأمر بصورة متزايدة أرجأ أوزوالد.

طومبسون

هل لدى أوزوالد أية فكرة كم عدد من كرههم، وبالمقابل من يمقتونه، ويعملون الآن من أجل قضيته؟ إنّ برقيات حتى تُرسل من موسكو باسم السفير طومبسون.

من خطاب يوم ٨ مايو كتبه جوزيف نوربرى إلى روبرت آى.أوين في مكتب الشئون السوفيتيّة، بوزارة الخارجيّة

عزيزى بوب

... ستكون قد لاحظت أيضاً برقيتنا المرسلة عبر الكبل يوم ٤ مايو بخصوص قضية أوزوالد. لو أنّ إعفاء ٢٤٣ (ج) لم يُمنح قريباً لهذا الشخص، أعتقد أنّه علينا استدعاء آل أوزوالد و إرسالهم إلى بلجيكا. لا لأنّ قلوبنا تتمزّق من أجل أوزوالد، فوقاحته لا تعرف حدوداً. لقد تضمّن خطابه الأخير طلباً متغطرساً بأن تكفّ وزارة الخارجية عن محاولة جمع تكاليف السفر من أقاربه فى الولايات المتحدة... فى المناسبتين أو الثلاث الأخيرة التى كلمنا فيها عبر الهاتف من منسك، كان علىَّ أن أشير بضعف إلى "مشكلة" لا تزال عالقة والتى تؤخر مسألة زوجته...

لو، لشهور، كانت الخارجية تطلب العدل للإعفاء من العقوبات، فالآن... مصلحة الهجرة و التجنيس التابعة لوزارة العدل تتخلى أخيراً عن موقعها التأديبى فى رسالة صادرة يوم ٩ مايو إلى ميتشل سيبلينسكى فى مكتب الشئون القنصليّة والأمنيّة بالخارجيّة.

عزيزى السيد سيبلينسكى

... يقرر خطابك أيضاً أنّ الإعفاء من العقوبات لمصلحة مدام أوزوالد سيكون لنفع الولايات المتحدة بدرجة كبيرة.

فى ضوء البيان القوى الّذى أوضحته فى خطابك المؤرخ فى ٢٧ مارس ١٩٦٢ فبموجب هذا نُخطرك أنّ العقوبات المفروضة طبقاً للقسم ٢٤٣(ج) من مصلحة الهجرة والجنسيّة قد تمّ التنازل عنها من أجل مدام أوزوالد.

المخلص لكم،

روبرت هـ. روبنسون، وكيل المفوض المساعد

وكالة السفر

يستحق الأمر جداً الاقتباس من الفقرة الأكثر بروزاً من خطاب ميتشل سيبلينسكى يوم ٢٧ مارس

... لو لم يتم إصدار تأشيرة لمدام أوزوالد من السفارة، ستكون الحكومة السوفيتيّة فى موقف يمكنها من الادعاء أنّها بذلت كل ما فى وسعها لمنع انفصال أسرة عبر إصدار تصريح الخروج المطلوب لمدام أوزوالد، لكن وقد رفضت هذه الحكومة (الأمريكيّة) منحها التأشيرة، إذًا فهى تعيقها عن اللحاق بزوجها و طفلتها...

أخيراً، يوم ١٠ مايو، تمكن جوزيف ب. نوربرى من الكتابة لأوزوالد يبشره بأنباء طيبة.

عزيزى السيد أوزوالد

يسعدنى إبلاغك أنّ السفارة الآن فى موقف اتخاذ العمل النهائى بشأن طلب زوجتك للتأشيرة. بالتالى، أنت وزوجتك مدعوان للمجىء للسفارة فى الوقت المناسب لك...

لدى السفارة نسختان من شهادة ميلاد زوجتك فى ملفكما ونسخة من وثيقة زواجكما، وبالتالى، تحتاج لإحضار نسخة أخرى من وثيقة زواجها، وثلاث صور، وأشعة إكس، وتحليل أمصال وشهادة تطعيم ضد الجدرى.

وكما سبق وأبلغت، ثلاث صور لابنتك ونسخة من شهادة ميلادها ستكون ضرورية أيضاً للتقرير القنصلى عن الولادة و تعديل جواز سفرك...

نرجو إبلاغ السفارة متى نتوقع مجيئكم .

ـ ١٠ ـ

وداع إيللا

ربما ذُكِر أنّ ماكس بروخورشيك كان الرجل الّذى تشاجر مع أوزوالد حين تبدّلت الإعدادات بمثقاب ماكس. يرجع هذا للأيام الأول من يناير ١٩٦٠ بعد بدئهما العمل مباشرة فى مصنع أفق. بعدها، راقت إيللا لماكس، بسبب وجود بعض الغموض بشأنها، فقد شوهدت كثيراً مع هذا الأمريكى. فيما بعد، خرج ماكس وشاب اسمه أركادى فى مجموعة من ثلاثة مع إيللا حتى اختارت ماكس وبعدها سرعان ما تقدّم للزواج منها، وقالت والدة إيللا، فليكن، لتكن زوجتك وهكذا تزوجا يوم ٤ مايو ١٩٦٢ بحفل صغير جداً. خمسة عشر شهراً مضت منذ توقفت عن رؤية أوزوالد، دون أن يتبادل معها لى الكلام ولا مرّة واحدة. فى الحقيقة، كان يتظاهر الآن أنّه لا يعرفها،

لكن فى يوم، فجأة، ومايو يوشك على الانتهاء، جاء إلى طاولة شغلها وإيللا تستعد فحسب للعودة للبيت وتناول الغداء مع زوجها الجديد. دخل لى، مشى مباشرة نحوها، وقال،" هل يمكن أن نتقابل اليوم؟ ثمّة شىء أريد الكلام معك عنه".

فقدت إيللا السيطرة على تفكيرها. لو كانت تزوجت منذ فترة أطول قليلاً، كانت ربما قالت نعم، لكن وقد عاشت مع ماكس أسبوعين فحسب، وكان قريباً جداً لها إلى درجة أنّه كان يتتبعها، ويراقب كل خطواتها، فقد فكّرت أنّها قد تعجز عن لقائه، وجائز لا ينبغى بها، بعد ذلك الشجار بين ماكس ولى منذ عامين. هزّت رأسها، وقالت،" لقد تزوجت لتوى فأجاب لى، هل تزوجتِ أحداً أعرفه ؟" فرمقته وقالت، بلى "، فأدار ظهره و مشى للخارج من الباب نفسه الّذى دخل منه. بعدها بأيام، أخبرتها واحدة أنّه قد سافر إلى أمريكا، لو كانت فحسب تعرف أنّه كان فى طريقه للرحيل.

تتذكّر أنّ لى بلا شكّ بدا وأنّه أراد مصارحتها بشىء، لكن أما وقد أشاح بظهره منصرفاً، لم يكن لديها وقت للتصرّف، ولم يراودها شعور يدفعها للركض وراءه.

تظن أنّ لى لابد وأنّه رآها مع ماكس. فى الأسابيع السابقة لزواجهما، كانت هى وماكس دائماً معاً، ولابد أن لى رآها لا وهى تغادر المصنع كل مساء

مع ماكس، بل وهى تسير معه للعمل كل صباح، لكن يقيناً لم ترق للى فكرة أنّها قد تزوّجت ماكس .

كانت إيللا شديدة الاندهاش، على أيّة حال، بشأن مسألة عودة لى إلى أمريكا. لقد شرعت حتى بتكذيب من تكلّموا عن ذلك. يقول واحد،" هل تعلمين أن لى أوزوالد فى أمريكا؟" وتردّ،" كلا، أستطيع أن أراهن فحسب أنّها ليست أمريكا المكان الّذى سيقصده . كانت شديدة الثقة من نفسها درجة أنّها أصيبت بدهشة هائلة لاحقاً حين اكتشفت أنّها كانت مخطئة

ـ ١١ ـ

أخـذ إجازة

من نُسخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ ـ ٢٩٨٣

عن الفترة : ١٩ مايو ١٩٦٢

ل. هـ. أ: كيف جرؤت ! لقد غبت عن العمل ثلاث ساعات بمكانٍ ما.

(الطفلة تبكى)

الزوجة: أيّها الأبله! لن أذهب لأى مكان معك. تستطيع أخذ الطفلة والرحيل. خُذها وارحل.

ل. هـ. أ: صه. خذى ابنتك.

(الطفلة تبكى)

الزوجة: اتركنى وحدى. افعل ما تشاء، لن أذهب معك. أنت لا تفعل أبداً شيئاً لمساعدتى. هيّا، أطعم

البنت. يمكنك قتلى، لكننى لن أرضعها. سأجلس فحسب هنا وأراقبك. ستصطنع هذه الفضائح حتى الثانية صباحاً. أنا فقط لا أنصرف من العمل وأتسكّع بمكان ما ـ يجبُ أن أنام فى تلك العيادة، ويبدو أنّ هؤلاء الأطباء يصرّون على عدم انتظارى.

(بكاء)

ماذا، هل علىّ إدارة البيت (من عيادتى)؟

ل. هـ. أ: بالضبط.

(يدخلان المطبخ).

الواحدة إلا عشر دقائق

الزوجة: (تصدر نشيجاً) اغرب عنى أيها الكلب! أيّها النذل! لا تُحدّق بى هكذا ـ فلا أحد يخاف منك.اذهب للجحيم أيّها الوغد !.

ل. هـ. أ: أنت مهذبة جداً.

الزوجة: يمكنك السفر لبلدك أمريكا بدونى، وآمل أن تلقى حتفك فى الطريق.

(يغادر ل.هـ.أ.)

(يسود هدوء فى الشقّة)

كان هذا الحوار بعد الظهر. فى مساء اليوم ذاته، وصل بافل، ثمّ جاء رجل وامرأة لزيارتهما. بالنظر لطبيعة الحوار، لابد وأنّهما السيد والسيدة زيجر، لذا يظهران هنا باسميهما بدلاً من ـ كما فى الوثائق ـ رجل مجهول الهويّة ٣ وامرأة مجهولة الهويّة ٢ ونظراً

وقد تصرّفنا بهذا القدر من الحريّة مع نسخ الاستخبارات السوفيتيّة، فالآن ستستبدل الزوجة بمارينا و. ل. هـ. أ يمكن أن يظهر بوصفه لى.

التاسعة والنصف

مدام زيجر: لقد قرعنا الباب مرّة بعد أخرى!

مارينا: كُنّا فى شرفتنا، فلم نسمع شيئاً.

مدام زيجر: أين ابنتك ؟ لنأمل أن تكون بخير، لها عينا أمّها، أنهما واسعتان.

لى: لها عينا أمّها وشفتاها وأنفها. لقد ورثت كل شىء من أمّها، ولا شىء منى.

مدام زيجر: فى المرة القادمة سترزقان بصبى.

لى: لقد تلقينا بالفعل كل أوراقنا.جائز أن نسافر يوم الثلاثاء...

مدام زيجر: كيف ستسافران ؟ بالسفينة أم بالطائرة ؟.

لى: من موسكو إمّا بالقطار أو بالطائرة. يعتمد الأمر على نوعية التأشيرة التى يمنحونها لنا...

(ينخرطون جميعاً فى كلام ما دون أن أستطيع تمييز حرف واحد).

مدام زيجر: حين تكبر، لن تعلم أبداً أين ولدت. ربما ستأتى جين لزيارتنا وقتاً ما.

السيد زيجر: الزيارة مسألة أخرى. يجب عليها فحسب ألا تجىء هنا للإقامة.

لى: هل أعددت لنا شاياً ؟.

مدام زيجر: لا تقلقا بشأننا، نحن على ما يرام.

لى: هل توجد أكواب ؟.

مارينا: لدينا كوبان علاوة على كوبى الصغير. لقد حزم بالفعل كل شىء.

لى: أثاثنا كله.حجرة فارغة.

مدام زيجر: ... أنت سعيد، طبعاً ؟.

لى: نحن جميعاً سعداء.

مدام زيجر: مارينوخا، أكيد ؟.

مارينا: لست سعيدة لتلك الدرجة، طبعاً...

مدام زيجر: تكون (الطفلة) شقراء، ستكون رائعة الحُسن.

لى: ستتمتع بحياة طيبة، وسيكون عندها كل شىء ...

(يتكلّمون جميعاً فى آن واحد، من الصعب تبيّن المعنى)

(يصل بافل وينتقل الرجال الثلاثة للمطبخ)

مدام زيجر: مارينوخا.لا تدرين كم أحسدك. أنت بصحّة جيدة جداً.

مارينا: سأصل (إلى أمريكا) مع ابنتى. لا أدرى، ربما سيكون وضعاً صعباً. قد لا يجد عملاً.

مدام زيجر: لِماذا لن يجد عملاً ؟..ستستقران، وتكون الأمور كلها على ما يرام، سيكون عندك الكثير، ستمتلكين الحريّة.

مارينا: سنمتلك المال والحريّة.

مدام زيجر: ربّاه، كم أكره الحياة فى تلك المدينة. ليس لديك الكثير من البياضات. هل لديك صندوق ؟ ربّاه، ولدينا الكثير من الخُردة! كم جلبنا ! وكم سنتخلى! ثمّة خزانة أطباقنا، وسريرنا ومرآتنا الطويلة المتأرجحة، من خشب السنديان، ضخمة. والأطباق ! لقد بعناهم كلهم.

مارينا: فى البدء ربما لم يكن لديك ذلك كله ؟.

مدام زيجر: بلى، أتذكّر ذلك وكأنّه كان بالبارحة. كان فى الواحدة والعشرين وكنت بالرابعة والعشرين. كنتُ أكبر منه.

مارينا: تبدين و كأنك الأصغر...

مدام زيجر: ماذا عن ترتيباتكما للنقود؟.

مارينا: ادخرنا... لأنّنا بتلك الطريقة على حدٍّ سواء.

مدام زيجر: كم تُكلّف الرحلة ؟.

مارينا: تكلفة التذكرة ٤٤٠ روبلاً جديداً. لاثنين.

مدام زيجر: ألم تساعدك زوجة خالك قليلاً؟.

مارينا: لا.

مدام زيجر: شكراً لله أنّك مسافرة.إنّه قدر أن قابلت حبيبك الأمريكى...

مارينا: سأخبرك بحاجة.إنّه يساعدنى.

مدام زيجر: أهم شىء على الإطلاق أن ليس له عشيقات أخريات.

مارينا : ومن يدرى، ربما لن أصير دائماً حلوة فى عينه. لن أقول إننى حقّاً حلوة.

مدام زيجر: لديك روح طيبة.

مارينا: فى البدء لم يكن سعيداً أن جاءت بنتاً لا ولداً، لكنه الآن لا يعير الأمر اهتماماً.

مدام زيجر: كلا. إطلاقاً، سيحبّها.

مارينا: إنّه يحبّها الآن.

(تتكلّمان عن الطفلة،عن حقيقة أنّ بعض الأزواج سيئون، يسكرون أو يعاملون زوجاتهن بصورة سيئة)

مدام زيجر: قد لا تشائين المجىء إلى هنا للزيارة وقتاً ما...

مارينا: من الأسهل الحياة هناك. سيكسب مزيداً من النقود أكثر مما يكسب هنا. ماذا يمكنه العمل هنا؟ تعملين وتعملين ولا تنالين إلا الفتات.

مدام زيجر: ... مذهل أن زوجة خالك لم تمد لك يدّ العون ـ كان بإمكانها على الأقل أن تشترى لك هديّة.

مارينا: عمّا تتكلمين! إنّها حتى لم تشتر حفّاضات لجون . هى وهو لوحدهما يكسبان آلافاً. كان بإمكانهما على الأقل شراء شىء. لا أطلب هدايا غالية، يجوز قبعة صغيرة بأربعين كوبيكاً. الآن، قدّمت فتيات مخزن الأدوية مساعدة ـ واحدة منهن ستحضر حفّاضات، وأخرى ستحضر حاجة ثانية. القليل يساعد.

مدام زيجر: هل ودعت فعلاً زوجة خالك ؟.

مارينا: ليس بعد.

مدام زيجر: متى أخبرتيها ؟.

مارينا: أظنُّ أنّهما تلقيا رسالتى قبل يوم أمس... قلت لها إننى كُنت راحلة." هل جننت ! سترحلين رغم كل شىء

مدام زيجر: أنا أتبع زوجى. أينما ترحل الإبرة، يتبعها الخيط...

(تتكلّمان عمّا ستلبسه مارينا فى رحلتها، تتكلّمان عن الأثاث : كم، تقريباً، سيتقاضيان نظيره، ثمّ تتكلّمان عن البنت)

مارينا: أليك، تعال هنا، إنّها نائمة.

العاشرة وأربعون دقيقة (يجىء لى وبافل والسيد زيجر من المطبخ)

مدام زيجر: إذا يا أليك، هل ستفتقدنا ؟.

لى: طبعاً، سنفتقدكم جميعاً.

(الجميع يصرخون، أعجز عن تبيّن ما يُقال، يلتقط بافل صوراً)

(يتكلّمون جميعاً فى آن واحد، أعجز عن تبين الكلام).

مدام زيجر: عليك أن تعد بتعلم هذه البنت اللغة الروسيّة.

لى : أعدك.

مدام زيجر: من المفيد تعلّم الروسيّة، إنّها لا تؤذى أبداً. أليس من الرائع أن تستطيع فهمها ؟.

(يتكلّم الرجال عن الراديو، و تتكلّم النساء عن مشكلهما، أعجز عن استيعاب شىء).

بافل: لن تفحصكما الجمارك.

مارينا إنهم لا يفحصون أى شىء عموماً ـ بل كيفما اتفق.

مدام زيجر: حين وصلنا إلى أوديسا. كان ثمّة مستودع هائل، كل واحد جلب سبعة أو ثمانية صناديق. أحضرنا بيانو وعربة أطفال، وأربعة صناديق هائلة ملؤها كل شىء ـ كل شىء ـ لقد جلب المرء حمولة نصف قطار من الحاجات. وتقول النساء الأوكرانيات:"انظروا لكل الحاجات التى أحضروها معهم، ويقولون إنّ هؤلاء الناس يتضورون جوعاً وقد جاءت بناتى يلبسن كعوباً عالية رفيعة انظرن لتلك الكعوب!" كُنّا مخيبين للآمال، لا يمكنك التخيّل... لقد تغيّرت الأحوال هنا كثيراً خلال هذه السنوات الخمس الأخيرة!

بافل: إلى الأسوأ ؟.

مدام زيجر: بل إلى الأفضل. لنأمل ذلك. لقد سئمت الحياة والمعاناة فى بلد كروسيا، أضخم وأغنى دولة.

بافل: فى التحليل الأخير، عدد القنابل فى كل دولة ليس بتلك الفظاعة. متى وجد عدد كافٍ من القنابل، ما من أحد سيشعل حرباً.

السيد زيجر: لابد وأنّك مختل.

بافل: يقولون إننا نتسلّح لأنّ الأمريكيين يريدون الحرب، لقد كان لدى الأمريكيين قنبلتهم قبل أن نصنع خاصتنا، لماذا لم يهاجموا حينئذٍ؟ لأنّهم لا يرغبون بالحرب. لا أحد يريد الحرب.

السيد زيجر: لا أدرى إن كانت ستقوم حرب أم لا.

بافل: لا يمكن أن يدوم نظامان إلى الأبد.

السيد زيجر: لو أنّ الماركسيّة حقّاً صائبة، إذا فالرأسمالية تحتضر، تنتهى صلاحيتها، وهكذا يبقى نظام واحد.لكن لو أنّها خاطئة، إذاً فلن تدوم الشيوعيّة. لقد تغيرت الشيوعيّة حين تقارنها بالشيوعيّة التى وصفها إنجلز و ماركس.

(تشويش، لا شىء مسموع)

مدام زيجر: وداعاً.

السيد زيجر: سنظل نرى بعضنا لحين سفركما.

الحادية عشرة وعشر دقائق (يغادر السيد والسيدة زيجر).

كان ثمّة شىء لم تصارح به أحداً قطّ. بدا خارج السياق. مع ذلك، قبل أن يغادرا روسيا، اصطحبها لى إلى الشرفة وسألها أن تجرّب ـ قبل أن تترك وظيفتها فى مخزن الأدويّة، قال: حاولى الحصول على بعض المخدرات وأحضريهم للبيت، وحينما أخبرته باستحالة الحصول على مثل تلك المواد بطريق غير

شـرعى ـ يـجب أن تـوقّع علـى كل الأوراق ـ قـال،" ألا تستطيعى سرقتها؟" وكانت لا ترغب. لا تستطيع ولا ترغب.

لـكن لـهـذا اليـوم، لـيست لـديـهـا فـكـرة لِـمـا أراد مخدرات. لم يقل مورفين أو أمفيتامينـات، "مخدرات فحسب. لم يكن الحال كأنه كان مدمن مخدرّات، لماذا، لقد كان حتى يعجز عن شرب الكثير من الكحول، ربما أراد بيع المخدرات فى منسك كى يتمكّن من السفر إلى أمريكا بمزيد من النقود، لكنها لم تستوعب الأمر. كان خـائفـاً درجـة المـوت حـتى من مـسـألـة تـهـريب أوراقه المكتوبة للخارج، وقد أمضى وقتاً طويلاً بالتفكير أين يضع تلك الصفحات المبهمة. كان يأتى على ذكر تلك المسألة مرّة بعد أخرى فى الشرفة.

من نُسخِ الكى. جى. بى.

عن الهدف : أ. ل. هـ ٢٩٨٣

عن الفترة : ٢٠ مايو ١٩٦٢

لى: ... لن تقولى شيئاً. ستجيبين عن أسئلتهم، (لن) تتكلّمى. ستقعدين هناك دون التفوه بحرف، فهمت؟.

مارينا: لو واجهتنى متاعب، فعليك التدخل.

لى: هذا كل ما فى الأمر.إنّها مسئوليتى. عليك فحسب الجلوس مشدودة... (فى السفارة الأمريكيّة) يجب أن تقولى: لا، لست عضوة فى اتحاد مُسجّل لم يسبق لى أن كنت فى أية منظمة سوفيتيّة.

مارينا: إذا فهم يقاضونك على ذلك فى أمريكا؟ لماذا أضطر للسفر إلى دولة كتلك ؟.

لى: قولى ذلك فحسب.

مارينا: لم أغادر بعد و المتاعب تبدأ فعلاً، وتمهّل حتى أصل (إلى أمريكا) ـ آه، أنت روسيّة ! أنت عضو فى اتحاد مُسجّل !.

لى : صهِ، أفكارك سخيفة.

مارينا   أنا امرأة سوفيتيّة. لست خائفة من أي شيء. إذا كنتُ عضوًا فى اتحاد مُسجّل، فأنا عضو ولن أخفى ذلك !.

لى: بلهاء !.

مارينا: ليس لدى ما أخاف منه.

لى: غبيّة ! قولى (فحسب) أنّك صيدلانيّة...

مارينا: حسناً، لن أذهب لدولة يقاضون بها المرء عن كل كلمة. (قوسان فى الهامش الأيسر).

لى: (ضحك أبله).

مارينا: أيّها المختل المتباهى! ستنفجر كفقاعة صابون.

لى: لقد انفجرت أنت منذ وقت طويل...

مارينا: ... الشرفاء لا يخفون شيئاً، لكنك مخادع، أنت دائماً تغشّ، أنت تغشّ الجميع.

العاشرة وخمس دقائق (يغادر لى)

الواحدة وعشرون دقيقة (تصل سونيا، تتكلّمان عن ابنة مارينا)

سونيا: ... ليس لديك الكثير من الأغراض، حقائب سفر فقط، صحيح ؟

مارينا: حقائب سفر فقط.

سونيا : هذا كل شيء ؟.

مارينا : يجب أن أمسح الأرضيّة قبل أن نسافر.

سونيا : لماذا ؟ دعيهم يقومون بالأمر.

مارينا : يجب أن تكون مصقولة.

سونيا : ليس ضرورياً. يمكنك الاكتفاء بمسحها فحسب...

أخيراً، بعد عام من قرار الرحيل، والاستعداد للرحيل، بعد كتابة كل رسائلهما ومنح كل تصاريحهما، بعدما بيعت وحُزِمت كل مقتنياتهما، لا يزال باقياً يوم ونصف على السفر سوى أنّهما سيغادران الشقّة الآن ويقضيان ليلتهما ويومهما الأخير فى منسك بشقّة بافل. فى اليوم التالى، عشيّة الرحيل، قابل ستيبان إيليا بروساكوف مرّة أخرى.

من تقرير الكى.جى.بى.

يوم٢١ مايو ١٩٦٢ أدرت لقاءً مع خال ناليم"(*) الخال بروساكوف، آى. فى.الذى أبلغنى أنّه يوم ٢٠ مايو زارته ابنة أخته مارينا فى مكتبه برفقة "ناليم .فى حوارهم، أخبر "ناليم بروساكوف بنيتهما السفر إلى

(*) كانت الاستخبارات السوفيتية فى الواقع تطلق على أوزوالد كنيتين، أحدهما ليخوى والآخر، وهو الأقل استعمالا، ناليم، والذى يعنى شبيه سمكة الإنقليس أو الخبيث (المؤلف).

موسكو... يوم ٢٢ مايو لملء كل الوثائق الضروريّة ثمّ السفر إلى أمريكا.

كنتيجة لذلك، أسدى بروساكوف وزوجته، كونهما أقارب مارينا، لها ولزوجها بعض النصح، خصوصاً، بروساكوف، تعبيراً عن اهتمامه بصالحه، طالباً من مارينا وناليم ألا يشتركا بأية تصرفات معادية للاتحاد السوفيتى عقب وصولهما للولايات المتحدة. ذكّر بروساكوف "ناليم بالمعاملة الطيبة التى لاقاها دائماً من الشعب السوفيتى والتسهيلات التى حصل عليها. وأكّد ناليم لبروساكوف أنّهما لن يضطلعا بأى أفعال تضر الاتحاد السوفيتى، وفى الوقت ذاته، أوضح ناليم أنّه لتجنب أى لقاءات أو مقابلات صحفيّة ممكنة مع المراسلين، فإنّه قد قرر الذهاب مباشرة لمقر إقامة شقيقه دون التوقّف فى نيويورك.

قبل رحيلها إلى موسكو، يُفترض بمارينا زيارة شقّة بروساكوف مرّة أخرى. نظراً لهذا الأمر، أوصى بروساكوف بالكلام معها لتلقينها بما يساعد على منع مارينا و"ناليم من الاشتراك بأية دعاية مناهضة للسوفيتيّة بالخارج، وقد تم لفت انتباه بروساكوف لإدراك أنّ هذه المقابلة لا تلقى بأية شبهة على جانب مارينا و"ناليم .

عزيزى روبرت

... سيكون ذلك خطابى الأخير الّذى تتلقاه مِنا من الاتحاد السوفيتى.

في حالة سماعك عن وصولنا أو سماع الصحف بذلك (آمل ألا يحدث)، أريد أن أحذرك ألا تصدر أى تعليقات بشأنى. ولا تعليق إطلاقاً! أعلم ما كان يُقال عنى حين تركت الولايات المتحدة فقد أرسلت لى أمى قصاصات من الصحف، على أيّة حال، أدرك أنّها كانت صدمة الأنباء ما جعلك تقول كل هذا الكلام. عموماً، سأذكرك مرّة أخرى ألا تصدر بيانات أو تعليقات لو اقتربت منك الصحف منذ الآن وحتى وقت وصولنا فعلاً للأراضى الأمريكيّة.

أرجو أن أراك قريباً. محبّتى للأسرة.

شقيقك

لى

جاء الأصدقاء حاملين الزهور لتوديعهما، وقد علمت مارينا أنّها تغادر بلدها الأم روسيا، وأصدقاؤها وعائلتها خلفها. وهكذا، كانت فى طريقها كأنّها جنازة.على كل حال، فى جنازة، ترى شخصاً للمرة الأخيرة، ففكرت،" ها أنا أغادر وحال أقاربى كالموتى لقد أساءت ردّ الجميل جداً. لم تعتقد أن تحضر فاليا ولا إيليا، ولم يحضرا. بعض الأصدقاء فحسب.

القطار يستعد لمغادرة منسك، شرع آل زيجر وبافل فى التلويح، وكل الآخرين ممن جاءوا لتوديعهما (عدا إيريك ـ الّذى لم يأت)، والآن كانوا فى طريقهم إلى موسكو.

كان مقرراً أن يقيموا فى موسكو عشرة أيام، وقت كافٍ لاستخراج أوراقهما الأخيرة، وملء

استبياناتهما الأخيرة، ثمّ يغادران مرّة أخرى من موسكو بالقطار للمرور بمنسك مجدداً (لكن فى منتصف الليل) وفى الحقيقة، فى تلك الحالة، هناك، فى الواقع، فى الساعات الأولى من الصباح، وقد شقّا طريقهما هناك فى ظلام محطة منسك، حيث لا أنوار يمكنها الوصول، رأت مارينا زوجة خالها تتشبّث بخالها، كعصفورين يبنيان عشّاً، وقالت مارينا لنفسها، إنّها تحثّه على المجىء ثمّ شقّ قطارهما الليل، عبر بولندا، ولاحقاً ألمانيا، وهولندا. لقد قضيا أياماً عديدة بهذا القطار، لكن كان ذلك بعدها. فحين كانا لا يزالان فى موسكو، زار لى ومارينا وابنتهما جون صديقى مارينا يورى بيليانكن وزوجته جالينا، وقضيا معهما أمسية واحدة.

فى اليوم التالى، زارت جالينا السفارة الأمريكيّة مع مارينا، كى أكون صادقاً قال يورى بيليانكن للصحفيين، وقف شعرى حين أخبرتنى جالينا أنّها دخلت السفارة الأمريكيّة. فعلى كل حال، كنتُ أعمل فى وكالة أيديولوجيّة، التليفزيون المركزى، ولم يكن الأمر أنّى خائف ـ فقد فتح فعلاً الستار الحديدى شقّاً ـ لكنه لم يكن شيئاً من شأنه مساعدتى على الترقى، أيضاً

أثناء الحدث، حينما كانت جالينا بالداخل، جلست فى رواق الزوار وقضت وقتها فى تأمل المجلات الأمريكيّة. بالنسبة لوجود لى ومارينا هناك، على أية حال، كان وقتاً قصيراً. أخبر جاك ماتلاك،

المسئول عن مقابلة مارينا فى السفارة من أجل تأشيرتها، أوزوالد، الملاصق بشكل دائم لها، أن طالبى التأشيرة يجب حضورهم بمفردهم. احتج أوزوالد بأنّ زوجته لا تعرف الإنجليزيّة، فأكد ماتلاك للزوج أنّه يعرف الروسيّة. لم يتحرّك أوزوالد، فالتقط ماتلاك بعض الأوراق من فوق مكتبه على علاقة بشغل آخر ثم شرع فى قراءتهم. بعد خمس دقائق، سأل أوزوالد متى تبدأ المقابلة مع مارينا وقيل له أنّه ستبدأ بمجرّد أن يغادر الحجرة، وبناءً عليه تقهقر أوزوالد خارجاً.

كان ماتلاك متأثراً بالاختلافات بين هذين الزوجين. كانت مارينا متواضعة ورتيبة، شابة سوفيتيّة صغيرة من الأقاليم تجد نفسها فى مكتب حكومة أجنبيّة، بينما بدا أوزوالد طاووساً كأنه نابليون فى شبابه.

حين بدأ ماتلاك فى مقابلته مع مارينا، سرعان ما قرر أنّها كانت تكذب بشأن عضويتها فى الكومسومول، لأنّها أنكرت أى انتساب لها. كان ماتلاك يعلم أنّ هذا مخالف للواقع بدرجة كبيرة وسجله فى تقريره، مشيراً لرأيه أن الطالبة لم تكن صادقة فى كلامها، لكن فيما بعد، لأنّ عضوية الكومسومول لم تكن مبرراً لرفض تأشيرتها، واصل، فى اللحظة المناسبة، بعد انتهاء الاستجواب، إجراءات منحها التأشيرة.

لنتذكّر الحوار الّذى نسخته الكى.جى.بى. والمأخوذ بشقّة أوزوالد يوم ٢٠ مايو، قبل أيام فحسب:

مارينا لا، تستطيع قتلى، لكننى لن أقوم بالتصرّف بالطريقة التى تريدها...

لى : يا للسخافة !

مارينا: ما من فائدة من الجدل...

لى: صهِ أيتها الغبيّة... لن تقولى شيئاً. ستجيبين عن أسئلتهم، (لن) تتكلّمى. ستقعدين هناك دون التفوه بحرف، فهمت؟.

مارينا: لو واجهتنى متاعب، فعليك التدخل.

لى : هذا كل ما فى الأمر.إنّها مسئوليتى. عليك فحسب الجلوس مشدودة... (السفارة الأمريكيّة) يجب أن تقولى: لا، لست عضوًا فى اتحاد مُسجّل. لم يسبق لى أن كنت فى أية منظمة سوفيتيّة.

مارينا: ... إذا كنتُ عضوة فى اتحاد مُسجّل، فأنا عضو ولن أخفى ذلك !.

لى: بلهاء !.

كما يتبين، توزعت المفارقة لشقّين. هو على حقّ وكذلك هى. كلا المنهجين ناجح. كل تلك المشاجرات المشبوبة هى بشأن مسائل لن يجرى فى الحقيقة مناقشتها.

فى الليلة الأخيرة قبل سفر آل أوزوالد، تناولا العشاء مرّة أخرى فى شقّة أمّ يورى، وواصل أليك أرجحة جون حتى قالت والدة يورى، " اذهب وضعها مع الآخرين فقال لى، " كلا، كلا يا صوفيا ليونتيافنا، أحبّ البقاء مع ابنتى عندئذٍ قال، " لقد أرجحت

بالفعل ثلاثة أطفال، لا تقلق فتخلّى عن جون، لكنه كان شديد الغيرة. وأضاف يورى، "كان نوعاً ما رجلاً أمومياً" ـ بمعنى : رجل وأم فى آن

لا توجد صور فوتوغرافيّة لتلك الليلة كما قال يورى للصحفيين، لأنّ التصوير السينمائى السوفيتى كان له عرف سخيف آنذاك. حين تحولوا إلى صناعة السينما، ألقوا بكل كاميرات التصوير الثابتة لديهم. كانت وجهة نظر، كانوا صُنّاع سينما عظماء ولم يأملوا فى الارتباط زيادة بالعمل مع كاميرات الفوتوغرافيا. كان بعدها فقط، حين شرع فى عمل أفلام وثائقيّة عن ناس مثل شوستاكوفيتش، حين فهم أنّ المرء يمكنه عمل أشياء جميلة من كاميرات الفوتوغرافيا فى التصوير السينمائى.

تتذكّر جالينا أنّ مارينا كانت شديدة التوتر أثناء زيارتها للسفارة الأمريكيّة. كانت جالينا قد أحضرت لهما تفاحاً لتأكلاه فى الطريق، وعند بوابات السفارة، قبل أن تدخلا، كان ثمّة قوس ضخم عنده اثنان من الميليشيا الروسيّة، ضخما الجثّة، يقفان عند الواجهة. بدأ كيس فاكهة جالينا فى التداعى، وعلى الفور ساعدها رجلا الميليشيا هذان فى التقاط التفاح. بطريقة ما، فى تلك الفوضى، مع أنّها لم تملك أوراقاً للدخول إلى السفارة الأمريكيّة، إلا أنّها دخلت مع لى ومارينا ـ زائد التفاح. لم تكن نيتها أن تخدع أحداً، لكنها الآن فى الداخل.

صارت جالينا الشخص الوحيد الّذى رآهم يرحلون من موسكو. سافرت أسرة أوزوالد عند الظهيرة، وتذكر جالينا هذا الجزء جيداً. بدأت هى ومارينا فى البكاء، كانتا تبكيان بصورة فظيعة، فالآن فقط أدركتا أنّهما كانتا تنفصلان للأبد. كانت مارينا تملك خاتماً صغيراً عادياً حول أصبعها، خاتم لؤلؤ مُقلّد وضاء ـ فلم يكن عندها أى حُلى حقيقيّة ـ لكنها ألبسته فى أصبع جالينا وقالت، ليس لدى ما أعطيه لك، لكن على الأقل لابد أن تأخذى هذا ولسوء الحظّ، فقدته جالينا بعدها بسنوات قليلة.

من أمريكا، كتبت مارينا خطاباً لهما، لكن جالينا لم تكتب ردّاً. يقول يورى الآن،" سأقول لكم بصدق، لم أسمح لها. لقد سألت مارينا فى خطابها ماذا ينبغى أن ترسل لنا، وكنتُ خائفاً من الردّ. كنتُ ما أزال أعمل فى التليفزيون المركزى

غادروا موسكو بالقطار يوم ٣٠ مايو ١٩٦٢ وسافروا عبر بولندا وألمانيا وهولندا. فى هولندا ركبا السفينة SS Maasdam إلى الولايات المتحدة، ووصلوا نيويورك فى ١٣ يونيو ١٩٦٢.

تصرّح الصفحة رقم واحد وثلاثين من تقرير مكتب التحقيق الفيدرالى الأمريكى بشأن التحقيق فى اغتيال الرئيس كيندى أنّ:

قد تأسس تحقيق للمباحث الفيدرالية الأمريكيّة بشأن أوزوالد فى ٣١ مايو ١٩٦٢ حين أُعلنت الإف.

بى. آى. بعودته مرّة أخرى عبر السلطات المختصة بالهجرة. هدف هذا التحقيق كان لتحديد ما إذا كان أوزوالد قد جندته الاستخبارات السوفيتيّة.

القسم الثامن

فى حجرة انتظار التاريخ

ـ ١ ـ

عبر المحيط المالح

على متن السفينة، كتب أوزوالد بعض الصفحات، لديه كل القرطاسيّة المجانيّة التى يحتاجها مجاملة من خطّ هولندا أمريكا البحرى، وقد أخذ يدوّن إجاباته المتوقعة بأول لقاء له مع الصحافة فى أمريكا. يعيش مع الاحتمالات.هل يجب عليه أن يكون صريحاً وبالتالى لا يُنسى؟ أم ينبغى أن يكون دبلوماسيّاً، زائفاً، وحكيماً؟ إنّه رجل كفء وفن الحياة السياسيّة هو التلاعب بالمتلاعبين.إنّه يطرح على نفسه ثمانية أسئلة، جميعهم عدا الردّ الخامس الّذى ينعطف إلى تفسير مفصّل للقاء قديم تمّ عبر الخدمة الهاتفيّة فى موسكو، تستحق التكرار.باستثناء السؤال السادس، يمثل العمود الأول ردوده الصريحة بينما يمثّل العمود الثانى فكرة أوزوالد العامة فيما يتعلّق بالعلاقات القابلة للتطبيق.

س١ : لِماذا ذهبت لاتحاد الجمهوريات السوفيتيّة الاشتراكية ؟.

ذهبت علامة على الاشمئزاز والاحتجاج ضد السياسات الأمريكيّة بالدول الأجنبيّة، وإشارة للسخط والرعب الشخصى من خطّ التفكير الضال للحكومة والشعب الأمريكيين

ذهبت بوصفى مواطناً أمريكيّاً (سائح) بغرض الإقامة فى دولة أجنبيّة، وهو ما أتمتّع بالحق الكامل فى القيام به. ذهبت هناك لرؤية الأرض والشعب ورؤية كيف يعمل النظام.

س٢ : فقرة أ ـ ماذا عن تلك الرسائل ؟.

لقد كتبت رسائل عديدة عبّرت فيها عن المشاعر السابقة للسفارة الأمريكيّة حين، فى أكتوبر ١٩٥٩ ذهبت إلى هناك للتخلى بشكل قانونى عن الجنسيّة الأمريكيّة وقد رُفِض هذا الحقّ القانونى.

لم أكتب أيّة رسائل من شأنها إهانة الولايات المتحدة! فى مراسلاتى مع السفارة الأمريكيّة، لم تصدر عنى تعبيرات مناهضة لأمريكا. وأى انتقاد قد أكون عبّرت عنه فهو للسياسات لا لحكومتنا.

س٢: فقرة ب ـ هل صدرت عنك بيانات مناهضة للولايات المتحدة هناك ؟.

نعم

لا

س٣: هل انتهكت أىَ قوانين بالإقامة و العمل بالاتحاد السوفيتى ؟.

نعم. فى هذا الصدد حلفت قسم الولاء لاتحاد الجمهوريات السوفيتيّة الاشتراكيّة.

حسب القانون الأمريكى، قد يفقد المرء حماية الولايات المتحدة إن صوّت أو خدم بجيش دولة أجنبيّة أو حلف قسم الولاء لتلك الدولة. وأنا لم أقم بشىء من ذلك.

س٤: ألا يُعدُّ كل الشغل بالاتحاد السوفيتى عملاً حكومياًَ ؟.

بلى طبعاً، وفيما يتعلّق بذلك انتهكت أيضاً القانون الأمريكى بقبولى العمل بدولة أجنبيّة.

كلا. عملياًّ، المصانع وحدها ما يعمل بشكل المباشر لأجل الدولة، عادة المصانع الدفاعيّة (ما يتبع الدولة). المصانع الأخرى مملوكة للعمّال الذين يعملون فيها...

س٥: لماذا بقيت فى الاتحاد السوفيتى طويلاً لو كان كل ما أردّته هو إلقاء نظرة عن كثب؟.

أقمتُ بالاتحاد السوفيتى من ١٦ أكتوبر ١٩٥٩حتى ربيع ١٩٦٢ فترة عامين ونصف؛ لأنّنى كنتُ أتمتع بحياة مريحة جداً. كان لدى وفرة من المال وشقّة بإيجار مجانى، والكثير من النساء الخ. لماذا ينبغى علىّ ترك كل ذلك.

أقمتُ بالاتحاد السوفيتى فى هدوء حتى فبراير ١٩٦١ حين كتبت للسفارة أطلعها على رغبتى فى العودة. (كان جواز سفرى بالسفارة بهدف الحفظ)

وقد دعونى إلى موسكو لهذا الغرض حيث أعادت لى السفارة جواز سفرى على الفور ونصحونى بكيفيّة الحصول على تأشيرة خروج من الروس لى ولزوجتى الروسيّة. هذه العملية الطويلة والشّاقة استغرقت شهوراً، من يوليو ١٩٦١ حتى مايو ١٩٦٢...وهو سبب بقائى هناك كل تلك المدّة، رغماً عنّى.

س٦: هل أنت شيوعى ؟.

بلى. جوهرياً.

رغم كراهيتى للاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى، ما زلت أعتقد أن الماركسيّة يمكنها النجاح تحت ظروف مُغايرة.

كلا. طبعاً لا.

س٧: فقرة أ ـ هل تعرفت أبداً على شيوعى؟.

ليس فى الولايات المتحدة الأمريكيّة.

لم يسبق لى قطّ أن تعرّفت على شيوعيين خارج الاتحاد السوفيتى ـ لكنك تعجز عن تحمّل ذلك.

س٨: ما الاختلافات البارزة بين الاتحاد السوفيتى و الولايات المتحدة؟.

لا شىء. عدا أنّه فى الولايات المتحدة مستوى المعيشة أعلى قليلاً، الحريّات تقريباً متشابهة، المساعدة الطبيّة والنظام التعليمى أفضل بالاتحاد السوفيتى عنها فى الولايات المتحدة.

حرية التعبير والسفر، المعارضة الصريحة للسياسات التى لا تحظى بالشعبيّة، حرية الإيمان بالله.

الصُحف: شكراً يا سيدى، كم أنت وطنى حقيقى!

أثناء إبحار الباخرة SS Maasdam إلى أمريكا.

لا يمكننا التأكد مما إذا كانت قد تألفت مسودة مبكرة من معتقداته السياسية أيضاً فى الأيام العشرة التى قضاها على متن الباخرة، فالعقيدة مكتوبة على ورق مدموغ باسم شركة هولندا ـ أمريكا البحريّة، لكن فيما بعد، استطاع الكتابة لاحقاً فوق ورق اشتراه من الشاطئ، مع ذلك، كانت رحلة عودته وقتاً طبيعيّاً لمثل هذا المسعى. لقد درس ماركس ولينين، وليس غريباً عن فكرة أن كبار القادة السياسيين غالباً ما يؤلفون دفاترهم الخالدة فى المنفى أو السجن أو، بالنسبة لتلك المسألة، أثناء الانتقال بالصالون السياحى على متن باخرة رخيصة. بهذا الأسلوب، يجهز المرء لافتراض أنّه وضّب نفسه لأمريكا. سيعود بجوهر فلسفة سياسيّة لشعب مستعد لتلقى رسالته، ولو كانت مهمته أن يصير شخصية بارزة فى الاتحاد السوفيتى لم تحرز نجاحاً، فإنّها قد تكون سلّحته كى يعود لأمريكا بإحساس أعمق تماماً بالغرض الرؤيوى سيحسّن من طبيعة كلا المجتمعين.

... بالنسبة لشخص على دراية بكلا النظامين وملاحقهما الوظيفيّة، لا يمكن أن يوجد توسّط بين النظامين كما هما اليوم و تلك الذّات.

لابد أن يكون فى تناقض مع مؤسساتهما الأساسيّة ووكلائهما...

إنّ الديمقراطيّة الحقيقية يمكن ممارستها فقط على المستوى المحلى. فى حين تبقى وظائف الدولة المركزية، الإداريّة، و السياسيّة أو الرقابيّة، لا يمكن أن توجد ديمقراطيّة حقيقيّة (التى لابد أن) تكون اتحاداً فضفاضاً من الجماعات على مستوى وطنى دون أيّة دولة مركزيّة مطلقاً...

من جهة أخرى، فى وجود إجراءات وقائيّة ضد ائتلافات الجماعات، يمكن للديمقراطيّة أن توجد ـ لا فى سلطة تفويض الدولة المركزية، بل فى العدد الوافر من الجماعات المتساوية التى تمارس و تتطوّر الديمقراطيّة على مستوى محلى...

أعتزم طرح بديل ما... المطلوب مجموعة عمليّة وبنائيّة من الأشخاص الراغبين بالسلام لكنهم معارضون مُخلصون لإحياء القوى التى أودت بحياة ملايين البشر وقادتهم إلى الدمار فى دستة من الحروب والآن، فى هذه اللحظة، تقود العالم إلى خطر لا يمكن تجاوزه...

لكن الآن كم منكم جرّب اكتشاف الحقيقة وراء أكليشيهات الحرب الباردة ؟.

لقد عشتُ تحت النظامين كليهما. التمست الإجابات ومع أنّه لمن اليسير أن أخدع نفسى بالاعتقاد أنّ أحد النظامين أفضل من الآخر، إلا أنّى أعلم أنّ الحقيقة خلاف ذلك.

إذًا فقد جاء إلى أمريكا قد تمأسست فى رأسه ركيزة أنشطته المستقبليّة، سيشترع حركة سياسيّة من المبادئ الأنقى، والأسمى.

ـ ٢ ـ

العـودة للوطـن

النائب فورد: حينما عاد، بعد استعارة النقود من الحكومة الفيدرالية، هل طلب منكم فى أيمّا وقتٍ مضى أى عون ومساعدة فى سداد القرض ؟.

روبرت أوزوالد: عند وصوله إلى مدينة نيويورك، وأعتقد أنّ ذلك فى ١٣ يونيو ١٩٦٢ تلقت زوجتى مكالمة هاتفية من مركز الخدمات الخاصة للإنعاش الاجتماعى الّذى مقره مدينة نيويورك مفادها أنّ لى وأسرته قد مثلوا لديهم أو أنّهم فى حاجة لتمويل كى يصلوا إلى وجهتهم بفورت ورث، تكساس، وأنّ السيدة التى تكلّمت مع زوجتى قد أوضحت لهم عدم قدرتهم على مساعدة الأسرة وإن كان واحد من أبناء العائلة فى سبيله لمساعدتهم، فمن الأولى به عمل ذلك فوراً. كانت زوجتى لا تدرى شيئاً إلا أن قالت طبعاً

سنساعدهم، و هذا ما كنت أريدها أن تقوله. اتصلت بى فى مكتبى ذلك اليوم (و) أرسلت المال تلغرافياً إلى مكتب الإنعاش الاجتماعى فى نيويورك، عناية لى هارفى أوزوالد.

النائب فورد: وذلك كان المبلغ الّذى استعملاه، مارينا ولى، للوصول إلى فورت فورث.

روبرت أوزوالد: ذلك صحيح يا سيدى.

النائب فورد: هل سدد لى أبداً ما اقترضه منك؟.

روبرت أوزوالد: بلى يا سيدى، سدد.لقد أنفق فى الحقيقة ما يزيد قليلاً عن المائة دولار لشراء تذكرتى الطائرة وطبعاً، قابلناه فى دالاس، لوفّ فيلد، لدى وصولهم هناك.فى اليوم التالى، رغم إصرارى أن يحتفظ بالمبلغ، إلا أنّه أعاد ما تبقى معه من المائتى دولار و قال إنّه سيعيد لى الباقى بمجرّد ما يستطيع وقد قلت له ألا يقلق بذلك الشأن، بل يلتقط أنفاسه وبراحته (و) قد سدد المبلغ من عشرة إلى عشرين دولاراً كل أسبوع من راتبه.

من رواية مارينا:...أذكر أننا أخذنا استراحة قصيرة فى أطلانطا لعدة دقائق فى حين كانت الطائرة تجهّز لرحلتها الإضافية. خرجنا لاستنشاق بعض الهواء المنعش ، وكانت عيون الناس تلاحقنا بارتياب. لا أستطيع التبجّح بالطريقة التى كُنا عليها من التأنق، فحتى جون كانت تلبس بالطريقة الروسيّة. فى روسيا، كانت أذرع... الأطفال و سيقانهم تُلفّ فى

أقمطة... والنتيجة أنّهم كانوا يبدون مثل مومياء مصريّة، أنظر لنفسى الآن بعيون مُغايرة وأتصوّر كم كان مشهداً هزلياً منظرنا آنذاك.

قابلنا روبرت وأسرته فى دالاس، كنتُ شديدة الحياء من درجة القذارة التى لاحت علينا. كلانا كان منهكاً من السفر دون أن يكون لدينا ثياب مناسبة لنلبسها على أيّة حال، ناهيك عن الكلام عن الصورة التى لابد وأن شعرى بدا بها.و أخشى أن روبرت هو الآخر كان خجلاً من أن يكون لديه قريبة مثلى، لكنهم ناس طيبون جداً ولم ينطقوا بحرف موجه لى، بل على العكس تماماً، لقد ساعدونى فى الاعتياد على البلاد الجديدة. وقد منحتنى مباشرتهم الرقيقة لى وللأسرة برمتها على الفور انطباعاً جيداً جداً عن الأمريكيين (حتى وإن) شعرت بالغربة بدرجة ما...

النائب بوجز: هل كانت العلاقة بين أسرتك وزوجتك ومدام أوزوالد...صافية ؟.

روبرت أوزوالد: بلى يا سيدى. سأصفها بشديدة الصفاء...أنا و زوجتى كلانا كُنّا راضين درجة الموت، إن جاز التعبير، لفرصة الوجود برفقة شخص مثل مارينا و أن نُريها أشياء لم يسبق لها أن رأتها أبداً.

من رواية مارينا: أذكر أنّ روبرت قد اقترح أن أبدّل ملابسى بأخرى قصيرة لأن الجو كان دافئاً جداً فى تكساس فى الصيف. هذا الأمر كان بمثابة ثورة بالنسبة لى، فحتى ذلك الحين كنتُ قد شاهدت فى

الأفلام فقط كيف كانت النساء الأمريكيات يمشين ببساطة فى الشوارع بثيابهن القصيرة...

اصطحبنى روبرت للفرجة على المتاجر الأمريكيّة وكنت مبتهجة ببساطة كل حاجة، وبتوافر الكثير من الأشياء التى كنتُ أحلم بها فحسب... وقد وقعت على الفور فى هوى إعلانات النيون الكثيرة..يجوز تعوّد الأمريكيون عليها ولا يولونها اهتماماً، لكن بالنسبة لى كانت غير مُعتادة ـ هذا المرح ـ الأنوار العديدة الألوان فى النوافذ والإعلانات جعلتنى أشعر بالبهجة...

السيد جينَر: ... ماذا لاحظت، ولو على النقيض، بطريق المقابلة، فى مظهره الجسدى والسلوكى بالمقابل لآخر مرّة رأيته عام ١٩٥٩؟

روبرت أوزوالد: كان مظهره قد تغيّر بدرجة ما، فقد خسر كمية معقولة من شعره (و) بدا بأول يومين تاليين لعودته، بالرابع عشر من يونيو ١٩٦٢ متوتراً وقَلِقاً إلى حدٍ ما...

السيد جينَر: هل أصدر أى تعليقات حين قابلته فى لوفّ فيلد وهل انطلقت معه من لوفّ فيلد إلى بيتك؟.

روبرت أوزوالد: بلى يا سيدى. كُنّا فى سيارتى الشخصيّة، وكانت زوجتى و أطفالى معى. قابلناه وزوجته وبنته، وقد بدا، يجوز الكلمة المناسبة هى، مُحبطاً، حين لم يحط به صحفيون. لقد علّق على هذا... أعتقدُ أن تعليقه كان على (شاكلة)،" ماذا، لا مصوّرين ولا أى شىء ؟"

قلت،" كلا. لقد كنتُ قادراً على إبقاء الأجواء هادئة

السيد جينّر: وأين بدرت عنه هذه الملحوظة ؟.

روبرت أوزوالد: فى لوفّ فيلد، أثناء عبورهم البوابة...

السيد جينّر: وقد وقر فى عقلك التغيّرات التى طرأت على مظهره الجسدى، وكذلك سياق الأحداث منذ يوم وصوله إلى لفّ فيلد للوقت الحاضر، ألم تكوّن رأياً، يا سيد أوزوالد، بشأن احتمال ما إذا كان شقيقك قد خضع لمعالجة من نوع ما بروسيا أثّرت على عقله ؟.

روبرت أوزوالد: بلى يا سيدى.منذ وفاة لى فى ٢٤ نوفمبر، كوّنت رأياً فيما يتعلق بهذا الجانب.

السيد جينّر: ما ذلك الرأى ؟.

روبرت أوزوالد: ...جائز شىء فى طبيعة علاجات الصدمة أو شىء من هذا القبيل قد خضع له فى روسيا...

لنتعدّ الجانب الأخوى للجانب الأموى :

مارجريت أوزوالد: كنتُ مشغولة فى كرويل بتكساس ... وكنتُ أقوم على رعاية كل النساءَ المسنّات ممن تعشن بناتهن فى فورت ورث بتكساس.

لذا، لم أتمكّن من المغادرة و لقاء لى.

روبرت، شقيقه، قابله وقد ذهب لى إلى بيت روبرت.

بعد أسبوع تقريباً ـ لم أطق الصبر زيادة ـ أخذت إجازة ثلاثة أيام ورُحتُ إلى فورت ورث لرؤية لى و مارينا.

مارينا امرأة جميلة، وقد قلتُ للى، مارينا، إنّها لاتبدو امرأة روسية، إنّها جميلة

يقول،" طبعاً لا تبدو كالروسيات، لذا تزوجتها لأنّها تبدو كامرأة أمريكيّة

سألته أين قابلها، وقد قال... بحفل اجتماعى، حفل جماهيرى.

قلت،" لعلمك يا لى، أنا مستعدة ـ كنتُ أجهز ـ لتأليف كتاب عن فرارك المزعوم"

قال،" أمّاه، لن تكتبى هذا الكتاب...

قلت،" لى، إياك وأن تملى علىّ ما أفعله..لن يؤثر هذا لا عليك ولا على مارينا. إنّها حياتى، بسبب فرارك

قال،" أمّاه، أقول لك إنّك لن تكتبيه؛ لأنّهم يستطيعون قتلها هى وعائلتها

فى حين كنتُ فى منزل روبرت، كان لى مباشرة بالخارج يبحث عن عمل، وقد أحسست بالسوء بشأن ذلك، لأنّ... فكّرت أنّه يجب أن يرتاح أسبوعاً أو أسبوعين قبل أن يبحث عن عمل.

لكننى أريدكم أن تعرفوا أنّه سرعان ما خرج للبحث عن عمل.

وهـذا هـو الـوقت الّـذى راح فـيـه لى إلى كـاتـبـة الاختزال الـعـمومى ، حيث أدلى بإفـادة أنّه كان يؤلف كتـابـاً...أنـا، نـفـسى، أعـطيـته الـعـشـرة دولارات الـتى أعطاها لكاتبة الاختزال العمومى.

مدام باتس: أعتقد أنّ ذلك حدث حوالى العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً يوم ١٨يونيو ١٩٦٢ ... دخل عندى... وقال، أولاً، أرغب بمعرفة سعرك و رؤية ما إذا كنت أتحمّله فـأعطيته سعرى... قلت إنّها إمّا دولارين ونصف بالساعة أو دولار عن كل صفحة (و) أخرج مغلف مانيلا الضخم خاصته، حجم شائع ـ آه، أظنه مقاس عشرة فى أربعة عشرة تقريباً ـ واحد من تلك المغلفات الضخمة، وقال..إنّ لديه دفاتر هـرّبها من روسيا، فرفعت بصرى نحوه بنوع من الدهشة وقلت، هل سبق لك أن ذهبت لروسيا ؟"

قـال، بلى يا سيدتى. لقد رجعت لتوّى وأنّه قد هرّب هذه الدفاتر من روسيا تحت ملابسه، ملاصقة لجلده...

وأنّه كان يـريد كتـابتهم على يد كـاتبة آلـة كاتبة مُحترفة. قال،" بعضهم مكتوب على آلة كاتبة صغيرة، البـعض الآخـر مـكتـوب بخطّ اليدّ بـالحبـر، والبـعض الآخر بالقلم الرصاص .

قـال، سـأكون مضطراً للبقاء هنا لمساعدتك بهم لأنّ بعضهـا مكتوب بـاللـغة الروسيّة والبعض الآخـر مكتوب بالإنجليزيّة فـاتفقنا على أن أقوم بالأمر ـ لكننى لم أرهم مع ذلك...

السيد جينَر: هل وصلتما لاتفاق نهائى بالنسبة للسعر ؟.

مدام باتس: حسناً، سرعان ما أخفضت السعر لدولارين بالساعة. كنتُ تواقة للخوض بالأمر.

السيد جينَر: لِماذا...؟.

مدام باتس: حسناً، أى واحد كان عاد لتوّه من روسيا و عنده دفاتر، ليروق لى رؤيتها. و... قد بدا طالباً بالثانويّة حين جاء أول مرّة. لقد حسبته محض غلام...

السيد جينَر: الآن، اتل علىّ أفضل ذكرياتك عن كل شىء قيل بتلك الحادثة...

مدام باتس: ... سألته كيف يعقل أنّه سافر إلى روسيا. قلت،" لا يمكن أن يكون أمراً سهلاً. كيف رتّبت الأمر ؟ لِماذا أردت السفر؟" ... لم يكن كثير الكلام، وكان علىّ متى أردت دفعه للكلام، أن أجرجره للحديث...

قال إنّ الخارجية الأمريكيّة أخيراً وافقت على السماح له بالسفر، لكنهم غير مسئولين عنه... فى حال وقوعه فى أى متاعب أو ما شابه.

وهكذا، سافر. وذلك كل ما تمكنت من الحصول عليه منه...

وبعدئذٍ انشغلنا وفتح هذه الحزمة الضخمة وأخرج دفاتره، وكما سبق وقلت، كانت قصاصات من ورق ليست بهذه الضخامة، بعضها (مشيرة بأصبعها)

وبعضها أجزاء ضخمة من الورق، بعضها كانت مطبوعة على الآلة الكاتبة والأخرى مكتوبة بالحبر والقلم الرصاص بخطّ اليد، وقال أنّه كان مضطراً لعمل ذلك متى استطاع، وأنّها عن ظروف المعيشة وظروف العمل فى روسيا...

السيد جينَر: هل قال متى جهّز هذه الدفاتر؟...

مدام باتس: كلها كُتِبَت فى روسيا، وقد هرّبها خارج روسيا، وقال إنّه طوال الوقت حتى عبور الحدود، كان (هو و زوجته) مرعوبين حدّ الموت...

السيد جينَر: هل ألمح إلى أنّ مارينا كانت مدركة لحيازته تلك الدفاتر؟.

مدام باتس: لم يقل. بل أشار فحسب إلى زوجته مرّة أو اثنتين فى الأيام الثلاثة التى كان فيها موجوداً عندى...

السيد جينَر: هل قضى فعلياً اليوم بطوله معك؟.

مدام باتس: كلا.كانت ثمانى ساعات إجمالاً فى ثلاثة أيام...قضيت ثمانى ساعات أطبع عشر أوراق، مسافات مفردة.

السيد جينَر: ذلك يوحى لى، بصفتى محامٍ، أنّك كنت تواجهين متاعب فى تفسير تلك الدفاتر ؟.

مدام باتس: ... كانت الكثير منها مخربشة..كان عليه فحسب..إخماد نبرة الآلة الكاتبة... كى لا يعرف الناس أنّه كان ـ ما كان يقوم به... قال إنّ (زوجته) تقوم بالتغطية أو المراقبة من أجله..أخبرتك أنّ (تلك

الدفاتر) كانت قراءتها آسرة داخل روسيا ـ كان هذا عنوانها...

السيد جينّر: هل طبعت كل دفاتره ؟.

مدام باتس: كلا ـو لا حتى ثلثها.

السيد جينّر: أطلعينى على ذلك الظرف.

مدام باتس: حسناً، يوم ٢٠ حضر وكان ـ آه ـ عصبيّاً إلى حدٍ ما. أمم ـ كان فى اليومين الآخرين يجلس هناك على مكتبى و ـ آه ـ لو احتجت سؤاله أى شىء، لِماذا، كنت أسأله. لكن هذا اليوم، كان يمشى جيئة وذهاباً ويتطلع فوق كتفى راغباً فى معرفة أين وصلت ـ وأخيراً أنهيت عشر صفحات، فقال،" الآن يا بولين، قلت لى ما أجرتك وأردف، هذه ثمانى ساعات عمل بعشر صفحات. لدىّ عشرة دولارات دون زيادة. لا أستطيع تركك تواصلين

وذلك حين سألته إن كان بإمكانى ألا أواصل وأطبع الباقى له.قلت له إنّنى أقوم بذلك دون انتظار مقابل، أو لو حصل على النقود، مرحى، يمكنه الدفع لى.

وقد قال،" كلا.لا أعمل بذلك الأسلوب. لدىّ عشرة دولارات وجذب ورقة بعشرة دولارات من جيبه وخرج.

السيد جينّر: هل كنت تستحوذين على تلك الدفاتر من يوم لآخر أم كان يستعيدها ليلاً ؟.

مدام باتس: آه . كان يأخذها معه. لم يترك أبداً أى شىء، ولم يغادر المكتب قطّ قبل أن يحزم ما طبعته ـ حتى ورق الكربون.

السيد جينّر: حتى ورق الكربون؟.

مدام باتس: آه. بلى، كان يأخذ ورق الكربون... كانت لديه أكثر العيون التى شهدتها طوال حياتى جموداً.

هل كان قد بدأ فى الارتياب ببولين باتس واهتمامها ؟ لو كان يشعر بجنون الارتياب، فشكوكه بالكاد تحققت عندما طلبت منه المباحث الفيدرالية الأمريكيّة فى الأسبوع التالى المثول بمكتبهم من أجل إجراء مقابلة.

من تقرير المباحث الفيدراليّة الأمريكيّة

رَمز : أمن داخلى ـ روسيا.

الإسناد: تقرير من العميل الخاص جون و ڤاين، دالاس، تكساس، ٦ يوليو٦٢

أفاد أوزوالد أنّ السوڤييت لم يقوموا بأيّة محاولات فى أى وقت لعمل "غسيل مُخّ" له، وأفاد أوزوالد أنّه لم يعط السوڤييت بأى وقتٍ قطّ أيّة معلومات من شأنّها أن تستعمل بطريقة تدميريّة ضد الولايات المتحدة. و أفاد أنّ السوڤييت... لم يسعوا مطلقاً لمثل تلك المعلومات منه. وأنكر أوزوالد أنّه فى أى وقت أثناء وجوده فى روسيا قد عرض على السوفييت إفشاء أية معلومات كان قد حصل عليها بوصفه مُشغّل رادار فى قوات البحرية الأمريكيّة.

... أفاد أوزوالد أنّه فى حال اتصلت به الاستخبارات السوفيتيّة تحت ظروف مريبة أو

بطريقة أخرى، فإنّه سيتواصل دون إبطاء مع المباحث الفيدرالية الأمريكيّة. وأفاد أنّه لا يؤيد الروس ولا النظام الروسى. (عموماً) رفض أوزوالد الإجابة عن السؤال المتعلق بسبب قيامه برحلته إلى روسيا فى المقام الأول. فى رباطة جأش، أفاد أنّه لا يعير انتباهاً لمسألة بعث الماضى

فى أثناء أغلب المقابلة، أظهر أوزوالد موقفاً متغطرساً و نافد الصبر. أفاد أوزوالد فى النهاية أنّ المسئولين السوفييت قد سألوه فور وصوله عن سبب مجيئه لروسيا، وأفاد أوزوالد أنّه قال لهم، جئت لأننى شئت ذلك وأضاف أوزوالد أنّه سافر إلى روسيا" لرؤية البلاد"

أشار أوزوالد إلى أنّ المحققين الصحفيين الّذين ظهروا فى الصحافة العموميّة من آن لآخر قد بالغوا جداً وزيفوا الحقائق.أفاد أنّ محققى الصُحف قد صوّروه كغير مؤيد للولايات المتحدة وجعلوه يبدو جذّاباً للروس. أفاد أوزوالد أنّه بسبب هؤلاء المحققين الصحفيين تلقى معاملة أفضل من السوفييت أكثر مما كان قد يلقى فى ظرف آخر.

عام ١٩٦٤حين مثل روبرت أوزوالد أمام لجنة وارين، توجّه إليه ألن دوللس، المدير السابق للاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة، ببعض الأسئلة.

السيد دووللس: كيف عرفت أنّ المباحث الفيدرالية الأمريكيّة قد تكلّمت مع لى ؟.

روبرت أوزوالد: ... كنتُ مدركاً أنّهم قد اتصلوا بمنزلى وطلبوا لى للحضور إلى مكتبهم فى فورت ورث والكلام معهم.

السيد دوللس: هل أدلى لك بشىء عمّا جرى على الإطلاق ؟ تفاصيل الحوار ؟.

روبرت أوزوالد: تفاصيل متناهية الصغر يا سيدى.

السيد جينَر: أى تفاصيل ؟.

روبرت أوزوالد: سألته حين عاد للبيت من العمل تلك الظهيرة كيف جرت الأمور، وقال،" تمام وقال إنّهم سألوه فى النهاية عمّا إذا كان عميلاً أم لا لحكومة الولايات المتحدة. وكان ردّه،" ألا تعرفوا؟"

ـ ٣ ـ

زيارة للأورجانز

لم تطلع مارينا أحداً، إلا إنّ دالاس وفورت ورث كانتا مخيبتين للآمال. لم تنبهر بتكساس، كانت تحسب أنّها تشبه فيلم أوكلاهوما ! الّذى شاهدته فى منسك وكان ملؤه رعاة بقر و الغرب الأمريكى، لكن هنا المشهد مختلف، كانت المنطقة المأهولة لا بأس بها لأنّ العشب كان مجزوزاً، ولا يهم مدى فقر المنزل فقد كان على الأقل ضخماً كفاية ليسع عائلة ـ سوى أنّها لم تحب المدينتين دالاس وفورت ورث. يفتقران للتناغم.تسبحان بالفوضى. مبنى واحد شاهق وثلاثة مبان أخرى قصيرة، ثمّ قطعة أرض فضاء. لا شىء أبداً جميل أو عتيق. كانت تجهل إن كانت المدينة تحتضر أو تنمو.كلا، لم تنبهر. الشىء الوحيد الّذى أحبّته حقّاً كانت رائحة أشجار السنطّ.

كتبت رداً للبنات فى مخزن الأدويّة و قالت إنّ اللغة الروسيّة كانت عسيرة على أليك وأنّه لطالما كان يخطئ فى نطق الكلمات، لكنها الآن كانت تعيش بمحاذاته، تخطئ نطق الكلمات الأمريكيّة. فى نهاية رسالتها، كتبت،" تذكّرن، أنا مارينا. لا تسمحوا لها بالضياع بين طيّات التاريخ"

طبقاً لِما أطلع عليه ستيبان الصحفيين فى خريف ١٩٩٢ فإنّ ملف ليخوى قد توقّف بحلول صيف ١٩٦٢ . فى تصرّفاته، وسلوكه، فى طريقة حياته، لم يكن ثمّة إشارة أنّه عميل استخباراتى بأى شكل.طبعاً، كان الاحتمال لا يزال قائماً أنّه قد أُرسِلَ لدراسة ظروف الحياة باتحاد الجمهوريات السوفيتيّة الاشتراكيّة عن قرب، وتلك المعلومات يمكن للجهات الأمريكيّة الخاصة استعمالها فيما بعد .مثل ذلك الاحتمال لا ينبغى استبعاده، مع غياب وسيلة للتحقق من صدقه. لطالما يسعى المرء التسكّع ولقاء الناس ودراسة كل شىء خالصاً لملاحظات عقليّة، ثمّ أثناء عودته للوطن، يمكن كتابة تقرير يكشف كل شىء. يعجز المرء عن عمل الكثير حيال ذلك، لكن بقدر ما يتعلق الحال بكون أوزوالد عميلاً نشطاً ـ كانت كل المؤشرات سلبيّة.

يمكنهم الطلب من عملائهم عبر البحار بالقيادة الأولى ممن تركزوا فى أمريكا، مراقبة أوزوالد الآن وقد عاد لوطنه، سوى أنّه سيكون أمراً عسيراً جداً، ومكلفاً جداً. أن يوضع تحت المراقبة فى الولايات

المتحدة ليوحى أنّهم اعتبروه فائق الأهميّة، لكن منذ مغادرته منسك، كان لم يعد يُنظر إليه ضمن فئة شديدة الخطورة، ولا أُعتبر أى من الروس ممن عاشوا فى فورت ورث مصدراً محتملاً.هناك، كان ضبّاط الكى.جى.بى. يتجنبون المجتمع الروسى والشيوعيين الأمريكان والمتعاطفين، وإن رأى عميل للاستخبارات السوفيتيّة يعمل بشكل غير شرعى فى أمريكا شيوعياً أمريكيّاً يأتى فى طريقه، سيسلك الاتجاه المخالف. لايودُّ المرء التيه فى حقل مراقبة المباحث الفيدراليّة الأمريكيّة. وهكذا، فى حين وجد بعض الاهتمام بملاحقة أنشطة أوزوالد عقب عودته لأمريكا، كانت أى تقديرات للمخاطرة و الكلفة تجعل هذا الاهتمام لايستحق العناء.

من جانب آخر، ما كانوا ليدعوا ملف ليخوى يموت، بل عليه أن يواصل الوجود، ولو حتى بمواد جديدة، الآن وقد صار أوزوالد فى أمريكا، يلزم أن تنساب عبر قنوات أخرى ـ عبر الصحافة، الراديو أو التلفاز. كانت دائرة العاملين فى السفارة السوفيتيّة بواشنطن تراقب كل تلك الأحداث فى أمريكا وطبعاً، كان كل ما يحصلون عليه يمضى بدوره إلى مركز موسكو، لأنّهم ما كانوا ليستبعدوا إجمالاً الاحتمال الصغير أنّ أوزوالد كان جاسوساً لأمريكا، وشديد البراعة درجة أن تملّص من انكشاف أمره. وهكذا، ليراقبوا الرسائل المتبادلة بينه وبين أشخاص سوفييت. فى هذا السياق، قد تمثّل رسالة بافل إلى

أمريكا فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٢بعد شهرين من عودة أوزوالد، شأناً جديراً بالاعتبار بالنسبة للأورجانز. كُتبت فى صيغة متوافقة مع شفرة مُحنّكة، طريقة من الإشارات الضمنية الخاصة التى لديها القدرة على الاستيعاب فحسب عبر عملاء كانوا يعملون معاً عن قرب.

١٥ سبتمبر ١٩٦٢

مرحباً يا لى ومارينا !

تلقيت رسالتكما اليوم عقب رجوعى من العمل. أنا أردّ عليها حالاً تغمرنى البهجة...

الحادث العرضى للمتباكين بشأن أيّكما كتب لى أمراً مسلياً إلى حدٍ ما، وهو يروق لى.إنّه حتى يشبه على نحوٍ ما نادرة، حدث غير متوقع. مارينا، لا ينبغى أن تطلعينى أنّك عاجزة عن إصلاح المسجلة، فلسنا نتكلّم عن التصليحات، بل إعادة الصياغة. إنّه لحال شديد السوء غياب مستويات متماثلة فى العالم لأكثر الأشياء أهمية. فى أوروبا خمسون سيكل موجودة فى ألمانيا وفى نصف الكرة الأرضيّة خاصتك ستون سيكل (موجودة) فى أمريكا.أيسر شىء أن تشترى موتوراً صغيراً يشبه ما لدينا فى البناء والحجم وأن تضعيه فى ذلك الصندوق...

قد لا تتزامن سرعة الدوران وحينئذٍ ستضطرين لمطابقة أقطار البطانات المعدنيّة مع بعضها تماماً. كبداية، جربّى نزع بطانة نحاسيّة صغيرة من محور الموتور...

إذًا، لو نزعتيها، ستقل سرعة دوران القرص. لاأذكر تحديداً العلامة التجاريّة لمسجلتك لكن لو أنّها من النوعية الأكثر انتشاراً فمؤكّد أن موتورها من هذا البناء...

بالمناسبة يا مارينا،... الفكرة الأساسيّة فى مسرحيّة بوجودين، رجل يحمل بندقيّة، متضمنة فى الكلمات الآن، لسنا مضطرين للخوف من رجل يحمل بندقيّة . هذا، حسب قول أطباء، مثال... وداعاً، فى انتظار رسائلك.

باقل

فى خريف عام ١٩٦٢ جاءت والدة باقل فى زيارة إلى منسك وأخبرته بأنّ الأورجانز قد شددوا عليها أن تصطحبه إلى مكاتبهم. قالت أمّه إنهم لم يستدعوها فحسب بل طلبوهما معًا هى وابنها للحضور مع كل رسالة تلقاها من أوزوالد. لم يع باقل السبب، كان واثقاً أنّ الكى.جى.بى. لديها نُسخ.مع ذلك، أخذ معه الرسالتين اللتين لديه بالفعل من أمريكا.كان أمراً غريباً. نظر الضابط وقال،" آه، لماذا أحضرت هذين الخطابين؟ لسنا فى حاجة لهما.لقد وقّعنا اتفاقية جنيف بشأن حريّة الخطابات والمراسلات، و لسنا فى حاجة لأى من هذا" . ثمّ أعادهما هذا الضابط له.جائز كان ذلك للتحقق مما إذا كانوا قد فوّتوا واحداً.

كان يجهل كم مرّة جرى استدعاء والده للكلام مع الأورجانز، لكن هنا فى منسك، مع أمّه، كانت تلك هى

المرّة الأولى لبافل فى المبنى، وقد قالت أمّه له فى طريقهما :"ستدمر عائلتنا بأكملها" كانت أمّه ولم يكن راغباً فى الشجار معها، لذا اكتفى بالإصغاء فى حين كانت تطلعه لأى مدى أضر بكل شىء بالنسبة لوالده ووالدته وحتى شقيقته.

من تقرير للكى. جى. بى.

١٣ أكتوبر ٦٢

أطلعتنى والدة جولوفاتشيف أنّها وزوجها... كانا ساخطين بسبب سلوك ابنهما، وكانا قلقين جداً بشأن تصرّفاته، بل وقررت والدة جولوفاتشيف حتى السفر خصيصاً إلى منسك من أجل الحصول على فهم أوضح لتصرفاته وعمل مقترحات ملائمة...

بالنظر إلى أنّه فى واحدة من رسائله إلى أوزوالد، التى أحضرها جولوفاتشيف، كان ثمّة ذكر لرواية (دكتور زيفاجو)، تحققت من مسألة ما إذا كان قد تلقّى (هذا الكتاب من أوزوالد) وكانت إجابة جولوفاتشيف سلبيّة...

رداً على سؤال بشأن كيف شدّت دكتور زيفاجو انتباهه، فسّر جولوفاتشيف أنّه شاء أن تألف نفسه هذا الكتاب متبرئاً من الفضول، كى يحوز فكرة ما عن ذلك العمل. شُرِحَ لجولوفاتشيف أنّ نُقّاد وكُتّاب الأدب السوفيتى البارزين وأفراداً آخرين من ألفت نفوسهم رواية باسترناك، دكتور زيفاجو، قد خلصوا لنتيجة مفادها احتواء الرواية على افتراءات عن الواقع

السوفيتى لا على قيمة فنيّة. بالتالى، فإطلاع جولوفاتشيف على كتاب دكتور زيفاجو لن يثرى معرفته، بل على النقيض، سيقوده إلى مفاهيم زائفة عن مسائل بعينها. انتقدت السيدة جولوفاتشيف بحدّة رغبة جولوفاتشيف قراءة دكتور زيفاجو، مشيرة إلى أنّه ما من شخص محترم ليهدر وقته فى كتاب كهذا.

فى سياق إضافى بحوارى مع جولوفاتشيف ذكّرته بلقاءاتنا الأولى، والتى أُعطى خلالها مقترحات مناسبة بشأن سلوكه فيما يتعلق بأوزوالد و... وأُشير لافتقار جولوفاتشيف للانضباط، الّذى ظهر فى عدم مثوله للمقابلة مع ضابط استخبارات. شوهدت تلك التصرفات بوصفها دلالة على استخفاف جولوفاتشيف بمصالح أمن الدولة.فى الوقت ذاته، أشرت لجولوفاتشيف أننا لسنا واثقين تماماً أنّه لم يطلع أوزوالد على لقاءاته مع ضابط الاستخبارات هذا، وألح جولوفاتشيف علينا كى نصدّقه بشأن مسألة عدم تورّطه فى نقاش أيّة لقاءات أو مقترحات طُرحت عليه بخصوص أوزوالد.

ساخطةً على كشف بافل جولوفاتشيف عن لامبالاته بصدد مطالب ضابط الاستخبارات هذا من أجل مقابلته، وجّهت والدة جولوفاتشيف الكلمات التالية له،" أهكذا يتصرّف الوطنيون السوفييت؟ كان عليك أن تذهب بنفسك وتطلعهم على صداقتك بأمريكى "متفقاً مع تلك البراهين التى قدّمتها أمّه، طلب جولوفاتشيف الصفح عن تصرّفاته الطائشة.

في ختام لقائنا، طلبت من جولوفاتشيف أن يبلغنا فوراً أيّة حقائق قد تهم الأورجانز والكى. جى. بى.، بما فى ذلك هؤلاء الّذين قد يحاولون الاتصال به نتيجة صداقته مع أوزوالد، وأفاد جولوفاتشيف أنّه فى المستقبل سيتصرّف وفقاً لذلك...

بعد رحيل جولوفاتشيف، عبّرت أمّه، التى شاركتنى مخاوفها بشأن مصير ابنها، عن أسفها أنّه طوال أربع سنوات انفصل عن أبويه وكانت لديه القدرة على الخضوع لتأثير أشخاص غير مرغوب فيهم... وتعهدت مدام جولوفاتشيف بقضاء وقت أطول فى (التدريب السياسى) لابنها. تعتزم المجيء إلى منسك أكثر كى تتعرّف على كيفيّة تصرف بافل جولوفاتشيف. فضلاً عن أنّها فى المستقبل ستقيّد جولوفاتشيف ماليًا، مانحة إياه ما يكفى فحسب لتغطية النفقات الضرورية بالكاد، وحسب كلامها، دفعه والد بافل جولوفاتشيف للتعهّد بالاشتراك وقراءة صحف و مجلات الشباب بانتظام، وأنّهما سيحاولان مراقبة التزام بافل جولوفاتشيف بتنفيذ تلك التعليمات.

أوضحت والدة بافل جولوفاتشيف كذلك أملها أن يلتقى ممثلو الأورجانز دورياً بابنها، ما سيكون له، حسب رأيها، أثر تعليمى ايجابى عليه، وقد شرحت لوالدة جولوفاتشيف أنّ هذا ليس ضرورياً وأطلعتها على ثقتى فى قدرتهما نفسيهما على التأثير فى ابنهما بالاتجاه الصائب، وهكذا يكون مستحقاً والديه ويشارك بفاعلية فى بناء الشيوعيّة فى بلادنا.

ستيبان فاسيليفيتش جريجورييف

لن يرى ستيبان بافل مرّة أخرى حتى الفترة اللاحقة مباشرة لاغتيال كيندى.

بالنسبة لذلك الحادث، وقد تمّكن ستيبان من تذكّر التاريخ وكأنه محفور فى شبكيّة عينه ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ يمكنه القول إنّه حين سمع أن الرئيس كيندى قد تعرّض لإطلاق الرصاص وأنّ لى هارفى أوزوالد هو المشتبه به الأول، كان أول ما بدر بذهنه :"مُحال! هذا الشخص المبهم الّذى لم يثر لدينا أيّة شكوك، يرتكب هذه الجريمة ؟ مُحال ! مُحال !".

حسب منطق راوينا، نكون قد وصلنا لنهاية المجلّد الأول. صار من الجلىّ أنّه مهما كان ما عرفناه عن أوزوالد فى روسيا فهو غير كافٍ للإجابة عن سؤالنا الأساسى، ولذلك سنضطر لتتبّع مغامراته فى أمريكا. فالتغيرات فى حياة أوزوالد هائلة حقّاً وحادة، والآن سيكون لزاماً علينا مرافقته فى مغامرات مستقبليّة فى فورت ورث ودالاس ونيوأورليانز ومكسيكو سيتى وديلى بلازا وسجن مدينة دالاس. ولأنّنا رحلنا من روسيا إلى أمريكا بالحد الأدنى من الاحتفال، وقد عُدنا للتوّ فى زيارة سريعة، فربما نستطيع الحصول على وداع مُرض عبر ملاحظة ردود أفعال أصدقاء معارف أوزوالد فى منسك عقب تلقيهم أنباء اغتيال كيندى.

القسم التاسع

صدمة

ـ ١ ـ

اليَمُوس(*)

تذكر كاتيا صدمة هزّت الجميع فى مصنع أوريزون (أفق). فشلت فى تصديق ما جرى. كان محض شاب يعانى رشحاً بأنفه، حين يبرد الهواء يسعك دائماً رؤية رشحه، وبغتة قتل هذا الرئيس الأمريكى؟ كان الرجال الآخرون فى مصنعها أقوى منه، أقوى بكثير. كان حاله كذلك، ضئيلاً.

فى أوريزون، تكلّم العاملون عن الأمر قليلاً، لكنّه كان حادثاً جرى بعيداً، وفى غضون أيام قليلة، جاء ممثلون عن الأورجانز وأخبروهم أنّه من الأفضل الا يتكلّموا عن أوزوالد.انسوه. أفضل أن تنسوه. أفضل للجميع.

(*) موطن الأرواح التى تُحرم دخول الجنة لغير ذنب اقترفته (كأرواح الأطفال غير المعمدين إلخ).

بالمقابل فى موسكو، حين سمع يورى وجالينا بيليانكن أن رجلاً يُدعى لى هارفى أوزوالد مشتبه به فى قتل كيندى، لم يعيرا انتباهاً يُذكر. لم يكونا يعرفانه بوصفه لى. بعد أيام قليلة فحسب، حين نشرت إيزفستيا صورة لجاك روبى يطلق الرصاص على أوزوالد، عندها التقط يورى صحيفته من صندوق البريد بالطابق السفلى، ورآها، صعد للطابق العلوى، دخل على أمّه وجالينا وقال، يا بنات، أظن أنّه واحد من معارفنا وهو يتذكّر بوضوح شديد هتاف أمّه،" أليك، أليك، أليك"

وحسب رؤيته للأمور،" بحيلة غريبة من القدر، مضيت تلك الليلة لتصوير رحيل مايكويان لحضور جنازة كيندى" ويتذكّر،" عملت أنا و صديقى معاً وغطّينا رحيل مايكويان فى ساعة متأخرة من الليل بمطار فنيوكوفو وأثناء قيادتهما عائدين قال له صديقه،" كانت تلك لقطتك الأخيرة، فالآن ستعتقلك الأورجانز

فى ذلك الوقت، كان اسم يورى ضمن قائمة أمنيّة خاصة. كان ثمّة مصورون قلائل فحسب مسموح لهم بالذهاب للميدان الأحمر لحضور الاستعراضات العسكريّة والمناسبات الأخرى؛ حيث يمكنهم التقاط الصور الفوتوغرافيّة لشخصيات كخروشوف. ليقول يورى إنّه ما من أحد فى روسيا ليصدّق أنّ كيندى يمكن أن يُقتل دون تعاون قوات الأمن ـ مُحال.

عقب الاغتيال، جمّعت والدة ستالينا معاً كل صورة فوتوغرافيّة بقيت كان لى قد أخذها و مزّقتها. كان وقتاً مريعاً بالنسبة لستالينا، شيء فظيع، وقد عجزت عن تصديقه وراحت تنشج درجة أن قال لها زوجها،" أترين ما يجرى؟ لا يجب أن تعملى فى إنتورست. الآن ستضطر أسرتنا بأكملها لدفع الثمن".

فى الحقيقة، ما مِن أحد قطّ اقترب منها ما مِن أحد خلال الثلاثين عاماً، رسمياً أو غير رسمى، طلب منها أبداً الكلام عن لى هارفى أوزوالد، لكن فى ديسمبر ١٩٦٣ أنهكها هى وأسرتها خوف هائل أنّ شيئاً فظيعاً سيحدث جراء أن ورّطت نفسها فى شأن دولى فظيع، ولم تبق كفاية فى منسك لسماع الإشاعات والثرثرة بخصوص أوزوالد." لدينا تعبير بالروسيّة " قالت ستالينا،" حينما يصيبنا الذهول الشديد "نقعد كُلّنا" وهكذا حين سمعت أمى وأنا هذه الأنباء فى مذياعنا أنّ جون كيندى قد قُتل وأنّ لى هارفى أوزوالد متورّط، قعدنا فى كراسينا. لم نتحرّك. ما أزال أذكر ذلك الرعب الهائل. لقد سيطر علىّ وعلى أسرتى، ثمّ تلت معلومات أكثر أنّ شهوداً أمريكان على هذا الاغتيال تعرّضوا لحوادث وأنّ أشياء سيئة جرت لهم. لذا عاشت عائلتى فترة طويلة فى هذا الرعب الهائل

على الرغم من عدم السهولة بالنسبة لستالينا أن تغادر، وقد قضت حياتها بطولها فى منسك ـ كانت موجودة بها حتى أثناء الاحتلال الألمانى ـ كانت

تخشى أن تشير لها الكثير من الأصابع، سيقولون، كانت تتسكّع مع أوزوالد، كانت صديقته المتوددة" لو كان ثمّة الكثير من النساء فى حياته، فقد كان يفعل ذلك وراء أبواب موصدة، أمّا هى فكانت تسير معه جهراً عبر الشوارع العموميّة.

فقط عام ١٩٧٧حين عادت ستالينا إلى منسك، وبعدها فحسب دفنت زوجها، قالت لنفسها، حسناً، تعلمين، جائز هدأت الأحوال، إنّها أربعة عشر عاماً زيادة على أنّه عام ١٩٧٦ التحقت ابنتها بجامعة منسك، لكن طوال تلك الفترة، عاشوا فى منسك وعملت هى مُدرّسة. حاولت أثناء تلك السنوات ألا تفكّر فى الحكاية و كانت تخشى أن تسأل نفسها هذا السؤال، هل من الممكن أن يكون أليوشا خاصتى قد قتل كيندى؟"

كانت لديها إجابة:"رأيت أهدافه. كان مهتماً بالنساء، وقد أراد إنجاز كل شىء بسهولة، لم يشأ استثمار الوقت أو خوض صعوبات. مثلاً، لم يرغب بالدراسة، أنا نفسى التحقت بمعهد اللغات الأجنبيّة وتفاوضت مع رئيسهم وقمت ببعض المساعى لمساعدته، لكنه لم يكن جاداً فى الحقيقة، أراد فحسب جذب الانتباه

"ثمّة قول مأثور فى اللغة التشيكيّة أنّك تقدر على العثور على الخير فى كل حاجة ـ يمكنك حتى العثور عليه فى تحطّم سيارة؛ فأنت على الأقل بمكان ما بالصحف. أفضل أن تجىء سيرتك فى شىء سيئ على

ألا تجىء فى شىء على الإطلاق. أظنُّ أنّه حتى لو قيل له إن كان يجب عليه قتل كيندى، فإنّه ما كان ليتوقف أبداً كى يفكّر فى توابع ذلك على العالم، وكيف سيؤثر ذلك على حياته ومستقبل أسرته ـ كان سيكتفى بالقول، آه، سأقتل كيندى وسأنال هذا الاهتمام

كانت ريمّا تعلم دائماً أنّها تستطيع إيذاء مشاعره ولذا لم تقدم على ذلك أبداً. أستطيع رسم بورتريه له بوصفه شخصاً يفكّر كثيراً فى نفسه دون أن يعمل ليصبح الشخص الّذى يريد أن يكونه. يجب أن تعرف حقيقتك.الشىء الأكثر أهميّة بالنسبة لأليك أنّه أراد أن يكون شهيراً. الفكرة رقم واحد.كانت متعصباً بشأن ذلك، حسبما أظنّ. الهدف رقم واحد. الكشف عن أنّه مختلف عن الآخرين، وأنت تعرف، أنّه قد أنجز هذا الهدف

أحسّت ريمّا أنّ أليك كان موصولاً بطريقة ما بالجريمة، لكنه لم يقتل أبداً الرئيس الأمريكى. كان فحسب موصولاً بطريقة ما بها.

الأثر الدائم من معرفة لى هارفى أوزوالد، حسب كلامها، هو أنّه منذ عام ١٩٦٣ وهى تخشى زيارة الولايات المتحدة. لم يعد شعارها ad astra per aspera (*)عبر التنوع نبلغ النجوم.

انطباع ساشا عن لى أوزوالد هو أنّه لا يمكنه أبداً اغتيال كيندى. كان شخصاً عاجزاً عن قتل ذبابة. حينما سمع ساشا النبأ، كان ردّ فعله العاطفى، مُحال

(*) بالروسية فى الأصل.

أن يكون هذا الرجل. ثمّة تلاعب ما "فكّر بذلك لأنّ أوزوالد جاء من الاتحاد السوفيتى، واستغل واحد من أمريكا هذه الحقيقة و تلاعب به، سوى أنّ أوزوالد كان شِركاً، فى الحقيقة، كان من المثير أكثر الكلام عن مارينا.

الآن، بعدها بثلاثين عاماً، مديراً الفكر فى تجارب حياته، وكيف فقد شعره وصار تقريباً أصلع، يرى ساشا ماضيه بصورة مُغايرة. يعتقد أنّ النساء يمكنهن الحفاظ على حياة أسرار كثيرة، لكن فى ذلك الحين كان هرّاً أعمى، أعماه الحُبّ، ولم ير ثقوباً سوداء، لكن ليروق له القول إن ترى مارينا، أوصل لها تحياتى. أُكِنُّ لها أحسن مشاعر، رغم كل ما جرى من سوء

تعتقد ألبينا أنّه ربما لم يلعب آل زيجر دوراً طيباً جداً فى حياة أليك، فقد عومل بفضول واحترام حين جاء إلى بيت آل زيجر، لكنها دائماً ما يُسمع أفكار سلبيّة بصورة مريبة عن روسيا، وهى تعتقد أنّ ذلك ترك تأثيراً فى أليك، رغم انّه أمتلك شقّة وخدمات طبيّة مجانيّة وامتيازات، وكانت الأحوال على ما يرام. لذا، تعتقد لولا آل زيجر هؤلاء، ربمّا ما كان خطر فى باله حتى مغادرة بلادها. يجوز كان أقام فيها. لايمكنها القول إنّه حسبت أنه كان شخصاً سعيداً، لأنّه كان من الواضح لديه أسرار مخفيّة، لكن مع ذلك، حين جرى هذا الاغتيال، عجزت عن تصديق أن أليك من قام

به.حتى الآن، فى داخلها، تعجز عن التصديق.لا ريب أنّه ما كانت لتقول ما إذا كانت فكّرت أنّه جاسوس لأنّها لا يمكنها القول ـ إنّه كان محض واحد من معارفها. هى لا تعرفه، فى الحقيقة، لأنّه كان غريباً، مع ذلك لا يزالان صديقين، سوى أنّه لم يتصل بها قطّ، ولا أطلعها على نيته بالزواج، إنّه حتّى لم يدعها لحضور زفافه، ولا ظلّ على اتصال. ذلك كان حالاً غريباً بالنسبة إليها. لن تقول، على أيّة حال، أنّها أحسّت بالنبذ. ثمّة أغنيّة فى روسيا تقول، "لو أنّ عريسك يذهب لعروس أخرى، فلن تعرفين أبداً أيكما المحظوظة" ضحكت. كانت تفكّر، فى الحقيقة، فى نوع آخر من الحياة برفقته. لديها خالة فى شبه جزيرة القرم كانت تعيش فى مكان دافئ يُطلّ على البحر الأسود، وقد تكلّمت هى وأليك عن الذهاب إلى هناك للحياة مع خالتها كى يتمكنا من التمدد فى الشمس الدافئة على شاطئ البحر وأكل الفاكهة الطازجة. تعتقد أنّ ذلك لو كان جرى، ما كان ليرحل البتّة إلى أمريكا، وما كان قتل الرئيس كيندى قطّ، وربما كانا امتلكا شقّة أوسع فى المستقبل ـ لن تعرف أبداً ما سيجرى.

عقب الاغتيال، تملكهّن جميعاً الخوف فى الصيدليّة،" ماذا ستفعل مارينا، وقد صارت وحيدة مع طفلين ؟ كيف ستعيش ماليا، كيف ستدبّر نفقاتها؟" كُنّ قلقات بلا ريب.

كان بافل منزعجاً حين قدّمت لجنة وارين هذه لى بوصفه متخلّفاً عقلياً. شديد الانزعاج. لم ترق لبافل فكرة أن شخصاً لم يكن غبيّاً ويُقدّم للعالم بأكمله بوصفه متخلّفاً.

جزئيّاً مع فارق التوقيت بين دالاس و منسك ـ ثمانى أو تسع ساعات! ـ تصادف أن كان بافل مع طلاب شباب فى حفل رقص كبير. كان يتصرّف كما لو كان فارس الإسطوانات، عنده مسجّلة أشرطة وكان يُشغّل نوعيات مختلفة من الموسيقى، ثمّ، فجأة، جاءت أنباء من الراديو ـ قُتِلَ كيندى. استمع لصوت أمريكا الّذى أذاع أنّ لى هارفى أوزوالد، رجل كان يعيش فى دالاس، قيد الاعتقال.

لسنوات، راح بافل يجمع كل أنواع المقالات المُختلفة المتعلقة بهذا الحادث. لا يمكنه تقبّل الأمر كحقيقة. وقد قرر عند قراءة المزيد والمزيد عنه، على أيّة حال، أن امرأ يمكنه دوماً دفع آخر لعمل أى شىء. يمكنك ترويض شخص و يمكنك دون شكّ تغييره بالقوة. فى رأى بافل، لى هارفى أوزوالد ليس قاتل كيندى لكنه بطريقة ما متورّط فى مؤامرة، لأنّ، على كل حال، لم يكن أوزوالد ملاكاً، وقد يكون جزءاً فى مؤامرة واحد آخر.

عقب تعرّض لى للقتل على يدّ روبى، أرسل بافل رسالة بريديّة إلى مارينا يبثّها تعازيه. فى الصباح التالى، كانت الكى. جى. بى. على بابه، يوم ٢٦ نوفمبر

إلى مكتبهم بالتروللى باص. لم يكن مجرماً على درجة عالية من الأهميّة كى يرسلوا سيارة مخصوصة. يذكر أنّه كان يلبس معطفاً أزرق صينياً، ولِفاعًا وقلنسوة، وكلا الرجلين اللذين جاءا لأجله كانا يلبسان ملابس عاديّة، فحينئذٍ كان العاملون فى الكى.جى.بى. يلبسون حُللهم النظاميَّة أثناء استعراض عسكرى فحسب أو فى التابوت.

دخلوا من مدخل جانبى، وصعدوا دَرَجاً واهناً للطابق الثانى، ومن هناك استطاع أن يُطِلّ عبر نافذة ورؤية متجر كُتب. لم يدر ما إذا كان سيعود أبداً إلى ذلك الشّارع بالخارج، ربّما كانت تلك اللحظة العاطفيّة الأسوأ فى حياته. كانت رسالته إلى مارينا تحمل تعاطفاً مع مشاعرها، الآن، صار مُجرماً. بعدها فحسب أدرك أنّه بكتابة مثل تلك الرسالة أصاب الأورجانز حقّاً بالرعب، قد تؤثر رسالته بالعلاقات الدوليّة: واحد فى روسيا كان يرثى لزوجة هذا الرجل الّذى قتل كينيدى.

سمحوا له بالقعود فوق كُرسى. كانوا مهذبين جداً، ولم يضربوه. كانوا من الكى. جى. بى. على كل حال. كان يجلس فى غرفة بها منضدة ضخمة، وكان ثمّة الكثير من الضُبّاط والحراس حوله، ربّما سبعة أفراد.

استهلوا بإخباره أنّه:" فى بلادنا، ممثلو الشعب فحسب من يمكنهم إرسال التعازى، وأنت لست ممثلاً للشعب. ليس لديك الحق للتعبير عن مواساتك. هذا

شيء.لقد فقدت يقظتك السياسيّة، وصرت قصير النظر سياسياً. لو أنّك لا ترغب بأن يكتب واحد قوانين بلادنا فوق ظهرك، لو أنّك ترغب برؤية السماء مجدداً، إذًا كُفّ عن الإتيان بأعمال غبيّة . بالكلام عن ذلك، كيف هى علاقتك مع مارينا؟ هل نمت معها؟"وتوجهوا إليه بأسئلة أخرى، ثمّ عادوا للنقطة ذاتها،" هل نام أبداً مع مارينا؟" لسبب ما أهمّهم.ربّما اتهموه مرّة أخرى بفقدان اليقظة، لكن ذلك كان انحرافاً فحسب، ثمّ كانوا يرجعون مباشرة بشيء على شاكلة،" لِماذا كتبت هذا النوع من الرسائل إن لم تكن نمت معها؟ هل جننت ؟"

ذهبوا معه لمكتب البوسطة، وكان عليه ملء وثيقة تقول إنّه أراد استعادة خطابه. لذا، لم تتلق مارينا رسالته الأخيرة لها. فى الواقع، يعتقد أن الكى.جى. بى. كانت قد حصلت عليها بالفعل، لكنهم احتاجوه لطلب استعادتها كى يعطيهم دليلاً رسميّاً على أنهم يحترمون اتفاقيّة جنيف كما ينبغى.

قبل أن يسمحوا له بالذهاب، أخبروه ألا يتكلّم فى هذا الأمر، وهو ما صار دافع بافل الأضخم لمغادرة منسك والذهاب للدراسة فى تبيليسى فى جورجيا. نصف مصنع الراديو عرف، على كل حال، أنّ لى أوزوالد كان صديقه، إذًا كيف يمكن له ألا يتكلّم عن الأمر لو بقى؟ فى الواقع، واحد أو اثنان قالا نأمل ألا تذكر اسمينا حين يتم استجوابك"

بعدها مباشرة، قام عملاء الكى.جى. بى. بتلك الزيارة إلى أوريزون حينما أخبروا الجميع أن يبقوا أفواههم مُغلقة بشأن أوزوالد. حينها، كان باڤل بالفعل فى تبليسى، لكنه سمع أنّ العاملين فى الورشة قد جرى استدعاؤهم واحداً تلو الآخر، وأنّ الأورجانز قامت بعمل حوارات خاصة مع كل منهم بخصوص التزام الصمت.

الآن، فى تبليسى، لم تكن علاقته مع والده دافئة.كان باڤل قد مضى إلى هناك فى ديسمبر ١٩٦٣ ولم يعد إلى منسك حتى ١٩٦٥ . فى البداية، أقام فى شقّة مع والده أثناء سفر أمّه إلى منتجع صحّى. كان يدرس فى جامعة فى تبيليسى، وفى يوم فى ربيع ١٩٦٤ عاد للمنزل متأخراً قليلاً وقد حدّق فيه والده وقال، فى سِنّك، كنتُ أقود بالفعل طائرة وقال باڤل، أفهم...

رحل ومضى للعيش فى بيت للطلبة، حيث عثروا على سرير لأجله. لم يتكلّم مع والده مرّة أخرى أبداً، ولا حتى حين جاء والداه إلى منسك.لم يتكلّما.

مات والد باڤل بعدها بثمانى سنوات جراء السرطان، فأحسّ باڤل بالسوء ضعفين. كان يخدم آنئذٍ فى احتياط الجيش بمعسكر على بعد حوالى مائة كيلومتر من منسك، وحين تلقّى هذه الأنباء بأنّ أباه فى فراش الموت، طلب إن أمكن زيارته، فقال ضابطه، غداً صباحاً سننظر فى طلبك لكن والد باڤل مات فجأة تلك الليلة، بعدها نزع كُل هؤلاء

الضبّاط المحيطين به إلى إظهار إنسانيتهم. كانت نهاية الأسبوع، و تصادف أن كان الضابط المسئول عن المعسكر كله فى إجازة صيد، وكى يغادر المعسكر كان بافل فى حاجة إلى ختم خاص مع الضابط المسئول فقط، لذا خرجوا إلى؛ حيث كان يصطاد وختموا الأوراق المطلوبة بختمه. ابتاع بافل بعض الورود ومضى إلى بيته، لكن أمّه قالت،" لقد فات الأوان

يقول أناتولى شبانكو إنّه لم يشعر أبداً بأى إحساس أنّ أحداً فى الكى. جى. بى. قد انتهك خصوصيته، و أنّه لم يجرّب قطّ أنّ يكون تحت المراقبة، أبداً.

الآن، بلغ أناتولى الخامسة والخمسين، لكّنه لم يخض أبداً تجربة مقابلتهم. ليقول لأنّ سيرته نظيفة، فما يدفعك لتقديم تقرير عنه؟ وقد أصرّ أناتولى أنّه كان يجهل ما جرى لمارينا، وأنّه كان يجهل تاريخها، وحين أُطلِع على اسم زوجها وأنّ أوزوالد ثمّة زعم بشأنه أنّه قتل الرئيس كيندى، وأنّه نفسه تعرّض للقتل بعدها بيومين، أجاب أناتولى، واحد يقتل واحدًا آخر ثمّ يُقتل بعدها بيومين ـ إنّه لأمر ملتبس لو أنّه حقّاً حدث.ثمّة واحد مذنب لم تتجه إليه أصابع الاتهام. الأمر مرفوض بالنسبة لى

حسبما يذكر، لم يكن ثمّة، فى نوفمبر ١٩٦٢ معلومات فى منسك أنّ هذا الرجل لى هارفى أوزوالد عاش فى مدينتهم عامين. لم ير قطّ أيّة قصص فى صحفه المحليّة ولا تكلّم أحد عن الأمر. كان يجهل أنّه

كان زوج مارينا، مطلقاً لا.يجوز بعض الناس عرفوا لكن ظلّوا ساكتين. اليوم فقط عرف، أول مرّة، سُئل إن كان الأمر صدمة، فأجاب، تقريباً"

جاء ساشا يوماً ليقرع باب شقّة إيليا وفاليا، دون مُجيب. جاء في يوم آخر، وقرّع حتى ثلاث مرّات، بعدئذٍ فتح واحد من الجيران باباً بالجهة الأخرى من الردهة وقال،" لم يعودا يعيشان هنا البتّة.لقد غادرا هذه الشقّة وقال هؤلاء الجيران لساشا إنّه ما من أحد يعلم أين رحلا.

عانى إيليا كثيراً جراء هذا الاغتيال. لم يكن يهم عدد السنوات التى عاشها، فكل ما جرى انتزع الحياة منه. عانى كثيراً لأنّ حياته كانت فى مهنته والآن كان كل شىء فى خطر وقد أضرّ موقفه ببعض صحته. لم يفصلوه، لكنهم لم يرقوه قطّ.لم يتكلّم إيليا كثيراً عن الاغتيال عدا كى يقول إنّه كان مُدبّراً.قال ذلك مرّة.كان قتل كيندى مُدبّراً، ولو كانوا استغلوا أليك، فذلك لأنّه كان فى الاتحاد السوفيتى.

جميع أفراد عائلته كانوا مرعوبين. كم عدد من قد يعرف أنّ ابنة أخت إيليا كانت متورطة فى اغتيال كينيدى؟.

فى هذا الوقت، كانت لديه هو وفاليا شقّة بثلاث حجرات. كانا اثنين فحسب يعيشان فى حجرة من ثلاث حجرات. لذا، عقب اغتيال كيندى بفترة قصيرة، راح الجميع يلومونهما، بادئين بالقول إنّهما عاشا فى

مكان بالغ الفخامة، وهو ما لم يكن حقيقياً. محض شقّة لطيفة بها الكثير من الكُتب. كان ثمّة حتى مقال فى إحدى الصحف قال إن إيليا كان عضواً فى الحزب الشيوعى وعاش متمتعاً بامتيازات أكبر من الآخرين ، قالت فاليا،" كان زوجى شديد الأمانة. لذا جاء هذا الرجل من النجمة البيلاروسيّة، وهى صحيفة عسكريّة، إلينا ثمّ كتب مقالاً انظروا لهذين الفردين، إنّهما يعيشان فى هذه الشقّة الفاخرة ـ قرر إيليا الانتقال، بعض جيراننا قالوا، لا تتعجلا. تمهلا. سيتغير شىء "لكن إيليا قال،" كلا، لا أريد أن يُزج باسمى بهذه الطريقة، لا أريد أن أعرف هذا النوع من الخزى "وهكذا انتقلنا لشقّة مكونة من حجرتين

من جانب آخر، مُنحت الشقّة القديمة ذات الحجرات الثلاث لخمسة أفراد. لذا، تقول فاليا، ربّما كان ذلك عدلاً.

لم يكشف إيليا أبداً عمّا كلفته ـ كان لا يزال مهتماً بالرسم والكُتب، هوايته الثانية. ظلّ يواصل شراء مجموعات جديدة من الكُتب ورصّهم فوق جدران شقّته. لا يمكنك القول أنّه فقد اهتمامه بالأدب.

بين مجموعة كُتب إيليا بروساكوف للمؤلفين الروس من خمسة لعشرين مُجلّداً لتولستوى، بيتروف، ليرمنتوف، كوبرين، نيكراسوف، أداموف، بونين، إيليا إيرنبرج، تشيكوف، ألكسى تولستوى، قنسطنطين سيمونوف، تورجنيف، بوشكين، شولوخوف

وديستوفسكى. فى مجموعته المترجمة إلى اللغة الروسيّة جول فيرن، سويفت، إميلى ديكنسون، رومين رولاند، زولا، درايسر، بلزاك، هوجو، دى موبسان، رابيندرانت طاغور، سير والتر سكوت، روبرت لويس ستيفنسون، هاينى، فوشتفانجر، ستندال، شتاينبك، بوكاتشيو، بروسبير ميراميه، جالسورثى، بروست وجاك لندن.

بعدها بثلاثين عاماً، عام ١٩٩٢ تكلمت فاليا ومارينا معاً فى الهاتف. بكيتا، وقالت مارينا،" أدرك أنّك كنت شديدة الأسى على إيليا وكل ما جرى له بعد رحيلى، لكن كما تعرفين، لم يمت إيليا حين رحلت ـ كان فى الثمانين حين رحل، وأنا صرت أرملة بطفلين فى حين كنتُ بالثانية والعشرين

* * *

عقب وفاة إيليا، عزمت على تفحّص أوراقه واكتشفت امتلاكه لمجموعة من الصور العارية. التقطهم مصوّر محترف، وكانت فى حجم البطاقات البريديّة. حاجة اشتراها، لكنها كانت فلسفية حيال ذلك، قالت لنفسها، طبعاً لكل رجل حياة سريّة، فذلك السبب وراء كونه رجلا" وحينئذٍ، فى قلبها، قالت لنفسها،" أُقرّه فى عمل أى شئ. أُقرّه فى الإعجاب بالنساء الصغيرات

حين تعرّض كيندى للاغتيال، كانت إيللا تنتظر الاستدعاء،" للمجئ إلى مكتبنا بالكى.جى.بى..

والجلوس ومنحنا كل ما تعرفينه لكنّها لم تستدع أبداً.

علّقت إيللا أنّه يمكنها اختلاق القصص الآن، من الأنيق جداً القول، لقد تعرّضت لإساءة المعاملة على يدّ الأورجانز. لقد حطّموا حياتى، أسلوب مترف أنّ يكون المرء قد احتك بهم وعانى تقول يمكنها اختلاق حكاية، لكنها تفضل على ذلك رواية الحقيقية. لم يحتك بها أى منهم.

عقب الاغتيال راودها القلق من مجيئهم وعاشت فى رعب ـ مواصلة التفكير فى حضورهم طالبين منها أن ترافقهم ـ لكن لا أحد جاء.الآن، لدى تفكيرها بالأمر، تقول إنّه ربّما كان لها أصدقاء تعرضوا للاحتكاك، ومما عرفته بعد ذلك، تعتقد أنّ لى لابد وأنّه كان خاضعاً للمراقبة باستمرار، وتعتقد أنّها هى الأخرى كانت مراقبة.لكن لأنّ كان ثمّة اثنان منهم فحسب، فهى تعتقد أنّ بافل ضرورى كان أكثر جذباً للاهتمام، لأنّه كان يجلب الناس للقاء لى، فى حين كانت دائماً بمفردها معه، وهكذا ربما كانت أقل إثارة للاهتمام.

بالنسبة لما إذا كان أليك مذنباً بارتكاب الاغتيال، تعجز عن تصديق ذلك، تقول،" كان دمثاً جداً

بوقتٍ ما فى نهاية مارس ١٩٦٢ تقريباً، أطلع عمّ كوستا، البروفيسور بوندارين، كوستا أنّه كان يعيش نوعيّة الحياة الخطأ بخصوص النساء. فضلاً عن أنّه لا يُعد أمراً لائقاً أن يمتلك مجموعة من صور البورنو.

قال عمّه،" لو أنّك لا ترغب فى التعرّض للترحيل، كفّ عن مطاردة الفتيات" وكان كوستيا مضطراً لتدمير كل بطاقاته البريديّة الفرنسيّة علاوة على دفتر يومياته. كان يحتفظ بدفتر يوميات أرجوانى آنذاك، حيث يحتفظ بتسجيل مُختصر لوقائع شخصيّة أسانيدها لا أحد سواه يستطيع فهمها ـ فهو لم يكتب قطّ مارينا مثلاً، بل م فحسب.

حين حدث الاغتيال، تمّ استدعاء كوستا إلى الـكى. جى. بى.، وكـذلك أيـضـاً، يـثق من ذلك، أصدقائه. بعدها جميعهم تفرّقوا باتجاهات مختلفة، دون أن يكون لديهم شىء مشترك. كانت تلك سنوات تعقب عهد ستالين، بعده بعشر سنوات، لكن الاتصال المباشر بالأورجانز كان يثير الخوف، يستطيعون أخذك لمكان ما، وقد لا تعود للبيت أبداً.

عانت أسرته الخاصة. فى الثلاثينيات، خلال الحرب الأهليّة، خدم جدّه كضابط فى جيش توخاتشيفيسكى، وبصورة طبيعيّة جداً، حين اعتقلوا ذلك الجنرال فى نهاية الثلاثينيات، أثّر هذا فى جدّه كذلك وكبر كوستا مهموماً بشأن الاستجوابات التى جرت فى عهد ستالين.

لذا حين اجتاز كوستا الباب الأمامى للمبنى، كانت ساقاه واهنتين. لكن، فى الواقع، انتهى الأمر لحوار قصير: أى نوع من العلاقات كانت تربطه بأليك، وهل كانت له مراسلات مع أليك ومارينا ؟ كان قادراً على الردّ بالنفى. لم يسألوه عمّا إذا كان قد نام

قطّ مع مارينا. هذا الرجل الّذى استجوبه كان جالساً وراء مكتب وكوستا واقف. كان ثمّة واحد ثان حاضر، هو الآخر فى ملابس مدنيّة، لكن كوستيا كان يجهل ما إذا كان يُسجّل ملاحظات أم لا ـ لم يجرؤ أبداً على النظر بذلك الاتجاه.

أراد الرجل الّذى يستجوبه معرفة هل كان كوستيا يمتلك صوراً لأليك ومارينا. كانت لديه صور قليلة، لكن الآن كانوا قد أحرقوها فى مدفأته.

بسبب ثقة يورى و كوستا وساشا من وجود مراقبة رسميّة على أليك و مارينا عقب اتخاذهما قرارًا بالسفر إلى أمريكا، كفّوا عن زيارتهما. لكن إيريك لم يفعل، وظلّ صديقاً لأوزوالد.هل يُعقل، توجه الآن الصحفيون الأمريكان بالسؤال إلى كوستا، أنّ تيتوفيتس كانت لديه علاقة خاصة ما بأوزوالد؟ وهو ما أجابه كوستا بأنّ إيريك قد تدبّر وسيلة للاحتفاظ بكل ما كتبه أثناء تلك الفترة. كل الآخرين تعرضت أوراقهم للمصادرة أو خاضوا مشقّة إحراقها، لذا أصيب كوستا بالدهشة حين قال إيريك،" جميعكم جريتم.اختبأتم مثل حزمة من الجبناء ورميتم بكل شىء بعيداً " لكن كوستا تساءل، لِماذا كان كوستا شديد الجرأة؟ يمكن للمرء التخمين فحسب كيف أمكنه الاحتفاظ بأوراقه.

على أيّة حال، يبدو لكوستا أنّ، فى هذه الفترة عقب الاغتيال، لابد وأنّ إيريك كان يرتعد مثل شجرة كمثرى. مع ذلك، تجاوز الأمر، ولم يقع شىء حقّاً له، مع أنّه كان صاحب العلاقة الأوثق بأليك.

بالنسبة لرأيه الحالى فى أوزوالد، قال إيجور إيفانوفيتش،" كان لى نفاية المجتمع. شخص فسد منذ المهد، إذا جاز التعبير. غير جاد. متقلّب. يجوز كان ثمّة حاجة غلط فى حالته العقليّة "

سُئل إيجور إيفانوفيتش،" عقب الاغتيال، لابد وأنّك أحسست بالسوء ؟"

وقد أجاب،" السوء؟ كان شعورى مُريعاً. فى الواقع، كانت أسوأ لحظة فى حياتى "

حين سُئل إن كانت الكى.جى. بى. قد استجوبت أى من مصادرهم الأوليّة عقب الاغتيال، صار إيجور إيفانوفيتش فجأة عاطفيّاً، بدا وكأنّه قد ينفجر بالبكاء، ولم يُجب السؤال. بدلاً من ذلك، صرخ،" الجميع يلوموننى على هذا! وكأنّنى كنتُ أعرف أنّه سيُغتال " بعد دقيقة أو اثنتين، أضاف،" ليست لدينا بيانات. لن تتمكّن من العثور على شخص واحد من منسك يقول، بلى، كانت لدى أوزوالد تلك النوايا للرجوع إلى أمريكا والتسبب بكل هذه المتاعب.

هو وستيبان جرّبا إمعان التفكير للعثور على النقطة التى فشلا بها. خوفهما الباطنى:"ماذا لو كان التحضير لهذا العمل استهل فى منسك؟"كانا يمعنان التفكير بكل شىء.

ثم أضاف،" بصراحة تامة، لم نكن قلقين بشأن الرأى العام فى أمريكا، بل كان همّنا ما ستقوله موسكو متى أرسلنا لهم ملف أوزوالد. هل سيعتبرون عملنا جيداً أم سيئاً؟ هذا ما كان بالنا مشغولاً به

حين سمع ستيبان فاسيليفيتش الإعلان بالراديو، كانت أفكاره الثانويّة، بعد أن قال أولاً لنفسه،" مُحال! "أكثر تعقيداً. مع وصول مزيد من الأنباء من إذاعات مُختلفة، خلص لنتيجة مفادها أنّ أوزوالد لا يمكنه ارتكاب ذلك بمفرده. لقد جرى امتصاص أوزوالد بوسيلة ما بهذا الشأن - بسبب استثمار حقيقة واحدة هى أنّ أوزوالد كان فى الاتحاد السوفيتى درعاً ملائماً لبعض الناس! بدأت وسائل الميديا لديهم بإلقاء اللوم على كل شىء فى الاتحاد السوفيتى. رأيى هو أنّ كل ذلك قد حيك معاً بخيوط بيضاء، لإخفاء آثارهم فى هذه الجريمة

حين سُئل كم استغرق مجىء كلمة من موسكو تعبّر عن رغبتهم فى ملف أوزوالد، كان ردّ ستيبان أنّ طلب مركز موسكو جاء متأخراً بتلك الليلة فى ٢٢ نوفمبر، حين جاءت أوامر لإيجور إيفانوفيتش، وأخبر ستيبان أن يحمل ملف ليخوى إلى موسكو. يحزمه ويرحل.

ما من تحضيرات كانت ضروريّة. كلا الرجلين كانا على دراية تامة بمحتويات ملف أوزوالد، وكان الملف مخزناً فى أرشيفات مبناهم. لذا، كان كل ما على ستيبان عمله هو استخراجه، ووضعه فى كيس، والتوقيع باستلامه، والمغادرة. استعمل حقيبة بريد رماديّة، النوع المستخدم فى إرسال كميّات من البريد، ولم يكن الملف كبيراً كافيًا لملء الحقيبة.

بعدئذٍ، طار ستيبان إلى موسكو يوم ٢٣ نوفمبر وحطّ فى مطار ليبيرتسى، فى رفقة رجل آخر مُسلّح من الكى. جى. بى. من منسك. لم تكن رحلة طيران معتادة، لأنّ موسكو كانت تريد الملف بسرعة، لكن كان ثمّة مقعدان متاحان على متن طائرة عسكرية.

حين سُئل إن كان شديد التوتر، قال،" لا أظن ذلك. لم أشعر بأى تقصير. كنتُ شفافاً كالكريستال. تُرى ماذا عساى أخشاه ؟ طبعاً كان موقفاً تراجيدياً، لكن أن أكون متوتراً، يداى ترتعدان، وهلمّ جرا - لماذا؟ كنتُ أطير إلى مركزنا فى موسكو بضمير نقى. لم تكن لدىّ أية انفعالات مفرطة أو ما شابه. فكّرت فحسب بنوعية الأسئلة التى قد يسألونها، وكانت عندى إجابة واحدة فقط : لم يكن لدى أوزوالد أية علاقات غير معلومة لوكالتنا. ما أقلقنى أكثر ما إذا كان المسئولون سيكونون موجودين للقائى بمطار ليبيرتسى لأنّ، وإلا، كيف سأصل إلى موسكو فى المواصلات العامة؟"

لم يكن مضطراً للقلق، فقد رحب به المسئولون مباشرة وعرّفوا بأنفسهم، كاشفين عن هويّاتهم، وانطلقوا جميعاً بالسيارة. كان يوماً غائماً، دون مطر وثلج. رمادى.

مضوا إلى المبنى الرئيسى، إلى ليوبيانكا، وقادوا السيارة مباشرة إلى داخل المبنى الضخم، واستقبلهم مسئول كبير، فكّر ستيبان أنّه قد يكون المدير المساعد للكى.جى.بى.. كان يجهل هؤلاء المسئولين الكبار شخصياً، وكانت زيارته الأولى إلى مركز موسكو وهذا

المبنى الأسطورى، ليوبيانكا، الممتلئ بالمتاهات. كان عليه اللحاق عن كثب بأى من كان يمشى أمامه، مارين بردهات ضيقة لا نهائيّة، وسجادة رفيعة حمراء ممتدة بطول كل ردهة طويلة.

بعدها، تكررت زياراته إلى ليوبيانكا كثيراً فى رحلات عمل، فكان قادراً على شقّ طريقه بين تلك الردهات، لكن لا يمكنه القول أنّه عرفها كلها. يمكنك الذهاب هنا وهناك لكن مع ذلك تضل الطريق، وإذا كان عليه الخروج من ذلك المبنى بمفرده، فقد يضل طريقه. كان من الخارج مبنىً هائلاً من الحجارة الصفراء، لكنه فى الداخل كان غريباً، بتلك الأروقة الضيقة. فى منسك، كانت أروقتهم عريضة ويمكنك السير فيها بحريّة أكبر.

حين اقتيد فى النهاية للمكتب المناسب، كان عدد من الأشخاص بانتظاره فى حجرة معقولة الاتساع، لكن ما من شىء على مكتبهم. لا يدرى لو كانوا فى القسم الأمريكى أم بقسم ما آخر، لكن ستيبان قال فحسب،" حسب تعليماتكم، أسلمكم الآن ملف أوزوالد فقالوا،" تمام. اتركه هنا فحسب

جاء سؤالهم الأول:" هل حاولتم تجنيد أوزوالد؟" فقال، يمكنك قطع رأسى، لكن لا أننا لم نحاول فحسب، بل لم تطرأ هذه الفكرة بعينها إلى رءوسنا. اقرءوا تلك الوثائق. جلىٌ جداً بأى اتجاه كُنّا نعمل. حسب تعليماتكم

نظر إليهم و لاحظ أنّهم تنهدوا بارتياح تقريباً. لم يكن قلقاً بشأن تصديقهم إياه، لأنّ الوثائق أوضحت أى نوع من العمل كانوا يمارسونه. لا يمكنك أن تخطئ شيئاً كذاك. طبعاً، كان ستيبان مشوشاً بعض الشىء، لكن دون مخاوف ضخمة. تلك الوثائق كانت توضح جلياً كيف كانوا يديرون عمليتهم.

بعدها، حين راحت تشيع الافتراءات بشأن الاتحاد السوفيتى، دار بخلده أنّه ربّما يعطى نيكيتا سيرجييفيتش خروشوف تلك الملفات للحكومة الأمريكيّة، حينها كل تلك الإشاعات الأمريكيّة لتنفجر مثل فقاعة صابون، لكن هذا لم يحدث.

فى هذا اليوم، أثناء تلك المقابلة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣ دعوه للجلوس، كانوا مهذّبين. يذكر أنّه حاول حتّى النهوض، فقالوا، اجلس، اجلس لكن ما من شىء على مكتبهم، ولا شاى. لا يمكنه تذكّر صورة من التى كانت مُعلّقة على الحائط، يجوز كانت صورة دزيرزينسكى، لكن ما من علم ـ ذلك، ما لاحظه، وكانت الحجرة ساطعة الإضاءة . آخر شىء قالوه كان، اترك هذا الملف، و شكراً لك. مهمتك انتهت. سنرتب تذكرة عودة لأجلك

استقل قطاراً ليلياً عادياً للرجوع إلى منسك برفقة الرجل نفسه الّذى سافر معه مسبقاً. قبل الرحيل، تجولا بأرجاء موسكو ومضيا للتسوّق، حيث اشترى شيئاً لأطفاله.

أثناء رحلة العودة، لم تدر برأس ستيبان أفكار بعينها. لو كان أوزوالد عميلاً للاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة، ما كان ليفعل شيئاً فى منسك زيادة عن جمع المعلومات بطريقة تأمليّة دون إظهار أى شىء، أو التحوّل لعميل نشط.كان بإمكانه دراسة الحياة السوفيتية ثمّ كشف تلك المعلومات لاحقاً فى أمريكا. مثل تلك الرواية لا يجب استبعادها. الشىء نفسه يمكن أن يُقال بالنسبة لأى أجنبى قضى عامين فى الاتحاد السوفيتى. علاوة على أنّ أوزوالد حين جاء منسك فى يناير ١٩٦٠ لم يكن كيندى قد أُنتخب بعد رئيساً. لذا، لا يمكن أن يكون أوزوالد قد أُرسِل بمثل هذا الهدف فى رأسه

لو كان ستيبان عانى أية أفكار مزعجة أثناء رحلة عودته، فبالتالى، لم تكن متعلقة بأدائه. لقد اكتشف سيناريوهات شتى، تدفقت الأفكار إلى دماغه، وظهرت روايات عديدة. لكن فى النهاية قال لنفسه،" أخّ. آن الوقت للذهاب إلى الفراش. لقد طبخ الأمريكيون الحكاية برمتها، فليتبينوها هم بمعرفتهم .

حين بلغ البيت، وكانت صبيحة الأحد، كانت لاتزال ليلة السبت فى دالاس، وهكذا لم يكن أوزوالد قد هوجم من مكمن روبى بعشر ساعات أخرى، حوالى السادسة بعد ظهيرة الأحد فى منسك حين تلقّى ستيبان ذلك النبأ. حين عاد، بالتالى، صباح الأحد حوالى الثامنة صباحاً، أول شىء فعله هو التوجه للبيت ليحلق، فبسبب رحيله بمثل تلك العجلة إلى

موسكو، لم يقم بنوبة النظافة المعتادة. اغتسل، وأخذ شيئاً ليأكله واتجه مباشرة للعمل، حيث قدّم تقريراً لرؤسائه.كان الناس طبعاً يتكلّمون عن الحادث فى المبنى، الجميع كان يصغى لأجهزة الراديو. حتى ذلك الحين، كثير من زملائه كانوا يجهلون أنّه كان يعمل فى هذه القضيّة، لكن آراء الجميع كانت مستثارة. فعلى كل حال، كان الحادث ظِلاً فى منسك.

من عرفوا أوزوالد مباشرة قالوا إنّ أليك لا يمكن أن يكون قد ارتكب ذلك. هكذا قال من عرفوه.

حتى الكثرة التى لم تحتك مباشر بالرجل لم يصدّقوا الأمر: إنّنا نتقدّم مع أمريكا أفضل قليلاً، إذًا الآن كل هذه المسائل ؟.

لم يقوموا بتحليلات أبعد. كان ملفّهم فى موسكو، لم تكن لديهم البيانات، علاوة على أنّه تُرى ماذا يمكنهم تحليله زيادة ؟ حين رجع الملف من موسكو بعدها بحوالى سبعة وعشرين عاماً، لم يكن ثمّ ما أزيل أو جرى التعليق عليه، كل شىء بقى فيه كما تذكّره، مصدق و موقع عليه منه. سُئل ستيبان لِماذا آنئذٍ تصرّف إيجور إيفانوفيتش بتلك الحدة وقوله،" الجميع يلومونى لكن ستيبان أشار أن إيجور كان شخصاً أكثر حساسية مما كان هو نفسه.

ـ ٢ ـ

صـــدق

اكتمل أغلب الصحفيين فى منسك، سوى أنّهم كانوا لا يزالون يواجهون عقبة ضخمة، كانت ما إذا كان بإمكانهم منح أية ثقة برواية يورى ميريزينسكى بشأن علاقته بمارينا. لو كانت بأى مكان قريبة من التشويش الّذى أفاد به، إذًا فكل التأويلات لحياتها مع لى هارفى أوزوالد ستتلوّن بمثل تلك المعلومات: فمن شأنّها طرح حاشية مُغايرة لزواجها عمّا بزغ من روايتها لمتاعبهما.

طبعاً، كان كوستيا بوندارين مرتاباً فى ادعاءات يورى، لكن آنذاك، كان محض شاهد واحد. يجب أن يكون السؤال الحقيقى ما إذا كان يورى كاذباً بأبعاد دراميّة أم أنّه كان يروى جانباً ما من الحقيقة ـ مبالغاً، ربما، فى قوة عرضه، لكنه لا يزال غير شغوف بتحرى الدِّقّة.

وهكذا، عاد الصحفيون إلى يورى ميريزينسكى مرّة أخرى، متذرّعين بالقول إنّهم طلبوا منه الحضور إلى منسك من مصحّته التى تبعد مئات الكيلومترات وإخضاع نفسه لمقابلة بخصوص خبراته عقب الاغتيال والتى استجاب لها، وقابلهم فى شقّة والدته، حاملاً معه الفودكا خاصته، وتكلّم، ومتبعاً أسلوبه الخاص، الّذى يتضمّن إملاء محتوى المقابلة من وجهة نظره لا الردّ على أسئلتهم بعينها، شرع بالكلام عن أبويه.

ناس مهمة جداً، ليقول، ولوّح بأصبعه محذراً. خلّ نكرة فى الهواء تكون مستعدة للمعارضة ! ناس مهمة جداً، كرر، لكن مع ذلك، مطيعان! حين تسلما نسختهما من الموسوعة السوفيتيّة الضخمة و تبعهما أمر بعدها بسنوات بقطع صفحات مُعيّنة؛ لأنّها صارت الآن غير دقيقة تاريخيّاً، أطاع والده. لم يكن أبوى يورى شخصين عاديين، لكن مع ذلك، كانا خائفين. مثلاً، احتفظ والده بدفتر يوميات خاص، لكن حتى صفحاته الخاصة لم تكن صادقة. لم يذكرا أبداً أنّ يورى كان يُطلب منه يومياً الذهاب إلى الكى.جى.بى.، كان كابوساً.

كان هذا حين بدأ فى فهم الحياة. كل يوم، ليقول لك، كان يُستدعى للحضور بالكى.جى.بى.، كابوس فظيع.

سأله الصحفيون:" متى كان هذا ؟"

لوّح بكفّه. فى الأول قالوا، اعترف، اعترف، هل أنت عميل لليابان؟ هل أنت عميل للاستخبارات

الأمريكيّة؟" وبدلاً من الذهاب لمعهده الطِبّى من أجل محاضراته اليوميّة، كان مضطراً لزيارة الأورجانز وقضاء أغلب اليوم هناك، وكل مرّة، كان عليه التسجيل، ثمّ، يقعد أمام فرد واحد، نقيب أندرايف، هذا النقيب ليجلس وصحيفة قدّام وجهه ويصب الكثير من القهوة من أجل يورى درجة أن يورى بعدها كان لا يطيق القهوة ـ كان يتقيأ إن رآها. لفترة طويلة.

سألوه: هل كان هذا عقب اتهام لى بقتل كينيدى؟.

وأجاب يورى،" بلى

سأله الصحفيون،" مبكراً، حين تزوّج لى هارفى أوزوالد مارينا، هل ضايقتك الكى. جى. بى.؟"

هز رأسه بقوّة. كان أبواه شخصين مرموقين، قال يورى.حينما يقترف شيئاً لا يروق للكى. جى. بى.، يستدعون أمّه ويقولون،" لقد سكر ابنك " أو،" إنّه يضاجع امرأة ما، المرأة الخطأ "كانت أسرته مُراقبة لأنّهم كانوا أسرة رفيعة المستوى.

عقب اغتيال كيندى، على أيّة حال، استدعى مباشرة إلى الكى. جى. بى.. جرى ذلك على هذا النحو: يوجد فى كل معهد ضابط مُقيم من الأورجانز هو فى هذه الحالة، النقيب أندرايف الّذى دعاه إلى مكتبه وتكلّم معه هناك. كل الحوارات اللاحقة، على أيّة حال، جرت فى مبنى الكى.جى.بى. الرئيسى بشارع لينين.

كانت الأسئلة الأولى: ما نوع العلاقات التى ربطتك مع لى أوزوالد؟ عمّا كنتما تتكلمان؟ هل كان جاسوساً؟ هل كان عميلاً للاستخبارات الأمريكيّة؟ لا أحد كان يدوّن ملاحظات، هما فحسب.

قال يورى :"وجهاً لوجه (*)

عقب تلك المقابلة الأولى، عاد يورى للبيت وأخبر والديه اللذين جاءت ردة فعلهما مقرونة بالخوف. لم يحملاه المسئولية، بل شرعا بمناقشة الإجراءات الوقائيّة التى يمكن اتخاذها. أرادا استخدام أصدقائهما.

بدأ استجواب آخر من الكى. جى. بى. باليوم التالى. اتصلوا به فى البيت وطلبوا منه الحضور إلى مبناهم الرئيسى، وراح بمفرده. اشترى علبة سجائر وسار إليهم.

عند المدخل، كانت سقيفة بنافذة. هناك أدلى باسمه وأظهر جواز سفره، ونزل أندرايف فى ملابس مدنيّة وعاد به إلى مكتبه، حيث جلسا حول طاولة. كان عليه الإجابة على الأسئلة ذاتها التى وُجِهت إليه فى المعهد، وهو يظن أنّ هذه الغرفة الجديدة كانت مزروعة بأجهزة التنصّت، مع ذلك، بخلاف الأمس، كان أندرايف يدوّن ملاحظات. استغرق لقاؤهما ست أو سبع ساعات. كل يوم بعد ذلك كانا يلتقيان، عدا أيام الآحاد، كانت تلك الآن مهمة يورى اليوميّة،

(*) بالفرنسية فى الأصل Tete-a-tete.

الذهاب إلى مبنى الكى. جى. بى. الرئيسى فى شارع لينين.

دخن سجائر. لطالما كانت سجائر بريما موجودة على طاولة أندرايف، وقهوة. أحياناً، حين كان يصل يورى، لم يكن أندرايف يتكلّم معه حتّى، بل يكتفى بقراءة صحيفته أثناء جلوس يورى أمامه. كانوا يتيحون له ساعة من أجل الغداء، بعدها كان عليه الرجوع. لم يوقّع على شىء. أخبروه أنّ عليه التوقيع، سوى أنّه ما وقّع ورقة البتّة. ولا ورقة.لقد أخبره والداه ألا يفعل، وقد قال هذا الضابط،" ألا تريد التوقيع ؟ إذًا لا تفعل. أية عقوبة ستنزل بك عبر محاكمة، سيحسمون وسيلة التعامل معك" طبعاً، فى ذلك الحين لم يكن المرء فى حاجة للكثير لينزل به العقاب. سُئل إن كان جاسوساً يابانيّاً، وكان يجهل سبب اختيارهم لليابان، عدا أنّ أوزوالد سبق وكان هناك، فلا يابانيون فى منسك.

ولأنّه كان يذهب إلى مكتبه كل يوم عدا الآحاد، فقد توقّف عن الذهاب إلى معهده. كان التعليم لم يعد شيئاً يشغله، وكل يوم متى عاد للبيت كان يُطلع والديه على ما جرى، وكل يوم كانوا ينصحونه. فكرا أنّه قد يكون بعض أصدقائه أيضاً خاضعين للاستجواب، سوى أنّه لم يقلق كثيراً حيال ذلك. حين تقضى يومك كله فى الكى. جى. بى.، لا تفكّر فى أصدقائك، لقد جرى تحذيره حتى ألا يتكلّم مع أحد.

استمرّت تلك الاستجوابات عدة أشهر ـ الوقت نفسه، الرجل نفسه، الحجرة نفسها. كانت حجراً ضخماً فوق كاهله. كانت الصورة الوحيدة فى هذا المكتب بورتريه لفيليكس دزيريزينسكى، زائد خزانة وطاولة وكراس. هذا كل شىء. زائد شبّاك يمكنه من خلاله رؤية الشّارع، وكل يوم كان يذهب بشعور أنّ هذا هو اليوم الّذى لن يسمحوا له فيه بالمغادرة. كانت لديه إشارة يعطيها لوالديه. حدد موعداً للعودة كل يوم بساعة معينة. ولو لم...

كانت أمّه تعمل فى أكاديميّة العلوم. كانت تعمل فى أبحاث سريّة خاصة بالفضاء. وهكذا، كان ثمّة ضبّاط كبار يعملون بالاشتراك معها. لطالما كانت أمّه تحاول استخدام علاقاتها تلك لإنقاذه. أثناء هذه الفترة، كان والداه قلقين كثيراً بشأنّه أكثر من قلقهما بخصوص مهنتيهما، وقد راح والده يواصل إخباره الا يوقّع على شىء، لأنّه بين تلك الأوراق عادة توجد ورقة بعينها تفيد أنّه من غير المسموح لك بمغادرة المدينة. أخيراً، أخبره والده غادر منسك. لا تحمل حقائب. فقط ارحل بحقيبتك الشخصيّة "

منحاه نقوداً وفيرة، عدة آلاف من الروبلات، وذهب إلى محطة قطار السكة الحديد ووثب فى قطار الليل إلى موسكو دون تذكرة ودفع للكمسارى. فى موسكو، لم يقض أكثر من يومين فى فندق واحد، كان يغيّر إقامته كل يومين. كان ليورى أقارب كُثّر فى موسكو وعدد كبير من الأصدقاء الصالحين، لكنه ما

مضى مطلقاً لزيارة واحد منهم. كان قد وصل بما لايزيد عمّا كان يحمله فوق ظهره، ولم يشغل باله قطّ بشأن لحية نامية أو صبغ شعره.

فى روسيا، قال يورى، كل ما كنت تحتاجه للسفر كان جواز إقامتك، لذا فى كل ليلة كان يذهب فيها لفندق جديد، كان يسلّمه، وفى الصباح كان يستعيده. بعدئذٍ، خلال ثمانى وأربعين ساعة ـ لا أكثر ـ كان ينتقل.

لشهرين، واصل عمل ذلك، قضى كل يوم فى متحف أو دار للسينما و قد تمتع بوقته. كان حُرّاً، لم يكن قيد الاعتقال. لم يتصل أبداً بالبيت، ولا كتب أبداً رسالة. كان لديه شعور داخلى بالخوف، طبعاً. شعور بالشكّ. لذا، اكتسب فحسب معارف جدد، ولأنّها كانت مسألة أكثر أمناً، فهو لم يستأجر حجرة مفردة مطلقاً؛ فقد يجذب ذلك الاهتمام. كان أفضل أن تتقاسم حجرة مع أغراب.

بعدئذٍ، فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ قرر العودة إلى منسك. كانٍ لا يزال معه مبلغ كبير، لكنّه أحسّ بالوحدة وقد أراد قضاء عشيّة عيد ميلاد طيبة. وهكذا، اشترى تذكرة طائرة وطار إلى منسك، استأجر سيارة، وعاد للبيت. غمرت الدهشة المبهجة والديه و كانا سعيدين.

أخبراه أن ملفّه أُغلِق، وأن تحقيقاته بأكملها الآن انتهت. يظنّ أنّه يجوز بعض الضبّاط فى الكى.جى.بى.، بعض العناصر الكريهة، فكروا بقدرتهم

على عمل شغل على أمّه و أبيه وهو نفسه. لذا، حاولوا تدمير أبويه من خلاله، لكن الأمر لم يُفلح. كان أبواه قويين جداً.

في الواقع، حطم ذلك أندرايف، الرجل الّذى استجوبه، لأنّ أبويه ذهبا لأعلى المناصب فى بيلاروسيا.

رأى يورى أندرايف مرّة أخرى، بعدها بخمس عشرة سنة، فى شارع لينين، وقد ابتسم أندرايف ليورى، متجهاً إليه قائلاً،" كيف حالك؟" وكأن بعد خمسة عشر عاماً، صارا صديقين حميمين يلتقيان مجدداً. كان يورى مأخوذاً جداً إلى درجة أنه غير طريقه فحسب. كان يحاول فحسب ألا يبصق فى وجه أندرايف، و قد سأله الأخير حتى أن يأتى بدواء من أجله.

كان الصحفيون مصابين بالارتباك. كانت رواية يورى قد دوخّتهم كثيراً. لو أنّ الأورجانز كانوا قد استجوبوه اليوم بطوله، ستة أيام فى الأسبوع، على مدى شهور، فعمّا كانوا يتكلمون معه؟ شجّعه الصحفيون على إطلاعهم على الحكاية مرّة أخرى. بعمق أكبر.

تحت كل هذا، قال يورى، كان سياق وراء الأفق، حاشية. كان متعلقاً بالكومسومول. فى الحقيقة كانت توجد مجموعتان تدرسان آنئذٍ فى معهد منسك الطبّى: كانت الأولى من أدّوا بالفعل خدمتهم

العسكريّة وصاروا الآن أعضاء مرموقين بالكومسومول، الباقى كانوا مثله، ممن التحقوا بمعهد منسك الطِبّى من المدرسة الثانويّة وهكذا كانوا فى منافسة قاسية لاجتياز اختبارات الالتحاق. لذلك السبب، كانوا يعرفون كيف يدرسون. وهكذا، هؤلاء من المجموعة الأولى، من أدّوا الخدمة العسكريّة، كان الحسد يملؤهم ويحاولون إلحاق الأذى بالطلاب الأصغر.

مثلاً: حين يخرجون جميعاً فى الصيف للشغل فى مزرعة تعاونيّة أو حصد محصول البطاطس، قال أعضاء الكومسومول المرموقون هؤلاء إنّ يورى، كوستا بوندارين، وساشا بيسكاليف قد سرقوا كمية ضخمة من السّالو، وهو، شرح، كان مرحلة متقدّمة من شحم الخنزير لذيذ المذاق جداً لو أُكِل مع خيار مخلل و خبز و فودكا. شريحة رقيقة من السّالو تملأ معدتك، ويمكنك شرب المزيد.

لا يكلّف السّالو إلا القليل، سوى أنّ الكومسومول تصرّف وكأن عملاً كهذا من سرقة تافهة، مزحة، نمّ عن انعدام مسئوليّة هائل. لقد جرى النظر إليه بوصفه قضية أخلاقية كبرى ـ قالوا إنّ يورى وأصدقاءه لم يكونوا فحسب متحضرين بشكل كافٍ، كريمة بلادهم أصحاب أفضل فرصة للمستقبل، لكنهم تربوا خلو من الإحساس بالمسئولية وبراتب مولته الضرائب من ناس آخرين أقل منهم تعليماً وهكذا فمستقبل نخبة كهذه يخصّ البلاد، لا هم على

وجه الخصوص. إنّ سرقة قطعة واحدة من الشحم أضرّت بمعهدهم الطبّى: خمسة سنتيمترات فى عشرة سنتيمترات ! ضئيلة بما يكفى كى تقحمها داخل جيبك !.

مع ذلك، قُدِّموا ثلاثتهم للمثول بمقابلة الكومسومول فى معهده الطبّى، وكل مشاعره الشخصيّة، قال يورى، قد عوملت باحتقار. مزجونى بالقذارة وقد مُزِج صديقاه قنسطنطين بوندارين وساشا بيسكاليف كذلك بالقذارة ذاتها.

كل ذلك كان لأنّ والد يورى كان نائب رئيس هذا المعهد، وقد أرادوا أن تبلغ القذارة أباه. عناصر كريهة كانت تعارض أباه وكانت تستخدم أعضاء الكومسومول ممن أنهوا مؤخراً خدمتهم بالجيش السوفيتى، ناس كانت أقصى متعة لهم السُكر فى بيت الطلبة، وأن يجثوا على ركبهم ويخرجوا ريحاً، وأن يقحموا عود ثقاب فى إستهم ـ ويشعلوه! كانت تلك أقصى متعة فى حياتهم. هذه كانت ثقافتهم! كل قادة الكومسومول فى معهده.هؤلاء كانوا قضاته بشأن تلك السرقة لقطعة سالو!.

فحص الصحفيون الأمريكان رواية يورى مجدداً، و قد تملكّهم ارتباك شديد بسبب غزارة المعلومات تلك. لو كانوا قد فهموا ما كان يقوله، فى اليوم الثانى أو الثالث عقب وفاة الرئيس كيندى، طُلِب منه الحضور إلى مكتب أندرايف، وقد أسفر ذلك عن

عمليّة ذهاب متكرر للمكتب الرئيسى على مدى شهرين متعاقبين، لذا فمن الممكن فحسب أن يكون ذلك قد تمّ عقب عيد الميلاد أن غادر منسك وذهب إلى موسكو، لكنه حينئذٍ أشار الصحفيون إلى أنّه أقام فى موسكو شهرين، لذا والحال هكذا فهى ثلاثة أشهر عقب عيد الميلاد قبل أن يعود للبيت.

الآن، قرر يورى أنّ الأورجانز قد بدأت استجوابه قبل اغتيال كيندى. ربما كان ذلك فى الأيام الأولى من أغسطس ١٩٦٣ بعد الإمساك به متلبّساً بالمساعدة على سرقة القليل من شحم الخنزير. ثمّ استجوبوه لفترة طويلة، لشهرين أو ثلاثة، حتى نوفمبر، حسب تخمينه.بعدها، عقب الاغتيال، ذهب إلى موسكو.فى الواقع، يتذكّر الآن كل التفاصيل المتعلقة بكيفيّة مغادرة البلدة. كان برفقة أصدقاء، وكلهم كانوا مخمورين، وهو كان مخموراً، وجميعهم ذهبوا إلى محطة سكك حديد منسك لتوديع واحد آخر مسافر على متن قطار آخر إلى مكان آخر، لكن لأنّ القطار التالى تصادف أنّه متجه إلى موسكو، فقد وثب بداخله، ونام فوق الدكّة الثالثة، الرفّ الأعلى فى عربة الدرجة الثالثة، حيث يُخزن الفرش والوسائد.

كان من المُخطط له ضرورة الرحيل، وقد عرف والده كيفيّة التصرّف بمثل تلك المواقف. لقد عمل والده منذ سنوات فى خدمة ستالين، وكان ستالين حين يأكل وجبة، كان والده الرجل الّذى أُختير ليصير مسئولاً عن طعام ستالين. لذا، إذا أكل زعيم

السوفييت قطعة لحم، كان على والده أكل قطعتين. كان اسم والد يورى ميخائيل فيدوروفيتش، وقد تعلّم الكثير بتلك السنوات، لذا فقد كان على دراية أيضاً بكيفية الهرب من الأورجانز. مرّة كان والده فى رحلة عمل، لكنهم أوقفوا قطاره ووضعوه بصفّ ناس تنتظر. سأل،" لماذا هذا الطابور؟" وقالوا، هنا حيث يأخذون منك عضويتك بالحزب

قال والده،" لم تعطونى عضويّة بالحزب ولن تخذوها منِّى

فى اليوم ذاته، منذ سنوات، غادر ميخائيل فيدوروفيتش ذلك الطابور وأخذ زوجته وابنه ورحل إلى الأورال. بعدها بسنوات، فى يوم آخر حين كان والده يعمل فى مكتبه الخاص وتصادف أن كانت أمّه تقف بجواره، دخل بعض الضبّاط وقالوا لوالدة يورى، أنباء طيبة لأسرتك، هنا أوراق رسميّة تثبت أنّ زوجك قد تعرض لإطلاق الرصاص دون ذنب آنذاك "لم يعرفوا حتى أنّ ميخائيل فيدوروفيتش كان الرجل الّذى تقف بجواره. واضح أنّ هذا النظام السوفيتى كان يشبه نظام حُجيرى؛ حيث كانت تجرى فيه كل أنواع العمليات المختلفة فى الآن ذاته. لم يكن ثمّة لُبّ للنظام. حقيقة لا وجود له. لا شىء حقّاً مركزى. لذا، كان والده يخشى لو بقى يورى فى منسك، أن يقع عليه الاختيار بوصفه ضحيّة، فى حين لو فرّ يورى سرعان، بتعبير بيروقراطى، ما سيصابون بالشلل. كانت الآلة الضخمة من الضخامة بحيث يمكنك استثمارها.

وهكذا، راح إلى موسكو. صار الآن هناك، بمقدوره القول إنّ المرء أثناء الهرب، لا يهتم ما إذا كان رفيقه بالحجرة لليلة واحدة simpaticoأو zhlob(*)

الشيء الجديد بالاعتبار هو ضرورة ألا يكون هذا الرفيق خطراً عليك، لكن يورى كان محظوظاً، فلم يلق إلا الطيبين، وإن سأله واحد لماذا كان هناك، كان يكتفى بالقول،" إجازة" كان طالباً، وكان ضخم الجثّة، كما بدا جديراً بالاحترام، فلم ينتبه أحد. طبعاً، كان مضطراً للقول إنّه من منسك بسبب جواز إقامته.

لا كان خائفاً من تعرّضه للسرقة. في كل محطّة سِكّة حديد، لديهم صناديق أمانات.لقاء خمسة عشر كوبيكًا يوميّاً، بوسعه ترك أغلب نقوده في خزانة.أثناء وجوده في موسكو، أقام في فندق بكين ولينينجراد وأوكرانيا والمعرض ـ بكل مكان. لو التقطت خارطة لموسكو، ليقضى يومين في أحد الفنادق ثمّ يستقل سيارة أجرة عبر المدينة. لم يكن يتبع نظاماً ـ بل يمضي بعيداً فحسب عن أخر فندق كان فيه. في تلك الأيام، كان المرء يستطيع دخول أي فندق ـ كان الأمر سهلاً.

ولا كانت الأسعار غالية. بمقدور المرء في مطعم أن يشرب فودكا ويأكل بشكل ثمين أو تكتفي بأخذ الملفوف. طبعاً، لم يحص نقوده، فلديه الكثير من الروبلات التي لم يحسب قطّ كم أنفق منها. كانت

(*) بالروسية في الأصل.

الأسعار رخيصة. فطيرة اللحم الواحدة كلفتها سبعة كوبيكات. اللحم الطيب مع البيرة، ٢٢ كوبيكًا. تذكرة السينما، ٢٠ كوبيكًا. كل شيء بالكوبيك لا بالروبل. لو معك زميل، بوسعك الذهاب لبوفيه أو مطعم صغير بأحد الفنادق وتأكلان معاً خبزاً مجانيّاً، ثمّ تضعان الخردل فوق الخبز زائد الفلفل والملح ثمّ تصبّان كأساً من الفودكا، وتأكلان مزيداً من الخبز ـ كانت وجبة كاملة.

لم يجرِ اتصالات مع أهله من موسكو، ولم يشغل باله بذلك، سوى أنّه كان في شوق لدياره حتّى وإن كان يقضي وقتاً ظريفاً بصحبة النساء. ما من مشاكل تواجهه هنا ـ ليس مضطراً للبحث عن بنساته في الزبالة.لم يدفع أبداً لامرأة، كان شاباً حسن الهيئة، وكان يعرف كيف يتكلّم، وإن راقت له امرأة كان يدعوها لمطعم. كانت النساء الجميلات في كل مكان، علاوة على العاملات في المتاجر. بعدئذٍ، عاد أدراجه إلى منسك في عيد الميلاد لرؤية والديه. في ذلك الحين، كان يستطيع أن يجرع صندوقاً كاملاً من الفودكا، ستّ زجاجات. اليوم، يمكنه أن يجرع زجاجتين فحسب من الفودكا، كما فعل اليوم. زجاجتان قبل حضوره للصحفيين، والآن، مزيد من الفودكا خلال اللقاء. في تلك الأيام، كان يقدر هو وصديق على شرب زجاجتهما الأولى من الفودكا في ربع ساعة، والثانية في عشرين دقيقة، والثالثة في ثلاثين دقيقة. ثلاثة لترات زجاجات في أكثر من ساعة بقليل

فحسب. الآن، يمكنه مع ذلك شرب الكثير من البوظة، لكن ليس مثلما سبق، كلا، هذا مؤذ(*)

تُرى ماذا يمكن العمل بروايته؟ وهذا اللقاء يوشك على الانتهاء ، دخلت ليديا سيمينوفا ، والدة يورى ، الحجرة . كانت ضئيلة وهشّة وتحمل لقب العالمة المبجّلة لجمهورية روسيا البيضاء

عملت ليديا سيمينوفا فى كيمياء النخاع و الطبّ الإشعاعى ، و كانت فخورة بالسفر فى رحلات عمل علميّة إلى مؤتمرات دوليّة ، فى أمريكا حتّى. حين عادت إلى منسك عام ١٩٦١ من أمريكا، طُلِبَ منها مشاركة انطباعاتها بشأن زيارتها لجامعات أمريكيّة مختلفة عدد هائل من طُلاب معهد الطبّ أرادونى أن أتكلّم . إنّها تظنّ حتّى أنّ هؤلاء الطُلاب هم من رتّبوا إلقاءها محاضرة بقصر اتحاد التجارة

تتذكّر أنّ أوزوالد، بوصفه واحداً من الحاضرين، ، جاء عقب محاضرتها ليقول إنّه أمريكى، وأنّ يورى بعدها سأل إن كان هذا الأمريكى يمكنه المجىء للبيت معهم. هكذا حدث أن زار أوزوالد شقّتهم فى السابع عشر من مارس عام ١٩٦١.

لم تكوّن انطباعاً أول عنه ـ كانت مشغولة جداً بالحديث مع الناس عقب محاضرتها. كان محض شاب صغير، صبى فى الحقيقة

آنذاك كان فريقها يجرى أبحاثاً على مفاعل نووى بمصادر الكوبالت . كان لديها فريق هائل يعمل

(*) بالفرنسية فى الأصل C est dommage.

تحت أمرتها، حوالى ثلاثين فرداً، وكان مشروعها خاضعاً لدرجة عالية من التأمين، مثل كل المشاريع الأخرى المتعلقة بالإشعاع. لذا، بعد حضور أوزوالد إلى بيتها، سرعان ما أخبرها الأورجانز أنّه من غير المرغوب، بل حتى غير المقبول، أن يجىء مرّة أخرى. هذا الشعور مُرر كذلك إلى زوجها، بروفيسور مريزينسكى. لم يكن بيتهم مكاناً يمكن للأجانب المجهولين المجىء إليه

الآن، سألها الصحفيون عن رحلة يورى الطويلة إلى موسكو، وأجابت على الفور أنّه سافر فى خريف ١٩٦٣ . كان مريضاً، وقد مكث فى مستشفى هناك

آنئذ، قاطعها يورى للقول، ماما، أطلب منك الطريق الصادق فى الحياة. أرجوك. تناسى أنّك عضوٌ فى الحزب. لا تكذبى

الأمّ:" إذًا لن أتكلّم. أنا أقول كيف جرى الأمر

"ارو الحقيقة قال يورى.

"سأروى الحقيقة" قالت أمّه،" كان ثمّة قصّة كريهة عن فترة فى مزرعة، قِصّة كريهة... قال الكومسومول إن ثلاثة أولاد يجب استبعادهم من معهد الطبّ "

لم يكن ذلك كافياً. قالت ليديا سيمينوفا ، لتبرير هذه المحاولة لطرد يورى من معهد الطِبّ، لكن ما ينبغى فهمه هو أنّه فى مزرعته، كان يورى مريضاً أيضاً، يعانى درجة حرارة ثابتة بلغت ٣٩ درجة مئوية.

حُمّى تعذر تفسيرها. تساوى ١٠٢,٢ فهرنهايت. ولأنّ ابنتهم كانت قد أصيبت بالسلّ سابقاً، فقد كان السؤال الجلى هو ما إذا كان يورى الآن مصاباً به. ما من أطباء فى مستشفى منسك، عموماً، جاهزين للتشخيص. كانت هى وزوجها رفيعى المنزلة بالطبّ، فكان هؤلاء الأطباء يخشون ارتكاب خطأ فادح. أخبروها أنّه من الأفضل أن تذهب إلى مستشفى الدّرن فى معهد موسكو الثانى. وهكذا أمضى يورى أربعة أشهر ذلك الخريف فى موسكو ـ خريف عام ١٩٦٣بعد أن غادر معهد منسك، وحينما عاد، كى يضع حداً لمزيد من الكلام، عيّنت أمّ يورى ابنها معاون معمل فى معهدها الّذى تعمل به

بعد هذا التفسير، تجادل الابن وأمّه باللغتين الإنجليزيّة والروسيّة

يورى : أمّى ، كونى صادقة ولو مرّة فى حياتك.

الأمّ : أنا أنطق بالحقيقة فحسب .

يورى: ارمِ بطاقة الحزب

الأمّ : ما من علاقة تربطنى ببطاقة العضوية

يورى : لديك بطاقة عضويّة بالحزب فى رأسك. لِما غادرت إلى موسكو؟ هل لأنّى كنتُ مريضاً؟.

الأمّ : كنتَ مريضاً

تشرح ليديا سيمينوفا: اشترك هذا الرجل أندرايف ، فى الحقيقة، فى موقف ضد يورى لإيذاء

زوجها. لقد تمّ استغلال يورى .كان ذلك سبباً إضافياً ليورى كى يرحل إلى موسكو ـ لذا ما كان ليستبعد من معهد الطبِّ بسبب مشكلة السّالو صيف ١٩٦٣ . حين ذهب إلى موسكو و أعفى طبيّاً من المعهد، عجز أندرايف ومن معه عن إيذاء يورى، وبالتالى عجزوا عن إيذاء زوجها، تصادف هذا أيضاً مع التهاب رئتى يورى، وبالتالى اكتسى انتقاله بالمنطق، أمكنها القول إنّه بسبب معاناة يورى من هذا الالتهاب، فقد ساعدها ذلك على إرساله إلى موسكو، لكنها كانت تحاول أيضاً العثور على طبيب فى موسكو يمكنه مدّ يدٍ العون له

يمكنها أن تشرح أكثر: كونها باحثة نووية، كان لديها من يبلغها من الكى. جى. بى، كولونيل. كانت مقرّبة من هذا الكولونيل، لأنّه كان يسافر للخارج برفقتها حين تذهب إلى مؤتمرات دوليّة و هكذا كان دائماً ينبهها. متى بدأت المتاعب، كان كولونيل الكى. جى. بى. يخبرها،"ليديا سيمينوفا، أرجوكِ تنبهى، لاتسمحى ليورى برؤية هذا الشخص. أحرى به لو لم يفعل "أخبروها عن أوزوالد وكيف أنّه من الأفضل ألا يلتقى به يورى. تكلّموا معها عن علاقات يورى مع نساء مختلفات، لم يعلنوا ذلك، لكنها عرفت كل مايتعلّق بمارينا وسيرتها السيئة فى لينينجراد، كانت مارينا امرأة جميلة، وكانت ليديا سيمينوفا مهمومة أن يهتم بها يورى، لأنّه جرى تحذيرها أنّ هذه العلاقة يجب أن تتوقّف.

حين سمعت، فى أوائل فصل الخريف عام ١٩٦٢ أنّ يورى كان سيستبعد من معهد الطبّ، اتصلت بضابط متقاعد كبير بالكى.جى. بى، وبعد أيام قلائل قال لها،" ليديا سيمينوفا ، إياك وعمل أى شىء مع هؤلاء الأطباء هنا. اذهبى إلى موسكو واستعملت والدة يورى تعبيراً دارجاً ، motaite غادرى المدينة " قالوا. لا يُنصح بالتعامل مع الأمر هنا، غادرى البلدة واصحبى يورى معك Smativat اخلعى!.

وهكذا، من منسك حجزت فى فندق أكادميتشسكايا فى موسكو، حجرة لابنها ولها فى فندق يقصده أكاديميو كل الجمهوريات السوفيتيّة. حجزت من منسك، ولدى وصولهما إلى موسكو، أخذته إلى مستشفى مناسب، حيث قضى شهوره الأربعة. فى تلك الأثناء، كانت هذه المشكلة مع أندرايف قد انحلت وحدها

يورى : هل تذكرين كيف كنتُ أغادر إلى موسكو؟.

الأمّ : عِشتُ معك فى فندق أكادميتشسكايا

يورى: إياك وقول ذلك يا أمّى. كونى مرّة واحدة فى حياتك صادقة. لا أستطيع تحمّل ذلك. سأغادر.

الأمّ : لقد رويت كل شىء كما جرى .

يورى: بلى ، طبعاً ، عاش الحزب الشيوعى

الأمّ : لا علاقة لى لا بستالين ولا بالحزب .

يورى: ليديا سيمينوفا، هل سبق و قرأت شيئاً بسيطًا Gulag Archipelago (*)

الأمّ : كلا ، لم

يورى : لو قرأتِ مقالاً عن جولاج، ستتعرفين بشكل أفضل عن الواقع السوفيتى، (لكن) لا ترغبين بالقراءة عن الأمر.

الأمّ : كلا. لا أرغب... ألا يمــكــنك إدراك أنّ منصبى يجبرنا على الانضمام للحزب؟ لديهم توجيه خاص بى.

يورى: لماذا يكره العالم كله الروس، والثورات الشيوعيّة

الأمّ : لا بأس، أنت تكرهنى . فترى ماذا يمكننى أن أفعل ؟.

يورى: وأنت تكرهيننى. وذلك السبب وراء كلامى.

الأمّ : لِماذا قد أكرهك؟.

يورى: كلا. أعلم أنّها تكرهنى

الأمّ : يجب أن تخجل من قول ذلك !

كانت عجوزاً، وكان مريضاً. فى الخمسين من عمره؛ ولا يزال وسيماً، كان محنيّاً ويسعل،لفّ كأسه من الفودكا مثل ورقة سفعتها الحرارة، و كانت فى السبعين من عمرها. كانا يتشاجران معًا، بمرارة،

(*) أرخبيل الجولاج كتاب للأديب الكسندر سولجينتسين عن معسكرات العمل القسرية فى الاتحاد السوفيتى سابقًا (المترجم).

وبغضب لا يمكن سوى لأمّ وابنها أن يشعرا به ولديهما القوة و السيطرة التى يمارسها كل منهما على الآخر.

استطاع الصحفيون التساؤل إن كان يورى يقدر على الغفران أبداً لأمّه لكشفها أنّه كان كاذباً بدرجة مذهلة، وأنّ كل ما رواه لهم عن مارينا وعن نفسه كان بلا ريب زائفاً بواقعيّة شديدة. غامض ـ وقد لاح الأمر وكأنّه قد شهدها بدرجة ما ـ لكن يجوز غير حقيقى. لقد ولدت التجربة العلاقة ذاتها بذاكرته بوصفها حقائق على درجة عالية من الرومانسيّة.

ـ ٣ ـ

أكثر اللحظات المهينة في حياتها

لو أنّنا بصدد اعتبار ذكريات الروس الّذين عرفناهم فيما يتعلّق بحالة مشاعرهم فى أعقاب موت جاك كيندى، هل ثمّة نهاية للمجلّد الأول أكثر ملاءمة من سبر أغوار حالة مارينا العقليّة ؟.

تقول إنّ أكثر الأمور المخزية التى مرّت عليها كانت أثناء مشيها من سيارة الشرطة إلى المخفر بعد أن أخبروها أن لى قد أُلقى القبض عليه.

أحضرتها الشرطة فى السيارة، وكان عليها المشى تجهل كم كانت المسافة، فقد بدت وكأنّها للأبد. ربما كانت مسافة ما قصيرة، لا تذكر. لكن، مثل هذا الخزى ـ اللحظة الأكثر إهانة وخزياً فى حياتها كلها. محض المشى من سيارة باتجاه مبنى. كان الصحفيون يصيحون، دون أن تتمكّن من فهم شيء. تمنّت لو

ابتلعتها الأرض، لقد صدّقت حتى أنّ لى قد ارتكب هذه الجريمة، لأنّها صدّقت كل السلطات الأمريكيّة. صدقتهم بشكل أعمى. لقد قاموا بعمليّة اعتقال، لذا فترى هل ثمّة مزيد تنظره ؟ كانت من روسيا ـ حين تجىء تلك السيارة السوداء (يدعونها فى روسيا voron [١]) غراب أسود) فأنت مذنب. مذنب بصورة آليّة. الفارون[٢] هنا! ثمّ اجتازت نفقاً ملؤه صحفيون. علبة سردين. عجزت عن تصديق الأمر. هذا الكابوس شفطها. دور قيادى! كانت تلعب دور السائرة أثناء اليوم.

فجأة، صرخ واحد فيها باللغة الروسيّة،" مدام أوزوالد، هل قتل زوجك رئيس أمريكا؟" أيقظها هذا الصوت الروسى بدرجة ما. لحسن الحظّ. كانت تشعر وكأنّه يمكنها الانجراف من كل شىء للأبد. كانت مخذولة ـ زوجة قاتل اغتال الرئيس.

---

(١) بالروسية فى الأصل.

(٢) غراب أسود بالروسية فى الأصل.

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت».. للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» .. رواية .. جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر».. للكاتب الفرنسى «بيير بيجى».. رواية.. جائزة إنتر.

٣ ـ «موال البيات والنوم».. للكاتب المصرى «خيرى شلبى» .. رواية .. جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» .. سيرة ذاتية.. جائزة سلطان العويس.

٥ ـ «اللمس».. للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله».. مسرح .. جائزة أبها.

٦ ـ «عاشوا فى حياتى».. للكاتب المصرى «أنيس منصور» .. سيرة ذاتية.. جائزة مبارك.

٧ ـ «قبلة الحياة».. للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» رواية.. جائزة التفوق.

٨ ـ «ليلة الحنة».. للكاتبة المصرية «فتحية العسال» .. مسرح.. جائزة التفوق.

٩ ـ العاشقات.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» رواية.. جائزة نوبل.

١٠ ـ نوّة الكرم.. للكاتبة المصرية.. «نجوى شعبان».. رواية.. جائزة الدولة التشجيعية.

١١- «الفسكونت المشطور».. للكاتب الإيطالى «إيتالوكالڤينو» رواية.. (عدد خاص).. جائزة فياريچيو.

١٢- القلعة البيضاء.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

١٣ - أين تذهب طيور المحيط.. للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد».. أدب رحلات .. جائزة التفوق.

١٤ ـ قرية ظالمة.. للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» .. رواية.. (عدد خاص).. جائزة الدولة للأدب.

١٥ ـ الرجل البطىء.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م كوتسى».. رواية .. جائزة نوبل.

١٦ ـ طحالب.. للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» .. متتالية قصصية .. جائزة كين

١٧ ـ شوشا.. للكاتب البولندى «إسحق باشيفتس سنجر».. رواية .. جائزة نوبل.

١٨ – شارع ميجل.. للكاتب من ترينداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

١٩ ـ الحياة الجديدة.. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

٢٠ ـ عشر مسرحيات مختارة.. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٢١ ـ الآخر مثلى.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. رواية .. جائزة نوبل.

٢٢ ـ المستبعدون.. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك».. رواية ـ جائزة نوبل.

٢٣ ـ الأنثى كنوع .. للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. قصص.. جائزة بن مالامود.

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمى.. للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» .. رواية.. جائزة الجونكور.

٢٥ ـ إسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركى «أورهان باموق».. جائزة نوبل.

٢٦ ـ الطوف الحجرى.. للكاتب البرتغالى «جوزيه سارامارجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور» مختارات.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

٢٩ ـ إليزابيث كُستّلُو.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى» رواية.. جائزة نوبل.

٣٠ ـ السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية «بريجيته كروناور» قصص.. جائزة چورج بوشنر الكبرى.

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

٣٢- مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. جائزة البوليتزر.

٣٣ - اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٤ - البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٥ - بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. جائزة البوكر.

٣٦- بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب.

٣٧ - عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث».. رواية.. جائزة الأورانج.

٣٨ - العار.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٣٩ - قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى «إيريك فوتورينو».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة نادال.

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة بلانيتا.

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية «كيران ديساى».. ر واية.. جائزة البوكر.

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية «إنجريد توبوا».. رواية.. جائزة الرواية الأولى فى فرنسا.

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٠ ـ يوميات عام سيئ.. للكاتب الجنوب إفريقى «ج.م كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.

٥٢ ـ انقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى.

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة نظرات أدبية.

٥٦ ـ الإرهابية الطيبة.. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٥٧ ـ المسرحيات الكبرى جـ١ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ المسرحيات الكبرى جـ ٢ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ نصف شمس صفراء.. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى» .. رواية.. جائزة الأورانج.

٦٠ ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦١ ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

٦٢ ـ الحوت.. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية..جائزة نوبل.

٦٣ ـ رقة الذئاب.. للكاتبة الأسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٤ ـ رحلة العم مآ.. للكاتب الجابونى «چان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٦٥ ـ مسيرة الفيل.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» رواية.. جائزة نوبل.

٦٦ ـ كرسى النسر.. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة سرفانتيس.

٦٧ ـ داى.. للكاتبة الإسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٨ ـ الحب المدمر.. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

٦٩ ـ أين نذهب يابابا؟.. للكاتب الفرنسى «جون لوى فورنييه».. رواية.. جائزة الفيمينا.

٧٠ ـ نداء دينيتى.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

٧١ ـ صخب الميراث.. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما» رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٧٢ ـ المؤتمر الأخير.. للكاتب الفرنسى «مارك بروسون».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

٧٣ ـ كتاب الرسم والخط.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

٧٤ ـ كلٌ رجل.. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٧٥ ـ نُريد أن نتحدث عن كيڤين.. للكاتبة الأمريكية «ليونيل شرايفر».. رواية.. جائزة الأورانج.

٧٦ ـ ألم فذ.. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.. جائزة جيمس تيت بلاك.

٧٧ ـ أناقة القنفذ.. للكاتبة الفرنسية «موريل باربرى».. رواية.. جائزة المكتبات للرواية.

٧٨ ـ حزن مدرسى.. للكاتب الفرنسى «دانيل بناك» رواية.. جائزة روندو.

٧٩ ـ غدًا.. للكاتب الألمانى «فالتر، كاباخر».. رواية.. جائزة چورچ بوشنر الكبرى.

٨٠ ـ الكلمة المكسورة.. للكاتب الإنجليزى «آدم فولدز».. رواية/ قصيدة.. جائزة كوستا.

٨١ ـ أن نُصبح أغرابًا.. للكاتبة الإنجليزية «لويز دين».. رواية.. جائزة بيتى تراسك.

٨٢ ـ المرأة المسكونة.. للكاتبة النيكاراجوية «جيوكوندا بيلي».. رواية.. جائزة كاسا دى لاس أمير كاس.

٨٣ ـ بيتر كامينتسند.. للكاتب الألمانى «هِرمَن هيسِّه».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة نوبل.

٨٤ ـ بيت السيد بيسواس.. للكاتب من ترينداد «ف. س . نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

٨٥ ـ مدريد الأصيلة.. للكاتب الإسبانى «كارلوس أرنيتشيس».. مسرح.. وسام الاستحقاق.

٨٦ ـ لافينيا.. للكاتبة الأمريكية «أوروسولا كى لى جوين».. رواية جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى.

٨٧ ـ أشجار متحجرة.. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

٨٨ ـ سنوات الهروب.. للكاتب الكولومبى «بلينيو أبوليو ميندوثا».. رواية.. جائزة بلازا إي خانيس.

٨٩ ـ الباحث عن الذهب.. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية.. جائزة نوبل.

٩٠ ـ جائزة أو. هنرى.. مجموعة من المؤلفين.. قصص قصيرة.. القصص الفائزة بجائزة أو. هنرى لـ عام ٢٠٠٧.

٩١ ـ الحيوان المُحتضر.. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة بن/نابوكوف.

٩٢ ـ أنشودة الاباما.. للكاتب الفرنسى «جيل لوروا».. رواية.. جائزة الجونكور.

٩٣ ـ إنجيل الابن.. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. رواية.. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

٩٤ ـ الوصمة البشرية.. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

٩٥ ـ ليتنى لم أقابل نفسى اليوم.. للروائية الألمانية «هيرتا موللر».. رواية.. جائزة نوبل.

يصدر قريبًا من هذه السلسلة

١ـ الكون فى راحة اليد.. چيوكوندا بيلى.. جائزة اتحاد الناشرين ١٩٩٢

٢ ـ تيو.. باتريشيا جريس.. جائزة مونتانا للرواية ٢٠٠٥.

٣ ـ ذهول ورعدة.. إميلى تومب.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.. ١٩٩٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

الكتاب

"حكاية أوزوالد" .. لغزٌ أمريكي.
و"هارفى أوزوالد" بطل هذا الكتاب.
بجزءيه، والذى اتهم باغتيال الرئيس الأمريكى "جون كيندى" يظل لغزًا محيرًا سواء أثناء حياته بملابساتها الغامضة أو موته الذى شهد سلسلة متتالية من التناقضات.
فى هذا الكتاب يُغرق "نورمان ميلر" سرده بملاحقة كل الشهود الذين بقوا على قيد الحياة منطلقًا من انحيازه الكامل لنظرية المؤامرة بوصفها عاملاً حافزًا على اغتيال "كيندى"، يتتبع "نورمان ميلر" أوزوالد منذ تخلى عن جنسيته الأمريكية فى روسيا بشكل غير رسمى؛ لكى يضمن العودة إلى أمريكا بعد ذلك، ويرصد ملامحه النفسية وتوحده ونبذه للمجتمع ويفتش فى سجلات الـ كى. جى. بى (جهاز المخابرات الروسية) الشهير، ومكتب التحقيقات الفيدرالية وظروف حياته الاجتماعية.. أمه وزوجته الروسية والأصدقاء والمعارف والجيران.
فى هذا الكتاب يحلق "نورمان ميلر" فى أجواء روسيا وأمريكا ويُطل من عل على النظريتين السياسيتين اللتين حكمتا العالم إبان العقد السادس من القرن العشرين، وما نجم عنهما من عداوات بين الشعوب، وهو طوال صفحات كتابه الضخم يفند نظريات المؤامرة الواحدة تلو الأخرى بما تمتلكه كل نظرية من يقين امتلاك الحقيقة المطلقة، ثم يعبث بمكوناتها فتتقوض ولا تصمد أمام تحليلاته، وكأنها قصور على الرمال.
إن "حكاية أوزوالد" كتابٌ مهمٌ فريد فى نوعه، وقد وصفه الروائى "مارتن أميس" بأنه عمل على الرغم من تسجيليته من حيث اندراجه نقديًا تحت ما يُسمى "رواية الحياة الحقيقية" فإنه عملٌ باهر التعاطف مع مفردات الحياة وواسع الخيال.

- الكاتب: نورمان ميلر، الكاتب الأمريكى الشهير.
- الجائزة: جائزة البوليتزر.

ISBN# 9789774218959
6 221149 024298

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٦ جنيها